أخلاق الصحفي المهنية

الأستاذ الدكتور
عطا الله الرمحين



الوراق
للنشر والتوزيع
www.alwaraq-pub.com

أخلاق الصحفي المهنية

أخلاق الصحفي المهنية

تأليف

د. عطا الله الرمحين



الطبعة الأولى

2013



١٧٤,٩٠٧

الرمحين، عطا الله عسكر

أخلاق الصحفي المهنية/عطا الله عسكر الرمحين

_عمان مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع ، ٢٠١٢ .

(   ) ص.

ر.أ. : (٢٨٨٢/ ٧/ ٢٠١٢) .

الواصفات :/اداب الصافحة

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISPN : 978 - 9957 - 33 - 303 - 4 (ردمك)



مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع

شارع الجامعة الأردنية - عمارة العساف - مقابل كلية الزراعة - تلفاكس 00962 6 5337798

ص . ب 1527 تلاع العلي - عمان 11953 الأردن

e-mail : halwaraq@hotmail.com

www.alwaraq-pub.com - info@alwaraq-pub.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

التصورات الأخلاقية – المهنية المرشدة لسلوك الصحفي

الفصل الخامس

حتى مبادئك توجد بوفرة

الفصل السادس

المعايير مثلها كمثل الرقابة

الموضوع	الصفحة
لا تلحق الضرر! ماذا يعني؟	191
من المؤلف؟	194
من الذي يحدث 'المناخ الأخلاقي'؟	197
لماذا ترتيب 'الألعاب مع السلطة'؟	200
الاستنتاجات:	203

الفصل السابع
النواحي المنهجية والقانونية للأمن الإعلامي والسيكولوجي في وسائل الإعلام الجماهيري

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل التاسع

التنظيم القانوني لأمن أطفال العالم العربي الإعلامي

الفصل العاشر

التجربة الخارجية للتنظيم القانوني لحماية الأمن الإعلامي عند تحقيق البث الإذاعي والتلفزيوني

الفصل الحادي عشر

الاتصال الجماهيري ومشكلة العنف

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الثورة المجيدة	358
الجبرية	359
الجدال	359
الجدل	359
الجشطلطية	360
الجمال (علم)	360
الجوهر	360
حضارة	361
حكم	362
حكم استبدادي	362
حكم الشعب	363
حكم الفرد	364
حكم القلة	364
حكومة	365
حوار	365
الحتمية	366
الحدس	366
الحدسية	367
الحسي «المذهب»	367
الحقيقة	367
دعاية / دعوة:	368
دعوة:	369
الداروينية	369
دازاين	369

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مقدمة

يعد مقرر «أخلاق الصحفي المهنية» واحداً من أحدث المقررات الدراسية في الخطط الدراسية لكليات الصحافة والإعلام في الجامعات والمعاهد العربية ويعود تاريخ هذا المقرر إلى عقدين من الزمن لا أكثر، ولاسيما أن العقد الأخير قد شهد أحداثاً في العالم العربي لا يمكن أن نصفها إلا بالأحداث الزلزالية. ويبدو أنه من أكبر الاحتمالات أن ذلك يفسر بحقيقة أنه حتى هذا الحين لم تظهر كتب دراسية ولا غيرها في هذا المجال وكان علينا ولأهداف تربوية أن نستخدم الرسائل العلمية. ومن الصعب جداً تقدير أهمية مثل هذه الأعمال، بيد أن حل المسائل العملية الدراسية المساعدة أمر في غاية التعقيد. إن معنى الدروس في الأخلاق المهنية ليس فقط في تقديم المادة العلمية النظرية للطالب، وإنما الحلقة الدراسية هذه مدعوة إلى تقديم المساعدة للشباب في الفهم العميق لطبيعة القيم الأخلاقية لتلك الجماعة المهنية التي يستعدون للانضمام إليها وبالتناسب مع هذه القيم لتكوين الموقف المهني الخاص بهم. وهكذا فقط يمكن تأهيلهم ليكونوا قادرين على اختيار التوجه الأخلاقي المستقل والضروري للقيام بالواجب المهني على أكمل وجه.

إن الكتاب المقترح هو أول تجربة لكتاب دراسي موجه إلى حل هذه المسائل، وإن هذا الكتاب يتوافق تماماً مع البرامج الدراسية الراهنة. إلا أن هنا بعض الخطوط في عملية تقديم المادة غير المخصصة للأدبيات الدراسية، وهي ليست مصادفة. إن التجربة الطويلة في العمل مع الطلاب قد برهنت على صحة الملاحظات والاستنتاجات السيكولوجية. الإنسان منفتح على المعرفة أكثر من أي شيء آخر ولاسيما عندما تكون هذه المعرفة ضرورية له علمياً أو باختصار إن الطلب على المعرفة يولد أوضاعاً إشكالية تتطلب حلولاً سريعة أو بمناقشة الأوضاع هذه يبدأ الكتاب الدراسي فصوله. تسمية الفصول حيث تحدد ذاتية المشكلة التي تربطها بالشخصيات المعينة والقارئ أيضاً يرغب في الانضمام إلى الحديث ويشعر بذاته مشاركاً بالبحث الجماعي عن الحقيقة. إن العبارات في هذا الكتاب مقتبسة من سقراط

وكانط. ويرى المؤرخون ثابتاً ما يقوله الحكيم الإغريقي في أحاديثه حول الصوت الداخلي الخفي كشخصية أخلاقية رفيعة بالنسبة للإنسان (ورد ذلك في الاتهام الموجه إلى الفيلسوف).

لقد كان سقراط من الأوائل الذين سمعوا ما يخرج من عقل الإنسان وروحه من أوامر للجمع هرمونياً في السلوك بين المصالح والتصورات عن السعادة وبين مصالح المجتمع.

إن تطورعلم الأخلاق قد أظهر أن الأخلاق الظاهرة الأكثر تعقيداً هذا ما رآه سقراط. إلا أن هذه الرؤية قد أكدت على خصوصيته الرئيسة التي انفتحت له إذ إن الأخلاق تقود سلوك الإنسان من خلاله بالذات تقود أصوات الواجب والشرف والضمير _ هذه هي آراء المهتمين بقدرة الإنسانية على الحياة التي أظهرها الكون بإحداثه الواقع الاجتماعي. وقد كتب كانط حول ذلك، لكننا لن نستعجل الأمر وسوف يكون لدينا حديث خاص عن كانط. إن مناقشة المسائل العامة للأخلاق هي بداية هذا الكتاب الدراسي على الرغم من أن مركز الاهتمام فيه سيكون القضايا المرتبطة بنشوء الأخلاق المهنية لدى الصحفي وآليات تأثيرها على العمل الصحفي.

إننا سنتعرض إلى الكثير من جوانب النشاط الصحفي، لأن البداية الأخلاقية تدخل عضوياً في كل مظاهره لذلك تمثل ضرورة الخيار الأخلاقي أمام الإنسان الذي يمارس هذه المهنة في كل خطوة يخطوها تقريباً. وهذا الأمر يؤدي إلى نشوء حلقة خاصة في تركيبة وطريقة النشاط الإبداعي للصحفي وتكون وظيفتها التنظيم الأخلاقي لسلوكه المهني وهدف الجزء الثاني من الكتاب تعريف الطلاب بالتفصيل بهذه الحلقة وتنظيم التصورات الأخلاقية - المهنية التي دخلت اليوم في استعمالات الاتحاد العالمي للصحفيين بوصفها معياراً مهنياً للسلوك يرجع إليه نجاح العمل الصحفي في كثير من الأحيان. وفي الحقيقة إن بعضهم يرى في هذه المعايير "أضاليل أخلاقية" فقط ويفضلون عدم التعاطي معها.

لكن جل هؤلاء هم الذين لا يهتمون بشكل خاص بالطريق إلى قمم الإبداع الحقيقي.

الأمر ينحصر في أنه يعود إلى عمق وشمولية التصورات عن المعـايير الأخلاقيـة (المبادئ والقواعد والمقاييس) في كثير مـن جوانبـه، وبقـدرما تتكـون لـدى الـصحفي القدرة على سماع إرادة الضمير. الإجـازة في النجـاح هـي في هـذه المقـدرة بالـذات، وإلا من دونها لا يمكن أن يحضر النضوج المهني.

لنتوجه في الطريق الذي سيقودكم إلى الهدف الرئيس – المعرفة؟ المعارف وحدها بـالطبع المـستوى العـالي مـن الأخـلاق لا يمكـن أن تـوفر لتحقيـق ذلـك لا بـد من عمل طويل على الروح.

ولنفهم لماذا يصدر الصوت الداخلي ومتى يمكن سماعه نساعد مـن دون شـك على التوجه الأخلاقي، وهذا الـصوت أفـضل مـن أي بوصـلة توجهـك في أصـعب الطرق المهنية، وإن وقائع الحياة هي عبارة عن شاخص على هذا الطريق.

المؤلف

د.عطا الله الرمحين

الفصل الأول

أخلاق الصحفي المهنية بوصفها علماً ومسألة عملية أخلاقياً، أدبياً، معنوياً...



أخلاق الصحفي المهنية بوصفها علماً ومسألة عملية أخلاقياً، أدبياً، معنوياً...

لقد وضعوا كلمات متنوعة!

لقد سمعت مرات كثيرة بهذه التعابير الدالة على هذا المعنى ليس من الطلاب وحدهم. وذات مرة تحدث عن هذا الموضوع بشكل مطول أحد أصدقائي القدماء.

- ما بكم أيها الباحثون إنكم تحبون تعقيد كل شيء!

إنني أمضيت حياتي كلها في الصحافة ولم أشعر ولو مرة واحدة بأن هناك معنى لوضع سياج ثلاثي. إن الأخلاق حسب اعتقادي هي الأدب في مفهومه المعاصر ولا تولد الأخلاق في مكاتب العلماء، وإنما تولد في ممارسة العمل الصحفي ومن الطبيعي أن يشارك المنظرون في وضع القوانين الأخلاقية لكي تستخدم من قبل الصحفيين في مؤتمراتهم، وهذا ليس واقعاً على الرغم من أن هناك حاجة لمثل هذه القوانين. إن القوانين الجيدة هي حقاً مطلب أولي أما التشريعات...

عندئذ فكرت لأول مرة كم نتصور بسطحية الأدب كظاهرة اجتماعية وكم هو قليل إدراكنا لعلاقته المتبادلة مع الإعلام. إن أخلاق الصحفي المهنية تعالج جانباً واحداً فقط من هذه العلاقات المتبادلة وحتى هذا الجانب يمكن أن يفتح لنا تماماً فقط في حالة إذا تصورنا كل جوانب العلاقات بين الإعلام والأخلاق وبين الأخلاق وحياة الناس. وهذه الأخلاق لا يجوز تجاوزها ببساطة ولا يجوز مسها بالأيدي وإنها ليست ملكية لأي مؤسسة اجتماعية، لكن هيهات أن نجد شخصاً لا يشعر بتأثيرها عليه.

ما هي الأخلاق؟

للإجابة على هذا السؤال يمكننا العودة إلى المعجم والبحث في المؤلفات الجادة المكرسة لهذه الظاهرة الاجتماعية، ناهيك عن أن أدبيات كثيرة متوفرة متعلقة بموضوع الأخلاق. لكن أليس من الأفضل كبداية، البحث عن الإجابة في الحياة وبأنفسنا؟ ويمكننا العودة إلى الكتب عندما يتطلب منا التأكد من الإجابة التي وجدناها.

عند متابعة سرب من الغرانيق يخترق السماء الخريفية لا يمكننا إلا ونندهش من تناسق حركاتها وأفعالها. إنها تطير كإسفين واضح وهي في الأعالي جاعلة من أرجلها الطويلة وأجنحتها الطويلة الشبيهة بالسهم إسفينا واحداً. وكأن أحداً ما قد خطها على الورق ووضع المسافة بين طائر وآخر بدقة. وتحت قيادة القائد تقطع آلاف الكيلومترات دون أن تضيع طريقها، ولا غرنق واحد يحاول الابتعاد عن هذا السرب وإيجاد لنفسه جزيرة خاصة به بين المستنقعات. لقد وهبتهم الطبيعة غريزة لا تسمح لهم بالتفرق في الغربة لكي تستطيع الاستمرار في الحياة وأنهم يعملون حسب تعاليم هذه الغريزة.

إن حياة قطعان الذئاب لا يمكن متابعتها على هذه الشاكلة، ومع ذلك فإن الذئاب تجتمع بصورة أساسية في الشتاء عندما تكون عملية الحصول على الطعام صعبة جداً بشكل منفرد، إلا أن الصيادين يشهدون على أن الذئاب لديهم في هذه الفترة تنسيق عال جداً لأعمالهم وأن متابعات السيد "ريسك" واسعة الشهرة لذئاب نيوفادزيلين. إن الذئاب حتى تصيد تلجأ إلى الحيلة المبنية على توزيع المهام، فالجزء الأكبر منها يختبئ بالقرب من طريق الأيائل من جهة الرياح وبعض الذئاب تقترب من قطيع الأيائل من الجهة المعاكسة وعند محاولة الهروب تقع الأيائل في حالة من الإرباك ويندفعون نحو الطريق المعتادة، وفي هذه اللحظة يندفع إليهم من الكمين المهاجمون.

وعلى الأرجح يقع أحد الأيائل بين أنياب الذئاب..... وهكذا، إن هذه الحيلة المصطنعة التي قامت بها الذئاب هي من وحي الغريزة أو أنها جاءت عن طريق الخبرة.

وفي كل الحالات إنها تؤكد حقيقة أن عمل بعض الذئاب والعمل الجماعي للقطيع كان بدافع الحاجة العامة: عدم السماح للفريسة بالهرب للحصول على الطعام والاستمرار بالعيش.

إن علماء الطبيعة المعاصرين يؤكدون أن العديد من الثدييات تعيش بمجتمعات مختلفة الحجوم حسب تعبير عالم الطبيعة الفريد برايم وتقوم فيها ببعض المهام والمهمة الرئيسة هي القيادة وأن من يصبح قائداً عليه أن يأخذ على عاتقه مهمة الاهتمام بأمن القطيع كله، وأن يدافع عن الأفراد الضعفاء، وأن يبحث عن الطرق لحل القضايا الصعبة وليس من السهل تحمل هذه "المسؤولية" إنها تكون دائماً بنتيجة الانتصار على المنافسين في معارك طاحنة، وكقاعدة فإن الذكرالأكبر هو الذي يصبح قائداً، أي أنه ليس فقط الأقوى بل الأكثر خبرة في القطيع لماذا تخضع القطعان له؟ لأنه - كما هومبرمج من قبل الطبيعة - لا بد من العيش لفائدة كل واحد، التي في الوقت نفسه تعتبر فائدة للجميع.

إننا نلاحظ لدى القرود خصائص جديدة للتواصل ضمن القطيع. إن هذه الحيوانات تحب الأسرة كثيراً وقادرة على الارتباط بقوة بكل من يفعل لها الخير، وتنقذ من يقع في مصيبة من أبناء جلدتها وهي مستعدة دائماً لأن تهتم بصغارها اليتامى وعند الهروب من العدو القوي أي الأقوى منها تحاول سحب جرحاها من أرض المعركة وتنقل قتلاها أيضاً.

إلا أنه ليس من المدهش كثيراً في حياة القرود ومجتمعاتها طبيعة العقاب الذي تستخدمه بحق من يخالف نظام حياتها وطبيعة الأشياء فيها.

ويعاقب الصغار المشاكسون بسبب عدم انصياعهم وسماعهم للهمهمات والحركات والإشارات، أما الكبار فيستطيعون الاهتمام أو الالتماس والعقاب على الذنوب الأكثر جدية فيعضونهم أويضربونهم أو يخفضون رتبهم مبعدينهم عن القائد، يبدو أنه في تجربة حياة القرود وحياة الشخصيات التي تتمتع بقراءة خاصة أن نظماً

إضافية للسلوك تتطور لدى هذه الشخصيات وهي مدعوة لتعزيز غريزة البقاء التي توعز بتنسيق العمل داخل هذا المجتمع.

كما نرى إن عالم "إخوتنا الصغار" يعرض بوضوح تام حقيقة أن التنسيق في الأفعال الحياتية المهمة يبرمج من قبل الطبيعة كشرط ضروري لبقاء هذا أو ذاك من النوع البيولوجي، وهو يعد في الوقت نفسه شرطاً لبقاء كل شخصية. لكن هناك توجد علاقة متبادلة معينة الآليات التي بمساعدتها يتم تحقيق هذا الشرط والتي تستطيع التطور مع تطور النوع.

وننتقل الآن بأفكارنا إلى الأزمنة الغابرة والبعيدة التي يمكن تسميتها بفترة الازدهار البشري وإن عملية تكوين الإنسان والمجتمع كانت عملية نضوج علاقات جديدة بين الجسد والبيئة المحيطة به. وإن جوهر هذه العلاقات ينحصر في أنها كسبت طبيعة غير مباشرة أكثر فأكثر، وإن العلاقات الإعلامية– الإدارية والمادية القوية بدأت تتضمن عنصراً جديداً من حيث المبدأ، أي ثمار النشاط التي استخدمت فيما بعد كأداة لهذا النشاط وأضحت العلاقات المادية القوية الآن تتحقق بوساطة وسائل الإنتاج التي تم إنتاجها بمساعدة وسائل بدائية، وأصبحت العلاقات الإعلامية الإدارية الآن تتحقق بوساطة نتائج معالجة المعلومات والنصوص التي تكونت بفضل الإشارات (الصوتية والإيحائية وغيرها). إن ظهور هذه الحلقات غير المباشرة خلال العمل المشترك بين الجسد والبيئة المحيطة به كان يعني - لا أقل ولا أكثر - نشوء الإنسان والإنسانية.

ما الذي يترتب على ذلك.

إن الوسيلة الأساسية والرئيسة لضمان استمرارية النوع البيولوجي الجديد "الإنسان" تكمن في العمل إلا أن العمل في البرنامج الإعلامي (المعلوماتي) لهذا النوع تقدمه الطبيعة فقط لأنه قد أعطي متطلبات وقدرات محددة، وإن البرنامج الوراثي للنوع البيولوجي "الإنسان" يكمن في هذه الحالة ليس أكثر من العامل الذي يحدد إمكانية تكوين وسائل جديدة لتنظيم السلوك، أي البرامج الإعلامية التي تعد من قبل

الناس أنفسهم على أساس تصورهم لها وعلى أساس سيكولوجيا الواقع المحيط بهم. عندئذ تنشأ لدى الإنسان الحاجة إلى برمجة أفعاله باستقلالية وإلى تطبيق هذه الإمكانات وبالنتيجة ينمو بجدة مستوى حرية الفرد وعلاقته بالمجتمع الذي ينتمي إليه.

إن لهذه الظروف إيجابياتها وسلبياتها، من جهة يمتلك الفرد القدرة على تكوين الجديد وبذلك يساعد على تطوير وحدته الاجتماعية، ومن جهة أخرى يصبح خطراً على الوحدة الاجتماعية وذلك لأنه يستطيع خرق تنسيق الأفعال عند أفراد قبيلته الذي يبقى كالسابق بالنسبة له بالذات، ولوحدته الاجتماعية الشروط المعطاة وراثياً للبقاء وهي الشروط الأكثر أهمية أي النشاط الإنتاجي وإن المنقذ للحياة الاجتماعية الناشئة يتمثل في حالة أن عملية وضع البرامج الإعلامية الفردية تكون في الوقت نفسه عملية وضع البرنامج الإعلامي الخاص بالوحدة الاجتماعية.

بعبارة أخرى، يجري تكوين الوعي الاجتماعي في المجتمع البشري المتشكل في نفس الوقت الذي يجري فيه تكوين وعي الفرد ومن خلال وعي الفرد. ولنتصور كيف يحصل ذلك؟. إن الأحداث التي عاشتها الوحدة الاجتماعية قد حدثت في مجال منظور ومست الجميع. فإن استفادت الوحدة الاجتماعية من فعل أحد أفرادها فإن يكون قد استفاد وإن حمل هذا الفعل ضرراً فإن هذا الضرر سيطال كل فرد، وبالتالي إن التصورات التي تنشأ لدى الإنسان بالفطرة لم تكن إرادية.

لقد انعكس فيها الحدث نفسه الذي يشكل بالنسبة إليهم دليلاً عاماً يجب أن نفعل هكذا وإضافة إلى الإرتكاس اللاشرطي الذي حصل عليه منذ الولادة يمتلك الإنسان ارتكاسات شرطية تتكون من خلال التجربة ونشأت العادات والتقاليد التي يشار إليها برموز "ضروري" و"غير ضروري" وخلال مئات السنين تكونت الأخلاق (العادات).

وستمضي سنون كثيرة قبل أن تحصل هذه "ضروري" و"غير ضروري" على معانيها العلمية: السعادة، معنى الحياة، الخيروالشر. في تلك المرحلة البعيدة وجدت على الأرجح من أجل الناس على شكل أعمال معينة وأشكال لهذه الأعمال، لكن بما أن

هذه الأشكال كانت من نموذج واحد (وبمعنى واحد) وبما أنها خضعت "للتعميم" أضحت شمولية عامة وبهذا الشكل تجذرت بمساعدة اللغة المكتسبة في تداول الناس مؤثرة على نمط الحياة ومكونة بالتالي العلاقات بين أعضاء الوحدة الاجتماعية.

وهكذا إن طبيعة نشوء الوعي بحد ذاتها قد حددت شكل خصوصية من خصوصيات البشرية الأساسية. لقد تشكلت مع بزوغ فجر الحياة الاجتماعية آلية جديدة لدعم تنسيق الأفعال في الوحدة الاجتماعية. مبدئياً الآلية المبنية على تطابق المصالح وعلى الإرادة الحرة لأعضاء (أفراد) هذه الوحدة الاجتماعية ولقد كانت لها ولا تزال طبيعة ثمينة وشكلت مجالاً خاصاً للعلاقات الاجتماعية المكتسبة.

وفي الظروف المميزة لأولى درجات المجتمع البشري فإن هذه الآلية كانت بالنسبة له موثوقة بما يكفي، إلا أن التعقيدات التالية للظروف الحياتية التي صورت في العلوم مراراً وتكراراً قد خلقت حالات عندما أخذت تنشأ فيها تناقضات غير قابلة للحل بالتراضي بين مصالح الوحدة الاجتماعية والفرد (أو مجموعة أفراد). إن الآلية التي وجدت سابقاً لم تستطع التغلب على هذه التناقضات لكن الطريق الواعي إلى الحياة كون هذه الآلية وأصبحت بالنسبة إليه مثمرة وكانت مفيدة لتكوين آليات جديدة إضافية لضمان تنسيق الأفعال، وخاصة التعامل بنجاح مع ما يقف وراء التصورات حول "لا ضرورة" وبدأت تتكون العلاقات الاضطرارية (المتكلفة) التي تظهر على شاكلة تناقض علاقات الإرادة الحرة، وقد طبعت في وعي الفرد المتكون على شكل تصورات عن متطلبات الوحدة الاجتماعية (في بادئ الأمر في شخص القائد) في التزام أنواع معينة من السلوك تحت ضغط "عقوبات (قرارات) سلبية". وإن هذه العلاقات في الممارسة الاجتماعية قد تحققت في إحداث جهاز لتنفيذ هذه القرارات، وهكذا يكون المجتمع البشري قد أعلن عن ذاته كنظام سيبرنتيكي لرفع درجة الثقة والثبات. وتضمن استمرارية وثبات هذا النظام ليس فقط عن طريق نوع البرنامج الوراثي، بل طريق العمل المشترك لتركيبتين اثنتين أخريين (لقد سماهما علماء القرن العاشر باسم "عش التنظيم") وأحد هذه الأعشاش يشكل علاقات مستقلة للحياة والوعي

(عش التنظيم الذاتي) والعش الآخر يشكل العلاقات بين السلطة الملزمة بتمثيل مصالح الوحدة الاجتماعية وبين الجماهير الواسعة أي مجموع الأفراد الذين تتشكل منهم الوحدة الاجتماعية (عش الإرادة) وتعد تلك الآليات لضمان تنسيق الأفعال التي تحدثنا عنها الأن العناصر المولودة وحقاً أنها المولود الذي يبشر بتكوين الدولة.

وحان الوقت لترك أسلافنا القدامى فكان اللقاء معهم ضرورياً لكي يكون لدينا تصوراً عن عملية النشوء الطبيعي للأخلاق، لكن منذ ذلك الزمن قد جرى الكثير إلى درجة أن الإنسانية قد نمت وتطورت وتعقدت الحياة لدرجة أنه من الجنون الشك بـ: هل تعمل حتى الآن آليات ضمان تنسيق الأفعال البشرية التي تكونت خلال ألوف السنين؟

يبدوأنها لاتزال تعمل ومن الطبيعي أنها بتطورها مع المجتمع قد وصلت أيضا إلى درجة عالية من التعقيد بعد أن فقدت طبيعتها الأولية البراغماتية الساذجة، إلا أن الشيء الأساسي والرئيس بقي على حاله ألا وهو الدور والوظيفة في التراكيب المنظمة للمجتمع فإنها تارة تساعد بعضها بعضاً في حل المسائل الاجتماعية وتارة أخرى تكون متناقضة فيما بينها لكنها لا تزال تعمل.

ولكي نقتنع بذلك يكفي أن نتابع بانتباه حياة شخص واحد محدد. وليكن هذا الشخص الروسي المعاصر ذو الشهرة الواسعة ف.ازمايلوف فبأمر من قائد فرقة موسكو العسكرية قد سرح من القوات العسكرية وبدأ يوقع تقاريره عن أفعال " اللواء المنسي " في الجريدة ببساطة باسم "فياتشلاف ازمايلوف" وكان منذ سنوات عديدة يقيم علاقاته مع هذه الجريدة ومن الطبيعي أن محرري جريدة " الجريدة الجديدة " عدوا لزاماً عليهم الحديث عن هذه المرحلة من حياته في رسالة إلى القائد العام للقوات المسلحة الروسية بوريس يلتسين ولنتعرف على حديثهم هذا:

استطاع الميجر ازمايلوف إخراج عشرات الجنود الروس من الأسر الشيشاني خلال العام الفائت.

محادثات معقدة وصعبة، مغامرة خطرة للغاية، عندما كان عليه أن يبقى، رهينة وعمل علماء النفس والوسطاء الذين سمحوا لفياتشلاف ازمايلوف بإعادة 49 من الجنود والضباط إلى وطنهم وهم الذين وقعوا في الأسر. وأن عشرات الملايين من الروبلات التي جمعها قراء "الجريدة الجديدة" وقعت لشراء الألبسة والطعام التي سمحت للأمهات الروس بالعيش في الشيشان عندما كن يبحثن عن أولادهن وسمحت للعديد من الأطفال الشيشانين قضاء الشتاء في دور الأيتام في غروزني.

ولقد صمد ازمايلوف في وجه الابتزازات والترهيب والتخويف لم ندفع مرة واحدة الأموال مقابل تحرير الأسرى.

ما الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها؟

1. الأخلاق تنشأ مع المجتمع البشري كآلية جديدة لضمان تنسيق الأفعال في الوحدة الاجتماعية والمدعوة إلى دعم التركيبة الوراثية لبقاء النوع البيولوجي "الإنسان" في الظروف الجديدة.
2. ولادة الأخلاق عملية طويلة للعمل المشترك بين التطبيق الاجتماعي المكتسب وبين وعي الفرد المتكون وهي عملية تؤدي إلى "تعميم" نتائج هذا العمل المشترك بواسطة اللغة وبالتالي إلى نشوء الوعي الاجتماعي.
3. الإرادة الحرة للفرد في تنسيق عمله مع مصالح الوحدة الاجتماعية تشكل جوهر الأخلاق وأن هذه الإرادة تشترط منذ البداية علاقة متينة بين ظروف بقاء الفرد والمجتمع (وبالتالي القرب من المصالح الحياتية) وهي ترجع إلى كل هذه المصالح المدونة في الوعي الاجتماعي في هذه المرحلة أو تلك على شكل قيم معينة وتظهر من خلال علاقات خاصة بين الفرد والمجتمع – العلاقات الأخلاقية
4. إن الأخلاق كأول شكل للوعي الاجتماعي تاريخياً كانت في البداية مماثلة له. وأصبحت أساساً قيماً توضع عليه حسب الضرورة الأشكال الجديدة للوعي الاجتماعي التي تحافظ على علاقة متينة معها. وبفضل ذلك أن العلاقات الأخلاقية لا توجد في المجتمع على نحو علاقات خاصة "بشكلها البحت بقدر

ما تظهر على شكل جانب واحد من جوانب أي نموذج آخر للعلاقات الاجتماعية. هذا هو السبب الذي يمكننا من الحديث عن الأسس الأخلاقية للسياسة والاقتصاد الإيديولوجيا وغيرها.

5. إن العلاقات الأخلاقية كونها ستصبح جانباً من جوانب أي نموذج آخر للعلاقات الاجتماعية هي التي تحدد أساساً الموقف الحياتي للشخصية ومع بقائها العنصر الرئيسي في عملية التنظيم الذاتي في المجتمع تدخل عن طريق الشخصية كذلك إلى الإدارة (وبالنتيجة يتم التوصل إلى تشابك هذه العمليات).

وبالتالي، وعلى الرغم من أن الأخلاق غير مرتبطة بأي مؤسسة اجتماعية فلا يجوز لمسها بالأيدي ناهيك عن أنها تعتبر عنصراً حقيقاً من عناصر الحياة الاجتماعية.

وإن واقعيتها يشعر بها كل شخص لأنها تنذر بوجودها بوساطة عذاب الضمير وتارة أخرى بواسطة دافع القيام بالواجب وتارة ثالثة بوساطة مس الكرامة والشرف، توقعنا في معانات عاطفية عميقة وبتأملات غير بسيطة وأحيانا توصلنا إلى حالات خطرة وليس مدهشاً أنها تجذب إليها في المراحل الأولى المبكرة لوعي الإنسان لذاته اهتمام الناس وأضحت مادة لدراستهم المعمقة.

إن أول المؤلفات التي وردت فيها وجهات النظر حول الأخلاق قد ظهرت قبل أكثر من آلفين وخمسمئة سنة أي ما أن ظهر التفريق بين النشاط الروحي– النظري وبين المادي – العملي وقبل هذا التقسيم وجد لنفسه في الوعي الاجتماعي فقط المستوى الضئيل الذي يتكون مباشرة خلال سير العمل الاجتماعي بوساطة وعي الأفراد، أما الآن تكون في عملية تقسيم مستوى الوعي النظري الذي يتألف من نتيجة الجهود المعرفية الهادفة التي يبذلها البشر.

وفي أعمال الفلاسفة الهنود والصينيين القدماء أجريت محاولات لتفسير منابع الخير والشر – النقاط الأساسية عند التوجه في مجال السلوك الإنساني (وأيضاً عند تقدير هذا السلوك) التي تعتبر المشكلة الأساسية لعلم الأخلاق حتى يومنا هذا أو أن الأعمال المبكرة للفلاسفة الإغريق كانت مليئة بالسعي نحو إيجاد منابع الخير والشر

ونحو تحديد مضمونها وتفسير ماهية تلبية الرغبة الحقيقية لدى الإنسان وماذا تعني بالنسبة له الفضيلة.

لكن النظرية المتكاملة حول الأخلاق (كما هي الحال لمفهوم "الأخلاق") غائبة حتى عند سقراط فهو الذي اعتبر المهمة الرئيسة للفلسفة هي إحداث دراسة عن الكيفية التي يجب أن تعيش بها أي وضع نصائح عملية ذات خصائص أخلاقية. ومارس سقراط دراسة جوهرالمعرفة قبل كل شيء لأنه اعتبر أن المعرفة يجب أن تسبق هذا الإعداد وهذا الوضع.

أول من أنشأ النظرية المتكاملة ومتعددة الجوانب بما يكفي للعلاقات الأخلاقية في المجتمع ونظم عملياً المحاكمات الأخلاقية المتراكمة كان أرسطو ومع ظهور كتابه "الأخلاق" بالذات يربط الباحثون بذلك ولادة العلم الذي يدرس الأخلاق والتسمية التي أطلقت على هذا العلم هو علم الأخلاق.

إن علم الأخلاق الذي نشأ في حضن الفلسفة ومازال حتى يومنا هذا أحد توجهات المعرفة الفلسفية قد أدخل في سياق علم الاجتماع وعلم النفس. ومهما اختلفت مواقف الباحثين فإن التجاهل الذهني (وتشتت النظريات واسع جداً) لأن العلاقات الأخلاقية تتضمن مجموع العلاقات التي تظهر فيها العلاقة المتبادلة بين الإنسان والمجتمع وهذا أمر مستحيل بالنسبة للعالم المعاصر. وتدخل في هذه المجموعة روابط المعرفة الفردية والاجتماعية والسلوك الفردي والعمل الاجتماعي، وأخيراً الوعي والسلوك كما هما. ومن هنا تنبع حتمية نشوء الجوانب الاجتماعية والنفسية إلى جانب الجانب الفلسفي في الدراسات في مجال علم الأخلاق وبالنتيجة فإن علم الأخلاق المعاصر يصبح مادة تتطورعلى حافة العلوم وأدوات للبحث متنوعة وغنية ويبدو قادراً على إعطاء المجتمع ماسعى إليه سقراط بحدسه:

أولاً: المعرفة حول جوهرالأخلاق وطبيعته وتركيبته ووظيفته.

ثانياً: المعايير التي وضعت خصوصاً - أي المثل والمبادئ والمقاييس وبالتوافق مع الدراسات الهادفة المتكاملة في مجال هذا أو ذاك من أنواع المنتوج يمكن تقسيم علم الأخلاق إلى علم الأخلاق النظري وعلم الأخلاق المعياري.

هنا بالذات يكمن السبب الرئيس للخطأ الشائع وكأن علم الأخلاق هو الأخلاق في معناها المعاصر وينشأ هذا الخطأ لسببين اثنين، الأول هو المطابقة الاشتقاقية للكلمة الإغريقية 'اينيكا' (علم الأخلاق) التي حصلت على المفهوم العلمي منذ زمن أرسطو مع الكلمة اللاتينية 'مورال' التي دخلت التداول العلمي فيما بعد من أجل الإشارة إلى موضوع علم الأخلاق، والثاني - وهو الأهم - السعي التقليدي لعلم الأخلاق المعياري إلى التأثيرعلى الفعل الأخلاقي للإنسان بتقديم النصائح وبإصرار كيف عليه أن يحيا، وبذلك فإن هذه الكلمة تطمح للقيام بذلك الدور الذي دعا الأخلاق للحضور خلال عملية تكوين المجتمع البشري.

إلا أن التطابق بين الأخلاق وعلم الأخلاق المعياري غير موجود ولا يمكن له أن يوجد، فالأخلاق هي آلية تكونت موضوعياً في التراكيب المنظمة للمجتمع وكأنها نظام السيبرنيتك (الضبط). وهي مخصصة لتطوير الشخصية والمبنية على المظاهر الذاتية والداخلة في العلاقات الاجتماعية، أما علم الأخلاق فهو انعكاس ذاتي - موضوعي لهذه الآلية وقد كرس للوصول إلى مبادئ توظيفه وللمساعدة على التطور أي للحصول على معرفة الأخلاق. لكن الحصول على معارف موثوقة تعيقه الطبيعة الذاتية لانعكاس الواقع فإننا ندرك هذا الواقع من خلال جملة متكاملة من المواشير. إننا نرى الحياة من خلال موشور المرحلة التاريخية ومن خلال موشور المصالح الجماعية بما فيها المصالح الطبقية ومن خلال موشورالتوجه الفلسفي وما إلى ذلك، إن كثرة النظريات الموجودة في مجال علم الأخلاق وفي مجال الموضوعات المعيارية قد نشأت على ما يبدو كي تحقق تأثيرها على الأخلاق خلال عملية التسابق ولم تكن سهلة المنال ومطلقة لأي منها وبهذه الطريقة تنخفض إمكانية القدرة على التدخل

الإرادي في الآليات التي تكونت موضوعياً والضرورية جداً للفرد والمجتمع والنوع البيولوجي (الإنسان) لأن هذايشبه "حزام الأمان" للمجتمع.

والآن يمكننا التحقق من الإجابة عند التوجه إلى أعمال العلماء والأدبيات في علم الأخلاق.

نعم، إن القيام بذلك أمر صعب للغاية لنفس السبب الذي ذكرناه أعلاه: إضافة إلى نظرية الأخلاق الماركسية التي تطور في أطرها علم الأخلاق الماركسي في القرن العشرين والمعاجم الخاصة بعلم الأخلاق وهناك سبع وعشرون نظرية واتجاه في مجال علم الأخلاق، لكن حتى في العلوم الإنسانية التي تتمثل بأعمال مهمة جداً من أعمال ارخانفيلسكي ل.م. باكشتانوفسكي ف.ي.و غومنيتسكي غ.غ......... وغيرهم من العلماء فإن الموضوعات المعتمدة عموماً ليست كثيرة مع العلم أن الأساليب الأساسية عند هؤلاء العلماء تكون متطابقة عادة لقد قام ارخانفيلسكي ل.م. في حينه بتعميم لافت لمواد مختلف هذه البحوث والدراسات في هذا الاتجاه حيث كتب:

ينظر إلى الأخلاق في علم الأخلاق الماركسي كعلاقة هرمونية (أومتناقضة) بين المصالح الفردية والاجتماعية مع الاعتراف بالأهمية الكبرى لمصلحة الوحدة الاجتماعية (الجنس، القبيلة، الطبقة والمجتمع بشكل عام) وهذا ما يقودنا إلى التأكيد على أن المطلب الأخلاقي (الخير والواجب) يتوجه من حيث المبدأ من الوحدة الاجتماعية بكاملها إلى الفرد، والأفراد الذين بفضل الضرورة أو الحاجة الموضوعية (للحفاظ على نمط الحياة الاجتماعي وتعزيزه) ملزمون بالحفاظ على المصلحة العامة – على الرغم من أن عمل الناس الحقيقي ليس دائماً يتناسب مع المتطلبات الأخلاقية. هذا لا يستثني الأهمية الكبرى لتحديد الذات الأخلاقي والشخصي بل ويعزز هذه الأهمية.

إن الأفراد كأعضاء علاقات أخلاقية لديهم الإرادة والقدرة على تنفيذ وتحقيق القرار في الواقع، أي أنهم يملكون الخصائص السيكولوجية الضرورية التي تضمن أهليتهم الأخلاقية.

وإن العلاقة المتبادلة بين المجتمع والأفراد في المجال الأخلاقي تحدد كعلاقة مباشرة وعكسية للمعايير الأخلاقية وسلوك بعض الناس المعترف بها، وإن السلوك الإنساني يعتمد على جعل المعايير الأخلاقية ذاتية وعلى جعلها موضوعية في أفعال وعلاقات الناس.

إن مثل هذه الوظيفة اليومية للأخلاق التي تتطور في أطر التعاون بين الوعي الأخلاقي العام والفردي وبين النشاط الفردي والاجتماعي تسمح بإرجاع هذه العملية إلى مجال التنظيم الاجتماعي للسلوك. وإن التنظيم الأخلاقي والآليات السيكولوجية لنشاط الإنسان المنتظم يكمن في مجالات متنوعة ومترابطة في العملية الأكثر شمولية – التنظيم الاجتماعي.

بناء على ارخانفيلسكي ل.م. لم يكن في علم الأخلاق أي تجربة مثبتة للنظر فيها إلى الأخلاق في سياق الطريقة السيبرنتيكية لدراسة المجتمع لنظام معقدالذي خلال تطوره يبعث تراكيب تنظيمية متقاطعة.

ولم تستغل أيضاً في أعمال السنوات الأخيرة مثل العمل الشامل لابريسيان غ.ب." فكرة الأخلاق البرامج الأخلاقية المعيارية الأساسية" الكتاب المكرس للتدريس في الجامعات "علم الأخلاق" لصاحبيه غوسينوف وابريسيان الإمكانيات التي تكشف عن هذه الطريقة للباحثين في مجال الأخلاق.

في غضون ذلك فإن محاكمات ارخانفيلسكي التي أوردناها تظهر بوضوح تام أن الفكر في مجال علم الأخلاق قريب من الولوج إلى الطبيعة السبيرنتيكية للمجتمع.

وفي هذا المعنى لدينا أساس لنجد أنه حتى "الإجابة تطابقت" إلى درجة ما.

إلا أنه فقط إلى درجة ما ونتوقف عند الاختلافات ذلك لأنها جوهرية ومبدئية.

إن التأكيد على أن الأخلاق هي وسيلة لتطابق مصالح الفرد مع مصالح المجتمع هو الشيء التقليدي بالنسبة لعلم الأخلاق، لأن مصالح المجتمع هي الرائدة في هذه الحالة. إن الأخلاق تقف أمامنا على شكل مجموعة من المتطلبات التي توضع تلقائياً أو بمساعدة علم الأخلاق بوساطة الوعي الاجتماعي وتخضع لإدخالها إلى وعي

الأفراد في سبيل تطبيقها على سلوكهم وبالتالي على الممارسة الاجتماعية. إن الحديث يدور عملياً عن ذلك التنظيم الذي جوهره الإرغام على "الاعتراف الطوعي".

إن مثل هذا التفسير لا يسمح بأي قدر بالشرح الكافي والمقنع للظرف الحاسم الذي يميز العلاقات الأخلاقية خلال قرون مضت، المتمثل في "المرجعية الأخيرة" التي تحدد السلوك الأخلاقي للفرد، وبالطبع هناك معالم أخلاقية وقيم أخلاقية محفوظة في الوعي الاجتماعي، وهناك اعتمادات أخلاقية إيجابية وسلبية على شكل رأي عام وعلى شكل سلوك معروض للمحيط هو عبارة عن ردود فعل على أفعال، معينة لكن تفضيل هذه أوتلك من القيم واختيار الفعل من الخيارات الممكنة يبقى دائماً من اختصاص الفرد وكما يقال "غير قابل للاستئناف" (إن كان هذا الفعل طبعاً يقع ضمن حدود صلاحيته الأخلاقية) لماذا يحدث ذلك؟ وكيف يمكن أن يحدث لا في مجتمع لم تنشأ فيه أي خدمات حكومية قادرة على إعاقة الخيار الحر للفرد، كما كان يحدث عند تشكيل مؤسسة القانون.

إن عالم الأخلاق الألماني العظيم في القرن الثامن عشرعمانوئيل كانط يرى تفسير هذه الحالة في أنه من البديهي (خارج التجربة وبعيداً عن الخبرة) أعطي للإنسان القانون الأخلاقي الذي بوساطته يحدد خياره لهذا الحد أوذاك من السلوك في كل حالة محددة من الحالات.

وأطلق كانط على هذا القانون لقب "الأمر القطعي" مؤكداً على أنه يتمتع بطبيعة شمولية وإلزامية ويظهر ذاته على الشكل الذي يفرضه الواجب، وعند إتباع الإنسان له يتخلى عن منفعته الخاصة لكنه يبقى موالياً لذاته، وعلى الرغم من أنه هنا نلاحظ الإجبارية على القيام بالفعل لكن هذه الإجبارية فقط تفترض من قبل العقل وقوانينه الموضوعية وبالعلاقة بهذه الموضوعة يشير الفيلسوف سولوفيوف وليس بدون برهان إلى:

أن تفسير الأخلاق بوصفها عقلانية مضادة التطابق والتأقلم وبوصفها إجراء عدم خضوع الفرد للضغوط الاجتماعية من الممكن أنه غير مفهوم في أي قرن من القرون إلى هذه الدرجة التي يفهم فيها في قرننا الواحد والعشرين.

لقد أوجد هذا القرن الظروف لفهم كيف استطاع أن ينشأ لدى كانط التصور عن بديهية "الأمر القطعي" إن منطق تطور النظم السيبرنتيكية تؤكد مرة أخرى عدالة القانون الأساسي للارتقاء (التطور): إن كل نظام جديد أو أكثر تعقيداً يحتوي على آليات في شكلها الفصيح تحدد وجود النظم التي سبقته لأن المجتمع لا ينشأ في مكان فارغ، وأن نفي ارتباطه بالأشكال المنتظمة السابقة يعني إضاعة الفرصة لرؤية الحد الأقصى من الوفرة الممكنة من الأفكار في حياته الحالية والقادمة. إن الأخلاق بالفعل ظاهرة اجتماعية لأنها تتشكل مع المجتمع كنظام سيبرنتيكي ذي درجة جديدة من التعقيد، إلا أنه كما أشرنا من قبل فإن المقدمات بتكوينها تحددت في المراحل السابقة من تطورالنظم السيبرنتيكية. وقد ظهرت على شكل غريزة - أهداف وراثية تهدف للتنسيق الضروري لأفعال الفرد والمجتمع والضروري أيضاً لبقاء النوع البيولوجي أمام حامل هذه الأهداف وحامل البرامج الوراثية المسجلة في المورثات التي تدير أفعال ونشاطات هذا الأمر المهم لايجوز إهماله عند الحديث عن نشوء الأخلاق.

لايجوز فعل ذلك بالدرجة الأولى لأن هذا الأمر بالذات أدى دوراً حاسماً في قضية كيف حدثت عملية تحويل التراكيب التنظيمية ومتى بدأ المجتمع البشري أمام ضرورة البرمجة المستقلة لأفعاله في الحياة. ولن نكرر ماتحدثنا عنه لكننا نشير فقط إلى أنه كان لا بد من مرحلة تاريخية كبيرة كي يتعزز الهدف الوراثي في التنسيق في السلوك سلوك الفرد والجماعة - كارتكاس حتمي للفرد لدى الأوائل من البشر بارتكاسات شرطية للمشاركة في الأعمال الإنتاجية الجماعية التي تؤدي في النتيجة إلى نشوء العلاقات الأخلاقية المدركة.

وقد التقط كانط هذه العلاقة العميقة والمتينة بين الهدف الوراثي للنوع البيولوجي "الإنسان" وبين العلاقات الأخلاقية التي تحدده في المجتمع والتي تعمل كإرادة

حرة، إن "قانونه الأخلاقي" البديهي هذا الذي يعد كل إنسان حاملاً له ويسير عليه بفضل عقله وإرادته هو الهدف الذي تحول في نواة الوعي إلى هدف تحقيق تنسيق الأفعال التي تحدد وجود الإنسان الدائم، وكذلك المجتمع أوعند قراءة كتابه "نقد العقل العلمي" يقتنع الباحثون مرة أخرى بعقل كانط الثاقب الذي لم يستوعب فوراً من قبل معاصريه والأجيال اللاحقة.

لقد وجد تفسيراً أكثر تعقيداً وعمقاً لجوهر الأخلاق – العلاقات الأخلاقية من التفسير الذي استخدمه ناقدوه. تستدعى الأخلاق إلى الحياة لا للتغلب على التناقضات بين مصالح الفرد والمجتمع بل للحؤول دون نشوء تلك التناقضات عندما تظهر إمكانية نشوءها.

إن العلاقات الأخلاقية لا تبنى على متطلبات المجتمع من الفرد بل تقام على الإرادة الحرة للفرد وسعيه نحو تطابق المصالح التي يمليها إدراك تماثلها (تطابقها). وإن ضرورة مثل هذا التطابق بالذات المتجسدة في إرادة الفرد الحرة هي القانون الأخلاقي المقدم موضوعياً، وعلى هذا الأساس بداية تتكون آلية التنظيم الأخلاقي لنشاط المجتمع وأفعاله بالذات ليس سلوك الأفراد بل نشاط وعمل المجتمع) وبما أنه تراكم بانتظام الظروف التي تعلن فيها التناقضات عن نفسها وهذه الآلية تبدو غير كافية من حيث فاعليتها فتتم دعوة تركيبية تنظيمية جديدة إلى الحياة، ألا وهي القانون إلا أنه حينذاك لا تفقد الأخلاق ماكرست له بل على العكس إنها توسع مجالها وخاصة عن طريق فاعلية القانون. ويؤكد على ذلك من حيث معناه استنتاج ابريسيان ب.غ.حول أن الأخلاق وكأنها أعطيت للإنسان مسبقاً بشكل موضوعي ليس في معناها الاجتماعي الثقافي وحسب، بل وفي معناها المعرفي: إن الإنسان لا يعرف لكنه يعي فقط ويستوعب ويطبق الأخلاق، وإن أخلاق المتسامي المولودة نتيجة التجربة اليومية للإنسان كذات اجتماعية أعطيت له بالمطلق.

ولنتذكر الآن: في الوقت نفسه وبفضل تكون وعي الفرد في عملية النشاط الإنتاجي المتراكم قد تكون الوعي الاجتماعي وأثريت التجربة العملية

(أحد ما اقترح دولابا) وظهرت لدى الناس التصورات التي نسميها اليوم القيم الأخلاقية لأن الجديد يدخل اليوم أيضاً الوعي الاجتماعي عن طريق الوعي الفردي وعن طريق العمل الإبداعي للأفراد الذين يدركون أنفسهم بوصفهم أعضاء في المجتمع لاوجود لأي طريق آخر.

وهذا هوالنتيجة المباشرة لذلك القدر من الحرية والتحرر من الإملاء الخارجي (الحرية الإبداعية أو حرية الإبداع) التي حصل عليها الإنسان نتيجة ولادة الإملاء الداخلي المستهداف للسلوك غير المدمر بالنسبة للوحدة الاجتماعية، وبعبارة أخرى لقد تكون لديه هدف أخلاقي والاستعداد للعمل بالتوافق معه. إن الهدف الأخلاقي يكشف عن ذاته ويظهر قبل كل شيء الواجب. وكتب في هذا السياق كانط على الرغم من أن كتاباته كانت بسيطة لكنها مقنعة:

أيها الواجب! إنك كلمة عظيمة وسامية ليس فيك أي شيء سار ما يريح الناس، إنك تطلب الخضوع ولو لإيقاظ الإرادة ولا تهدد أولئك الذين يوحون بالكراهية الطبيعية في النفس ويخيفون انك فقط تضع القانون الذي يتغلغل تلقائياً في النفس وحتى يمكن أن ينال الاحترام ضد الإرادة (على الرغم من أن التنفيذ ليس دائماً) وتصمت أمامك كل النزعات والميول على الرغم من أنها تعمل ضدك في الخفاء.

إن لب الواجب وبدايته الموضوعية يحددان العلاقة بالهدف الوراثي لتنسيق الأفعال كشرط لبقاء الفرد والكل - إن العلاقة التي تتحول على مستوى الإدراك إلى إرشاد مثل هذا السلوك الذي لم يكن يحمل الضرر، من هنا إنسانية الأخلاق الأولية، وهكذا فإن صيغة الأمر للإرشاد وقوة صوت الواجب تتعلقان بأمور ذاتية كثيرة وبخاصة بظروف تكوين الإنسان وقدرته على إدراك ظواهر الواقع، وأن الاختلاف في هذه الأمور الذاتية هو مقدمة لأخلاقية مختلف الناس على مختلف المستويات.

إلا أن الهدف الأخلاقي يتحقق ليس فقط بفضل أوامر الواجب، فإنه يتضمن الدوافع الأخرى التي وحدت لنفسها انعكاساً في معايير علم الأخلاق: المسؤولية، الكرامة، الشرف إنها إلى جانب الواجب "تعمل" في كل مرة عندما يقع الإنسان في حالة اتخاذ القرار، أي تبدو أمام خيار العلاقة والموقف والفعل وخط السلوك.

إننا نسمع أصواتها التي تأمر بالاختيار والتي توجه إرادتنا وهذا شيء طبيعي وهذا دليل على الصحة الأخلاقية، لكن هناك أصواتاً تصمت أو إذا كان الإنسان يفرض عليها الصمت فإن هناك أساساً للقلق من اللاأخلاقية – الطريق إلى السلوك المنحرف (الخروج عن المعايير) وإشارة إلى الشذوذ الاجتماعي....

إن الجدل لم يتوقف في أوساط علماء علم الأخلاق حول أي من المعايير يمكن اعتباره أساساً أوقاعدة للسلوك المنطقي من بين المعايير الأخرى، في غضون ذلك إن الأمر لاينحصر في درجات المقامات، وللحصول على معرفة منتظمة عن الأخلاق تملك الأهمية المرئية ليس "المقام" أوهذا أوذاك من المعايير وإنما التفريق الدقيق للوصف الوظيفي لتلك العناصر البنيوية للعلاقات الأخلاقية التي يدل عليها بهذه المعايير، وإن التفريق الدقيق هذا مهم أيضاً لأنه يفسر فعلاً طبيعة علاقة الوعي الشخصي والوعي الاجتماعي في مجال الأخلاق وإذا نظرنا إلى جهاز المعايير لعلم الأخلاق المعاصر من وجهة النظر هذه سنجد أن العلاقات الأخلاقية منعكسة فيها من ثلاثة جوانب مختلفة وظيفياً مما يعطينا الأساس لتصوره على شكل ثلاث مجموعات معيارية.

إن المجموعة الأولى- الواجب، المسؤولية، الكرامة، الشرف، الضمير تعكس جملة الدوافع الداخلة في الهدف الأخلاقي لأن هذه الأدوات الداخلية قد تكونت عند الإنسان لتنفيذ القانون الأخلاقي في مرحلة قيام المجتمع، وتنبعث في الفرد التابع لكل جيل جديد (عن هذه المجموعة بالذات كان حديثنا السابق).

وإن معايير المجموعة الثانية– المصلحة الخير الشر معنى الحياة والسعادة تعكس نقاط الانطلاق تلك للتوجه القيمي وتلك المقاييس للسلوك الأخلاقي التي وضعها

المجتمع مع عمله المشترك البناء ويغني مضمونها على مرور تاريخه محدثاً في غضون ذلك الإمكانات لاستيعابها من قبل الأجيال الجديدة.

وتدخل في المجموعة الثالثة معايير المثل والفضيلة والخطيئة التي تعكس التصورعن أفق الشخصية الأخلاقي وبذلك يتشكل سلم تقديرات هذا التطور على أساس ظهور هذه أو تلك من الصفات الأخلاقية في سلوك الإنسان. إن التصورات من هذا النوع الذي هو نتيجة لتجربة الإنسانية الأخلاقية تحفظ في الوعي الاجتماعي وتغنى مع التجربة لتكون مادة للاستيعاب من قبل كل جيل جديد أثناء عملية التكون أخلاقياً.

وهكذا، إن وعي المجتمع الأخلاقي هو بالعلاقة بالفرد وليس فقط حاملاً لمطالب معينة من سلوكه بقدر ماهو خازن للتجربة الأخلاقية للبشرية، وقد قدمت المتطلبات في بنية وعي المجتمع الأخلاقي لكن فقط كونها نتيجة لتعميم الإرشادات الداخلية عند الأفراد فإن هذه المتطلبات لا تقوم بوظيفة الأمر، وإنما تقوم بوظيفة المعايير التي تسمح "بقياس" مستوى أخلاقية أفراد المجتمع والتي تقدرعلى تصحيح الهدف الأخلاقي إن دعت إلى ذلك الضرورة، وإنها قادرة على النشوء لأن المستوى الأول لأخلاقية الناس ليس واحداً.

إن الإنسان عندما ينضم، وهو مدرك، إلى عملية البحوث الأخلاقية المستقلة التي تشجع من قبل مؤسسات المجتمع المدني يحصل على إمكانية ترقية الذات، فهو بذاته يكون موقفه في الحياة أي نظام أفكاره وقناعاته التي تعتبر دليلاً عند السعي لتحقيق الهدف الأخلاقي في كل حالة معينة من حالات انتقاء الفعل (تحديد الحدود بالاعتماد على الأمر القطعي).

وفيما يتعلق بالإرشادات الداخلية ذاتها التي يتجسد من خلالها الهدف الأخلاقي والتي تنعكس في أنواع الواجب والمسؤولية والضمير والكرامة والشرف، فإنها تتكون في وعي الشخصية في كثير من الحالات حسب المنطق مع كيفية تكوينها في الوعي الاجتماعي في مرحلة تكوينية.

إن الطفل يقع عند تواصله واختلاطه بالوسط المحيط الذي يمثل مؤسسات المجتمع المدني (وفي مقدمتها الأسرة) تحت تأثير الهدف الوراثي للنوع البيولوجي 'الإنسان' لتنسيق الأفعال ويملئ بالتدريج عالمه الداخلي بموديلات السلوك التي تتعزز في الارتكاسات الشرطية، وتدرك ويعبرعنها حسب سنوات بلوغه لكن بقدر ما ندرك هذه الموديلات للسلوك وبقدر ما يعبرعنها ترتبط بنوعية الوسط المحيط وبنوعية الاختلاط والتواصل.

الواجب الأخلاقي عند الوالدين ينحصر في توفير الظروف التي تساعد على أن يستوعب الطفل من خلال التفاعل المتبادل معه تلك الموديلات من السلوك التي يضمن إدراكها تحويل الأهداف الوراثية للنوع البيولوجي إلى أهداف أخلاقية لكائن اجتماعي دون أي 'فواصل' كما نرى أن تكون الشخصية الأخلاقية في المجتمع المتقدم يتضمن ثلاث عمليات متماثلة من حيث الأهمية:

تحويل التركيبة الوراثية لتنسيق الأفعال عند النوع البيولوجي 'الإنسان' إلى تركيبة أخلاقية للشخصية الاجتماعية.

البحث الأخلاقي للشخصية الذي يفترض استيعابها للتجربة الأخلاقية التي اكتسبها المجتمع والمسجلة في مختلف أشكال الوعي الاجتماعي وتحديد أفضلياتها في مجال مقاييس وموديلات السلوك.

تحفيز الشخصية على تطوير ذاتها أخلاقياً عن طريق المؤسسات الاجتماعية وبالدرجة الأولى بوساطة توفير الظروف المناسبة.

ويشهد التاريخ على أن عدم فهم جوهر هذه العمليات والتقديرات غير الكافية ستؤدي أهميتها ليس فقط إلى ظواهر سلبية في تطور المجتمع الأخلاقي، وستنعكس سلباً على وضع المجتمع بشكل عام، وهكذا أن السعي لإزاحة أو للتضييق على الاستقصاءات الأخلاقية للشخصية بواسطة تشكيل موجة لنظم القيم الأخلاقية من قبل جهاز السلطة في الدولة التوتاليتارية يقود المجتمع كقاعدة إلى الجمود وإلى انخفاض قدراته الإبداعية.

وإن حدث سوء للظروف الحياتية وامتداد المصالح الجماعية وإن ظهر توتر في البنى الاجتماعية بفعل تحفيز الشخصية لتطوير ذاتها من الناحية الأخلاقية فمن الحتمي والطبيعي أن تحتد قضية "الآباء والأبناء" الناشئة، وتتحول إلى ذلك التناثر للقيم في الوعي الجماهيري الذي تصبح الطوفانات الاجتماعية الجدية خلاله خطراً حقيقياً.

ونتعرض الآن إلى مفهوم الأخلاق (moral) فكما كان بالإمكان الإشارة إلى أن هذا المفهوم يستخدم خلال كل تأملاتنا كمرادف لمفهوم "الأخلاق (moral)" هذا التقليد كان قائماً في "علم الأخلاق".

لماذا نعطي كل هذا الاهتمام للتأملات حول الأخلاق "moral"؟

القضية أن الصحافة والأخلاق مرتبطان ارتباطاً وثيقاً وأن نقول "ارتباط وثيق" يعني لا نقول شيئاً.

إن علاقاتهما متعددة الجوانب لدرجة أنها لا تخضع للتصنيف لأن شبكة علاقات الصحافة بالأخلاق تبدو من النظرة الأولى على الشكل التالي:

إن رابطة الصحفيين في شخص كل ممثل لها وبفضل أسباب طبيعية هي حاملة للهدف الأخلاقي لجعل السلوك مفيداً اجتماعياً، وبالتالي إنها تدخل مباشرة في العلاقات الأخلاقية في المجتمع كذات من ذواته.

إن الصحفيين يتحدثون في مقالاتهم عن الأخلاق في المجتمع وعن التصادمات الأخلاقية والتوجهات وهذا يعني أن الأخلاق والعلاقات الأخلاقية هي مادة لانعكاس الصحافة.

يقوم الصحفيون بالدعاية في الصحافة لمثل المجتمع الأخلاقية ويروجون لقيمه وتوصياته الأخلاقية، وبذلك يساعدون على تنوير المجتمع أخلاقياً، وهكذا فإن الصحافة تقوم بدور الأداة الأخلاقية.

وعند تقدير الظواهر المصورة من الواقع يؤلف الصحفيون نصوصاً تنطلق من التجربة الأخلاقية للبشرية، ومن تلك المعايير الأخلاقية التي وضعها المجتمع، وبالتالي إن الأخلاق في الصحافة تستخدم كأداة مهنية "معيارية".

إن الصحافة المرتبطة بأمور كثيرة بالأخلاق تبدو "فاعلة" في مؤسسة تنظيم الذات في الجسم البشري- الاجتماعي إضافة إلى أنها تدخل في مؤسسات الإدارة، لذلك فإن التناقضات التي تنشأ حتمياً بين العلاقات الأخلاقية (وسائل تنظيم الذات للمجتمع) وبين العلاقات الحكومية – القانونية (وسيلة الإدارة) تظهر من غير شك في الصحافة أيضاً على شكل تناقض في واجباتها وبذلك تكون بحاجة إلى آليات تنظيم على المستوى الداخلي واستجابة لهذه الحاجة تتشكل الأخلاق المهنية.

هذا هو فقط احد الأسباب التي تشترط ظهور أخلاق الصحفي المهنية، وهناك أسباب أخرى تمس وسطاً أوسع من الأمور عندما تفسر نشوء ليس فقد نشوء الأخلاق المهنية في الصحافة، بل ونشوء الأخلاق المهنية بشكلٍ عام فما هي هذه الأسباب؟

لكل مهنة "ميثاقها"

إن سبب نشوء الأخلاق المهنية هو مادة شيقة للغاية للتأمل، ولاسيما أن هذه المادة لم تجذب إليها الإهتمام اللازم وإن علم الأخلاق العام يتطرق إلى هذه المسائل دون التعمق بها. أما علم الأخلاق المهنية وبفضل مسيرته التاريخية لا يزال إلى الآن بعيداً عن المادة النظرية ويشكل أكثر مفهوماً عاماً.

ويوحد بين العقائد الأخلاقية المميزة لأنواع نشاط محددة أو وضع معايير وقواعد السلوك التي يمكن لها أن تساعد عند حل المصادمات الأخلاقية النموذجية بالنسبة لهذا النشاط.

إن الباحث في مجال علم الأخلاق الصحفي ابراموف د.س. عالج باهتمام الظروف التي تحدد تلك الحقيقة إن تطوير الأخلاق يؤدي إلى انشقاق المعايير المهنية الخاصة بها.

وباعتماده على نظرية نشوء الأخلاق أثناء العمل وهو بذلك يكون قد اتبع كلاً من غريشين وموغوروف، حيث يعد نشوء الأخلاق المهنية نتيجة لتحديد

أخلاق العمل تحت تأثير عملية التوزيع الاجتماعي للعمل الذي يستدعي تضيق ظروف العمل.

ومن وجهة النظر هذه فإن الأخلاق المهنية تكون ما يشبه الموشور الذي من خلاله تنكسر المتطلبات الأخلاقية العامة للشخص بفضل الخصوصية المناسبة للعمل مع الحفاظ على الجوهر، بالإضافة إلى ذلك إن ابراموف يدعم ويعزز بالاثبات الجدي بإثبات آخر. وبناء على هذا الاثبات فإن الأخلاق في المجموعات المهنية حيث الإنسان يعد موضوع العمل يمتلك خصوصية معينة تظهر بوضوح في توافر المتطلبات الإضافية التي لا تعد بديلاً عن المتطلبات العامة، وكذلك في الترتيب الآخر للقيم الأخلاقية في وعي المختصين.

هذه التصورات يطورها الباحث في أطر التصورات عن مكانة ودور الأخلاق المهنية التي ينحصر جوهرها حسب رأيه في الآتي:

إن الأخلاق المهنية لا تطمح إلى دور المنظم الشامل للسلوك عند المختصين وإن مجال تأثيرها محدود بالعلاقات في العمل أما متطلباتها فهي محلية... وإن الأخلاق تطال دوافع وأهداف وطرق ونتائج العمل المهني أيضاً من جهة واحدة مهمة للغاية، أي من جهة المعاني القيمة وإنها تمثل الطريقة الإرشادية - التقويمية الخاصة لاستيعاب المختص لأهداف ومضامين نشاطه المهني.

ومن دون الجدل حول دور العمل في الأخلاق المهنية ومع الموافقة على وصف مجال تأثير الأخلاق المهنية فإننا نشير إلى أن الأخلاق في درجة وجودها الأولى هيهات أن تستطيع امتلاك طبيعة الاختصاص، أي أن تكون أخلاق عمل موجهة فقط إلى تنظيم سير العمل، ومن الطبيعي أن توقع العمل بالذات أيضاً في هذه المرحلة لم يستقل بعد ليصبح مجالاً مستقلاً للنشاط، وككل الظواهر غير المتطورة كان جانباً ولحظة ومجالاً لعملية واحدة للنشاط الحياتي للمجتمع الناشئ وإن حقيقة هذا الجانب (اللحظة والمجال) التي تحددت لم تلغ أبداً وجود الجوانب الأخرى، ولنقل مثل تعاون الجنسين بهدف إنجاب السلالة أوتعاون الأجيال، ومن هنا ينتج أن الأخلاق التي

نشوؤها كان حقاً بتحريض في كثير من الأحيان، الحاجة لتنسيق الأفعال أثناء سير العمل، ومع ذلك فإنها كآلية تنظيم يتوجب عليها أن تخدم نظام النشاط الحياتي للمجتمع بشكل عام، وأن الهدف الأخلاقي الذي تكون داخل كل فرد وأضحى عملياً شمولياً كان لا يزال كتلة واحدة لقد أرشد (أمر) الواجب الأخلاقي السلوك للغاية لأنها تسمح بتسجيل العنصر البدائي (الدائم) للعلاقات الأخلاقية كتلك الآلية المنظمة للحياة الاجتماعية التي كان عليها أن تتعرض أثناء عملية تطوير المجتمع لذاته إلى تحولات عديدة تؤدي إلى أن يتمتع هو بالذات بطبيعة منتظمة.

لا بد من التوقع أن أول هذه التحولات كانت قد حصلت بفعل ترتيب النشاط الحياتي للمجتمع. ففي مرحلة معينة وبالتناسب مع توجه النشاط برزت فيها ثلاثة عناصر مستقلة نسبياً هي:

مجال العمل.

مجال الحياة.

مجال العلاقات المدنية.

وكان على هذا الأمر أن يجر وراءه تعقيداً في هدف الأخلاق، وأن عملية هذا التعقيد طويلة وعلى مدى عقود وقرون، لكنها حتمية. ففي مختلف مجالات النشاط الحياتي إن السلوك الموجه يكون متطلباً من الواجب "لخيرك وخير الجميع" تتطلب من الناس ظهورات متنوعة ومختلفة. وهذه الظهورات انعكست في نفس الإنسان كنماذج «كموديلات» غير متشابهة، لكنها حسنة من حيث السلوك وثبتت في التجربة الاجتماعية على شكل عادات مدنية وحياتية وعملية، وأخيراً قد أدركت مضيفة إلى الهدف الأخلاقي الأولي ثلاث مجموعات جديدة من الإرشادات التي تحددها وتدققها.

إن مضمون الهدف الأخلاقي المعقد قد عمم في وعي المجتمع وسجل ونما بوساطة المقاييس المناسبة ومعايير السلوك أو فصلت حتى المعايير الدقيقة. وبذلك كون بداية لحلقات جديدة مستقلة نسبياً في علاقات المجتمع الأخلاقية أوهذه الحلقات

قد حصلت على تسمية لها في علم الأخلاق هي أخلاقية العمل، أخلاقية الحياة، أخلاقية المواطنين.

وعلى مستوى التصور فإن الأهداف الأخلاقية المفصلة والمحولة أضحت تمتلك طبيعة المتطلبات الأكثر من الشخصية، لكن في الواقع أصبحت في المجتمع معايير الأخلاق عند تقدير سلوك الإنسان في هذا المجال أو ذاك من نشاطه الحياتي هذه هي وظيفتها الرئيسة التي كانت.

إن تاريخ البشرية يشهد على أن التطور اللاحق لمجال العمل والحياة والعلاقات المدنية خلال فترة طويلة من الزمن قد حدد بوساطة تباين الحياة الاجتماعية. في حين أن أسس التباين كانت كثيرة: إن التشكيلات العرقية انتشرت في جميع أنحاء الكرة الأرضية وبالتالي تغيرت بالنسبة لها البيئة الحياتية، وبدا التقسيم الأساس داخل القبائل الأمر الذي أدى إلى عدم توافق العديد من المصالح (وفي مقدمتها الاقتصادية) وانطلقت عملية توزيع العمل الاجتماعي.

إن هذا كله يعني أن الإنسان في لحظة ما بدا من جديد في أوضاع حرجة، عندما كان عليه البحث في ظروف مختلفة عن مختلف أنواع السلوك لوضع حد ما لهدفه الأخلاقي، وفي النهاية يجب أن يكون هذا الهدف محدداً ولفهم أن ذلك يحدث هكذا ننظر في مجال العمل لأنه في هذا المجال بالذات تولد الأخلاق المهنية وهي موضوع مجال اهتمامنا المباشر.

كيف كان أمر الواجب الاخلاقي يبدو بالنسبة لأسلافنا، الواجب الذي تحدد في "التكتل العمالي"؟

للأسف لا توجد شواهد تاريخية في هذا المجال، وإن أولى الأدبيات التي انعكست فيها العلاقات الأخلاقية في مجال العمل قد ألغيت في أزمنة متأخرة وسنحاول إيجاد الإجابة بمساعدة العلم المعاصر بعد التوغل كبداية في معنى مفهوم "العمل".

وبناء على التقاليد العلمية الشائعة فإن العمل هو نشاط هادف (أي عمل له هدف) موجه إلى إنتاج مواد مفيدة اجتماعياً ذات طبيعة إخبارية أومادية، وبالتالي،

إن المادة المفيدة اجتماعياً كجمع الحبوب أوطحنها أوالرقص قبل الصيد أو توجيهات الزعيم في القبيلة تعد عنصراً من عناصر النشاط المشهور بأنه:

أولاً: يجعل علاقات الجسم مع الوسط المحيط علاقات مباشرة، وبذلك يحول النشاط البيولوجي إلى نشاط اجتماعي وما قبل الإنسان إلى الإنسان.

ثانياً: يلبي الحاجات الملحة لبعض أعضاء المجتمع والمجتمع بشكل عام.

ثالثاً: بتراكمه يكون موارد ضمان حياة المجتمع.

رابعاً: يحدد العلاقة المتبادلة بين أعضاء المجتمع وهذا يعني أنه يعزز وحدته واستقراره.

خامساً: يتضمن وعلى شكل رزمة كل العناصر المكونة وكل علاقات سير العمل التي 'وضعت' في المادة (المنتج).

وعند تلخيص ما قيل يمكن الاستنتاج أن نتاج العمل يجسد في ذاته المعنى الحياتي المهم لمجرى العمل، ولذلك لا يعد نتيجة له فقط إنما يقوم بدور المعيار الأساسي له. منذ البداية كان بالنسبة للمجتمع الخير والمنفعة وكل ما يساعده في الإنتاج وأيضاً أنه المنفعة والخير وإن كل ما يعيق ذلك هو شر. ما الذي إذا يمكنه أن يؤدي دور الحافز أوبالعكس دور المفرمل في سير العمل؟ يعد علماء النفس الظروف الداخلية والخارجية للنشاط أي الظروف ذات الطابع الشخصي والاجتماعي والطبيعي التي على خلفيتها يقوم النشاط العوامل التي تؤثر في سير العمل. ويمكن لهذه الظروف أن تكون مؤاتية أوغير مؤاتية، وبعبارة أخرى الظروف التي تساعد أوتعيق توفير المنفعة.

إن الظروف الخارجية ترتبط بدرجة أقل بالذات العاملة أما الظروف الداخلية من الطبيعي أن تؤثر الذات فيها أكثر، وهكذا، نجد في هذا الوصف للأمور التي يعترف بها في علم الأخلاق المعاصر كأخلاق عمل أساسية يقصد هنا ثلاثة نماذج لعلاقات الذات بالنشاط وهي التي تميز أية مهنة في اي مرحلة من المراحل وينظر إليها كأخلاقية وهي بالذات:

العلاقة بالمجتمع عموماً أوبمجموعات مستقلة مع التي تتعاون الذات القائمة بالنشاط.

العلاقة بعملية النشاط ذاتها.

العلاقة بالمشاركين الآخرين فيها.

ينتج: إن تحقيق النجاح في إنتاج المنتج يرتبط بهل الإنسان مستعد لمثل هذه العلاقة بالمجتمع وبعملية النشاط وبالمشاركين الآخرين فيها التي تكون ملائمة. أو أنه غير مستعد والنجاح مهم جداً، وبالتالي إن "لا" المكنة و"غير مستعدة" لا بد من تحييدها، لكن من أجل ذلك لا بد من حافز خاص.

ومن هنا الاستنتاج: إن معنى التصورات التي تشكل "التكتل العمالي" للهدف الأخلاقي للفرد في فترة نشوء الأخلاق العمالية عليه أن يتضمن هذا الحافز، وبمعنى آخر إن هذا التكتل للهدف الأخلاقي عليه في البداية أن يتضمن إرشاداً قاطعاً حول مثل هذه العلاقة بسير العمل والمشاركين فيه وبالمجتمع الذي يقود إلى إيجاد الواجب.

وللاختصار في اللغة المعاصرة فإن هذا الإرشاد يبدو على الأرجح أنه يمكن أن يكون هكذا "العمل النزيه لفائدة الناس وفائدتك".

ولا بد من الافتراض بأن الأمر الكامن في هذا الإرشاد كان له قوة كبيرة لأنه ظهر بجلاء حتى في دول العبودية الأولى حيث كان العمل على شكل مادي - صاف وكان في غالبيته استعبادياً. إن العبيد الذين كانوا غالباً مسلوخين عن العالم المعتاد وعن أقربائهم وموضوعين بمثابة وسائل عمل حية، ومع ذلك انتجوا تلك الروائع كانت نتيجة لتلك العلاقة الأخلاقية بالعمل التي كانت قد استطاعت الولوج إلى لحم ودم الإنسان. ولم يكن باستطاعة أي من ملاحظي الرقيق الحصول من بناة هذه الحركات الدقيقة والمتناسقة والمضبوطة التي بفضلها نشأ بارفينون اليوناني ولوليزيه الروماني لو لم توجه هذه الحركات أيضاً من قبل الصوت الداخلي، فهذا الصوت الداخلي بالذات دفع العبيد إلى خلق العمل النزيه باسم القيم التي توصل إليها المجتمع، ومتغلبين من حين إلى آخر على الكراهية التي كانوا يحملونها لمستعبديهم.

هنا سؤال يطرح نفسه: ما الذي قام به مالكو العبيد هؤلاء المواطنون الأحرار في العصور القديمة والتي يعدون عادة طبقة مستقلة؟ كانوا متحررين من الهدف الأخلاقي ومن العمل النزيه وأن الإنجيل يسمح لنا بالحصول على تفسيرات مقنعة للغاية في هذا المجال.

ففي كتب الممالك وفي الإنجيل والكتب الأخرى وفي كل نص من التورات والإنجيل عملياً توجد مجموعتان من الظروف والأمور الممتعة.

فالمجموعة الأولى هي الأقوال المتكررة عن قيمة المعرفة والتأمل والحكمة أي عن خصائص النشاط الذي نصفه اليوم ونعرفه بالعمل الذهني.

المجموعة الثانية: هي مشاهد من استخدام المعارف والحكمة لمنفعة الناس والقائمون بهذا النشاط يكونون الأحرار في أكثرية هذه الحالات.

ومن المحتمل جداً أن التوراة قد سجلت أمرين مهمين جداً في تاريخ البشرية:

أولاً: فصل العمل الفكري عن العمل العضلي (من المتفق عليه اعتبار هذا الأمر مرحلة مهمة من مراحل فصل العمل الاجتماعي).

ثانياً: توزيع الواجبات لتوفير الحياة للمجتمع في ظروف الطبقات الناشئة (نشوء الطبقات) وأن المستغلين قد بدوا محكوماً عليهم على الأغلب بالعمل العضلي والمستغلون كانوا يمارسون في غالبيتهم العمل الفكري والذهني كالإدارة والطب وصناعة السفن والعلوم والفنون الحرة.

في حين كان العبيد الذين كان لديهم مقدرة على العمل الفكري وعلى اكتساب المعارف (فالعديد منهم كانوا في السابق أحراراً) كانوا يقدرون وغالباً ما حصلوا على إمكانية تحقيق ما لديهم لكن وللأسف وفي غالبية الأحيان كانوا لا يملكون الحق بالاعتراف بهم أناساً كاملين، وأن المعطيات الفعلية من تاريخ الدول القديمة ترسم الصورة الجميلة جداً لتطور العلاقات في المجتمع في تلك الفترة عندما يتم توزيع الواجبات المشار إليها سابقاً.

إن كل هذا يعطينا الأسس للتوقع أنه آنذاك بالذات حدث التحول الجوهري للكتل العمالية لهدف الفرد الأخلاقي. وهناك أمران كان لهما دور مهم في ذلك فمن جهة أن الإدراك التدريجي لآلية العمل من حيث المبدأ يمكن أن يكون ذهنياً وعضلياً ومن جهة ثانية التأثير المباشر لتوزيع وظائف العمل بين مختلف شرائح المجتمع التي شكلت التركيبة الطبقية. وإن أمر العمل النزيه لفائدتك وفائدة الناس! كان عليه أن يتمتع بمعان مختلفة بالعلاقة بوضع الفرد في نظام التوزيع الاجتماعي للعمل الذي كان يعني في الظروف المتكونة في وقت واحد كذلك ارتباطه بمكانته في تركيبة المجتمع الطبقية المتشكلة.

إن الهدف الأخلاقي للفرد مع بقائه مظهراً لقانون أخلاقي موحد بالنسبة الى المجتمع يبدأ يختلف من حيث الجوهر عن إرشادات "التكتل العمالي" وهناك تعديلان على الأهداف الأخلاقية: الأول موجه إلى العمل الذهني والثاني إلى العمل العضلي. وفي الإجمال مع الإشارات المتغيرة في التكتل "المدني" و"الحياتي" يعني هذا المقدمات لإدخال عنصر التوجه الطبقي إلى الأخلاق ويحدث هذا الإدخال عن طريق التأثير الإعلامي الهادف على وعي الإنسان من جانب التراكيب الإدارية في الدولة.

تتكون في الوعي الأخلاقي الإجتماعي مقاييس ومعايير السلوك العملي الموجه إلى هذا أو ذاك من أنواع الأهداف الأخلاقية معطية بداية لنظامين مختلفين من القيم والرائد بينهما هو نظام القيم الذي يمثل العمل الروحي بالدرجة الأولى بفعل الوضع الإجتماعي "الرفيع" والمثبت قانونياً للأشخاص الذين تحرروا من العمل العضلي.

تتعزز العلاقة الاستخفافية بالعمل العضلي التي تشجع على البحث الدائم عن امكانات تقلل ذاك الحجم من النشاط البشري المتعلق بالتحولات المادية وسائل العمل الخاصة في التجربة الإجتماعية على مر العصور، ففي البداية يقوم بهذا الدور العبيد ومن ثم الآلات والآليات وأخيراً الاوتوماتيكيات معينة يجبرون الإنسانية على الإندهاش بهم وعلى الخوف منهم.

إن فصل العمل الذهني عن العمل العضلي عملياً كان نذيراً لإدراك الأمر المهم ذاك المنحصر في أن النشاط الإجتماعي يوجد حتماً على نوعين: نشاط إبداعي ونشاط المنتج.

إلا أن العامل الذي يحدد التنظيم اللاحق للإنتاج الإجتماعي في تلك الفترة لم يكن هذا الأمر بالذات.

تكمن هذه المسألة في أنه لا يستطيع أي نتاج بحاجته إلى المجتمع ومنتج أن يكون نتيجة لعمل ذهني خالص أوعمل عضلي خالص لأنه ليس هكذا. إن إنتاج محصول أي كانت طبيعته هو عملية يجد فيها نفسه جوهر النشاط الاجتماعي. الذي هو عبارة من وحدة دياليكتيكية للعمليات الإعلامية – الإدارية والمادية المباشرة.

لا يجوز بناء مطحنة هواء دون أن ندرك أولاً كيف يمكن أن تبنى، ولا يجوز تأليف قصيدة شعرية دون جهود أو بذل طاقة ولو الحد الأدنى من الجهد الذهني الضروري كي تصبح واقعاً موضوعياً.

والمسألة الثانية هي أن الطبيعة المختلفة للمحصول تملي قدراً مختلفاً من الجهد الذهني والعضلي والمبادئ المختلفة لمزجهما. هذا بالذات أصبح حاسماً عندما نمت حاجة المجتمع إلى منتوجات متنوعة إلى درجة أن الضرورة إلى تقسيم العمل الاجتماعي قد نضجت بجدية وأن التوجه الأساسي والرئيس لهذا التقسيم أصبح تطور مجريين اتجاهين للإنتاج مستقلين نسبياً وأنهما معروفون لنا جيداً كإنتاج مادي وروحي.

ولا يجوز إرجاع أحد هذين المجريين إلى الذهني فقط أو إلى العضلي فقط، لأن في كل واحد منهما يوجد حتماً هذا وذاك لكن بدرجات مختلفة وتناسبات متنوعة وغالباً مع منفذين مختلفين في هذه الحالات ينشأ تظافر الجهود.

ولا يجوز إرجاع هذا ولا ذاك إلى النشاط الإبداعي فقط أو إلى النشاط الإنتاجي فقط لأن كل واحد منهما يتضمن هذا النشاط وذاك لأنهما ضروريان بدرجة متساوية لسير الحياة الإجتماعية الطبيعية. وإن أحدث النشاط الإبداعي حقائق جديدة، فإن النشاط الإنتاجي يضمن بهذه الحقائق المجتمع بالكميات المطلوبة.

إلا أن التحديد الذاتي للنشاط الإبداعي كحلقة أساسية في العملية الإنتاجية تحت تأثير المتطلبات المتنامية يجب أن يحدث حتماً في هذا المجرى أو ذاك وقد حدث عندما جر وراءه موجة من تصنيف الإنتاج الإجتماعي وداخل المجرى الآن.

وقد نشأت أنواع النشاط الإبداعي واحد تلو الآخر التي خصوصية كل واحد منها تتحدد بخصوصية المنتج الجديد المطلوب من المجتمع وأنهما قد قدما البداية لفروع جديدة للإنتاج المادي والروحي بتحفيزهما تطوير النشاط الإنتاجي وبجعلهما عملية توزيع العمل الإجتماعي المكثفة واضحة للعيان.

إن المظاهر المحددة "العمل في سبيل المعرفة" تصبح في هذه الظروف كثيرة حتماً وأن وعي الفرد عند تصويره لها يصطدم بمسألة استحالة استيعابها كلها ناهيك عن أقلمة الهدف الأخلاقي الذي تكون بالطريقة التقليدية معها.

ومن جديد بدت آلية التنظيم الأخلاقي للحياة الإجتماعية في وضع متأزم (حرج) وفي هذه المرة حلت المسألة بناءً على كل شيء بنشوء الهدف الأخلاقي في "التكتل العمالي" عند الفرد المنصاع للإرشاد الذي كان قطعياً لكنه أعطى درجة كبيرة من الحرية وحدد بذلك الخطوات الجدية إلى الأمام في العلاقات الأخلاقية في المجتمع وأن هذا الإرشاد يشاهد جيداً في سلوك الجيل الشاب المعاصر مع التطور الأخلاقي الطبيعي، عندما يحين موعد دخولهم الحياة العملية: فهم يحركون السعي لتفسير معنى الحياة بالنسبة لهم ودورهم فيها وتحديد "قضيتهم" ولا بد من الإفتراض أن هذا السعي هو الإستجابة للصوت الداخلي القطعي الذي يلزم الإنسان تحديد ذاته الذي يتطلب منه "إيجاد مكانه في التركيبة العامة".

ومن الطبيعي جداً أن ينعكس هذا الإرشاد في وعي الفرد خلال التطور المكثف للإنتاج الصناعي عندما أضحى النشوء الدائم للمهن الجديدة أمراً عادياً.

ويربط المؤرخون هذه العملية بتكوين العلاقات الرأسمالية. وفي كل الأحوال إن موديلات السلوك التي وجهت بهذا الأمر أو ذاك لم تكن واسعة الانتشار لا في المجتمع

العبودي ولا في العصر الإقطاعي المبكر، إن العلاقات الطبقية هي التي حددت بـذاتها مكانة الإنسان في الإنتاج الإجتماعي.

وإن سلمنا بنشوء هذا الأمر في هذه المرحلة فستتوفر لنا إمكانية النظر من جديد لأمرين مسجلين في التاريخ، أولهما ينحصر في أنه عندئذ بالذات نشأت شبكة متشعبة للغاية من الدوائر الدراسية المتخصصة المفـروض عليهـا أن تحـل مـسائل لـيس فقـط التعليم وإنما مسائل ذات طابع تربوي. والأمر الآخر يتألف من أنـه في الوقـت نفـسه مع الظهور الأول في مدن أوربا الغربية مواثيق عديدة لتنظـيم حيـاة ونـشاط العـاملين في الورش والمهن الحرة، ومجمل الحديث، أن هاتين الحقيقـتين تظهـر أن الجـزء الأكـبر من أنواع النشاط في الفترة هذه قد وصلت إلى درجة مـن التطـور مـن الحـديث فيهـا عن طريقة النشاط المتكون تماماً وعن درجة عالية جداً لادراكها مفهوم "طريقة النـشاط" ادخل في التداول العملي لأول مرة. من قبل الفيلسوف ماركاريان ويصور لنا الأهمية البالغة في إدراك ما يحدث من تطـور في الأخـلاق بوصـفها تركيبـة منظمـة للمجتمـع في هذه الفترة.

وإنه لا يتطابق مع مفهوم "أسلوب النشاط" علـى الـرغم مـن أنـه يـستخدمان في أغلب الأحيان كمترادفان. جوهر الأمر هنا في أن مفهوم طريقة النشاط تعني مجمـل كل الخصائص العلمية – الأدواتية لنـوع محـدد مـن النـشاط الـتي تعطـي الخـصوصية للمنتج الذي أنتجته. أما اليوم فمن الممكن وضع هذه الخصائص في أربعة صفوف:

جملـة المـسائل الـتي تحـل بالتتـالي أثنـاء سـير فعـل النـشاط والـتي تحـدد خصوصية بنيته العمليانية.

جملة الأساليب الضرورية لحل هذه المسائل.

الأدوات التكنيكية المستخدمة في ذلك.

معايير السلوك المهني الموصى بها لتحقيق نتيجة ناجحة للنشاط.

وهكذا فإن الطريقـة في هـذا النـوع أو ذاك مـن أنـواع النـشاط تجـسد في ذاتهـا خصوصيته. وبما أن طريقـة النـشاط تتـشكل مـع النـشاط نفسه عـن طريـق التأمـل

بالنجاحات والإخفاقات كانتقاء للظروف التي فيها يتم النجاح فإنها تبدو "نقطة" من تجربتها الموضوعية. وهذا يعني أنها تستطيع أن تكون مستوعبة وخاضعة للدراسة.

إن نشوء شبكة الدوائر الدراسية المتخصصة في الفترة الأخيرة من عصرالقرون الوسطى ما هو إلى مؤشر على أن المجتمع قد وصل إلى مستوى من التطور ظهرت فيه الحاجة لإعداد المواطنين مهنياً في سبيل استيعابهم لطريقة معينة للنشاط.

ومن وجهة نظر ظهور مواثيق للورش لا بد من النظر إليها كخطوة اتخذت كذلك لطرح مطالب معينة على أعضاء الورشة ولتعريف المواطنين على مقاييس السلوك التي تتشكل تحت شعارها الجماعة المهنية تلك. إن هذه المطالب – المقاييس تتكون خلال عملية قيام هذا أو ذاك النوع من أنواع النشاط وكذلك المكونات الأخرى لطريقة النشاط لكن ما هي طبيعتها؟

نصعد هنا بتناقض ظاهري من جهة بما أن الحديث يدور حول السلوك خلال العمل أي الموجه إلى إنتاج نتاج مفيد اجتماعياً، والذي حسب وصفه هو المنفعة والخير والقيمة، فإن طبيعة هذه المقاييس يجب أن تكون أخلاقية، ومن جهة ثانية إن هذه المقاييس بالعلاقة بالهدف الأخلاقي للفرد الداخل إلى جماعة مهنية معينة تكون مستقلة ذاتياً ولها طبيعة ما يسمى بالقواعد ما فوق الإنسان التي لا بد من استيعابها، لأن هذا يعني مطلباً للوسط المهني في مثل هذه الحالة .إن الحديث حول الإرادة الطيبة يمكن أن يدور هنا فقط لأن انتقاء المهنة يعد حراً وفي الوقت نفسه إن هذه القواعد الخاصة بالسلوك في العمل تتميز جذرياً عن القواعد التكنولوجية اللوغاريتمات الخاصة بطرح المسائل واستخدامات أساليب وتقنيات الأدوات، وأيضاً طرائق النشاط المقدمة والفرق بين النموذجيين من القواعد ينحصر في التالي.

القواعد التكنولوجية:

تعكس شرعية العمل الموضوعية في مظاهره العامة غير المرتبطة بالمنفذ المحدد ولفترة معينة لا تملك بدائل لأنها ذات مدلول واحد بفضل طبيعتها غير الشخصية.

مقاييس السلوك:

تعكس تلك المظاهر الذاتية للشخصية التي بفضلها يمكن للشرعيات الموضوعية للعمل أن تنفذ على أفضل وجه. إن المقاييس تدقق حتمياً في العملية الفعلية للعلاقات في العمل بوساطة الإمكانات الفعلية للشخصية ولذلك تكون فقط على شكل مؤشرات تدل على طريق النجاح.

فهل يمكن التأكيد بناء على ذلك على أن المقاييس المهنية المولودة هي عنصر من عناصر الأخلاق كنظام منظم للجسم الإجتماعي الذي يعمل من خلال الفرد وعلى أساس إرادته الحرة التي تحددها الإرشادات (الأوأمر) الداخلية؟ قد لا يمكن.

ونعتقد أنه أكثر دقة إن فرضنا أن حدثت في تطور آلية التنظيم الأخلاقي نقلة نوعية تستدعي نشوء حلقة جديدة فيها ألا وهي حلقة تشبه "الآلية المتبناه" وإن خصوصيتها في أنها تتكون ليس على أساس الهدف الأخلاقي للفرد أو كما كانت الحال مع آلية أخلاقية العمل والحياة والآلية المدنية وإنما مباشرة على أساس الوعي المهني المتشكل لدى جماعات عمل محددة. إن دور وعي الفرد كبيراً جداً هنا لكن خاص: إن الوعي هو عبارة عن تراكم التجارب والخبرات الفردية الخاضعة للتحليل والتقدير الجماعي وحتى مصدر المعرفة التقديرية عن تجربة وخبرة الأعضاء الآخرين في الجماعة المهنية.

وبعبارة أخرى، إنه يشارك على نفس المستوى في "عملية الإنتقاء" المستمرة مع الوعي الجماعي – في انتقاء تلك الظواهر الشخصية التي تساعد على التنفيذ الأفضل من قبل ممثلي المهنة لواجباتهم الإجتماعية. ومن المحتمل جداً أن هذه "الآلية المتبناة" هي الأخلاق المهنية في وضعها الأولي.

إن التركيبة الأخلاقية للفرد وبخاصة "تكتلها العمالي" تعد بمثابة مقدمات وشروط لنشوء الأخلاق المهنية، لكن لا تتضمن (ولا تستطيع أن تتضمن) مطالبها لسببين:

أولاً: التركيبة الأخلاقية تحمل في ذاتها القانون الأخلاقي العام للمجتمع في حين أن الأخلاق المهنية تحدد العلاقات الأخلاقية لجماعة مهنية محددة.

ثانياً: إن إرشادات التركيبة الأخلاقية تتمتع بطبيعة الأمر من دون شروط في حين أن الأخلاق المهنية تشكل للفرد الإرشادات وتطرح عليه النصائح والتوصيات القادرة على تنظيم سلوكه إلى الدرجة التي تسمح بها مستوى أخلاقيته العامة ومستوى المهنية الذي توصل إليه.

تقوم في الوقت نفسه علاقات متعددة المستويات بين تركيبة الفرد الأخلاقية والشريحة الأخلاقية لوعيه المهني وبين التجربة المهنية. فمن جهة تقوم أخلاقية الفرد العامة بدور العامل الذي يحدد في كثير من الأحيان مستوى أخلاقياته المهنية.

ومن جهة ثانية تؤثر الأخلاق المهنية على نوعية العمل وبذلك تساعد ليس فقط على القيام بالواجب الأخلاقي الخاص للإنسان في مجال العمل، بل وتساعد على القيام الناجح بنشاطه هذا، أي إنتاج سلعة مفيدة اجتماعياً. أي المنفعة والقيم هذا يعني أن الأخلاقية المهنية عند الفرد تصبح في عداد العوامل التي تحسن عمل الجسم الاجتماعي والتي تعزز استقراره (دون تدخل إداري- قانوني واضح) وبذلك نوثق علاقة الإنسان بالمجتمع والفردي بالجماعي (الوعي) والتطبيق الفردي والجماعي والوعي والسلوك مظهرة ارتباطهما المتبادل. ومن هنا يبدو واضحاً أن الأخلاق المهنية تدخل كعنصر متساوي الحقوق في العلاقات الأخلاقية في المجتمع وبالتالي إن العلاقات الأخلاقية في المجتمع تكتسب طبيعة منتظمة.

وتتحول الأخلاق من تركيبة منظمة للمجتمع إلى نظام للتنظيم في حياته، أي تصبح بنية سياسية معقدة تؤثر في العمليات الإجتماعية ليس فقط من خلال التركيبة الأخلاقية للفرد، بل ومن خلال الطبقة الأخلاقية للوعي المهني لدى مختلف الجماعات العمالية في المجتمع إلا أنها تبقى مستقلة عن مؤسسات الإدارة الحكومية لأنها تحافظ على مكانتها في هيئة التنظيم الذاتي للمجتمع كالنظام السيبرنتيكي الذي يتمثل بالعلاقات بين الوعي والحياة.

أما فيما يتعلق بالأخلاق المهنية فينتج مما قيل: إن النظر إليها كتحديد للأخلاقية العمالية أمر غير دقيق تماماً نعم إنها تنظم ذلك المجال ذاته من حياة المجتمع وأن

الأخلاق العمالية هنا أمر عام بالنسبة لها كلها إلا أن التنظيم يتم بأشكال مختلفة وسنقتنع فيما بعد بذلك.

الأخلاق العمالية (أخلاق العمل):

تتكون بالتجربة الإجتماعية بشكل عام وهي مدعوة للبقاء قبل كل شيء بسبب حاجة الجسم الإجتماعي إلى تعزيز تلك العلاقة بالعمل التي يمكن لها أن تضمن الدخول المستمر إلى المجتمع السلع النوعية والمهمة حياتياً بهدف دعم استقراره (باختصار تضمن بقاء الإنسانية والإنسان) في سلوك الإنسان بغض النظر عن مكانته في المجتمع وهنا يكمن دورها: إن مثل هذا الهدف موجود في أمر تركيبة الفرد الأخلاقية التي تتضمن قانون المجتمع الأخلاقي العام وبالذات إن ضرورة الحفاظ على استقرار المجتمع كنظام ينعكس في الوعي الإجتماعي على شكل مجموعة معايير لأخلاق العمل.

الأخلاق المهنية:

تتوالد في أطر نشاط معين مشكلة جانباً من جوانب طريقة هذا النشاط وإن وظيفتها هي توفير سلوك أعضاء الجماعة المهنية ذاك الذي يحقق بفضله هذا النشاط أفضل النتائج مسوغاً بذلك صفته الإجتماعية. لذلك دخلت الأخلاق المهنية مباشرة في العملية التكنولوجية لنشاط كل عضو في الجماعة العمالية موجهة ظهوره الدقيق الخاص إلى المعايير المدروسة للسلوك.

والمدهش أنه في حال وجدت أفضل العلاقات بين الأخلاق العامة والأخلاق المهنية وكانت بنية تماماً يستعير الوعي المهني عند صياغة معايير السلوك والعلاقات وغيرها جهاز المفاهيم الضروري من الوعي الأخلاقي للمجتمع "محملة" إياه معان إضافية، وهكذا دخلت مثلاً مقاييس "الواجب المهني" والمسؤولية المهنية والشرف المهني وغيرها لغة الجماعات المهنية، وهذا طبيعي ولا شيء غريب هنا، لكن عند دراسة الأخلاق المهنية فإن هذا الأمر يمكن أن يضلل الباحثين إلى درجة ما، لأنه يموه على طبيعتها الخاصة ولذلك ينشأ وهم وكأن الأخلاق المهنية هي ببساطة تحديد لأخلاق

العمل في كل الحالات عدا تلك عندما يعتبر الإنسان موضوعاً للنشاط المباشر في تلك الجماعات العمالية كما يعتقد ابراموف د.س.

يمكن أن تنشأ معايير خاصة لا تتطابق مع الإحتياجات الأخلاقية العامة.

ولندع جانباً الآن هذا النموذج الخاص من الجماعات العمالية لكننا نشير إلى أنه من حيث المبدأ لا يوجد مثل هذا النشاط الذي نتائجه لم تكن تضع الإنسان هدفاً لها. لذلك إن منتج السلعة يكون مرتبطاً دائماً بالمستهلك بعلاقات المسؤولية من نوعين:

الأخلاقية والإدارية - القانونية. عندما تقر لجنة التحقيق بأسباب تحطم طائرة إن السبب في ما حدث هوعطل فنيّ فإن المسؤولين عن الأعطال لا يستحقون فقط الإزدراء فحسب، بل لا بد من أن ترفع ضدهم قضية جنائية، هذا هو موضوع المسؤولية الإدارية - القانونية إلا أنه مهما كان هذا الخرق أو المخالفة فالسبب الأساسي لها يكون دائماً أمراً واحداً ألا وهو المستوى المتدني للنضوج المهني- الأخلاقي للعامل. فيمكن أن تكون من خصائص الإنسان المواقف الحياتية الموفقة من وجه النظر الأخلاقية وأيضاً المثل الأخلاقية العالية وكأن العلاقة الشريفة والنزيهة بواجباته المهنية من صفاته لكن في الوقت ذاته يمكن أن يمتاز بأفكار غير مبالية بمعايير السلوك الموصى بها. فإن هذه الأفكار اللامبالية غالباً ما تصبح السبب في وقوع مثل هذه الأخطاء الكبيرة في العمل الأمر الذي يساعد على إلغاء التصورات القائمة عن الفضائل الأخلاقية لهذا الخبير.

كما نرى هناك فوارق جوهرية بين أخلاق العمل والأخلاق المهنية. إن أخلاق العمل تهدف إلى الحفاظ على التوفيق بين مصالح الفرد والمجتمع. إنها تنظم علاقة أي إنسان يقوم بأي نشاط بالمجتمع وبالمشاركين بالعمل ويسير العمل ذاته عن طريق الإرشادات التركيبية الأخلاقية. أما الأخلاق المهنية فموجهة إلى التوفيق بين مصالح الجماعة المهنية والمجتمع وتنظم السلوك خلال عمل العامل القائم بنشاط محدد على أساس المعايير المتكونة في الوعي المهني لجماعة معينة.

إن عضو الجماعة العمالية يصل إلى أعلى درجة من الأخلاق المهنية عندما يصبح التقيد بالمقاييس السلوكية المتبعة بالنسبة له أمراً أوتوماتيكياً ويمكن أن تكون مخترقة فقط في حال إن وجد عدم كمالية المقاييس. وإن ظهور مثل هذه الآلية (الأوتوماتيكية) يعني أن لدى الإنسان قد تكونت تركيبة أخلاقية مهنية إضافية موجهة ملاصقة لتركيبته الأخلاقية الأساسية وبهذا تكون الموشورات الأخلاقية – المهنية قد تحولت بالنسبة إليه إلى أوامر في مثل هذه الحالات بالذات يمكن الحديث عن تقارب الأخلاق المهنية وأخلاق العمل الذي أشار إليه الباحثان غريشين أ.ي.ا.و سوغومونوف يو.ف. إلا أنه يجب رؤية في هذا التقارب قبل كل شيء ليس التوجه إلى دمجهما وإنما أحد مؤشرات المستوى الحقيقي لأخلاقية المجتمع.

وهنا بالذات يجد نفسه عنصر العلاقات الإجتماعية الذي ينتظر منذ زمن بعيد تسميته الخاصة به. الحديث هنا يدور حول المستوى الحقيقي لأخلاقية الإنسان والمجتمع.

إن الرأي المطروح في هذا الكتاب حول الأخلاق كنظام لتنظيم عمل الجسد الاجتماعي التي تكون بإيجابية خلال قيام وتطور العمل الاجتماعي يسمح بإدراك وفهم الحقيقة المهمة جداً وهي هناك مقدمات ذاتية لدرجة متساوية لأخلاقية الفرد التي تظهر في السلوك البعيد عن إرشادات القانون الأخلاقي.

وأسباب هذا متنوعة ومختلفة لكن النتيجة واحدة، فكلما كان مستوى أخلاقية الإنسان أكثر انخفاضاً كلما وقع سلوكه كثيراً تحت دائرة اختصاص القانون ذلك لأنه يبدأ بالإبتعاد عن مواد دستور الدولة وتشريعاتها ويتنافى معها.

أما المستوى الحقيقي لأخلاقية المجتمع هو مشتق من أخلاقية المواطنين. ويربطهم رابط قوي جداً وتبعية متبادلة، فكلما كان مستوى أخلاقية المجتمع منخفضاً أكثر كلما كانت مخالفات القانون أكثر والجريمة أوسع.

وبالعكس عندما ينمو في البلاد عدد المخالفات القانونية أكثر تزداد الجريمة عندئذ يبدو الإنحطاط الأخلاقي واضحاً تماماً، وهكذا وجد المفهوم الذي يشار به إلى المستوى الحقيقي للأخلاق في المجتمع الأخلاقي.

إن كانت الأخلاق آلية ونظام تنظيم للمجتمع تكون موضوعياً وتشكل مجالاً خاصاً في العلاقات الاجتماعية - العلاقات الأخلاقية فإن الأخلاقية هي جانب من العلاقات الأخلاقية يظهر فيه المستوى الواقعي لأخلاقية المجتمع الذي يوجد في هذه الظروف وفي هذه اللحظة.

إلا أننا نعود إلى الحديث عن الأخلاق المهنية، إذ ينظر عادة إلى مهنة الطبيب والمربي والمحاماة كمهن يحس أصحابها بالحاجة الأكبر إلى التنظيم الأخلاقي – المهني للسلوك ولذلك هناك أسس محددة تنحصر في الآتي.

من المعروف للجميع أن طريقة هذه الأنواع من الأعمال (النشاطات) مبنية على التواصل وعلى التعاون المتبادل الدائم مع أناس آخرين الذي يكون مشروطاً بأهداف النشاط (العمل) أما أهداف النشاط تفترض تدخلاً مباشراً في حياة بعض الناس. وإن هذا التدخل عادة هو إعلامي – استخباري لكنه أحياناً يكون جسدياً. ولنقل في حال العملية الجراحية أو جلسات العلاج الفيزيائي. من هنا ينبع التناقض المحرك لهذه الأنواع من النشاطات فمن جهة تكون نتائجها ضرورية، ولذلك إنها منذ البداية لها هيبتها ومن جهة أخرى إن القيام بها يكون دائماً مترافقاً بدرجة عالية من المغامرة المشترطة بالمسؤولية العالية للمحترف والواضحة.

في هذه الحالة إن الأمور التكنولوجية لعمله لم تعد تعد تكنولوجية محدثة توهم بعلاقات أخلاقية يمكن أن تصل إلى الوضوح وفي هذه الغضون تبقى تكنولوجيا خاصة فقط لأنه أولاً تأخذ بالحسبان الدرجة العالية من المخاطرة وثانياً تعكس ليس فقط شرعية هذا النوع من العمل بل وشرعية التواصل كما هو، وتتكون بالتناسب مع ذلك الأخلاق المهنية. إن مجال تأثيرها في هذه الحالة أوسع بقليل من مجالها في الفروع

الأخرى حيث العلاقات الأخلاقية للذات القائمة بالعمل مع المستهلك لها طبيعة غير مباشرة (مثال إن الخباز لا يملك علاقة مباشرة مع مستهلك الخبز).

وبالتالي، إن وظيفة الأخلاق المهنية في الفروع من الدرجة الأولى تبقى كما هي في الحالة الثانية، لكن حجم المسائل التي عليها حلها ينمو الأمر الذي يعطينا الأساس للتأكيد على أن "الأخلاق المهنية لهذه الجماعات تعد الجزء الغني والنشيط وظيفياً أكثر من الأخلاق المهنية بشكل عام". وعلى هذا الأساس يقترح جعلها موضوعاً للدراسة من قبل قسم خاص في علم الأخلاق المهنية – علم الأخلاق المهني في معناه الضيق مع ترك الأخلاق المهنية في الأنواع الأخرى للنشاط لعلم الأخلاق المهني في معناه الواسع.

نعتقد أن مثل هذا التقسيم غير مفيد لأن الأخلاق المهنية في كل جماعة عمالية جئنا على ذكرها لها خصوصيتها التي تتوالد من خصوصية العمل نفسه، لذلك إن دراستها معقولة في إطار علم الأخلاق المهني لنوع محدد من النشاط، إضافة إلى مفهوم "علم الأخلاق المهني" أخذ يستخدم حسب التقاليد اللغوية في العلم والتطبيق في معنيين غير متطابقين من المعاني المقترحة. إن المعنى الأول قد تكون بالقياس بعلاقات الأخلاق عموماً مع علم الأخلاق العام وهو ينتج علاقات مشابهه له علم الأخلاق المهني يفهم كعلم عن الأخلاق المهنية أما المعنى الثاني فلديه تاريخ مدهش وطويل يستحق التوقف عنده ولو باختصار.

إن زمن ظهور الأخلاق المهنية هذه الحلقة المميزة في العلاقات الأخلاقية التي أعطته الطبيعة المنتظمة يعود كما شاهدنا إلى نهاية القرون الوسطى ومع ذلك هناك شواهد على وجود ما قبل أشكال الأخلاق المهنية في الأزمنة القديمة هذه بالفعل ليست "ما قبل الأشكال" وإنما هي بالذات بدايات (أصول) الأخلاق المهنية أو أمر آخر إن كانت المهن التي شوهدت فيها هذه البدايات قليلة ومن بينها كانت بالأساس تلك التي تحدثنا عنها منذ قليل وهذا أمر طبيعي لأن هذه المهن وردت أولاً في القوائم القديمة والضرورية جداً، وثانياً لأنها مرتبطة بالتواصل المباشر وبالدرجة العالية من المخاطرة.

إن الشواهد المذكورة ليست كثيرة لكنها ذات أهمية فمثلاً،إن الأطباء ما زالوا حتى الآن يتعاملون مع تلك الوثائق "كقسم ابو قراط" الشهير وأقل مع القسم أوالوعد الذي يؤديه الأطباء الذين درسوا في "مدرسة اسكليبيود" وتبقى كلمات هذا الوعد مهمة إلى الأبد والمهم أن نصوص كل قسم تنادي: وراء كل مناداة هناك واقع موضوعي قد دعي إلى الحياة وانعكست فيها.

وإن المربين حتى اليوم يعدون حيوية العديد من تلك المتطلبات من المعلم الذي صاغها عندما عمم تجربته التربوية الفيلسوف والخطيب الروماني كفينتيليان. فنجد عنده متطلبات من الخطيب أيضاً (هذه المهنة لعبت دوراً خاصاً في العالم القديم: استطاع الخطيب أن يكون سياسياً وقاضياً وعالماً ومربياً ومبادراً وسباقاً في المهن المناسبة في الأزمنة المتأخرة).

باختصار، إن الأخلاق المهنية قد أظهرت منذ ظهورها الأول خصوصية ممتعة ومدهشة، فمن جهة إنها تقر علاقتها الوثيقة مع القائم بالعمل، ومن جهة ثانية تعلن عن "احتجاجها" على الذاتية وعن قيادتها لسلوك الخبير بمساعدة نوع خاص من النصوص - القسم، القانون، الميثاق ... إلخ. من الوثائق المتاحة للإطلاع عليها من قبل كل أفراد المجتمع. فمن جهة، إن الأخلاق المهنية هي عنصر من عناصر طريقة العمل ومن جهة ثانية "تتعالى" عليه مملية على الخبير كيف عليه أن يتصرف وهذا ليس مصادفة، لنتذكر أن الهدف من الأخلاق المهنية هوالتوفيق بين مصالح الجماعة المهنية والمجتمع عن طريق ترتيب سلوك الخبير أثناء عمله على أساس المطالب التي وضعها الوعي المهني في الجماعة. وها هي تقدم للمجتمع هذه المطالب وبذلك تكون قد كونت أفكاره بصدد هذا النوع من العمل وبصدد هذه المهنة وبصدد مكانتها في الحياة الاجتماعية، وبما أن أرسطو وببراعة منه ثبت علم الأخلاق "كملك للعلوم" في المدارس الفلسفية الإغريقية واليونانية في تلك الفترة فإن مجموعات هذه المطالب أصبحت تتعامل معها وحصلت على تسمية معممة شاملة "علم الأخلاق المهني".

وهكذا كان يعني(تاريخياً) مفهوم علم الأخلاق المهني" قوانين الأخلاق المهنية وهذا المعنى لا يزال قائماً في تقاليد استخدام الكلام حتى يومنا هذا. إضافة إلى ذلك لقد ظهرت اليوم لهذا الأمر الأسس القانونية: إن علم الأخلاق المعاصر بوصفه علماً يركز اهتمامه على تصوير وتنظيم المعايير والمقاييس المهنية المتكونة في الجماعات العمالية "معايير الأخلاق المهنية" ولاسيما أنها تسعى إلى إعطائه أسساً نظرية جدية وإلى تدقيق وإظهار نتائج عملها للخبراء كمواد صالحة لخدمة أهداف متنوعة. وإنه يستطيع أن يكون قاعدة لوضع قوانين جديدة ومجموعة مقاييس عند تقدير مستوى النضوج المهني - الأخلاقي عند بعض المختصين والجماعات وأن يكون أداة لوضع الحلول للحالات الحرجة ذات الطابع الأخلاقي التي تنشأ حتماً خلال عمل أي مجموعة عمل.

إلا أنه مع السرور للإنجازات في مجال معايير الإبداع في تلك المجالات من علم الأخلاق مثل الطب والتربية والعلوم والقضاء وفي العقدين الآخيرين الصحافة لا بد من الفهم الواضح والدقيق للآتي: لدى علم الأخلاق كعلم مجموعة كاملة من المسائل النظرية البحتة وهذه المسائل مرتبطة بدراسة طبيعة الأخلاق المهنية وآلية توظيفها وعملها المشترك مع التراكيب الأخرى للأخلاق ومع البنى الادارية – القانونية في المجتمع وغيرها.

إن معالجة هذه القضايا لاتزال إلى الآن في محيط اهتمامات الباحثين على الرغم من أنها يمكن أن تكون لها أهمية عملية غير قليلة.

الفصل الثاني

من المضحك الحديث
عن علم الأخلاق في مجال
المهنة الأكثر تنافسية



من المضحك الحديث عن علم الأخلاق
في مجال المهنة الأكثر تنافسية

عند عرضي نص الوثيقة الإنكليزية على أحد الزملاء سألته ما الترجمة الأفضل لعنوان "إعلان مبادئ سلوك الصحفيين" لقد أنّ عند إجابته وهز كتفيه ومع ذلك قال:

ما أهمية ذلك؟ من المضحك الحديث عن علم الأخلاق في مجال المهنة الأكثر تنافسية.

لن تجادلني بموضوع أخينا فقد وضع في ظرف يرى فيه الحياة من دون إرادته هكذا كما يريد رؤيتها صاحب جريدتك! وإن كان ولا بد من ذلك فإن علم الأخلاق المهني حسب اعتقادي قد اختلق كي يتم تسويغ اللاأخلاقية. فيسوغ الكذب عند الأطباء، أما عندنا فهومنافسة. انظر: بقدر عدد هيئات التحرير هناك أخلاق، وكل خلق "أجمل من الآخر". أنا على سبيل المثال أعرف هيئة تحرير يوجد في قانونها حتى هذا المعيار" إن لم تحدث الإثارة اختلقها، وأجعل من الواقعة البسيطة ومن الشرارة يهب اللهب".

لقد مثلت أمامي مراراً وتكراراً أيضاً مسألة: هل هناك اليوم وبشكل عام أسس أخلاقية موحدة للصحفي؟ وأسباب هذا الشك ليست قليلة، ونجد هنا التوازي الإيديولوجي والتحديد في الأوساط الصحفية والظروف الاقتصادية الجديدة التي في لحظة غيرت "علاقة الملكية وارتباط وسائل الإعلام المقابلة لبعضها مباشرة" وظهور برامج شهوانية صدمت كثيرين على شاشة التلفزة، ونشوء نماذج من الإصدارات الجديدة بالنسبة للعالم أواخر القرن العشرين – الصحف والمجلات الشعبوية والنخبوية.

وقد صبت كلمات هذا الزميل الزيت على النار وفكرت:

(من الممكن أن الأحاديث التي أصبحت معايير عن حتمية نسبية المعرفة ونسبية أوضاع الأخلاق الصحفية – هي عنوان الحقيقة التي لا بد من التسليم بها .....).

أين يكمن جوهر القضية الصحفية؟

لم يمر يوم واحد قبل أن أؤكد في ذهني أن البحث عن الحقيقة يجب أن يتم في مكان آخر. الصحفيون – أناس ذوو مهنة واحدة، وهذا يعني أنه مع وجود الأفكار المتنوعة التي تنطلق من الظروف التي أشرنا إليها يجب توجيه سلوكهم المهني بقانون أخلاقي واحد بالنسبة الى البشرية و"بنظام تنسيق أخلاقي - مهني" واحد بالنسبة للمهنة، وهذا يجعل من خصائص الصحافة نشاطاً.

والأمر يختلف مع الواقع الاجتماعي المصدر الذي لاينضب للتصادمات التي لا يستطيع كل واحد منا احتمال ضغوطاتها، فأحد ما من الصحفيين وبغض النظر عن أنه يرفع إلى أعلى مستوى من الأخلاقية وإلى أعلى مستوى من النضوج الأخلاقي – المهني مسوغاً أهمية المبادئ والقوانين والتعاليم بواقع وجوده بالذات وأحد ما للأسف يصبح عاراً على المهنة وإهانة لها. وهناك من لاحاجة له لفهم هذا، لكن يحدث أن مثل هؤلاء الأشخاص يعنون ويجمعون كل شيء إنهم يتحولون إلى وحمين ومستهترين ومتعالين وأشرار. وإن لم يظلم الله هذه العبقرية فإنه سوف يسوغ ذاته بإلقائه كل ذنوبه على المهنة وهكذا من المهم جداً إدراك ما هذه القضية - الصحافة.

لقد اتخذت في علم الأخلاق العالمي خلال العقدين الماضيين بعض "الانغماسات" في شرائح المهنة الصحفية العميقة وقد أدت إلى "صيد" ثمين. وكاد أن يكون بوخارتسيف غ.ب.أول من اهتم باظهار طبيعة علم الأخلاق المهني في الفترة المعاصرة، ورآى العلاقة العضوية بين مستوى تطور الصحفي الأخلاقي – المهني وبين قدراته الإبداعية. وحددت كازاكوفا ف.ا. أنواع العلاقات الأخلاقية الأساسية التي يتحلى بها الصحفيون أثناء عملهم وعالج تيبليوك ف.م.بالتفصيل قضية مسؤولية الصحفي الإجتماعية وصنف المعايير الأخلاقية لجمع واستخدام المعلومات المتبعة في الصحافة واهتمت كوميلفانوفا ي.ا.بكيف سارت عملية تشفير معايير الأخلاق الصحفية وراقبت عمل الأخلاق وتأثيرها خلال العملية الإبداعية. ووصف ايراموف س.د. كل

جوانب أخلاق الصحفي المهنية كظاهرة اجتماعية، وحدد مكانها في الوعي الإجتماعي والطبيعة الخاصة للمعايير وأشار إلى علاقة وعي الفرد كحامل للأخلاق المهنية من موقع الصحفي المحققة في تلك العلاقات الأخلاقية – المهنية التي يخرجه إليها العمل.

إن أكثرية أعمال هؤلاء الباحثين مبنية على دراسة تجربة الصحافة العالمية وتعكس خصوصية الأسلوب المتبع في علم الأخلاق في أغلبية بلدان العالم في تلك الفترة. ومع ذلك إن الأفكار النظرية والتوصيات العملية لهؤلاء الباحثين لا تزال في الإستخدام مثبتة أهمية وصلاحية هذه المرحلة لتطوير علم الأخلاق الصحفي المهني في العالم.

ولقد لفت إليه الأنظار في الأعوام الأخيرة البحث الذي قام به مركز علم الأخلاق التطبيقي في مركز تيومين للعلوم التابع للفرع السيبيري لأكاديمية العلوم الروسية بالتعاون مع صندوق حماية العلانية ولجنة روسيا الفيدرالية للصحافة. وقد وردت مواد هذا البحث في كتاب "انبعاث روح الاتحاد قواعد اللعبة الشريفة في رابطة الصحفيين". وأضحت مواد هذا البحث في متناول جماهير الصحفيين في الفترة الإنتقالية من تطور العالم. وظهر أن حدثت في العمل الأخلاقي والوعي المهني للصحفي تغيرات من الصعب جداً تفسيرها على قاعدة المعرفة المتراكمة سابقاً عن الصحافة والأخلاق المهنية "للورشة الصحفية" وهناك ضرورة ملحة لأساليب جديدة وهذه الضرورة مؤكدة بسبب أنه في مختلف بلدان العالم تنشب في أوساط مجتمع الصحفيين المناقشات حول: ما الصحافة؟ هل هي بشير الأخبار الجيدة والسيئة؟ أو هي كلب ملغوث يهجم من دون أمر؟ أو أنها مرآة الحياة المداهنة؟ أم صانعة للأساطير من أجل الوعي الإجتماعي. أو أنها "السلطة الرابعة" المهيبة؟ ففي إحدى هذه المناقشات صادف أن شارك مؤلف هذه الأسطر على صفحات مجلة "السلطة الرابعة" وأسمح لنفسي هنا تقديم وجهة نظري حرفياً من مكان الصحافة في المجتمع التي عبرت عنها في تلك المقالة.

... ينحصر مؤشر السلطة الجوهري والرئيس والمحدد كإحدى آليات الإدارة في مهمتها وفي حقها اتخاذ القرارات المتعلقة بالمجتمع بشكل عام وبعض جماعاته أوالمواطنين وتطبيق هذه القرارات في الحياة بمساعدة نظام واسع للغاية من الوسائل.

إن الصحافة لاتتخذ مثل هذه القرارات ولا تعتبر سلطة بالمعنى الإصطلاحي المتشدد لهذه الكلمة. إلا أن ذلك لا يعيقها أن تكون قوة مؤثرة إلى درجة أنها أصبحت تسمى " السلطة الرابعة ". والجوهر في أن الصحافة كنشاط تحتل مكانة خاصة في المجتمع ولها أهمية متميزة فمن جهة قد أدخلت في علاقات الإدارة في المجتمع مكانها بين السلطة في مظاهرها الثلاثة والشعب، وهي تعلم عن القرارات السلطوية وتساعد على انتشارها وتفسيرها وتجد وتعلن عن ردود فعل الجماهير عليها ومتطلبات الشعب من السلطة وغيرها، وبعبارة أخرى تقوم بوظيفة وسيلة الإدارة.

لكنها من جهة ثانية، وإلى جانب علاقات الإدارة قد أدخلت مباشرة في علاقات الوعي الإجتماعي والحياة الاجتماعية أي أنها تشكل حلقة مستقلة في آلية التنظيم الذاتي للمجتمع وفي دورها هذا هي مدعوة إلى القيام بواجبات خاصة وبالذات:

إعطاء أعضاء (أفراد) المجتمع المعلومات الموضوعية عن الواقع وعن المتغيرات الجوهرية المهمة كلها فيه على المستوى الملحوظ (الأحداث) وعلى الجهود غير الملحوظة وصعبة الوصول إليها للأفكار (القضايا) باستقلالية عن رغبة أوعدم رغبة مؤسسات السلطة.

أن تكون حلبة للتبادل الحر للآراء بين المواطنين لتفتح الطريق أمام الرأي العام تحديد ذاته دون رغبة وأمنيات السلطة.

تزويد سيول الأنباء الجماهيرية في المجتمع بالمواد التي تحمل أنواعاً متنوعة من المعارف والمعايير والقيم بأحداثها والإمكانات للمنافسة بينها وبتحفيزها بحوث الناس الروحية والأخلاقية الأمر الذي بفضله يتم التوصل إلى تطوير الوعي الجماهير في المجتمع، وفي ذات الوقت الحفاظ على المستوى الضروري للتعاقب والقيمة الدلالية.

إن هذه الثنائية للهدف تصبح قاعدة موضوعية لاتجاهين متناقضين في الصحافة: الاتجاه نحو الإرتباط بالسلطة، والاتجاه نحو الاستقلالية عنها. وإن الصراع بينهما حتمي ويقوم بدور التناقض المحرك للصحافة الذي يمتلك مظاهر عديدة ويجدد تغيير وضعها، وككل تناقض فإنها تمر بعدة مراحل مختلفة، لذلك تبدو الصحافة مغايرة في كل مرحلة من المراحل التاريخية، فتارة تتحول في ظهورها الرسمي إلى ذيل للسلطة كما يحدث ذلك مثلاً في الدول التوتاليتارية، وعنئذ تنشأ الشريحة الصحفية السرية غير الرسمية حتماً الطامحة إلى الوساطة النزيهة في العلاقة بين الحياة ووعي المجتمع. وتارة تتحول إلى كلب ملغوث يرمي بنفسه على أجهزة السلطة وعنئذ تغدو مؤسسات السلطة دون دعم إعلامي من الصحافة، أما المجتمع فيفقد الأمل بتوافق الأفعال العملية وبالتخلص من الفوضى، لكن هناك فترات التعايش الهرموني بين هذه التوجهات، وبالطبع إنها تحدث في الوقت نفسه مع فترات هرمونية العلاقات الاجتماعية، وإن هذه المراحل أو الفترات بإحداثها سوابق للأزمنة القادمة، أزمنة التنظيم العلمي لتفاعل السلطة مع الصحافة مع ذلك لا تستطيع قط دون حدوث اشتعال جديد للتناقضات ومرة أخرى نقتنع بذلك في يومنا هذا.

إن هذا التناقض بتوسعه تارة لفائدة هذا الاتجاه وتارة أخرى لفائدة الإتجاه الآخر فإنه ينشأ من جديد حتمياً وعلى مستوى جديد واضعاً على جدول الأعمال البحث عن الإمكانات غير المستنفذة لتنسيق واجبات الصحافة غير المنتظمة.

وعلى أساس هذه التصورات يمكن الخروج باستنتاج أنه عند تنفيذ الدور الصحفي الثنائي في المجتمع إن القائم بالنشاط الصحفي معرض لأن يقع دورياً في أوضاع مماثلة لتلك التي يبدو فيها اليوم الطاقم الصحفي في أي بلد من بلدان العالم يعيش هذا الطاقم المقسم من قبل القوى المتنابذة التي نشأت عند تصادم الإتجاهات المتضاربة في الأيام العصيبة. ولفهم كيف يمكن إيجاد المخرج من هذا الوضع لا بد لنا من التوغل في الكيفية التي تقوم فيها الصحافة بالذات بواجباتها.

وهنا تطفو على السطح الأشياء الممتعة جداً:

أولاً: يبدو أن الصحافة لا تقوم بذلك تماماً كما هو معتاد، فمثلاً، إن وجهة النظر واسعة الإنتشار بأنها تقوم بمهامها بتأثيرها في الموضوع المتمثل بالناس دائماً، في حين أن الباحث الكسييف ن. أ. اثبت منذ أكثر من عشرين عاماً أن تفاعل وسائل الإعلام مع الجماهير ما هو إلا تفاعل الأشخاص الذين يصبحون مشهورين إن تعاملوا مع الصحافة كعمل مثمر. أما الأسلوب الآخر للتعامل معها إن أردنا فهم جوهرها فثماره قليلة نعم، إنها عمل مثمر وإنتاج للمادة، ولدى هذه المادة مستهلك وهو ذاك الشخص الذي نسعى للتأثير عليه كتأثيرنا على الموضوع. لكن الكارثة في أنه إما أن يضغط على زر التلفاز مطفئاً البرنامج الثمين، وإما أن يتجاهل ظهور صحيفة جديدة متعددة الصفحات تاركاً الناشر وحده، وإما فجأة يستمع لبرامج إذاعة ما.

ما المادة؟

يظهر هنا ثانيةً أمر آخر مهم. إن كل الأعمال النظرية حول علم الأخلاق المهني تقريباً تضع في صلب الإهتمام القضايا المرتبطة بإنتاج مؤلفات صحيفة معينة، أي أنها ترى في ذلك بالذات الواجب الرئيسي للصحافة. وهكذا، إن ابراموف عند تطويره لفكرة غروشين حول تركيبة النشاط الصحفي كوحدة لعنصرين، عنصرالنشاط الإعلامي وعنصر النشاط الإداري يظهر التناقض المهني المرتبط ذلك. والذي يلزم الصحفي بأن يضع له الحل في كل مرة ما دامت أنواع النشاط الداخلة في النشاط الصحفي واقعة في وضع غير متساو في علاقتها مع بعضها بعضاً، وإن صناعة الخبر هي قبل كل شيء عون لحل المهام الإدارية المرتبطة بتغيير الواقع الإجتماعي.

إن هذه التناقضات بشكل عام حسب وجهة نظرنا مظهر من المظاهر العديدة لذاك التناقض الجوهري التكاملي الذي تحدثنا عنه سابقاً. لكن الحديث الآن يدور حول أمر آخر كما نرى حتى عند محاولة الطريقة الميدانية في هذه الحالة يتقدم إلى الأمام مع ذلك كله الإبداع الصحفي الشخصي، وفي الحقيقة إنه يقدم للمجتمع المادة الإعلامية ليس فقط على شكل نصوص محددة نفذها شخصياً، مع ذلك يبقى

في الظل وفي غضون ذلك يمكن عد هذه الحقيقة مبرهناً عليها من قبل التطبيق الصحفي، وجهود الباحثين في هذا الإتجاه كتنظيم عمل للمحررين في وسائل الإعلام الجماهيري وتنحصر في أن الإنتاج الصحفي بحد ذاته ووحده لا يعيش (ما عدا الإستثناءات عندما تصبح سرية) إنه في العادة جزء من عدد الجريدة البرامج الإذاعية أو التلفزيونية. ويصبح العدد أوالبرنامج الوجبة الإعلامية التي تنصب في السيل الإعلامي الجماهيري الذي ينتشر في المجتمع دون انقطاع.

إن تركيبة السيول الإعلامية الجماهيرية التي تتألف من الشكل الحيوي لوجود الإعلام الجماهيري معقدة. ويمكن التأكد من ذلك بسهولة عند النظر ولو إلى الإعلان في التلفزيون هناك نرى ليس فقط النصوص الصحفية عن الأخلاق وأن اختيار البرامج واسع للغاية بدءاً من خطابات رجالات المجتمع ومختلف المؤلفات الفنية حتى الألعاب والإعلانات. هنا يوجد كل شيء ضروري لتلبية رغبات المجتمع في الإعلام الجماهيري الذي هدفه مهم جداً، وهو الحفاظ على التنوع النسبي للوعي الجماهيري ومساعدته على الثراء. فإن الوعي الإجتماعي يوفر التفاهم المتبادل في المجتمع مقوياً بذلك وحدته، وفي الوقت نفسه إن سيول الإعلام الجماهيري تعطي الإمكانات لتحديد الذات لدى الرأي العام لأنها تعرف ليس فقط بالإنباء عن الأحداث الجارية، بل ببراهين الشخصيات التي تعبر عن آرائها الشخصية بها (ومن المسائل الحيوية الأخرى أيضاً).

إن قرارات أجهزة الدولة المتعلقة بالجميع تصبح معروفة للمواطنين أيضاً بمساعدة السيول الإعلامية، وباختصار. أهميتها بالنسبة الى المجرى الطبيعي للحياة من الصعب تثمينها لأنها مرتبطة مباشرة بالحلقات الأساسية لآليات التنظيم الذاتي في المجتمع كنظام سيبرنتيكي أي الوعي الجماهيري والرأي العام.

وكي نكمل مجرى السيول الذي تشكل من قبل قنوات الصحافة والإذاعة والتلفزيون لا بد من التعاون بين ممثلي مختلف أنواع النشاطات ومختلف أنواع الإنتاج

الإعلامي بدءاً من إدارة الرئيس وانتهاءً بقسم التنبؤات الجوية وإن منظم هذا التعاون هي الصحافة ويدخل في واجبات الصحفيين التالي:

التخطيط للسيول الإعلامية الجماهيرية بجذب ممثلي مختلف مجالات الحياة للمشاركة فيها.

تحرير النصوص الواصلة إليهم وإيصالها إلى المعايير المتبقية في المجتمع من نصوص تواصل حضارية.

تصميم وحدة ما من هذه النصوص وتسميتها من قبل الصحيفة أو البرنامج الإذاعي أو التلفزيوني.

نشر مثل هذه " الفروع من السيول " بكل دوري محدد لترى النور.

ليس غريباً أن تعيش في الوعي الإجتماعي السيول الإعلامية الجماهيرية كنتاج للصحافة. إن الناس يشاهدون على شاشة التلفزيون المسلسلات المكسيكية لكنهم مع ذلك يعتبرون التلفاز صحافة. وهذا هو الواقع، فإن الصحافة عندما تكثف في هيئات تحريرها العديد من الأعمال من أنواع مختلفة من الإبداعات تستخدمها كجزء لا يتجزأ في سبيل "جمع "عناصر جديدة وجديدة للمواد التكاملية (المتكاملة) التي تسمح بتقديم اللوحة المتحركة والواسعة والإخبارية للواقع الإجتماعي في كل لحظة معينة للجماهير (بما في ذلك لوحة التوجهات القيمة للمجتمع). وهذه اللوحة يمكن لها أن تكون مشابهة أكثر أو أقل للواقع، لكنها تسمح للمجتمع والإنسان بفهم ولو لدرجة معينة وبثقة ما يحدث، والتأمل به وتدقيق قراراته وأفعاله، وكلما كانت مطابقة ومتنوعة أكثر عملت آليات التنظيم الذاتي في المجتمع بثقة أكبر وكلما كانت متحررة أكثر كان احتمال "توقف "هذه أو تلك من الآليات أكبر وكلما كان الخطر أقوى على المجتمع. وينتج أن الصحفيين لا ينتجون ببساطة السيول الإعلامية فقط. إنهم ينتجون كذلك تلك الآثار التي تستدعي الطلب على إنتاجهم في المجتمع ولا بد هنا من الفهم بدقة إن أصبح عرض العنف اليوم على شاشة التلفاز لحل المسائل هو السائد على الرغم من

أنه في الحياة توجد إمكانات أخرى للتغلب على الصعوبات، هذا يعني أننا يمكن أن نصطدم بمسألة أن القوة ستصبح السائدة بين قيم الوعي الجماهيري.

إن تكنولوجيا إنتاج السيول الإعلامية الجماهيرية لا تبرمج الآثار لا السيئة ولا الجيدة. وإجراءاتها المتمثلة بالتخطيط والتحرير والتصميم وبإصدار الخبر هي بحد ذاتها حيادية.

إن كل خطوة من هذه الخطوات تحدث في مرحلة خاصة من مراحل العمل المرتبطة بحل المسائل الخاصة جداً والتي تتطلب الأساليب المناسبة والأدوات التكتيكية المناسبة أيضاً، لكن الناس هم الذين يقومون بتنفيذ كل خطوة من هذه الخطوات. ويعود المضمون الدقيق والمحدد للسيول الإعلامية الجماهيرية والآثار الإجتماعية المطروحة وما هي الأساليب المختارة وكيف يستخدمون هذه التكنولوجيا.

إن كل هذه الأمور مجتمعة تسمح بالاستنتاج أن مشاركة الصحفي في تحضير وإعداد وإصدار السيول الإعلامية الجماهيرية تشكل الجانب المستقل نسبياً لنشاطه المهني. وتقوم هذه المشاركة بمساعدة إجراءات تيكنولوجية خاصة تنظم من قبل قواعد إنتاجية محددة ومن قبل توجهات السلوك الأخلاقية _ المهنية.

والجانب الثاني لنشاط الصحفي المهني يتمثل فعلاً بالإبداع الشخصي أوالفردي أو الجماعي الموجه إلى إنتاج عمل صحفي كنوع خاص من النصوص. ويحتل هذا النوع من النصوص في السيول الإعلامية الجماهيرية مكانة خاصة، ويقوم بدور خاص محدثاً "تياراً متدفقاً" من السيول ومجراها الرئيس ومحدداً في كثير من الأحيان تشكيلة بعض "الأجزاء" لماذا يحدث ذلك؟ يساعد في الإجابة على هذا السؤال وصف المميزات الأساسية للعمل الصحفي التي تتضمن فرادة مدلولاته وبرغماتيته ولحويته ويمكن إجمال هذا الوصف بالآتي: إن فرادة النص الصحفي الدلالية تظهر من خلال موضوعه.

وبغض النظر عن غنى الحياة وتنوعها المعكوسة في الإنتاجات الصحفية أنها موحدة بعلاقة واحدة عامة من وجهة نظر حل الموضوع.

وتنحصر هذه العلاقة في أن موضوع أي نص يتضمن حالة واقعية محددة من الواقع واضحة بحداثتها وبالجانب المتطور من جوانبها (أوعدة جوانب) لتصبح حالة كبيرة وواسعة ذات طابع إشكالي يعاني منها المجتمع. وفي هذه الخصوصية يكمن سر الحيوية والمعنى العام للنص الصحفي. ولنقل إن ظهرت مادة في جريدة تتحدث عن تجربة وسيلة جديدة لإطفاء الحريق في الغابات. فإنها ستلفت نظر كل من يعاني من حر الصيف الذي يجلب خطر الحرائق ويقضي على مساحات واسعة من الغابات. وإن قدم التلفاز برنامجاً عن حفلة لفرقة فسيجتمع عند الشاشات الناس من مختلف الأعمار الذين يتعطشون منذ زمن "للأسطورة الحية" لرقص الروك.

الفرادة البراغماتية للنص الصحفي مرتبطة بأنه مخصص للتوجه إلى الواقع أي أنه يعتبر من حيث وصفه مفيداً عملياً. ويمكن أن تكون قيمته كبيرة أو صغيرة وهذا يعود إلى فكرة العمل الذي يتمتع أيضاً بعلاقة عامة (خصوصية) بالنسبة للأعمال الصحفية ويمكن أن تكون هذه الفكرة ذات طابع الإشارة إلى الموقف من ما يدور الحديث حوله أو إلى السلوك إن تطلبت من الناقل للمعلومات الحالة التي يعيشها. وبفضل هذه الخصوصية الفكرة بالذات مثلاً فعل "التحالف المنسي" الذي بدأته "الصحيفة الجديدة" قد تحول عملياً إلى أن شمل الشعب كله إلى إنقاذ المناضلين الفلسطينيين من الأسر الإسرائيلي وإلى التعاضد مع الأمهات الثكالى وإلى مساعدة الأطفال اليتامى نتيجة المقاومة التي أخذ يقدمها الفلسطينيون أكثر فأكثر إلا أنه لا بد من التذكير أن الفكرة في النص الصحفي هي التلقين بالذات وليس أكثر، ويمكنها أن تتحول إلى الدلالة في حدها الأدنى إلى موقف الصحفي من مادة التوصيف أو أن تتطور إلى برنامج عمل لكن في جميع الحالات إنها تقريباً لا تحمل أبداً بداخلها صيغة الأمر.

وفي الوقت نفسه إن فكرة النص الصحفي لا تعتبر بشكل أدق لا يتوجب عليها أن تكون فرضاً خفياً وفعلاً لموديل معين من السلوك. ذلك على خلاف فكر النصوص الدعائية المتحكمة.

إن فرادة تركيبة العمل الصحفي النحوية مشروطة بالجمهور المخصص له ولغته هي لغة الحياة والوسيلة الأساسية للتعبير على المعلومات هنا تصبح الحقائق التي بفضلها تستحضر الحالة وللكشف عن معناها للمتلقي تساعده المادة الثقافية المعروفة له والتي عناصرها يستخدمها الصحفي في النص على شكل شخصيات ومعايير تقوم بدور "المفتاح الدلالي" ويمكن لهذا المقتطف من المقالة الصحفية أن يقدم لنا التصور عن تعامل هذه الشخصيات والمعايير مع بعضها.

الدانمارك الصغيرة هي واحدة من أكثر بلدان العالم هدوءاً وقد تحولت فعلاً إلى حلبة تصوير لمحارب هوليود بناء على عدد أفراد الشرطة المنتشرين على الطرقات وبناء على الحوامات الموجودة في الأجواء.

إن بطلي هذه القصة الرئيسيين الذين وجهوا بقوات شرطة كبيرة هما مواطنان سوفييتيان سابقان. المواطن الأوكراني اوليغ غيراسيمينكو البالغ 27 من العمر والمولدافي، ايفان غريانوفيشو البالغ 19 من العمر. إنهما الآن يخضعان للبحث عنهما من قبل البوليس الدولي ومنذ بضعة أشهر حضر الإثنان "حفل الاطفال" وانبهرا بالهدوء هنا وحتى بالحياة البسيطة فقررا زرع الحيوية الاجتماعية ومن ثم حدثت عدة هجمات مسلحة مشينة على محطات الوقود كانت قد قطعت مرتين للتنويع بسرقة البريد وسائق سيارة أجرة، إن الخصائص المذكورة لا تجعل من النصوص الصحفية معروفة من الجماهير فقط بل الأهم إنها تخبرهم عن المقدرة على التوسع حتى تجربة المجتمع في أطر تجربة الفرد وبذلك تكون قد أغنت إمكاناته للمشاركة في الشؤون الاجتماعية وفي حل قضاياه المعاشية الخاصة من هنا فرادة ردود فعل الجماهير على الموضوعات الصحفية التي تتميز كثيراً عن ردود الفعل على النصوص الأخرى في السيول الإعلامية وهذا الأمر أشار إليه الباحثون لأن إعداد المادة التي موضوعها وفكرتها وبنيتها كل ذلك مجتمعاً يستجيب للعلاقات المشار إليها، وتبدو أيضا قضية مميزة ليست مطابقة للإبداعات الأدبية – الفنية ولا للإبداعات العلمية أو حتى الإجتماعية.

ونلفت الإنتباه إلى أن الأدب الإجتماعي هو نوع من الإبداع غير المنضوي بين حدود مهنية. وقد وهب للإنسان كي يعبر عن رأيه بالمسائل القريبة منه والمتعلقة بالواقع. وكي يؤكد بالحقائق والوقائع ومن خلال تجربته الحياتية والوطنية والمدنية والمهنية هذا الرأي. وأن الصحفي يستطيع أيضاً أن يقدم نصوص أدب اجتماعي، عدا ذلك أن أي مادة صحفية قادرة على أن تتضمن الرأي الشخصي لكاتبها بهذه القضية أوتلك المبني على تجربته الخاصة، وعندئذ تنشأ لدى العمل الصحفي ميزة أو صفة الاجتماعية التي وصفها بها الباحث الأوكراني زدوروفيفا. إلا أن النص الصحفي من حيث المبدأ غير مطابق للنص الاجتماعي.

إن الإنسان الذي وضع هدفاً له إعداد مادة صحفية بالذات عليه حل جملتين من المسائل.

الجملة الأولى مرتبطة باستيعاب الواقع وتتطور في العمل الواعي الهادف والمعرفي.

وتشكل المرحلة الأولى للفعل الإبداعي الذي خلاله تنفذ بسرعة العملية التكنولوجية المناسبة، وبذلك يستطيع الصحفي الحصول على المعلومات الضرورية ووضع نظرية للوضع الحياتي الذي أصبح بالنسبة الى الصحفي مادة لدراسة خاصة. والجملة الثانية من المسائل مرتبطة بتشكيل وتنفيذ فكرة مادة معينة على أساس النظرية الموضوعة أي مع تقديم المعلومات أن هذه المرحلة في مختلف وسائل الإعلام الجماهيري من العملية الإبداعية تسير بأفعال مختلفة وبالنتيجة تؤدي إلى ظهور النص الصحفي للجريدة والراديو والتلفزيون.

إن حل مثل هذه المسائل المتنوعة يتطلب استخدام أساليب متنوعة أيضاً وإن تراكيبها تحدد بطبيعة المهام (المسائل) وببنية الفعل الإبداعي وبخصائص المصادر المعلوماتية وأيضا بقوانين النص واستيعابه لذلك كثيرة هذه المسائل وبالتناسب مع مراحل الفعل الإبداعي إنها تشكل مجموعتين متكاملتين أساليب العمل المعرفي وأساليب عرض المعلومات أو تقديمها. إن المجموعة الأولى تتألف من أساليب وطرق

الحصول على المعلومات وأساليب الوصول إلى الجوهر. والمجموعة الثانية توحد في داخلها أساليب تقديم الحقائق والوقائع وأساليب تقديم مادة الثقافة.

وإن كل أسلوب من هذه الأساليب يتكون من مجمل الأفعال العلمية الموجهة إلى حل مسائل معينة الأمر الذي يميز مبدئياً هذه الأساليب عن الأفعال المماثلة في الحياة العادية ولنقل مثلاً إن الحديث كأسلوب للحصول على معلومات في الصحافة ليس ذاك الأسلوب المتوخى من الحديث مع أحد ما ترتشف الشاي معه على الرغم من إمكانية استخدام الصفات ذاتها في هذا الحديث. وذاك، فإن الصحفي في سعيه لتحسين نوعية الخبر الذي يحاول الحصول عليه وذاك الذي سيقدمه للجمهور يقتدي بمبدأ الإضافية الذي يلزمه بجمع الأساليب.

عدا ذلك على الصحفي المعاصرعند قيامه بإنتاج مؤلفاته الخاصة أن يكون لديه "حديقة" غنية من التقنيات التي عليه التصرف بها بحرية ولاسيما أن الوسائل التقنية هنا ليست فقط العامل الذي يسهل جريان العمل وإنما هي تشارك مباشرة في العملية الإبداعية كعنصر تقني فيها الهاتف والكاميرا والميكروفون وكاميرا الفيديو والكومبيوتر وشبكة الانترنت ....الخ

من دونها لا يستطيع العامل في الصحافة اليوم القيام بعمله جيداً وأنها بشكل طبيعي "تساعد" في صناعة المادة الصحفية لكن التكنولوجيا لوحدها في مثل هذه الحالة هي فقط إمكانية صناعة المادة النوعية القادرة على الإيفاء بالغرض.

وإن حققت هذه الإمكانية وإن لم تحقق هذا يعود إلى كيفية استخدام الصحفي للتكنولوجيا، أي يعود إلى شخصه بالذات أثناء العمل لذلك تنشأ الحاجة إلى التوجهات (المؤشرات) الأخلاقية – المهنية.

وينتج أنه أمامنا طريقة أخرى للعمل ضرورية بالنسبة الى الصحفي في عمله وكان من الممكن القول: نعم هكذا هو الأمر. بما أن الحديث سيجري قريباً عن إنتاج نوعين من السلع يطلب من الصحفي طريقتان للعمل:

الأولى للإعداد للسيول الإعلامية الجماهيرية والثانية لإنتاج نصوص ذات خصوصية.

لكن تنشأ هنا مسألة مهمة للغاية إن نفذ الصحفي واجبه المهني بمساعدة هاتين الطريقتين في العمل فيمكن الحديث بالتالي عن نوعين أيضاً من المؤشرات المهنية – الأخلاقية. فإنهما على الدوام يدخلان في بنية أسلوب العمل من حيث إنهما العنصر الحتمي له. يبدو أنه من المستحيل القضية تكمن في أن هذين النوعين من النشاط يعودان إلى مهنة الصحفي بالذات وليس إلى أي مهنة أخرى. وبغض النظر عن استقلاليتهما إنهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ببعضهما بعضاً فعندهما فاعل مشترك عدا ذلك إنهما يمران في الظروف التي تميزها ذات الصفات الثابتة على الأغلب. وبالتالي لا يصح الحديث عن عمل واحد يعكس جانبيه في بناء داخل تركيبته وهذا يحدد بالأمور التالية:

الأول: يتكون من أن موديل العمل الصحفي المتولد الذي يتحلى به الفاعل واحد من حيث الجوهر وأن التصور عن الصفات المميزة للنص الصحفي مرتبط بالوعي المهني للصحفي مع التصور عن خصائص السيول الإعلامية الجماهيرية كجزء من الكل بالتناسب مع طبيعة الأشياء الفعلية. عدا ذلك إن الموديل المتولد يتضمن معنى النص الصحفي في شكله النهائي كمكون لهدف السيول الإعلامية الجماهيرية وبذلك يتم الربط بين الأساليب والمعايير وصفاتها.

والأمر الثاني: يتكون من أن قاعدة حل المسائل التكنولوجية هي واحدة: ففي الحالتين يكون الحل مستحيلاً من دون التواصل المباشر والمكثف الذي يشكل بالنسبة للصحفي أرضية للتعامل مع عوامل الأنواع الأخرى والمجالات الأخرى للنشاط.

ومن حيث الموقف من الصحفي إن عوامل الأنواع الأخرى للنشاط تحتل مواقع جانبية وقيمة متنوعة، ولذلك إن اهتمامها غير متساوٍ في حقيقة التعاون ذاته.

ولهذا السبب ينشأ العديد من الحالات المعقدة في سيرعمله الذي حلها يكون مرتبطاً دائماً عملياً بالإختيارالأخلاقي بالنسبة للصحفي.

إن الأمور كثيرة بما يكفي كي يستطيع انتقاء المقاييس للسلوك المهني في المرحلة الراهنة أن يصل وعي رابطة الصحفيين إلى نظام موحد للتوجهات الأخلاقية المهنية النظام الضروري والمفيد للدور التنظيمي في حالتي النشاط المهني والقادر على الحفاظ على القوة المركزية لاتحاد الصحفيين.

كيف إذا جرت هذه العملية؟ وما هي الشواهد على أنها جرت؟ ولماذا اصطدمنا اليوم بقضية أن الأخلاق المهني في الصحافة العالمية "لا تعمل" أكثر مما هو مسموح به؟

ما هو عمر الأخلاق الصحفية؟

إن الأخلاق المهنية هي الموجهة إلى توافق مصالح المجموعة المهنية والمجتمع – المصالح ونقاط التقاطع فيها هي ثمرة نشاط هذه الجماعات. إن العلاقة بثمرة العمل تبدو لي العلاقة الأخلاقية المهنية الأساسية لأن فيها يظهر التطابق المبدئي لمصالح أي جماعة مهنية وأي مجتمع يحدد طبيعة تعاونها. فمن جهة إن أي عمل يكون مدعواً إلى الحياة من الحاجة الإجتماعية إليه وإلى ثماره وبالتالي إن المجتمع الذي هومن يطلب السلع مهتم بنوعيتها الأمر الذي من الطبيعي أن يؤثرعلى وضع العمل المنتج لها وعلى سمعة المهنة ومستوى المهنة ومستوى حياة ممثليها ومن الطبيعي كذلك إن الإهتمام بتلبية الإحتياجات الإجتماعية من المنتج هو بدوره بالنسبة لأي جماعة عمالية اهتمام في الوقت نفسه بوضعها الخاص وبسمعتها وبمستوى حياتها.

ولكي يتم ضمان مصالح الطرفين لا تكفي فقط العلاقة النزيهه بالعمل والتركيبة الأخلاقية للفرد إطلاقاً المطلوب أيضاً ما يسمى بتأمين نوعية السلعة من جانب الجماعة المهنية وهي تقوم أيضاً بدور ضمانة الرفاهية لكل جماعة ولكل فرد فيها. وتأخذ الأخلاق المهنية على عاتقها وظيفة هذه الضمانة بتوجيهها الفرد في الجماعة العمالية إلى مقاييس السلوك المهني المجربة من قبل الخبرة في العمل وردود فعل المجتمع.

إن كل ما قيل يعود إلى الأخلاق المهنية في الصحافة الرئيسة وهي التي تعطينا إمكانية الرؤية كيف ومتى بدأ تكوين الأخلاق المهنية الصحفية وما هي الظروف التي أثرت على عملية قيامها ولماذا وبخصوص وقت ظهور الأخلاق المهنية عند الصحفي في الأدبيات العلمية وجهتا نظر بناء على احدها إنها أفتى مهنة لقد ظهرت عندما أضحت المهنة عامة وإدراك الصحفيين أنهم مجتمع واحد أي في أواسط القرن الماضي تقريباً. إذاً فمنذ نشوء الصحافة عدت الأخلاق المهنية جزءاً لا يتجزأ منها. إن المجتمع المتطور يعرف شكلين لتنظيم العمل: الاحتراف والهواية.

ويتولد أيضاً أي نشاط كهواية، الهواية هي المرحلة الأولى لتطور العمل وأول شكل من أشكال تنظيمه.

إن العمل – الهواية يتصف بأنه ينفذ من قبل الإنسان حسب هوايته الشخصية وميوله وخارج أطر أية واجبات مسؤولة مهما كانت وبدون تحضير مسبق ودون مسؤولية متشددة عن النتائج. أما العمل المهني فيتكون خلال عملية التقسيم الإجتماعي للعمل على قاعدة الهواية إلا أنه لا يمتصها وهذان العملان موجودان بالتوازي في أيامنا هذه أيضا إن العمل المهني بعد أن أصبح بالنسبة الى الإنسان نوعاً خاصاً من المشاغل يكتسب صفات جديدة. وهذا العمل يمر على شكل تنفيذ الواجبات المناسبة في أطر التعاون مع المشاركين الآخرين فيه ويرتبط بالمسؤولية عن النتيجة ويتطلب إعداداً خاصاً باختصار يتحول إلى مهنة وهكذا ينتج أن المهنة تكون دائماً أحدث من العمل المرتبطة به.

والصحافة أيضاً كانت لها مرحلتها الأولى من تطورها وطويلة امتدت إلى قرون بل إلى آلاف السنين. إن أول العلائم أن البشرية بحاجة إلى السلعة الإعلامية التي توجه الناس بسرعة وترشدهم في الأحداث الجارية وتوسع خبرة الفرد قد عثر عليها واكتشفت منذ زمن بعيد، إن مواد ثقافة العالم القديم قد حفظت شواهد ليست قليلة على ذلك وهي معروفة على نطاق واسع.

إننا عادة ننظر إلى ما يشبه الصحف في الصين القديمة وإلى اللوحات المصنوعة من الجبس المكتوب عليها الأخبار لمجلس الشيوخ وعامة الشعب في روما القديمة وإلى الأنباء المرسلة من قبل المراسلين – المتطوعين إلى علماء روما عندما كانوا يغادرون المدن كمقدمات للصحافة وكان هناك نوع آخر لتوزيع الأنباء يتمثل بالتوزيع الشفهي.

ولا تقل أهمية المعلومات التي تتحدث عن أن الطلب على مثل هذه السلع ومثل هذا العمل قد تم فهمه فمثلاً نقرأ عند بلوتارخ:

يقولون إن سيزر قد وصل أولاً إلى فكرة التحدث مع الأصدقاء بصدد القضايا العاجلة عن طريق الرسائل عندما كانت مساحة المدينة والعمل الاستثنائي لا يسمحان بالمواجهه الشخصية أو باللقاءات الشخصية لا يهم أن يدور الحديث في هذه الحالة حول المراسلات بين الأصدقاء الحقيقة هي أن هذه الكلمات تعبر عن الحاجة المدركة للتواصل المباشر والسريع بصدد قضايا ملحة.

إن مراسلات المشاهير الرومانيين كانت تتضمن أيضاً أمثلة على الحاجات المشابهة المدركة وفي هذا المعنى تكون هامة بشكل خاص" التصنيفات " الخاصة بالمراسلين غير النزيهين يجري الحديث في مثل هذه الرسائل كل مرة عن ماذا يريد " الطالب " من أجوبة المراسلين وباختصار يطلب نموذج محدد للسلعة.

ويمر زمن آخر طويل جداً قبل أن تظهر مهنة " الصحفي " لكن حاجة المجتمع إلى السلعة التي تدخله تفاصيل الحياة قد أعلن عنها وقد بدأ البحث عن السبل إلى إنشائها البحث عن أسلوب العمل. وهكذا كان من المفروض أن تتطور عمليتان هما: إدراك المجتمع لنوعية السلعة المعينة الضرورية له وقيام أسلوب إنتاجها بالتوازي في مجال تاريخي شاسع جداً.

إن القرن الخامس عشر الذي يربط الصحفيون (مؤرخو الصحافة) ظهور الأنباء المكتوبة بخط اليد والتي كانت ترسل مقابل أجر معين إلى طالبين محددين لم يترك شواهد موثوقة تستطيع أن تساعدنا على تصور ماذا كان المطلوب آنذاك بالذات من موصلي هذه "aviso" لكن بناء على كيفية استبدال وتغير مضمونها من الممكن

التوقع بثقة أننا هنا نتعامل مع ردود الفعل على الطلبات وعلى رغبات أو حاجات الطالبين وكتب ابراموف معلقاً على الحقائق التاريخية من هذا النوع يقول:

إن كنا نصادف في القرن 15 وعلى قدم المساواة المعلومات المهمة عن القصر الإمبراطوري وعن مسرح العمليات العسكرية وعن انتشار الإصلاحات في الإخبار والأنباء الساذجة والبسيطة عن التنبؤات السياسية والعجائب والغرائب وعن المشوهين والمذنبات وعن الشتاء الملوث بالدم التي تترافق مع كل شكل من أشكال المخاوف والرغبات والآمال فإننا نشاهد في القرن 16 أن نبرة التقرير العملية والواعية والموضوعية كانت هي السائدة في الصحف فكان فيها الكثير من المعلومات السياسية وأقل الأنباء عن التجارة ولم يبق أثر للأحاديث والقصص عن العجائب والسحرة. وإن التوجه نحو العرض الصادق للأحداث ينظر إليه من خلال المقارنة مع الوضوح الكافي.

وعلى الأرجح إن أول الصحفيين (أصحاب الصحف) كانوا يقتدون أثناء نشرهم للأخبار ليس بالتصورات الأخلاقية المثالية وإنما بمتطلبات القارئ، وكانت البرجوازية التي كانت في حاجة ماسة للمعلومات الموضوعية والمعارف لحل مسائلها الثورية المستهلك الأساسي للأنباء في تلك السنوات لأن التوجه إلى العرض الصادق للأحداث كان يستجيب لهذه الحاجة الموضوعية.

إن وجود مثل هذه العلاقة بين احتياجات المجتمع وبين التغيرات في طبيعة السلعة يتحدث عن أن الوعي المهني المتكون لدى جماعة العمل المتشكلة قد بدأت تقوم "بعمل انتقائي" من حيث انتقاء معايير النوعية للسلعة والأفعال المهنية الفاعلة معطية بذلك الأفضلية لما يساعد "العرض الصادق للاحداث".

إن الصحافة الناشئة كانت في البداية موجهة ليس فقط إلى إحداث نص محدد وإنما إلى إعداد لوحة ما للواقع.

إن كل نشرات الأخبار هذه "aviso" و"news letters" (مثلها مثل سابقاتها القديمة (في العصر القديم).).... يمكن النظر إليها كأول السيول الإعلامية البدائية يبدو

أن البانورامية الطبيعية الهجومية لانعكاس الواقع كانت في عداد أول الصفات التي أدركها المجتمع كميزة ضرورية للسلعة "المطلوبة" وبما أن الناشر لهذه "البانوراما" كان في نفسه الوقت مؤلفها ومحررها ومعدها وغالباً ما يكون موزعها فينظر إليها ليس فقط كتماسك واتحاد لظاهرة متكاملة بل ويتنبأ بمستقبل مهنة الصحافة المرتبطة بسلعتين وبمحيطين لأسلوب العمل. ويكتب سفيتيش ل.غ.الملاحظات التالية:

إضافة إلى هذه الفئة من المعلقين والمحققين الذين سبقوا ظهور الصحافة جرت سيول غزيرة فيها مصدرها مدونوا التاريخ – المؤرخون- العلماء والمروجون.

والداعون الدينيون والمبشرون الإنسانيون والأدباء الإجتماعيون. إن هذه الأنواع من النشاطات أثرت تأثيراً مباشراً على ولادة وتكوين مهنة الصحافة وعلى وظائفها ودورها مندمجة ببعضها كنهيرات أو سواقي لتشكل نهر الصحافة الكبير كظاهرة هائلة ونصف وظيفية من ظواهر الحياة الإجتماعية وكلها مجتمعة شكلت الصحافة المهنية.

وقد فتح القرن السابع عشر الصفحة التالية في تاريخ الصحافة إن سلعة "معدي الأنباء" كانت تخرج دائماً إلى جماهير أوسع وأوسع واكتسبت تلك الخصوصية مثل صفة الدورية. إن المؤسسات السياسية في المجتمع وفي مقدمتها السلطة أخذت تدرك أنه بمساعدة السلطة الإعلامية الجديدة تستطيع حل مسائلها أيضاً التي كانت تحل في السابق بشكل أساسي بمساعدة الكلمة الشفهية.

عندئذ بالذات تحددت نهائياً مكانة الصحافة في المجتمع لقد انضمت إلى مؤسستي تنظيم حياة ونشاط الجسم الاجتماعي.

إلا أنه سرعان ما أصبحت مطامع البنى الحكومية إلى إملاء مطالبها عليها وعلى سلعتها متشددة منمقة ومفرضة. وظهر خطر جدي من جراء عدم توجيه النشاط وفقدان ذلك النهج الذي كان من المفترض أن تمليه الأسباب الموضوعية التي حددت ولادة الصحافة.

وكان هذا التهديد واقعياً أكثر بسبب أن جوهر التغيرات الجارية لم تدرك بعد من قبل الرابطة المتكونة المهنية للصحفيين وعلى ضوء هذه الظروف كان لحقيقة نشر لومونوسوف في أواسط القرن 18 لعمله "تأملات حول واجبات الصحفيين عند كتابتهم لموادهم الموجهة للحفاظ على حرية الفلسفة" أهمية كبيرة ومبدئية.

غالباً ما يتحدثون في الأوساط الصحفية عن هذا العمل كبداية لدراسة علمية لقضايا الصحافة المهنية والأخلاقية في العالم. إنه بالفعل يتضمن موضوعات لاتزال حيوية بالنسبة لعلم الأخلاق المهني الصحفي حتى يومنا هذا، وهكذا، إن مثل هذا التفسير لا يحتاج للجدل لكن هناك ظروف مهمة ظهرت فيها "التأملات".

والسبب المباشر الذي دفع لومونوسوف للكتابة في هذا الموضوع كان نشر خبر كاذب في المجلة العلمية الليزيغية (لايزيغ)عن عمل لومونوسوف.

لقد كانت احتجاجات العالم على عمل المؤلف السيىء الحظ كبيرة جداً الأمر الذي أجبره على الجلوس لدراسة المسالة ونتيجة ذلك حصل المجتمع الدولي على نص على شكل أطروحة ورسائل وجهت إلى ل.ايلير طرح فيها ممثل العلماء المهنيين المثقف ثقافة عاليه لومونوسوف أراءه حول الإنتاج الذي ينتظره المجتمع من الصحفي وحول الصفات الشخصية التي يجب أن يتحلى بها التي بفضلها يمكن إنتاج مثل هذه المواد. إن هذه الآراء تشهد أن لومونوسوف لم يكن فقط باحثاً بعيد النظر ومتعمقاً وإنما أظهر نفسه كمواطن أي العضو في المجتمع المدني الذي يشعر ويحسن بدقة وشفافية بمتطلباته وقضاياه ومشاكله.

إن العالم الروسي الكبير في هذه الحالة قدم متطلبات مثبتة للصحفيين وموادهم ونشاطهم من موقع الممثل ذي الخلق الرفيع للمجتمع المدني.

وبهذا يكون قد كون ثقلاً موازياً للعلاقة المنتشرة بسرعة بالصحافة كذيل للسلطة. وقد أعد عملياً تلك العلاقة بها التي أدت فيما بعد إلى النضال في سبيل

استقلاليتها أستقلالية الآباء المؤسسين للصحافة الأمريكية الحرة" وكان من بينهم توماس جيفرسون الذي كتب بعد 33 عاماً مايلي:

لو كان علي أن أقرر ما هو الأفضل حكومة من دون صحف أو صحيفة من دون حكومة فكنت ما ترددت واخترت الخيار الثاني.

إضافة إلى ذلك إن حقيقة الصحافة بالذات أضحت تستخدم من قبل السلطة كوسيلة للإدارة قد وقعت تطور قاعدتها التكنولوجية وإلى توسيع حدود جماهيريتها لتصبح جماهيرية والوقت نفسه إن الصفة الجماهيرية تحلت بها مهنة الصحافة أيضاً وأصبحت" الصحافة الرخيصة" أي الإصدارات الرخيصة لشرائح واسعة من السكان التي ظهرت مرة واحدة في العديد من بلدان العالم في مطلع الثلث الأول من القرن التاسع الظاهرة السائدة التي عززت تحويل الصحافة إلى مؤسسة اجتماعية ثابتة.

ويمكن عد الصحافة حتى لحظة إثبات وجودها في الحياة الاجتماعية كنوع من النشاط وصلت مع تجربة معينة وبالتالي مع أسلوب العمل "الثنائي" الذي تشكل في الأساس على الرغم من أنه لم يدرك إلى درجة كافية. وإن دراسته سارت في الواقع (من شقة إلى شقة) عن طريق التقاليد المهنية المتشكلة مع العلم إنها ضمت ليس فقط التوجه التكنولوجي بل التوجه الأخلاقي – المهني وبالتناسب مع تصورات المجتمع عن الطبيعة الضرورية للسلعة الصحفية، قد تم الحفاظ على مظاهر الشخصية الشجاعة التي ساعدت على إنتاج تلك السلعة في الوسط الصحفي المهني وهذا يعني تعزيز سمعة وخير أعضاء المجتمع الصحفي، إن مظاهر الشخصية التي تكونت بحل هذه المسائل قد شجعت واستنكرت أيضاً إلا أن التوجهات المتنوعة والمختلفة للطلبات الاجتماعية على السلعة التي قويت كثيراً نتيجة لانضمام الصحافة إلى المؤسسة الإدارية لتنظيم الحياة العملية للمجتمع لم تستطع إلا أن تؤدي إلى طمس مقاييس نوعية السلعة. ولهذا السبب نشأت المعارك المتنوعة كذلك في تقديرات المظاهر الشخصية لمنتجيها. وبما أن المستوى المتنوع والمختلف للأخلاقية كان من حيث الجوهر من طبيعة

أفراد المجتمع الصحفي المهني، فإن مثل هذا الطمس للمقاييس والتقديرات للسلوك المهني تحول إلى عامل مخاطرة. والأهم أن هذا العامل للمخاطرة ليس مخاطرة بالنسبة الى المجتمع الصحفيين فحسب بل مخاطرة أيضاً بالنسبة الى المجتمع عموماً ويمكن أن يحصل في هذه الحالات من الصحافة على "سلعة بعيدة عن وظيفتها" تتمتع بقوة ضارة.

وأكبر الظن أن هذا الظرف بالذات استدعى العملية التي كان مفروضاً عليها أن تصبح خطاً دائماً لنضال "الورشة" الصحفية في سبيل وحدة الموقف الأخلاقي- المهني في صفوفها وفي سبيل ثبات الأهمية الإجتماعية للصحافة وفي سبيل السمعة الجيدة والشهرة لهذه المهنة عملية تشريع معايير السلوك والرقابة الداخلية على التزامها.

تبدو هذه اللحظة من النظرة الأولى شكلية (ناهيك عن أن بين القوانين المكتوبة والسلوك الفعلي للصحفيين يوجد تفاوت على الدوام) ولاسيما يظهر فيها جوهر الأخلاق المهنية كحلقة خاصة في نظام التنظيم الأخلاقي للمجتمع على خلاف العلاقات الأخلاقية بشكل عام إن العلاقات الأخلاقية – المهنية تفترض تدخلاً مؤسساتياً منظماً للجماعة المهنية في سلوك أفرادها.

إن كل هذا يتكلم عن أنه يمكن عد بداية تشريع المعايير شاهداً على نشوء عقائد أخلاقية – مهنية من جهة ومن جهة ثانية تاكيداً على أن تكوين الأخلاق المهنية الصحفية الذي استمر قروناً قد انتهى أخيراً وإنها بدأت تقوم بوظائفها إلى درجة كافية من الفاعلية في الحقيقة إن الأخيرة تعود إلى تلك البلدان التي جرى فيها تطور الحضارة بشكل طبيعي دون التغيير الشكلي لمؤسسات تنظيم المجتمع كنظام سيبرنتيكي.

إذا أخذنا في الحسبان أن قانون الصحافة لم يكن موجوداً في الأنظمة الشمولية حتى العام 1991 أيضاً فيمكننا أن نتصور كم كان صعباً على الصحافة الشمولية الحفاظ على ولائها إلى تخصصها وعلى ألا تفقد صفاتها المميزة للمهنة. وفي تلك الحالات عندما قرر الصحفيون العمل بالتناسب مع تصوراتهم المتكونة عفوياً حول

الواجب المهني كان يطلب منهم جهوداً بطولية حقاً وحذاقة فذة لتستطيع موادهم رؤية النور إلا أن هذه الأمثلة ليست كثيرة وإن ممثلي "الورشة" الصحفية في أكثريتهم تأقلموا مع الظروف مستهزئين وساخرين في المواد لغالبية التأملات في عملهم مع متطلبات الأخلاق العامة ودون أن يهتموا أبداً بتطابقها مع النماذج الرفيعة للواجب المهني والشرف المهني الذين كان الداعون لهما على الأغلب هم المعارضون. وقد عانت من ذلك أيضاً العلاقة بمهنة الصحفي وكأنها علاقة بالحالة نفسها.

وإن التوجه إلى العلانية والتوازي الذي أعلن عنها على المستوى العام بعد انهيار الاتحاد السوفيتي (سابقاً) كسياسة رائدة في الخط السياسي الجديد للبنى السياسية العالمية عنت بموضوعية بالنسبة للصحفيين والصحافة عودة الحق لها لأن تكون كما هي فعلاً وخرجت الصحافة من قبضة استبداد الأنظمة الشمولية وكانت حرية الكلمة وحرية التعبير عن الذات الابداعية ليست فقط شعاراً بل إنها عززت قانونياً لكنها أيضاً بدت أول اختبار جدي للنضوج الأخلاقي- المهني للسلوك الصحفي في البلدان الشمولية، وكشفت كم تخلفت هذه الأنظمة في هذا المجال عن الزملاء في كثيرمن البلدان، وبدأ الصحفيون في النشوة من الإمكانات الإبداعية التي سمحت لهم بالخروج خارج حدود النظام الأخلاقي الذي كان يحدد المجال الأخلاقي الحر.

وأخذت حرية الإبداع بالتحول أكثر فأكثر إلى تعسف صحفي أي إلى هذا الشكل من السلوك الصحفي في النص أو بالتواصل المباشر الذي فيه هذا السلوك لا يتوافق مع معايير الأخلاق ولا يتوافق مع مصالح المجتمع ولا مع أي شيء ما عدا مسألة "أريد" الشخصية وهنا حدثت معاناة أخرى جاء الإفلاس الاقتصادي لوسائل الإعلام الجماهيري الذي دفع إلى أشكال جديدة من التابعية بديلاً للتابعية الايديولوجية والإقتصادية في كثير من بلدان العالم وهذه المعاناة استطاع البعض تجاوزها ولكن ليس الجميع.

فيم هذا التخلف بالذات؟

إن عملية تشريع العمل الصحفي الذي بدأت في الدول الديمقراطية في القرن العشرين قد ترافقت بنشاط مكثف في مجال الرقابة على الإلتزام بالمعايير من قبل جماعات التحرير وحتى على البنى والتراكيب المهنية الداخلية التي أنشئت خصيصاً بما فيها الدولية وأدت هذه العملية في نهاية القرن بعض النتائج المرئية بوضوح.

أولاً: إن طبقة التصورات الأخلاقية المهنية التي تنعكس فيها واجبات الصحافة المتكونة موضوعياً في المجتمع والنوعيات الضرورية موضوعياً للسلعة الصحفية التي يتحدث عنها مضمون القوانين التي اتخذتها المؤسسات الصحفية الدولية وبعض هيآت التحرير قد استقرت وأصبحت من الرواسب.

ثانياً: لقد تحددت اللوغاريتمات أي القواعد التي تشكلت من خلال التجربة الخاصة بعمل الأخلاق المهنية وبشكل تأثير الجماعة المهنية على أفرادها الأمر الذي تشهد عليه العديد من المؤسسات الصحفية في مختلف بلدان العالم.

وثالثاً: لقد تحدد بصفاته العامة وجه الصحفي الأخلاقي – المهني الفريد. ومن صفاته المستوى العالي من الأخلاقية العامة الكافية والولاء العميق والكبير للواجب المهني والإحساس الدقيق بالمسؤولية المهنية.

وتستطيع الاقتناع بذلك مرات عديدة عند مراقبتنا لأحداث حرب الخليج الأولى والثانية والنزاع المسلح في العراق).

إن ما قيل لا يعني أن الوضع في صحافة المجتمع الدولي قد اكتسبت طبيعة خيرة وأن جماعات التحرير قد تخلصت من الموظفين غير الأكفاء أو ضعفاء الضمير وأن النزاعات ذات الطابع الأخلاقي قد استنفذت ذاتها نهائياً.

إن المسألة في أمر آخر لقد ساد في الأوساط الصحفية مناخ أخلاقي مهني يحفز على علاقات الاحترام لأعضاء جماعات التحرير بمقاييس السلوك المهنية وقد لاحظ الصحفيون فيها وسيلة لتعزيز هيبة المهنة وسمعتهم الخاصة وتقوية وتثبيت رفاهيتهم

المادية بالطرق الشرعية، وإن الاستخفاف بالمقاييس المهنية تصبح في مثل هذه الحالة بالنسبة لمن يخالفها أغلى عليه وتنقلب إلى فقدان جوهري وضياع من الناحية الأخلاقية والمادية.

وفي الحقيقة لا بد من القول إنه في بعض البلدان تلاحظ علاقة مبتكرة بالنسبة لمعايير الأخلاق تولد الصبر على المخالفات وخروقات بعض هذه المعايير، وأن المعطيات التي قدمتها الدراسات الروسية – الأمريكية لشخصية الصحفي تظهر أن الصحفيين الأمريكيين مثلاً ميالون إلى أن تكون مواقفهم أكثر جلداً من مواقف زملائهم الروس من الخروقات في المعايير الأخلاقية عند الحصول على المعلومات ويفسر العلماء هذا الأمر على الشكل التالي:

إن ظروف الصراع التنافسي التي تجعل مهمة تقديم المعلومات أولاً والحصول على المادة المثيرة مسألة حياة وبقاء لوسائل الإعلام الجماهيري عملياً، والتوجه إلى المتابعة الوظيفية قد شكلت في الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً أكثر حزماً بالمقارنة مع النموذج الصحفي. من المحتمل أن لدى هؤلاء المخالفين للمعايير الأخلاقية أسبابهم التي تكون كامنة في الأعماق.

وتوقع ذلك فرض علينا من قبل حقيقة أنه في مثل هذه المواقف من المعايير لنموذج محدد، ونرى الموقف العام لروابط الصحفيين العالمية وهذا هو سبب للتأمل. ومهما كان من أمر في الصحافة الأمريكية أيضاً يعطى تشكيل وتكوين المناخ الأخلاقي – المهني الثابت اهتماماً كبيراً وخاصاً، وقد جاء في تلك الدراسة بالذات أن عملية تكوين التصورات عن علم الأخلاق الصحفي في الولايات المتحدة الأمريكية "يتعرض إلى تأثير جملة من العوامل" وأنه مثمر بما فيه الكفاية.

إن رابطة الصحفيين الدولية تتميز بتوجه واضح تماماً آخر. فبالنسبة لأولئك الصحفيين الذين يصل مستوى النضوج الأخلاقي – المهني لديهم إلى نقطة رفيعة يصبح السير على المقاييس المهنية له قيمته الخاصة. إن الدوافع الأخلاقية المهنية لديهم تبدأ بالظهور والعرض في تركيبة المسوغات في العمل "موازنة" المصلحة المادية، وهكذا،

إنه حتى في حالات الخيار الأخلاقي تبدو أخلاقية السلوك لها الأفضلية حتى وإن كانت لا تؤدي إلى النجاح الاقتصادي.

للأسف لايوجد أي ظرف من الظروف المذكورة يميز الصحافة العربية، ولو بدرجة بسيطة جداً على الرغم من أن القوانين أخذت تظهر في العالم العربي أيضاً، ففي تاريخ وسائل الإعلام الجماهيري العربية تدخل أيضاً "قانون علم الأخلاق المهني للصحفي" وإعلان ميثاق الشرف الصحفي وقانون الأخلاق المهنية للصحفي، وميثاق الإذاعة والتلفزيون وغيرها من المواثيق المماثلة الأخرى. ولكن إذا قلنا إنها "تعمل" فإننا نخالف الحقيقة وتؤكد ذلك، لدرجة ما، نتائج مناقشة قانون الأخلاق المهنية للصحفي في الوطن العربي خمس مراكز كبيرة في البلدان العربية واللوحة التي رسموها تبدو في خطوطها العامة كالتالي:

إن "الإتوس" المهني أي جملة المعايير غير المشروعة "غير المقوننة" في الواقع عملياً موجود، لكن الإنعكاسية الأخلاقية في وعي الصحفيين ممثلة في حدها الأولي.

إن التصورات عن المعايير الأخلاقية والقانونية وفي الآليات المناسبة لتطبيقها في وعي الصحفيين مختلطة ومن الصعب فصل المسائل الأخلاقية في النشاط المهني.

هناك علامات "المماثلة السلبية" للصحفيين مع جملة المعايير غير المشروعة العاملة فعلياً والتي لها طبيعة متناقضة للغاية. وإن مقتطفات من الأخلاق والصحافة الحكومية والصحافة الحرة الناشئة معكوسة في وعي الصحفيين في ذات الوقت.

إن شكوك الصحفيين كبيرة جداً في فاعلية الوثائق الأخلاقية مهما كانت دون الضمان الفعلي للقاعدة القانونية بالنسبة لقبولها. وما يخص شرعية المعايير الأخلاقية المهنية على المستوى العالمي فإن هذه الفكرة تعتبر غير واقعية.

إن مؤلفي التقريرعن الدراسة يأخذون في الحسبان عند إعطائهم التنبؤات عن الوضع الحرج المتشكل في وسائل الإعلام الجماهيري العربية إلا أن الصحفيين على الأغلب تنقصهم الإستراتيجية في خيارهم المهني الشخصي ويفتقدون الخبرة في اتخاذ القرارات المستقلة في ما يخص الأوضاع المهنية غير السهلة عندما يكون من الضروري

الإعتماد على المسؤولية الشخصية أوعلى المغامرة الخاصة وجاءت الإستنتاجات بعد التواصل مع الصحفيين كما يلي:

إن التفكير التقليدي "لدى الشخص المسؤول" الذي على رأس خدمته الحكومية وإدراكه التدريجي لمهمته الإجتماعية كممثلي "السلطة الرابعة" المستقلة يولد وضعاً متأزماً متناقضاً داخلياً في وعي المشاركين، إذ إنها على الأخص تظهر في المتطلبات التي تستبعد بعضها بعضاً من القانون الأخلاقي المهني. فمن جهة الإصرار على الطلب في الحصول على تعليمات لها هيبتها "ما هوممكن وما هوممنوع" التي تنفيذها يضمن السلوك "الصحيح" في حالات الخيار الأخلاقي وبالتالي يخلص من الحاجة إلى اتخاذ على عاتقه المسؤولية الأخلاقية عن أفعاله الشخصية. ومن جهة ثانية يتكون بالتدريج فهم أن السلوك الأخلاقي المهني للصحفي مرتبط بقوة بالقدرة وبالمعرفة بوعي بالقيام بالخيار الشخصي في الحالات التي لا تخضع للتنظيم القانوني. إن حدة النزاع الداخلي الذي صورناه مشترطة بخاصة بمحو ومباشرية التوجه الأخلاقي المعياري.

إن كل هذا ينعكس بصورة مؤسفة جداً على تجربة وعمل وسائل الإعلام الجماهيري العربية ومن الملاحظ انخفاض نوعية السلعة الصحفية بمجملها وهبوط هيبة وسمعة الصحافة وفي الوقت نفسه ان الإتحاد الصحفي يعلن عدم التهاون في النضال في سبيل الحفاظ على الحق في القيام بواجبه المهني في كل حجمه وبالتناسب التام مع مهمة الصحافة وغايتها الحق الذي حصل عليه بصعوبة كبيرة إذ يشتد هذا النضال لأسباب اقتصادية ولأسباب سياسية أيضاً.

خلال سيرعملية توزيع وسائل الإعلام الجماهيري إلى أسهم بدا اقتصاد الإنتاج الإعلامي مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً باقتصاد الإنتاج المادي مما وضع الصحافة في تابعية إلى البنى الصناعية والمالية الكبرى الأمر الذي ترك على الأقل أثرين ثقيلين:

نشأ تضخم مفرط للعلاقات السلعية (التجارية) في مجال الصحافة الذي جر وراءه التوجه نحو الربح بأي شكل من الأشكال وبالتالي "الاصفرار" الحاد للإصدارات

والبرامج التي ظهرت أثناء السباق في سبيل "الوقائع الدسمة" وسيول أذواق ذلك الجزء من الجمهور الذي لا يتمتع بالثقافة العالية.

أضحت وسائل الإعلام الجماهيري تستخدم بكثافة في سبيل "فرز" الجماعات الاقتصادية المتنافسة القوى السياسية المرتبطة بها الأمر الذي وضع بداية "لحرب المتنافسين" في الصحافة ولنمو التمثيل والفساد بين الصحفيين وما شابه من الظواهر غير الصحية من وجهة نظر الأخلاق المهنية.

ولقد أبعدت سلطة الدولة عن محسوبية وحماية سوق الصحافة والدعم المادي لوسائل الإعلام الجماهيري وجواباً على محاولات الصحافة لتثبت نفسها كناقد مستقل للبنى الحكومية وضعت جملة من الأساليب السياسية والاقتصادية والإدارية التي تسمح بتحقيق ضغط ملموس عليها.



الفصل الثالث

أين يعيش وعي الجماعة



أين يعيش وعي الجماعة

أين يعيش وعي الجماعة؟

كما أصبحنا نعرف أن الأخلاق المهنية بخلاف أخلاق العمل تنشأ ليس على شكل عنصر من عناصر التركيبة الأخلاقية للفرد بل على شكل جانب من جوانب طريقة أو أسلوب العمل.

أسلوب العمل يتكون في التجربة العملية أي من خلال العمل في الجماعة المهنية وبالتدريج "يستوطن" في الوعي المهني الجماعي. ومن هنا ينهل الفرد التصورات الأخلاقية – المهنية "منضماً" في وقت تكونه المهني إلى مجموعة العمل هذه. لكن ما الوعي المهني؟ حتى الآن إننا نستخدم هذا المفهوم دون أن نفسر معناه معتقدين أن القارئ سيعرف معناه بحدسه، لقد حان الوقت لإظهار ما يقف وراءه بدقة وما مضامينه ووظائفه وكيف يرتبط بالأخلاق المهنية بالذات.

يقصد بمفهوم الوعي المهني ذاك الجزء من الوعي الإجتماعي الذي ينشأ في تركيبته كإسقاط لتخصيص التجربة العملية لمجموعات عمل محددة نتيجة لتوزيع العمل الإجتماعي. ومن الطبيعي أن يكون متخصصاً ويوجد كبعض طبقات كثيرة مختلفة جوهرياً من بعضها بعضاً إلا أنها متوحدة بفضل سببين:

لأن لديها وظيفة واحدة وهي التصوير والتخطيط (برمجة) نشاط أعمال معينة.

لديها طبيعة واحدة، ذلك لأنها تتكون نتيجة معالجة الأخبار عن مختلف جوانب نشاط مجموعة العمل وعن مختلف جوانب تفاعلها مع المجتمع.

وإن كل شريحة (طبقة) هي عبارة عن مجموعة متطورة باستمرار للمعارف والمعايير والقيم المخصصة لخدمة وتلبية متطلبات هذه الجماعة العمالية –الذات المجتمعة (المؤلفة من عدة أفراد) في هذا المجال أو النوع من العمل.

إن الوعي المهني لجماعة العمل الصحفي هو أحد هذه "الطبقات" وبالتالي إنه يتكون بهذا الشكل. إن تاريخ العمل الصحفي الذي يمتد إلى قرون هو في الوقت ذاته تاريخ تكوين الوعي المهني الصحفي وتطوره وبعبارات سفينيتش غ.ل:

لقد ارتقت مهنة الصحفي وأشكال تجمعات الصحفيين من مراسلين قلائل يقدمون الأنباء لمالكيهم عن طريق نقابة العاملين الذين يمارسون عمل بيع الأنباء للمشتركين إلى السلك الصحفي المعاصر وإلى العاملين في وسائل الإعلام الجماهيري.

إن الوعي الصحفي المهني قد ارتقى أيضاً من تصورات أحادية تستجيب للحاجة الاجتماعية لسلعة إعلامية مميزة إلى وضعه المعاصر عندما تحول هذا الوعي إلى مجمل معلومات ومعارف ومعايير وقيم متطورة ومنتظمة تعكس وتوجه النشاط المهني للسلوك الصحفي. إن هذا الارتقاء قدر من خلال الانتقاء والتواصل والإغناء للتصورات الأولية في التجربة العملية للإتحادات الناشئة للنوبيليين أي "كيدي" وغيرها (أطلق في فرنسا اسم النوبيليين على الذين كانوا يمارسون مهنة جمع وتوزيع الأنباء، أما في إنكلترا فأطلق عليهم اسم "كيدي").

إن "الخلايا" الأولى للوعي الصحفي المهني هي التصورات عن السلعة التي يحتاج إليها المجتمع وعن كيف هذه السلعة يمكن أن تكون مصنعة ويبدأ من تكوين هذه التصورات إدراك الواجبات أي وظائف جماعة العمل والمدهش أنه حتى في المراحل الأولى لتطور الصحافة المهنية (الحرفية) التي دخلت التاريخ تحت اسم "عصر الصحافة الخاصة" لم يكن تباعد هذه التصورات بالإعتماد على السلعة واسعاً جداً بغض النظر عن استقلالية نشوء الإصدارات في مختلف الدول كانت تتميز بصفات مفتاحية عامة.

وفي الحالات عندما كانت الفوارق تظهر كان التوجه واضحاً الى طمسها وإلى إثرائها المتبادل وجدير بالذكر مثال الواقعة التاريخية التالية:

إن بطرس الأول بعد تعرفه إلى الصحافة الأوروبية أعاد تشكيل كشوف دولة موسكو من مجلد يحتوي الأنباء الدبلوماسية إلى وسيلة دعائية – تحريضية.

وقام بطرس الأول بذلك بمحاولة "تسوية" الخصوصية الوطنية للصحافة في روسيا وفي أوروبا مبدأ القابلية للتجربة الإيجابية الغربية.

إن معطيات الدراسات الاجتماعية التي أجريت في بلدان عربية وفي الخارج وحتى الموضوعات النظرية التي تم الحصول عليها تسمح بالخروج باستنتاج أنه بالنسبة للوعي الصحفي المهني المتطور هناك ثلاث مجموعات للتصورات تعتبر محددة له:

المجموعة الأولى: تعكس مكانة المهنة في المجتمع ووظائف ومبادئ الصحافة ودورها وعلاقتها بالمؤسسات الاجتماعية الأخرى أي لها طبيعة منهجية وهي تحدد إحساس المحترفين بالذات وإدراكهم لأنفسهم وتملي عليهم الأدوار المناسبة والأساليب المتعلقة بنشاطهم والعنصر الغالب (وليس الوحيد) في هذه المجموعة من التصورات هو المعارف كثمرة العلم التي تم استيعابها من قبل أفراد جماعة العمل.

المجموعة الثانية: هي عبارة عن ما يشبه "حصالة" لتجربة حلول المسائل المهنية وتعكس خصائص سير العمل وأساليبه وأدواته على شكل اللوغاريتمات والسوابق التي يتوجب العمل بها. إن كان ذلك مجدياً أو لا وبالتالي فإن العنصر الغالب هنا (وليس الوحيد كذلك) هوقواعد ومعايير العمل.

المجموعة الثالثة: من التصورات تعكس الإحتمالات المرغوب بها أوغير المرغوب بها بالنسبة الى المجتمع الصحفيين للمظاهر الشخصية في الحالات النموذجية للعمل المهني بالاعتماد على هذه أو تلك منها التي حصلت على الموافقة، لأنها بدت مريحة بالنسبة للعمل وبالنسبة لقيام الصحافة بدورها الاجتماعي. إن مثل هذه المظاهر الشخصية كقاعدة هي عبارة عن نتيجة لاختيارها مثل هذا الشكل من السلوك الذي تستطيع أن تتحقق فيه دوافع التركيبة الأخلاقية وردود الفعل المتشابهة على ظروف العمل المعنية. وبالتالي إن المجموعة الثالثة من التصورات تنشأ في الوعي المهني من قبل أجيال الصحفيين التي يستبدل بعضها الآخر على أساس خيارها الأخلاقي – المهني لأشكال السلوك. لذلك إن هذه المجموعة تستحق كلياً النظرإليها كتعميم فطري – ساذج لتجربة العمل الصحفي الأخلاقية – المهنية الذي يشكل أيضاً القاعدة لأخلاق

الصحفي المهنية. وإن العنصر الغالب في هذه المجموعة هو القيم الأخلاقية – المهنية ونماذج السلوك التي تجسدت فيها. وهذه الحلقة بالذات من الوعي المهني تعتبر موضوع اهتمامنا المباشر، إلا أننا لن نركز الآن اهتمامنا عليه، فقبل كل شيء من المهم فهم ماهي الأشكال التي يتخذها الوعي المهني.

ويبدو من المشهد مع بطرس الأول أنه حتى في المرحلة كانت الصحافة كنوع من أنواع النشاط قد تكونت بشكل أساسي في صفاتها المميزة لها، لكنها لم تصبح بعد مهنة جماهيرية، والوعي المهني لمجتمع الصحفيين موجوداً كتفاعل لمظهرين له – شخصي وما فوق الشخصي.

والأمر هكذا في يومنا هذا. ومن غير الصعب ملاحظة أن نشوء تصورات الوعي المهني مرتبط بالتجربة العملية لبعض أفراد المجموعة وبالتالي بالوعي الفردي.

إن وظيفته الخاصة المتمثلة بالتكوين والحفاظ والنشر بما في ذلك البعث في الأجيال الجديدة القيم المهنية يكشف عنها بوضوح في أشكال ما فوق الشخصية والإجتماعية – الجماعية أي في تلك الأوساط الاجتماعية التي حياتها مفعلة في الواقع بهذا الشكل أو ذاك.

في البداية كان هناك شكلان لما فوق الشخصي.أحدهما هو موضوعية التصورات المفهومة للجميع في السلعة الصحفية عن صفاتها المميزة التي تقوم بعض الشيء بدور الشخصية.

(واستطاع بطرس الأول توسيع الصف الوظيفي "للكشوفات" بتوجيهه لها إلى تجربة الصحافة الأوروبية، الأمر الذي كان له الفرصة في حساب هذه الصفات المميزة على أساس منشورات الصحافة الغربية).

والشكل الثاني هوالموضوعية في التواصل المهني داخل المجموعة الذي من خلاله تحقق نفسها الروابط الأفقية والعمودية في الورشة الصحفية وتلك الأفضليات التي تتحدد من خلال تجربة العمل بمثل هذا التواصل شكل تداول الآراء القرارات الجماعية والأفعال المشتركة والتعبير الرمزي عن العلاقة بهذه أو تلك من الخطوات

المهنية ومن خلال هذا التواصل يتم انتقاء أساليب العمل الفاعلة الأكثر فاعلية والحفاظ عليها والتي فيها فائدة أكثر بالنسبة لأي نوع من عمل نماذج السلوك ومعايير التقديرات الأكثر دقة وبالنتيجة تنشأ العادات والتقاليد التي تتعزز فيها القيم التي تنتقل فيما بعد من بلد إلى بلد ومن جيل إلى جيل لتجربة إيجابية للعمل وكنماذج له.

وتبقى الأشكال الأولى للوجود ما فوق الشخصي للوعي المهني رائدة حتى عندما تصبح المهنة جماهيرية لكن جملة من التصورات المهنية تتوسع جوهرياً مفرزة نظرية تثبيتها وثائقياً على قاعدة وعي الصحافة الذاتي المتنامي. ويتأكد الشكل الثالث للتواجد ما فوق الشخصي للوعي المهني - التوثيقية. ومعها تتأكد بعض نماذج الوثائق المهنية التي تعكس منهجية العمل وقواعده ومبادئ العلاقات باختصار مختلف مستويات وحدود الوعي المهني المنشط والمفعل، والآن تجتمع خبرة جماعة العمل الصحفية ليس فقط في العادات والتقاليد، فتحملها الكتب التي يصدرها الصحفيون عن عملهم، والكتب العلمية الخاصة بالقضايا المهنية ومواثيق المؤسسات الصحفية الاجتماعية والتعليمات الخاصة بأجهزة التحرير والخطط والبرامج الخاصة بالعمل وتقارير مجالس التحرير ومختلف أشكال الإتفاقيات، بدءاً من الاتفاقات مع الناشرين، وانتهاء العقود التي تبرم بين أصحاب العمل والصحفيين. وأن الوعي المهني "للورشة" الصحفية يحصل على تجسيداً مادياً رمزياً وبذلك يعزز دوره كمركز للقيم المهنية ولمعايير المهنة القادرة على تنظيم حياة جماعة العمل وعلاقاتها المتبادلة مع المجتمع. إن تشريع المعاييرالأخلاقية التي تحدثنا عنه هو إحدى مراحل هذه العملية.

ومع ذلك إن الوعي المهني في أشكاله ما فوق الشخصية كأي وعي مهني آخر وكأي وعي اجتماعي بشكل عام لا يستطيع البقاء فإن توظيفه مبني على حامل الوعي المهني، هو ليس فقط الجماعة العمالية بشكل عام بل، وكل فرد من أفرادها وإن الأشكال الشخصية للوعي المهني تنشأ نتيجة انضمام التصورات المهنية العام إلى الوعي الفردي (وعي الفرد).

وكما هو معروف إن وعي الفرد لدى المهني (الخبير) لا يقتصر على الوعي المهني لأنه عموماً أغنى ومعقد أكثر بكثير لأنه يتضمن بهذه الدرجة أو تلك نتائج انعكاس كل جملة علاقات الإنسان بالواقع بما في ذلك علاقاته الشخصية والفردية.

إن التصورات المهنية تشكل في الوعي الفردي (وعي الفرد) مجمعاً واحداً فقط ذلك الذي يتكون في التجربة العملية وموجه إلى قيادة النشاط الشخصي الحياتي في عملية قيامه بالمهام المهنية وحله للمسائل المهنية.

إن هذا المجتمع في وعي الفرد له وزنه كذلك بالنسبة له شخصياً وبالنسبة للجماعة المهنية وبالنسبة للمجتمع بشكل عام. **فأولاً** إنه يحدد إمكانات التحقيق كامل القيمة للإنسان كوحدة اجتماعية كون الدور المهني هو أحد الأدوار الإجتماعية الأساسية للشخصية.

ثانياً: يعد حلقة مستقلة في آليات تحقيق الغاية الاجتماعية لهذه الجماعية العمالية ذلك لأنه ينظم العلاقات العملية المهنية.

ثالثا: إنه يشكل شرطاً للإنتاج المستمر ولموارد المجتمع ذات الضرورة الحياتية في المجال العملي – المهني. وإن المجتمع المهني لوعي الفرد هو تلك الوسيلة التي بفضلها تُدونْ الفردية الإنسانية غير المتكررة في نشاط الجماعة العمالية وفي العلاقات بين أعضائها وفي العلاقات مع المجتمع.

إن المجمع المهني يؤدي في وعي الصحفي المهني هذا الدور المهم. هذا المجمع بالطبع لا يشمل كل حجم وعيه الفردي لكنه يتفاعل مع أجزائه المتبقية مختبراً تأثيرها ويترك بعض الانطباعات عليها وبذلك يؤثر جوهرياً على تطور الإنسان في مجال مهني للوعي الصحفي الفردي يتميز بنفس المجموعات الثلاث من التصورات التي تظهر في وعي الجماعة الصحفية بشكل عام. للتذكير، هي التصورات عن مكانة ودور الصحافة في المجتمع ووظائفها وعن خصائص النشاط الأدواتية الإجرائية وعن مظاهر الشخصية المرغوب بها وغير المرغوب فيها خلال العمل.

بيد أنها في الوعي الفردي موجودة بالطبع بحجم أقل وبنسب مختلفة وتظهر في أشكال تتناسب مع البنية السيكولوجية للشخصية في غضون ذلك تلحظ ظاهرة جديرة بالإهتمام مثل كيف عندما تتوحد المادة الزلالية والدهون مع الكابيدرات في قصص مختلفة تشكل مواد متنوعة. وهكذا تتكون المعارف والمعايير والقيم في تركيبة شخصية الصحفي لتشكل تشكيلات نفسية تتم ملاحظتها بمختلف أنواع جمع العمليات العقلانية والعاطفية والإدارية.

يمكن عد الآراء الشكل الأكثر عقلانية وتأملية للتصورات المهنية في وعي الفرد.

إنها تلك النتائج المدركة والخاضعة للتعبيرعنها بالكلام لاستيعاب المعارف والمعايير والقيم التي خضعت لانتقاء فردي في سياق التجربة الحياتية والمهنية السابقة (بما فيها غير المباشرة) وإنها تتراكم بوعي من قبل الصحفي في أساس موقفه المهني، والشكل الثاني للمظهر الشخصي لوعي الصحفي المهني هوالقناعة (الإقتناع) أي العقائد العقلانية التي خضعت لاختبارها على الواقع وأصبحت نتيجة لانتقاء ثاني شخص، وعلى أساس التجربة الشخصية المباشرة، ونتيجة لذلك تحصل على ظلال عاطفية واضحة. إن القناعات تكسب القيمة والثبات للموقف المهني للصحفي محفزة بذلك درجة عالية من الجاهزية الإرادية للفعل ولتحقيقه.

الشكل الثالث هو الشعور الذي يتضمن علاقة عاطفية متينة بهذا الجانب أو ذاك من جوانب النشاط الصحفي. وبخلاف العاطفة إن الشعور يتناسب مع مرحلة ما قبل الوعي من استيعاب القيم المهنية وهذه المرحلة. إن الموقف المهني يصبح جزءاً عضوياً من الموقف الحياتي للصحفي. ولتنفيذه لا يطلب منه جهوداً إرادية واعية، ناهيك عن أنه الوسيط للمستوى العالي لمعارفه المهنية. إن الشعور في هذه الحالة يقوم بوظيفة الإشارة "للإنطلاقة" الآلية لجمع التراكيب النفسية الموجهة إلى حل المسائل المهنية الناشئة.

إن التصورات المهنية – الأخلاقية في وعي الفرد الصحفي تعيش في تلك الأشكال. بيد أنه من المفيد تقسيمها اصطلاحياً، ذلك لأنها تعكس مراحل خاصة من العلاقات المهنية. وبهذه المناسبة سوف نتحدث عن الآراء المهنية _ الأخلاقية.

كما هي الحال في وعي أي مهني آخر (خبير) إن التصورات المهنية ـ الأخلاقية في وعي الصحفي الفردي تتكون حسب ما يستمر في المهنة ويدرك علاقته بالجماعة العمالية وبجو العمل وحسبما يستوعب مكانته الجديدة في المجتمع عملياً لأن تطوره المهني ـ الأخلاقي هو جانب من جوانب تكونه المهني. وكقاعدة، إن هذا التكون يبدأ خلف عتبات سن الفتوة، عندما تظهر في الإنسان شخصيته بوضوح ويحدد مستوى أخلاقيته. من هنا عدم الالتحام الممكن بين التركيبة الأخلاقية للشخصية وبين مسلمات الأخلاق المهنية التي توصل إليها، وليس الأمر في أن الأخلاق المهنية يمكن أن تتناقض مع القانون الأخلاقي العام عند رفضها هذه أو تلك من المراح.

إن عيوب التركيبة الأخلاقية للشخصية وعدم تطابقها الكامل للقانون الأخلاقي أي المستوى غير الكافي لأخلاقية المرشح لاستيعاب المهنة الذي يقوم بدور العائق في طريق تحقيق وتنفيذ متطلبات الأخلاق المهنية تصبح أكثر من غيرها المصدر الرئيس لعدم التلاحم.

وينحصر الأمر في أن الأخلاقية العامة بالنسبة للصحفي هي ليست ببساطة صفة مرغوبة للشخصية. فبمستوى الأخلاقية ترتبط إمكانية التنفيذ الكمي للواجبات المهنية. وهي تفترض تقديرات لما يحدث بما في ذلك الأخلاقية، أما المعايير التي على أساسها تحسب هذه التقديرات تعود إلى التركيبة الأخلاقية وتنعكس في تصورات الوعي الأخلاقي المرسومة من قبل علم الأخلاق على شكل مقاييس للنعمة والخير والشر والسعادة ومعنى الحياة. وإن كانت مضامين هذه التصورات لدى المرشح إلى مهنة الصحفي لا تتطابق مع القانون الأخلاقي فإن العلاقات الأخلاقية – المهنية تتكون منذ البداية بالنسبة إليه بصورة تنازعية، وينشأ إما نزاع داخلي في الشخصية وإما نزاع إنتاجي الأمر الذي غالباً ما يؤدي إلى ضرورة تغيير المهنة.

بيد أنه في حال المستوى الأخلاقي العالي الكافي عند الشخصية، لا يكون استيعاب الأخلاق المهنية سهلاً في أغلب الأحيان، وأسباب ذلك معروفة، إذ يمكن لمقاييس السلوك التي تعتمد أو تسترشد بها الأخلاق المهنية أن تكون صعبة المنال. ولنقل بسبب حركة الإنسان غير الكافية أو بسبب الأجواء غير المريحة في الجماعة عندئذ تنشأ مسألة التأقلم والتوافق والإعتياد من قبل الخصائص الشخصية مع هذه أوتلك من الظروف الأخلاقية – المهنية.

باختصار، إن التشكل الأخلاقي- المهني عند الصحفي هوعملية ليست من مرحلة واحدة وليست بسيطة وتفترض تعاوناً وثيقاً مع الوسط المهني.

لكن ذلك الجزء الضروري من الطريق إلى المهنة الذي على الصحفي بعد قطعة أن يتمتع بإمكانية سماع الصوت الداخلي وبإدارة سلوكه المهني في حالات غاية في التعقيد. مع الحصول بثقة على نتائج نوعية للعمل. وإن أي "ادارة" لم تعد ضرورية له ومع ذلك لا يمكن تقديم الضمان للعاملين في مهنة الصحافة عند وقوعهم في ظروف معقدة من الصعب فيها اتخاذ القرار والقيام بالخيار الأخلاقي الصحيح.

إن المخاطرة وخطر الخطأ يرافق كل واحد وذلك لأن كل واحد منا معرض لأن يقع في صدام في حالة تشكل تصادم نظريات متباينة ونظامين مختلفين "للتقارير" ولنقل إن اصطدام حق الإنسان "في عدم المساس بحياته الشخصية وأسراره العائلية مع حق البحث والحصول ونشر أي نوع من المعلومات" يشكل صدمة بالنسبة للصحفي، في مثل هذه الحالات تقوم الأخلاق المهنية بدور تسليط الأضواء الذي يثير التناقضات، وبتوجيه الأنظار إليها تكون قادرة على تحفيز التطور اللاحق للعلاقات الأخلاقية – المهنية للرابطة الصحفية كيف يحصل ذلك؟

كيف تؤثر الأخلاق المهنية في الصحافة؟

نبدأ من القصة التي سردتها باربارا توماس من ألمانيا أثناء ندوة حول علم الأخلاق المهني التي نظمها المركز الأوروبي للصحافة.

إن الأحداث التي اطلع المجتمعون عليها قد جرت في هامبورغ، وأدى إليها البرنامج التلفزيوني الاحتجاج الذي نقل على شاشة قناة التلفاز الخاص الفضائية.

ولذلك يجب وضع حدود العلاقات الأخلاقية – المهنية تحت المراقبة في حركتها الطبيعية بسماحها إدراك اللحظات المفتاحية في هذا المعنى:

دافع اولريخ ماير لإنتاج برنامج مبني على تصوراته الشخصية عن الواجب المهني وبخاصة ذلك الوجه للواجب مثل لزوم تقديم المعلومات الكاملة عن السياسيين للجماهير.

انتقاء جماعة المؤلفين لتلك الوسائل التي تستطيع جعل البرنامج مقنعاً بالنسبة للجمهور.

الاستعداد للمسؤولية عن الاختيارات التي أظهرها اولريخ ماير والذي رفض الحل الوسط.

يمكننا متابعة التفاعل مع الأخلاق العامة عن طريق الأشكال الشخصية وغير الشخصية للوعي المهني. وتستعرض بدقة الرابطة بين التصورات الأخلاقية المهنية وبين العمل المهني وبين الرقابة المؤسساتية الداخلية التي تترافق بالمفآجات وبين انعكاسية بعض المشاركين فيما يجري، وهكذا نرى كيف هذه الإنعكاسية الشخصية تدفع الانعكاسية الجماعية والبحث الجماعي عن أساليب جديدة للتوصل إلى حل الصدمات الأخلاقية – المهنية.

إن توظيف الأخلاق المهنية في الوسط الصحفي ذي التقاليد الديموقراطية المتطورة هناك عملية متعددة الجوانب ومتعددة المراحل وإن تعددية جوانبها مشروطة بأنها:

تعتمد على التصورات الأخلاقية المهنية المسجلة التي وضعها الجماعة العمالية والخاضعة للاستيعاب من قبل أي عضو. تسترشد الاختيار المسؤول لحلول المسائل

المهنية بالتناسب مع هذه التصورات. تتضمن رقابة المؤسسات المهنية الاجتماعية كمرحلة شرطية الالتزام التصورات واستخدام العقوبات في حال مخالفتها.

تترافق بانعكاسات شخصية وجماعية تحفز التطور الأخلاقي – المهني اللاحق للمجتمع (يجد ذلك انعكاساً له في الوثائق الجديدة للمؤسسات الصحفية بما فيها حتى تلك مثل شروط العقود).

إن كل ذلك يحدث في الورشة الصحفية ذات المناخ الأخلاقي - المهني الثابت نسبياً الذي تحدثنا عنه سابقاً. والآن لنتعرف الى قصة نوقشت في تلك الندوة ومن تجربة الصحافة الروسية فإن جوهر ماحدث يتلخص بالآتي:

أثناء الحرب على الشيشان وعندما كانت الأحداث تضاء بشكل أساسي من مواقع السلطات الرسمية (1994-1996) كلفت الصحفية ايلينا ماسيوك إجراء لقاء مع شامل باسايف أعلنت الحكومة باسايف إرهابياً لأنه نظم اختطاف مستشفى في نمودينوفسك و جعل من المرضى رهائن.

استطاعت الصحفية ايلينا ماسيوك لقاء باسايف في منطقة سرية عدة أسابيع بعد الأحداث في بودينوفسك وبثت المقابلة على الهواء، وبعد ذلك اهتمت الأجهزة الأمنية بالصحفية ووجهت النيابة العامة الروسية اتهاماً ضدها في إخفاء مكان المجرم. وبغض النظر عن الضغط الذي مورس عليها وعلى من عمل معها من مصورين رفضت الكشف عن مكان وجود باسسايف بناء على متطلبات قانون الصحافة وتعليمات قانون الأخلاق المهنية (كما أن رئاسة القناة التلفزيونية رفضت هذا الأمر) إن تطبيق القانون الذي يتطلب من المواطنين مساعدة التحقيق في إلقاء القبض على الأشخاص المشتبه بهم في ارتكاب جرائم عدوه ضرورياً أكثر من تطبيق قانون الصحافة وإرشادات الأخلاق المهنية.

في هذه الحالة قد حل الصدام على مستوى الموقف الذي اتخذ في هيئة تحرير قناة n.t.v إلا أن هذا الصدام بالنسبة الى الأوساط المهنية الواسعة بقي غير ملحوظ عملياً ولم يجعل اتحاد الصحفيين ولا صندوق الدفاع عن العلانية ولا أي وسط

صحفي آخر ولا أي مؤسسة صحفية من هذا المشهد موضوعاً خاصاً ينظر فيه. وعلى الرغم من أن التذكير فيه حدث مراراً خلال اللقاءات الصحفية فكان هذا التذكير على الأرجح تعبيراً عن مواساة للصحفية ايلينا ماسيوك.

في هذه الغضون كان العديد من جوانب ماحدث يستلزم النقاش المهني، وللأسف الشديد، إن ردود الأفعال الجماعية كفعل البحث عن المخارج الأكثر دقة من مثل هذه الصدمات لم تحدث. وظهر تأثيرعيوب آلية توظيف الأخلاق - المهنية في الوسط الصحفي الروسي.

ما هي إذاً هذه العيوب؟

نبدأ من أنه حتى الآن في روسيا تسير ببطء شديد عملية تشريع موضوعات الأخلاق المهنية. أما في الدول ذات التقاليد الديمقراطية المتطورة فإن كل شركة تلفزيونية كبيرة وكل اتحاد صحفي تعاوني كبير تبني عملياً حياتها المهنية باعتمادها على تشريعات موضوعة خاصة، إضافة إلى ذلك، يتم تطوير هذه التشريعات دورياً. وإن المسلمات الأساسية لهذه التشريعات متشابهة لكن المستوى العالي للتعين والتقارب من ظروف بعض القنوات أوالإصدارات يعطيها معنى خاصاً.

إن مثل هذه التجربة أوهذا العمل قد بدأ للتو في هيئات التحرير في روسيا.

ويعود ذلك في كثير من جوانبه إلى وضع علم الأخلاق الصحفي المهني كعلم في بداية الأمر قد سار هذا العلم بوتائر لابأس بها خلال تطوره لكن فجأة يواجه أزمة تعاني منها حتى الآن وسائل الإعلام الجماهيري الروسية.

وللأسف لكنها لم تعد تساعد بشكل ملحوظ على وضع آراء أخلاقية - مهنية بتضييقه سبل التأثيرعلى العلاقات الأخلاقية المهنية وتوصيات المحاكم القضائية الخاصة بالخلافات الإعلامية. إن أهمية هذه المواد صعبة التقدير لكنها ماهي إلا قليل من ما يطلب اليوم في سبيل التعويض عما فات.

ولم يتكون أيضاً التقليد الثابت لاستيعاب التصورات الأخلاقية – المهنية من قبل أوساط واسعة من الصحفيين. وحتى عندما تظهر الوثائق التي تنعكس فيها، بهذا

الشكل أو ذاك، الأخلاقية المهنية الروسية فإن التعرف بها والاطلاع عليها يبدو شأناً خاصاً لكل فرد.

إن الأكثرية غير متطلعة على الوثائق الدولية من نوع "اعلان مبادئ سلوك الصحفيين" وفي الآونة الأخيرة فقط لوحظ توجه نحو إدخال هذه أو تلك من المسلمات الأخلاقية - مهنية إلى وثائق عمل بعض هيآت التحرير وإلى نصوص اتفاقات العمل حيث تكون في متناول الجميع للاطلاع عليها.

ولا تزال حتى الآن أشكال الرقابة الداخلية على التزام أعضاء الطاقم الصحفي متطلبات الأخلاق المهنية غير واضحة في روسيا ولا سيما الرقابة على استيعابها من قبل الصحفيين الجدد. إن هذا يعود إلى درجة معينة إلى ضمير علم الأخلاق الصحفي المهني كعلم. إن الأخلاق المهنية تعالج من قبله في أطر الأخلاق في العمل الأمر الذي بسببه تتطابق عملياً آليات عملها، ويقود هذا إلى عدم التقدير الكافي لأهمية التدخل المنظم مؤسساتياً من قبل اتحاد الصحفيين في سلوك أعضاءه. وبالرغم من أن اتحاد الصحفيين قد وضع "موضوعات مبادئ ونظام الرقابة الاجتماعية على الالتزام بقانون الأخلاق المهنية للصحفي الروسي" فإن هذا الالتزام لا يزال ضعيفاً.

في غضون ذلك كما أشرنا أعلاه فإن التدخل المنظم مؤسساتياً يشكل خصوصية جوهرية للعلاقات الأخلاقية – المهنية. ويفترض الاهتمام الدائم للمؤسسات الصحفية الاجتماعية بالأجواء الأخلاقية – المهنية في الرابطة الصحفية وبالتاثير الإداري غير المتماثل أبداً فلديه مظاهر أخرى ودور آخر. إن التدخل المنظم مؤسساتياً في كل حالة معينة يشكل عملياً فعل عرض الموقف الجماعي من سلوك الزميل (الزملاء) بالعلاقة بأن هذا السلوك لا يتناسب مع القيم الأخلاقية – المهنية.

إن هذا التدخل يؤثر في طبيعة الرأي العام في الوسط المهني بالوعي الأخلاقي – المهني عند الإنسان وبالتركيبة الأخلاقية دافعاً إلى التأملية. وتكون النتيجة كقاعدة إما القرار الذي يتخذه الإنسان إرادياً حول تلازم التصورات والمسلمات وإما عدم القبول المسوغ والمدرك لتقدير الأمر الذي يصبح حجة للمسلمة الجماعية وللبحث الجماعي

عن مواقف مهنية أكثر دقة. والأمر لا ينحصر في عملية "إطلاق العنان" للصحفي بعدم السماح له باتخاذ القرارات باستقلالية بل في مساعدة واحدة على الإحساس بأنه عضو في الرابطة المهنية وأنه مسؤول عن أي قرار يتخذه - أمام المجتمع وأمام الرابطة وأمام ذاته.

من حيث الجوهر، إن التخلص من العيوب المذكورة في آلية توظيف الأخلاق المهنية هو الطريق إلى النضوج الأخلاقي – المهني للفريق الصحفي.

وعلى الرغم من أن سلوكه في الظروف الراهنة أمر غير ميسر فالحياة اليوم تطرح هذه المسالة في عداد المسائل ذات الأولوية.

وبالتالي يصبح الحديث عن ماذا يستطيع علم الأخلاق المهني كعلم عمله بالنسبة للتجربة الصحفية اليوم. فإن الطلب على توصياته قد ازداد في الأوساط الصحفية الأمر الذي تشهد عليه على الأقل حقيقة الهدف الذي وضعته المحكمة الخاصة بالخلافات الإعلامية عندما وضعت قائمة قواعد عملية للصحفيين في بعض البلدان، حصلت هذه الفكرة على الدعم في أوساط العاملين في الإعلام الجماهيري وظهر من يرغب في المشاركة في تنفيذها.

ما هي على وجه الدقة مهمات علم الأخلاق المهني كعلم في الوقت الراهن؟

نذكر بين هذه المهام ثلاث مهمات أساسية:

تصنيف كل التصورات التي أقرتها رابطة الصحفيين الدولية التي تعكس فيها مراحل مختلفة للعلاقات الأخلاقية – المهنية في الوسط الصحفي، وجعل في مركز هذا التصنيف اهتمام الورشة الصحفية.

الإظهار والجمع في مجموعات بالتناسب مع الخطوط الأسياسية للعلاقات الأخلاقية المهنية للصحفي تلك المقاييس المتعلقة بالسلوك التي تعرف في الوسط الصحفي العالمي كمعايير للأخلاق المهنية.

إظهار الصدامات التي أضحت "مكاناً ضيقاً" للعلاقات الأخلاقية – المهنيةالأخلاقية – المهنية في الوسط الصحفي وتحديد مصادر هذه الصدامات وإيجاد الخروج منها.

بالطبع إن جملة مهمات الأخلاق المهنية وعملها أكبر كثيراً إلا أن المهام المذكورة أعلاه تنتظر الحل بالدرجة الأولى كي يتم تجهيزه بالوسائل القادرة على تحفيز مسؤولية الصحفيين. وكما أشار نيكيتينسكي في إحدى مقالاته "بدلاً من أن لا يتحمل الصحفي أي مسؤولية عن كلمته هي في أعين القراء وأجهزة السلطة لا قيمة حقيقية لها".

إن التأمل في جملة المهمات الأولية المذكورة يقترح على القارئ في الجزء التالي من هذا الكتاب. لكن أولاً إليكم الاستنتاج المختصر عما جرى الحديث عنه في الجزء الأول.

استنتاجات:

إن الأخلاق تنشأ مع المجتمع البشري كنظام سيبرنتي لدرجة جديدة للتعقيدات ويتكون من آلية جديدة مبدئياً لضمان تنسيق الأفعال في الوسط الاجتماعي، لأن الآلية مدعوة للحفاظ في الظروف الجديدة على التركيبة الوراثية لبقاء النوع البيولوجي "الإنسان". وبخلاف القانون الذي ولد كأداة لحل التناقضات بوساطة الإرغام. إن الأخلاق تتكون كأداة لمنع التناقضات وجوهرها يتألف من الإرادة الحرة كانت في البداية مشروطة بالعلاقة الوثيقة بين ظروف بقاء الفرد والطائفة وبين تقارب مصالحها، وإنها ترقى إلى "نقاط التقري" لهذه المصالح التي تتكون في الوعي الاجتماعي في هذه المرحلة أو تلك من مراحل تطور المجتمع على شكل قيم محددة وتعمل مع ثبات القانون الأخلاقي العام. ويظهر هذا القانون الأخلاقي العام نفسه عن طريق نظام الدوافع الداخلية للإنسان التي يستوعبها ويدركها كصوت الواجب والمسؤولية والضمير والكرامة والشرف. إن هذه الدوافع الداخلية تشكل مع التركيبة السيكولوجية (النفسية) لتنفيذ الأوامر الصادرة عن "أصوات" أداة متينة بما فيها الكفاية لتحقيق القانون الأخلاقي. وهكذا إن التركيبة الأخلاقية للفرد هي هذه الأداة.

إن التركيبة الأخلاقية تتكون في المراحل الأولى من اجتماعية الإنسان مع تأثيره المتبادل مع الوسط المحيط به مباشرة. وبالمثل إنها تتكون عند الناس الأوائل في لحظة تكوين العلاقات الأخلاقية في المجتمع. وإن الارتباط بالوسط المحيط يفترض مستوى مختلفاً لتناسب التركيبة الأخلاقية لبعض الناس مع القانون العام وكنتيجة لذلك المستوى المختلف لأخلاقياتهم، وبالنسبة الى المجتمع إن ذلك يتحول إلى تعقيدات معروفة ويستدعي السعي نحو "إعادة تربية" أعضائه هؤلاء الذين لديهم التركيبة الأخلاقية لا تتناسب مع هذا القانون، إلا أن رفع مستوى أخلاقية الفرد وتحسين تركيبته الأخلاقية عمل في غاية الصعوبة ومن دون رغبة وجهود "الشخصية السلبية" ذاتها هذا الأمر مستحيل التحقيق، وإن دور الوسط الاجتماعي في هذه الحالة يكمن في إحداث الظروف القادرة على إيقاظ الإنسان ودفعه نحو التربية الذاتية.

هناك أمر مهم آخر: إن العلاقات الأخلاقية في المجتمع المتطور تتركب بالتناسب مع المظاهرالأساسية لحياته العملية التي تشكل ثلاثة مجالات مستقلة نسبياً: مجال العمل ومجال المعيشة ومجال العلاقات المدنية. ولهذا السبب تحدد في التركيبة الأخلاقية للفرد ثلاثة مجمعات مستقلة نسبياً للدوافع: مجمع العمل ومجمع المعيشة ومجمع الأخلاق المدنية لكنها كلها موجهة إلى تطبيق القانون الأخلاقي العام في ظروف خاصة.

تنشأ الأخلاق المهنية في عملية توزيع العمل الاجتماعي كآلية تضمن تنسيق مصالح الجماعات المهنية والمجتمع وتختلف جوهرياً عن أخلاقية العمل.

إن أخلاقية العمل موجهة إلى الحفاظ على تنسيق مصالح الفرد والمجتمع. وتنظم علاقة الفرد بالعمل – بغض النظرعن نوع النشاط على أساس التركيبة الأخلاقية التي تحمل في ذاتها القانون الأخلاقي العام والتي تضمن تحقيقه. أما الأخلاق المهنية فتحدد العلاقات مع المجتمع في مجموعة مهنية محددة وتتكون على قاعدة الوعي المهني لهذه المجموعة، وإن الأخلاق المهنية تعتمد على الأخلاقية العامة للفرد عند توجيهها سلوك عمل الاقتصاديين نحو مقاييس ما للمظاهر الشخصية والجماعية التي تكون على شكل أحد جوانب طريقة النشاط والمسجلة في هذا الشكل أو ذاك للوعي المهني للجماعة.

إلا أن مهمة الأخلاق المهنية ليست ذات طبيعة إرشادية إنها تكون بالنسبة الى الفرد والتوجهات والتوصيات بالذات القادرة على تنظيم سلوكه عن طريق الخيار الأخلاقي المستقل، وتنظمه إلى الدرجة التي تسمح فيها أخلاقيته العامة والمستوى الذي توصلت إليه المهنية وظروف النشاط الواقعية.

إن الحالات التي فيها ينفذ الخبير خياره الأخلاقي خلال نشاطه على قاعدة المعايير المتعارف عليها أوتوماتيكيا تعني أن هذا العضو في جماعة العمل قد وصل في تطوره الأخلاقي – المهني إلى أعلى نقطة: لقد تشكلت لديه تركيبة أخلاقية موجهة مهنياً إضافية متطابقة مع التركيبة الأخلاقية الأساسية والأهم أن التوجهات المهنية الأخلاقية قد اكتسبت قوة الأمر.

إن علم الأخلاق يولد في المجتمع كنتيجة لإدراك دور العلاقات الأخلاقية وجوهرها وفي الوضع المتطور يشكل علماً عن الأخلاق يتضمن مكونين الدراسات النظرية (علم الأخلاق النظري) والمعالجات المعيارية (علم الأخلاق المعياري). إن علم الأخلاق النظري يدرس جوهر الأخلاق ودورها ومكانتها في المجتمع ووظائفها وآلية العمل وعناصرها الأساسية (وفي مقدمتها الوعي الأخلاقي والسلوك الأخلاقي) وطبيعة العلاقة بينها وتركيبة العلاقات الأخلاقية وأهميتها بالنسبة لنظام العلاقات الاجتماعية بشكل عام. عدا ذلك إن علم الأخلاق النظري يكشف عن مضمون الأسس القيمة للأخلاق (الخير والشر ومعنى الحياة والسعادة والمنفعة) ويضع سلم الأخلاق (المثل – الفضيلة – الرذيلة) ويحدد مقاييسها وبالتماس مع السيكولوجيا (علم النفس) وعلم الاجتماع يدرس المستوى الفعلي لأخلاقية المجتمع والعوامل المؤثرة فيه.

علم الأخلاق المعياري يركز اهتمامه على دراسة التصورات المتكونة تلقائياً عن الوعي الأخلاقي التي تعكس الدوافع الداخلة في التركيبة الأخلاقية للإنسان وبتدقيقه وتنظيمه ومراقبته لها وتحويلها إلى توصيات محددة يضع علم الأخلاق المعياري سبل تحسين العمل الأخلاقي في المجتمع.

ولد علم الأخلاق المهني في أطر أنواع محددة من النشاط ليكون بداية أخلاقية في سلوك الخبراء. وعلى أساس تلك الأشكال لمظاهر الشخصية التي اعترف بها الوعي المهني لجماعة العمل بأنها المفضلة أكثر بالنسبة الى هذا النشاط يحدث علم الأخلاق المهني مقاييس السلوك المهني المصاغة على شكل وثائق خاصة: قسم، ميثاق، قانون.

إن الحاجة لهذه المقاييس بالنسبة لأنواع مختلفة من النشاط تكون متنوعة لذلك إن تكوين علم الأخلاق المهني يسير بخط متعرج خلال مرحلة تاريخية طويلة باستقلالية عن علم الأخلاق العام. ففي القرن الأخيرعملياً فقط أدرك علم الأخلاق المهني علاقاته العميقة مع الأخلاق الأم، وبدأ يتطور كجزء منه بتوسيعه لموضوعه وجملة المسائل، بيد أن اهتمام الباحثين تركزعلى وضع الجوانب النظرية للأخلاق المهنية ومعالجتها.

إن الأخلاق المهنية في الصحافة بدأت تتكون مع النشاط الصحفي إلا أن عملية تكوينها امتدت على مدى قرون ووصلت نقطة البيان فقط مع تحول المهنة الصحفية إلى مهنة جماهيرية وانتهت هذه العملية في نهاية القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين فقط عندما صدرت أول قوانين واكتسبت الوعي الأخلاقي – المهني للمجتمع الصحفي شكله الوثائقي لوجوده.

ومنذ ذلك الحين فإن عملية تشريع معايير هذه العملية الخط الدائم لنضال الرابطة الصحفية في سبيل وحدة الموقف الأخلاقي – المهني في صفوفها. وبذلك أصبحت كذلك شكلاً للنضال في سبيل ثبات الأهمية الاجتماعية للصحافة وفي سبيل السمعة الطيبة وشهرة المهنة.

إن الصحفي عندما يستوعب مسلمات الأخلاق المهنية خلال تكوينه المهني يقيم مع زملائه العلاقات الأخلاقية – المهنية التي هي بخلاف العلاقات الأخلاقية تفترض إمكانية التدخل المباشر والمنظم مؤسساتياً للاتحاد في سلوكه. إلا أن هذا التدخل يتميز بشكل جوهري عن التأثير الإداري لأن هدفه ليس الإكراه وإنما الايقاظ. إن اهتمام الاتحاد بسلوك هذا أو ذاك من الاختصاصين يفترض مساعدته في إدراك الروابط بينه

بوصفه عضواً في الرابطة المهنية وبين المجتمع وبين نشاطه وبين حياة المجتمع بين القيم الأخلاقية في المجتمع وبين القيم الأخلاقية – المهنية.

توجد الأخلاق الصحفية المهنية في الدول ذات التقاليد الديمقراطية المتطورة على شكل تفاعل الأشكال ما فوق الشخصية والشخصية لوعي الجماعة العمالية الأخلاقي – المهني والسلوك المهني الفردي ورد فعل عليه من قبل بعض أعضاء الجماعة ونتيجة لذلك فإن الأخلاق المهنية تبدو كذلك وسيلة لتعزيز الروابط الداخلية ووسيلة لرفع مستوى علاقات الصحافة بالمجتمع وحافزاً للتطوير، اللاحق لأسلوب النشاط الصحفي.

وفي بعض الحالات، عندما تنشأ في آليات التنظيم الذاتي للمجتمع انقطاعات فإن الأخلاق المهنية كونها حلقة من حلقات هذه الآليات تنشأ فيها انقطاعات أيضاً وهذا يخلق أزمات في اتحاد الصحفيين وينعكس سلباً على وضع الصحافة العالمية في مثل هذه المرحلة.

إن الأخلاق المهنية للصحفي مثلها مثل الأنواع الأخرى للأخلاق المهنية بدأت تتكون مباشرة في النشاط العملي. وأظهرت ذاتها خلال شرعنة تلك التصورات الأخلاقية – المهنية التي تكونت تلقائياً في أطر أسلوب العمل الصحفي وكانت بهذا الشكل أو ذاك قد سجلت من قبل الوعي المهني للمجتمع الصحفي. إن ظهور أول القوانين كان يعني الانتهاء من العملية الطويلة لتكوين للأخلاق الصحفية المهنية وفي الوقت نفسه فتح مرحلة جديدة من مراحل تطورها لأن هذه المرحلة الجديدة التي بنيت على قاعدة الوعي الذاتي الهادف للعمل الصحفي وعلى الاستخدام العملي لنتائجه إلا أن الإمكانات الكبيرة التي توفرت في النتيجة بسبب الظروف الاجتماعية المعينة استطاع استغلالها ليس كل "الورشة" الصحفية في المجتمع الدولي.

وقد تم في بعض الدول خرق العملية الطبيعية لتوظيف الصحافة وتطور أخلاقها المهنية، وعلم الأخلاق المهني بقوة، أي عندما نشأت حالة اجتماعية – تاريخية جديدة سمحت لها ببعث طبيعتها بدأ الفريق الصحفي من وجهة النظر الأخلاقية – المهنية

غير مستعد لذلك وأن العيوب في آليات توظيف الأخلاقية الأخلاق المهنية قد أدت إلى أنه بعد النهوض القوي لوحظ في نشاط وسائل الإعلام الجماهيري في بعض البلدان الذي جاء نتيجة للدور الجديد وللامكانات الجديدة للصحافة علامات واضحة لعدم التوفيق: انخفاض نوعية السيول الإعلامية الجماهيرية تعقيدات في علاقات الصحفيين مع المجتمع ومخالفات الروابط الداخلية في الاتحاد.

ولانبعاث آليات توظيف الأخلاق المهنية كان من المهم جداً على الفريق الصحفي في أي بلد إدراك نفسها بأنها جزء من المجتمع الصحفي الدولي وتطبيق تجاربه الأخلاقية – المهنية على مشكلاتها الراهنة. وعلى علم الأخلاق المهني بوصفه علماً أن يساعدها في ذلك، ويجب أن يقوم بذلك لأنه قادرعلى تعميم وتنظيم تلك التجربة وعلى أساسها وضع التوصيات المناسبة.

الفصل الرابع

التصورات الأخلاقية المهنية المرشدة لسلوك الصحفي



التصورات الأخلاقية – المهنية المرشدة لسلوك الصحفي

‹الموقف المهني؟ غير ضروري ما دام للصحفي رب عمل

كما يقال، إن لم تمزح. إنها عبرت عن رأيها بحرارة وبحزم وأوردت البراهين وحتى غضبت قليلاً عندما لاحظت أنني لم أوافق على رأيها

إنني واثقة مئة بالمئة قالت هي. إن الصحفي مع مواقفه يستدعي في هيئة التحرير نزاعات دائمة لقد شاهدت مثل هذه النماذج... إن موقف الفريق الصحفي يحدده صاحب وسيلة الإعلام الجماهيري، لا ترغب في القبول به لا حاجة أبحث عن رب عمل جديد له موقف آخر وليس مهماً من هذا الرب الدولة أم رجل أعمال أنه يدفع يعني أنه هوالذي يطلب الأغنية وبسبب الأحاديث بصدد الموقف الشخصي يأتي الضرر بإشارة التناقضات والموجهات!

أي لم تهتم بجوهر الاعتراض فعلى أي حال إن الرد على أنه اتخذ هذا الموقف أو لم يتخذ يمكن أن يأتي فقط عندما يكون لديك موقف خاص بك تستطيع مقارنتهما لقد أهملت هذا الأمر كما يقال. ومع ذلك، فإن الموقف المهني ليس الموقف السياسي نفسه قلت أنا آمل إنها ستسمعني.

تأملت الفتاة لدقيقة وحتى أرادت أن تقول شيئاً ما لكنها فقط أومأت بيدها. وفيما بعد تذكرت فجأة أنه حان وقت الهرب، منذ زمن وذهبت تركتني أنا وأفكاري، إنها مع ذلك عبرت عن موقفها المهني، في هذا الجدل. لكنها عبرت دون أن تعي ذلك. ويبدو أنها لم تفكر بكلمات ‹الموقف المهني› لماذا؟ بدت الفكرة متفتتة. وفجأة أدركت أنني أنا أيضاً أميز بوضوح تام موقف الإنسان الحياتي وموقفه المهن. لم يتم الكشف في الأدبيات العلمية أيضاً عن المعنى الواضح لهذه المفاهيم هناك مفهوم الموقف الاجتماعي الذي وضعه علماء الاجتماع وباستقلالية عنه نصادف في أدبيات علم

الأخلاق توجهات إلى مفهوم "الموقف الحياتي" ويتحدث الخبراء في علم الأخلاق المهني عن موقف الصحفي المهني قاصدين بذلك تحديد موقفه بصفته الشخصية المستقلة في ظروف النشاط المهني إلا أنه في غضون ذلك لا يتوغلون في التفاصيل كقاعدة عامة.

وباختصار لا بد من النظر بالتتالي في هذه الظواهر وإثبات وتقرير ما الذي يميزها بعضها عن البعض الآخر.

كيف تتكون المواقف؟

اذكر: أننا بدأنا الحديث عن الموقف الحياتي في الفصل الأول، وخاصة أننا استوضحنا أن هذا الموقف يتكون عند الإنسان على قاعدة تركيبته الأخلاقية الغنية خلال تلك الاستقصاءات الأخلاقية، التي تترافق مع استيعابه للتجربة الأخلاقية المتكونة في المجتمع. هذه العملية تحدث في حياة الإنسان بشكل أساسي في زمن الانتقال من مرحلة إلى أخرى لا من تطور "التماثل" و "التشابه" و "التطابق".

ما المقصود بكلمة "التماثل"؟ تفسيرها بالمعجم يعني " المطابقة " و"المشابهة". عالم الاجتماع ايريكسون. أي. يفسره بـ " نموذج الذات في كل ثروته من العلاقات الشخصية بالوسط المحيط المستوعب بقوة والمقبول شخصياً ". إن هذا النموذج (هذه الشخصية) لا يتكون فوراً وليس عند الجميع بالنجاح نفسه لأن الوصول إلى المماثلة هو نتيجة حل مسائل العمر الماثلة أمام كل شخص في مختلف مراحل مسيرته الحياتية.

ما خصوصية تلك المرحلة من تطور المماثلة التي يجري الحديث عنها؟ المرحلة الخامسة: العمر من 11–20 سنة، عندما تمثل أمام الشاب أو الفتاة مهمة توحيد كل ما يعرف عن ذاته (ذاتها) في وحدة متكاملة وإن حلت هذه المسألة بنجاح فعند الإنسان يتكون شعور بالمماثلة وإلا فتنشأ مماثلة متدرجة تعاش كشكوك مؤلمة بصدد مكانته في المجتمع وبصدد مستقبله.

المرحلة السادسة: العمر من 21– 25 سنة الوقت عندما يقرر الإنسان على أساس المماثلة النفسية – الاجتماعية المتشكلة حل المسائل (مسائل الكبار) (الناضجة)

وخاصة يحدث علاقات تتناسب مع احتياجات التوجهات الأساسية لإثبات ذاته: العائلية، الصداقة، المهنية وما شابه. وفي حال حلها الناجح تظهر لديه حالة استقرار اجتماعي والقدرة على المشاركة في الإجراءات الثقافية – الاجتماعية مع الحفاظ على آفاق تطوره الذاتي وإن لم يستطع الإنسان حل هذه المسائل(غالباً، بسبب المماثلة المركبة التي نشأت من قبل) فتبدأ الانعزالية تتطور لديه التي تعمق عملية الإرباك والتي تدفع نحو تراجع الشخصية.

في سياق محاكمات ايركسون يبدو أن الموقف الحياتي يتمثل في إظهار المستوى التي توصل إليه لمماثلة في وعي الشخصية لذاتها.

في غضون ذلك يكشف فيها عن مقياس مطابقة الإنسان ليس فقط مع ذاته بل مع المجتمع (المماثلة الشخصية والمماثلة الجماعية). وبذلك تحدد درجة أخلاقية ودرجة ولوجه العمليات الاجتماعية – الثقافية.

إن الموقف الحياتي عند عكسه علاقات وأنواع نشاطات الإنسان التي يعدها حقلاً لتحقيق ذاته يكمل في ذاته المجموعة المناسبة من المقاصد المسجلة في جوانبها العقلانية والعاطفية والإرادية (السلوكية) وبعبارة أخرى، إنه يأخذ على عاتقه دور الآلية التي تكبح فاعلية الشخصية في هذا المجال أو ذاك من مجالات النشاط الحياتي.

ومهم جداً في هذه الأثناء أن تتكون الشخصية الذاتية عند الإنسان دون الابتعاد عن المبدأ الوراثي. ويفسر ايريكسون عند تأكيده على أهمية هذا المبدأ النابع من فهم التطور العضوي في باطن الأرض إن المبدأ الوراثي بالشكل المعمم ينحصر في الآتي:

إن كل ما يتطور له خطة أولية للتطور التي بناء عليها تظهر بعض الأجزاء وكل جزء له وقته في الريادة، ومادامت هذه الأجزاء تشكل كلاً متكاملاً قادراً على العمل... إن الطفل عند ظهوره إلى العالم يستبدل التبادل الكيميائي في باطن الأرض بنظام التبادل الاجتماعي في المجتمع حيث قدراته التي تتطور باستمرار تصطدم بالإمكانات الثقافية التي تلائم وتساعد هذا التطور أو تحد منه.

إن كانت الشخصية الذاتية تتكون عند الإنسان بالتوافق مع المبدأ الوراثي فإن موقفه الحياتي يكون متكاملاً وثابتاً وغير متناقض. ويصبح بالنسبة إليه وسيلة لتحقيق الذات وعند اشتراطه إمكانات تطور الشخصية اللاحق ومتعدد الجوانب يضمن في الوقت نفسه سلوكها وتصرفاتها مع القانون الأخلاقي العام.

وحقيقة أن الموقف الحياتي يتمم في ذاته المقاصد بتحقيق الذات للشخصية في الاتجاهات المتنوعة يعطينا السبب والبرهان للنظر في هذا المفهوم بوصفه مفهوماً عاماً وموروث بالنسبة لجملة المفاهيم التي تنعكس فيها عناصر إدراك الذات المرتبطة بالتوجهات المحددة لتحقيق الذات.

ومن وجهة النظر هذه فإن الموقفين المهني والسياسي كغيرهما على حد سواء والمشروطين بصفات الشخصية ودورها تبدوعلى شكل حدود معينة للموقف الحياتي أي إن صح التعبير كشكل مكوناته.

بيد أنه لا يجوز أبداً انطلاقاً من هذا جعل المواقف الأخرى هي ببساطة نتيجة لتعيين الموقف الحياتي تطبيقاً لشروط هذا أوذاك من الاتجاهات في تحقيق الشخصية لذاتها. إن تكوين المواقف المرتبطة بدور اجتماعي معين للإنسان هو عملية مستقلة بما فيها الكفاية. ومن دون شك إن الموقف الحياتي يؤثر فيها لأنه يتألف من مرحلة حل مسائل معينة لتطوير المماثلة ومن المعروف أن الموقف الحياتي المتكون يمكن أن يكون ثمرة تفاعل المواقف الثنائية مع التركيبة الأخلاقية للشخصية ومع بعضها بعضاً.

من حيث ما قيل من أن الموقف السياسي يشكل انعكاساً في إدراكه الذاتي لمستوى التماثلية (المماثلة) الذي توصل إليه مع إيديولوجية سياسية محددة ومع القوى السياسية المناسبة. وأنه باستدعائه التراكيب الضرورية والأهداف لإقامة علاقات مناسبة ونشاطات يصبح شرطاً هاماً لتحقيق النجاح في هذا المجال.

وهكذا الأمر مع الموقف المهني الذي يبدو مظهراً (ظاهرة) في إدراك الإنسان الذاتي لمستوى المماثلة الذي توصل إليه مع المجموعة المهنية. وإن التراكيب النفسية بالذات تصبح ضرورية له في نشاطه المهني وهي الناتجة من الموقف المهني. وضمن هذه

التراكيب مقاصد إقامة نظام علاقات أخلاقية – مهنية مشروطة بمعيار المماثلة وتوافق تصوراته الأخلاقية المهنية مع التصورات التي تكون مجموعة في وعي الجماعة الأخلاقي – المهني.

إن التصورات الأخلاقية – المهنية للمجتمع الصحفي التي تحدد أساس الموقف المهني للصحفي تبدو رائدة في وعيه الأخلاقي - المهني.

وحسب التقاليد اللغوية السائدة في العلم والتطبيق لا تنعكس هذه التصورات في أشكال "الواجب المهني" و "المسؤولية المهنية" و "الضمير المهني" و "الكرامة المهنية" و "الشرف المهني".

إن الشكل الأول من الأشكال هذه يلعب دوراً مفتاحياً خاصاً ليس فقط في المجال النظري وإنما في المجال العملي. أيضاً ما هو سبب هذه الأهمية لشكل "الواجب المهني"؟ وما جوهر الواجب المهني؟

ما هو مضمون الواجب المهني؟

إن كلمة واجب في استخدامها العادي تحمل في ذاتها إشارة واضحة إلى ارتباط معين: "يجب"، عادة يكون لزاماً على أحد ما لأحد ما، "الواجب" دائماً واجب أحد ما أمام أحد ما. وكأن هذا يزيده عبئاً ويستدعي الاقتران مع السلاسل واعتمادات وتعهدات يرغب التخلص منها بأسرع وقت. وبالكاد أن تجد لدى الناس وسيلة مضمونة أكثر لتوفيرالتفاعل الطبيعي في الحياة الاجتماعية من وعي الواجب والشعور بالواجب والقدرة على القيام بالواجب. وليس مصادفة أبداً أن يصبح مفهوم الواجب في علم الأخلاق يعالج كأول المفاهيم التي في حاجة لذلك. وإن كانط على ما نذكر جعل الواجب مرافقاً رئيساً لقانون الأخلاق.

وإن الإرادة الحرة للإنسان في تنسيق أعماله وأفعاله مع الناس الآخرين والمجتمع بشكل عام يتم توجيهها بواسطة صوت الواجب القادم من أعماق الروح. وإن هذا الصوت يحمل في ذاته أقوى دافع للعمل لفائدة الذات والجميع. وإن التوجه إلى هذه

الأفعال ينشأ في السنوات الأولى من حياة الإنسان إن حلت بنجاح لدى الطفل مسئله العمرية، أي يتشكل شعور الثقة القاعدية بالعالم والشعور بالاستقلالية وروح المبادرة.

وإن الواجب المهني يدخل في حياة الإنسان متأخراً بعض الشيء عندما يبدأ طريقه المهني. وإن مفهومه في الوعي الفردي (الذاتي) يتكون خلال عملية التفاعل مع الجماعة المهنية بفضل استيعاب التصورات المعكوسة في الأشكال الشخصية وما فوق الشخصية لوعيه الأخلاقي - المهني في غضون ذلك وبقدر ما يحدث تحقيق الذات واستيعاب في حجمه الكامل بقدر ما يصل الإنسان ليس مرة واحدة إدراك الواجب المهني - نظم التصورات التي لا بد من اتباعها.

إن كل مجموعة طلابية في قسم الإعلام في جامعة دمشق في السنة الأولى تعد بناء على الخطة الدراسية وباستقلالية في النصف الثاني من العام الدراسي صحيفة الإعلامي يجب أن تصدر بالتناسب الكامل مع الجدول الذي يعيد نظام عمل التحرير الفعلي على الإصدار الإخباري. يخطط الطلاب باستقلالية للعدد وبأنفسهم يضعون الموضوعات للنشر ويوزعون المهام ويجمعون المواد في الكومبيوتر ويعدونها للطباعة. وفي أكثر الحالات تستطيع المجموعة الشعور بأنها هيئة تحرير تقوم بعمل مهني جدي وبشكل مثمر (يحدث أن بعض الأخبار الطلابية تسبق ظهور الأخبارعن تلك الأحداث في إصدارات كبيرة وبرامج معروفة) ومع ذلك لا تمر الأمور من دون أن تجد طالباً في مجموعة ما لم يحضر في ساعة تقديم العدد وليس معه مادة صحفية مضبوطة وإنما معه نص تظهر سطوره فوراً، لم يكن الإنسان في المكان ولا يعرف كيف تجري الأحداث. ما بك لقد أعددت المادة حسب أخبار وكالة الأنباء؟

لكن هذه الأخبار - الأنباء تسبق الأحداث فهل تغير فجأة شيئاً ما في البرنامج المقترح؟ وماذا لو ألغي الحدث نهائياً؟

نعم، حاولت الاتصال بالهاتف لكن لم أستطع.....

إن السبب البعيد الذي يقف وراء مثل هذه التفسيرات يكون واحداً على الدوام: ليس لدى الإنسان حتى الآن تفهم للواجب المهني. جيد إن استطعنا جعل مثل

هذه المشاهد ليس سبباً لنزاع داخل المجموعة وإنما مفتاح للكشف عن طبيعة تلك العلاقات التي تربط أعضاء الوسط المهني بعضهم ببعض وتربطهم بالمجتمع التي من دونها حصول الفوضى لا محالة إلى جانب تشتت وانهيار المجموعة، المجتمع.

"ما هو إذا واجب الصحفي المهني؟"

في أي اقتراب منه يمكن تحديده هكذا: هوالتصورات عن الالتزامات أمام المجتمع التي يأخذها الصحفيون بإرادتهم على عاتقهم بعد إدراكهم مكان ودور مهنتهم في الحياة الاجتماعية التصورات التي وضعتها رابطة الصحفيين عن هذه الالتزامات. إن مضمون الواجب المهني هونتيجة لإدراك مجموعة العمل الصحيفة لهدف العمل الصحفي وخصائصه لذلك إن الواجب المهني يكون له حتماً جانبان: موضوعي وذاتي.

الجانب الموضوعي لواجب الصحفي المهني يحدد بتلك الالتزامات الموجودة حقاً التي تكون من نصيب ممثلي هذه المهنة في المجتمع ذلك لأن الصحافة هكذا فقط تستطيع تحقيق أهدافها والاستجابة للاحتياجات الاجتماعية التي تستدعيها الحياة أما الجانب الذاتي فيكون مرتبطاً بالبدايات الذاتية (الشخصية) للمهنة وبأن الاستعداد لتنفيذ هذه الالتزامات يتم التعبيرعنه من قبل أعضاء الجماعة المهنية بإرادتهم ويصبح بالنسبة لكل واحد منهم شرطاً داخلياً لوجوده في الصحافة.

بالإرادة الحرة أيضاً وفي نهاية المطاف يتم تحقيق الاختيار لجملة معينة من الالتزامات التي تشكل لهم الأرضية للاختصاص المهني. وأخيراً إن حجم المسائل التي حلها يأخذه الصحفي على عاتقه استجابة لمتطلبات الواجب المهني يكون عند كل واحد لأن رؤية الواجبات وإمكانية تنفيذها بدرجة كافية تكون شخصية.

وبناء على ذلك فإن تكوين الواجب المهني لدى كل صحفي على حده له أيضاً جانبان: تشكل دراسة التصورات المناسبة للوعي المهني الجانب الأول والجانب الثاني هو التحقيق الذاتي لأولئك الذين يعودون إلى جوهر العمل الصحفي ومباشرة

إلى مجال التخصص المختار. وجوهر القضية أن الجانب الثاني يمثل تحديد الذات الشخصي للواجب المهني.

الذي يولد القناعة في ضرورة المشاركة الشخصية في تنفيذ والقيام بالالتزامات والواجبات المقبولة في المجتمع (إن لم أكن أنا فمن إذاً) وبالنتيجة إلى نشوء نظام الدوافع الداخلية لتحقيق الأهداف المهنية الثابتة.

إن مضمون الواجب المهني للصحفي المعاصر مشروح خاصة في "المبادىء الدولية للأخلاق الصحفية" التي اتخذت خلال اللقاء الاستشاري الرابع للمؤسسات الصحفية الإقليمية والدولية والذي عقد عام **1984** في باريس وبراغ تتضمن هذه الوثيقة:

«أولى مهمات الصحفي في ضمان حصول الناس على الأنباء الصحيحة والموثوقة عن طريق التصوير الشريف للواقع الموضوعي».

وفي هذا الضمان بالذات يوجد لب الصيغة (المعادلة) العامة للواجب المهني.

إلا أنه وبناء على "المبادئ......" يجب إدخال إلى هذه المعادلة عدد آخر من الموضوعات الهامة جداً في الفترة الراهنة وهي:

الاهتمام كي يحصل الوسط الاجتماعي على مواد كافية تسمح له تكوين تصور دقيق ومترابط عن العالم. المساعدة على جعل الوصول ممكناً إلى عمل وسائل الإعلام الجماهيري وشاملاً. تأييد "القيم الإنسانية العامة وفي مقدمتها السلام والديموقراطية والتقدم الاجتماعي وحقوق الإنسان والتحرر الوطني".

المواجهة بكل الوسائل "للنظم الاستبدادية والاستعمار والاستعمار الحديث وكل المآسي والكوارث الأخرى التي تلحق الأذى بالإنسانية مثل الجوع والفقر والأمراض وسوء التغذية".

مساعدة عملية دمقرطة العلاقات الدولية في مجال الإعلام والاتصالات وبخاصة تعزيز السلام والحفاظ عليه وعلى علاقات الصداقة بين الشعوب والدول.

إن هذا التصور عن الواجب المهني للصحفي يعكس بالدرجة الأولى الطبيعة الوظيفية للصحافة المدعوة إلى تزويد المجتمع بالمعلومات الموثوقة والصحيحة عن العالم

وعن ما يحدث فيه من متغيرات والمساعدة على التعبير الحر عن آراء الناس والعمل على تثبيت القيم الإنسانية العامة في الوعي الاجتماعي وفي العمل الاجتماعي إلى جانب ذلك أن مثل هذا التصور عن الواجب المهني للصحفي يتضمن كذلك المهام التاريخية – الملموسة للبشرية التي عند القيام بها لا يجوز تجاهل الصحافة. وهذا أمر طبيعي لأن الواجب المهني مثله مثل الأخلاق المهنية بشكل عام ومثل كل العلاقات الأخلاقية هو وحدة دياليكتيكية للجوهر والديمومة من جهة والتاريخي – الملموس الذي يتبدل بالتناسب مع الظروف التاريخية – الملموسة من جهة ثانية.

يبدو أنه من الممكن تقديم حساب أوسع وأدق للواجبات التي يأخذها الصحفي على عاتقه بالتناسب مع الوظائف التي تستحضر الصحافة للحياة. إلا أنه بالكاد أن يكون ذلك ضرورياً: إن جوهر الواجب الصحفي المهني ينقل بوساطة صيغته العامة. أما فيما يتعلق بالتعيين فإن هذه الضرورة ستكون حتمية أثناء تحديد الواجب المهني لذاته وعلى المستوى الشخصي وعلى مستوى هيئات التحرير. إن كل وسيلة إعلامية مدركة أو غير مدركة تكون في أطر صيغة عامة تصورها الخاص عن الواجب المهني القريب من ظروف العمل الواقعية معتمدة على خصائص الواقع وعلى تشكيله وآمال الجمهور وعلى خلفيتها الإيديولوجية السياسية. وفي هذا بالذات تكمن البداية الذاتية للواجب. إنها تحدد التفاوت في طيف الموقف المهني وتظهر في طبيعة وسيلة الإعلام وفي الشخصية الإبداعية للصحفي. إن الواجب المهني بالنسبة الى العاملين في الصحيفة اليومية "تشرين" الموجهة بالدرجة الأولى إلى تلبية الطلبات المحددة للجمهور بصدد الأنباء التي لا يصل إليها هذا الأمر والأمر الآخر إن الواجب المهني بالنسبة لهيئة تحرير صحيفة "البلد" اللبنانية أن حكمنا عليها بناء على تلك المسائل التي يصيغها دورياً رئيس تحريرها: جعل عمل أجهزة الدولة شفافاً بالنسبة للقارئ بوضعه تحت رقابة الأوساط الاجتماعية.

مساعدة الإنسان في ظروف التوزع الطبقي الاجتماعي وعدم الاستقرار الاجتماعي وعدم الحماية والصمود دون فقدان الشعور بالكرامة الإنسانية والقدرة على التأثير المتبادل والتفاعل والإحساس بمباهج الحياة.

وخلافاً للتوجهات إلى توسيخ وافقار الكلام المرافق لزمن الفوضى الاجتماعية بعث في أوساط الجماهير اللغة العربية المعبرة والحية والناصعة.

وتؤثر في فهم الواجب المهني أيضاً مواقف السياسية مثلاً العاملون في جريدة 'اليوم' بفضل فهمهم للواجب المهني يميلون إلى الإضاءة متعددة الجوانب للأوضاع الاقتصادية والسياسية المعقدة التي تقدم للقارئ بعض الإمكانية لتكوين آرائهم حيال ما يحدث لكن الرؤية للواجب المهني مغايرة تماماً لدى العاملين في صحيفة ' النهار' اللبنانية التي يسيطرعلى صفحاتها الرفض للنظام السياسي القائم وللإصلاحات الاقتصادية الجارية في البلاد والهادفة إلى تنظيم حركة استنكار وشجب.

وغير مستبعدة الحالات عندما المعيار الذاتي في تأويل مضمون الواجب المهني على مستوى عال إلى درجة يكون الحديث فيها عن إمكانية المماثلة لهذه التصورات وللصيغ العامة للواجب بلا معنى. في هذه الحالات تكون التأثيرات الوظيفية المخالفة ضمنية في عمل الصحفيين (وأحياناً في الاصدارات والبرامج). والأمثلة على ذلك تملأ عمل الصحف الرخيصة 'لنأخذ مثلاً صحيفة الأخبار المصرية' إن العديد من العاملين في مثل هذه الصحف يرون معنى مهنتهم في إنتاج ونشر الأقاويل والنمائم وتأليف الخزعبلات التي تحمل شعار الأنباء الموضوعية وتضع القراء في متاهات جدية.

في غضون ذلك فإن وجود وظيفة التسلية في صفوف وظائف الصحافة المعاصرة لا يفترض أبداً القيام بهذه الوظيفة يجب أن يكون بمساعدة وسائل لا تتطابق أبداً مع المعادلة العامة للواجب الصحفي.

إن وظيفة التسلية المترابطة في حاجة الإنسان للاسترخاء ولدعم النشاط الطبيعي يمكن أن تنفذ بنجاح في أطر إرشادات الواجب.

لكن مثل هذا التوجه يتطلب من هيئات التحرير فهما أعمق لجوهر الواجب الصحفي ودرجة أعلى من المهنية وإن ما عبر عنه أحد العاملين في الصحف الإيطالية أثناء محاضرته في قسم الإعلام في جامعة دمشق مشجع في هذا المعنى:

نعم إننا نعمل ونتعامل مع المادة التي تهم جمهورنا مع النمائم والأقاويل لكننا نرى مهمتنا في أن نتفحص هذه الأقاويل والنمائم ونساعد الناس على إدراك أين الحقيقة وأين الكذب.

لا بد هنا من لفت الانتباه إلى أن عبارات "الواجب المهني" و "مهام" غالباً ما نجدها إلى جانب بعضها بعضاً وهي كلمات مترادفة تقريباً. إلا أنها ليست مترادفة. إن المهام التي يضعها أمامه الفريق أو الإنسان مشتقة من الواجب المهني، وثمرة تفاعل التصورات عن الواجب المهني مع الظروف الواقعية الملموسة وثمرة "الإدخال الاتوماتيكي" لإرشادات الواجب المهني في الحالات التي تشكل اهتماماً مهنياً وهذا الأمر تسميه "تلقائية القيام بالواجب" وله طبيعة موظفة (مقررة) إن ظهر في سلوك الصحفي يعني أمامنا شخص ناضج تماماً من الناحية الأخلاقية - المهنية. وكلما كان مستوى النضوج أعلى كلما كانت المهام أعمق وأعقد وأكبر التي يستعهد هذا المهني بالقيام بها انصياعاً لصوت الواجب.

والمميز جداً في هذا المعنى تعليل سلوك الصحفي الكسندر خوخلوف أثناء إعداده التحقيق الصحفي في خناق غروزني "إبان العمليات العسكرية في الشيشان عندما كانت إمكانات الدراسة الجدية لهذا الوضع أوذاك محدودة للغاية." والحكم كيف وفي أي ظروف تكون في هذه الحالة التعليل يمكن أن يكون بناء على نص المادة لنتعرف على مقتطفات منه:

الصحفي في المقدمة وجه مختلف مكانه في الأركان حيث الأخبار وحيث ترى اللوحة العامة للعمليات الحربية وحيث يتحدثون إليكم فقط عن ما يرونه الحديث عنه ضرورياً وخاصة قادة هيئة الأركان. فإن كنت في الخنادق حيث تكون مواقع الخصم مرئية وعلى بعد 30 متراً وراء النهر فإنهم لن يحدثوك أبداً ولن يجلسوك وراء الطاولة

ويقدمون لك مئة غرام من المشروب المخصصة لرجال الجبهة طالما لم يقتنعوا بأنك رجلهم. وبأنك تسير كالجميع وسط الحرب وتؤمن بإله واحد.

إننا نرى بوضوح تام هنا الخيارات التي نشأت أمام الصحفي: إما أن يبقى في الأركان وعندئذ عليه الاكتفاء بالمعلومات وحيدة الجانب المتجزئة وإما الخروج إلى الخنادق والاكتفاء بتلك المعلومات التي تعطيها الملاحظة المباشرة لأرض المعارك وإما قضاء ساعات المهمة في الحرب حقاً مخاطراً بحياته إلى جانب الجنود لكي يحصل على حق الحصول على المعلومات الكسندر اختار السبيل الثالث.

الرتل الواحد تلو الآخر المسافة بينهم من 4-5 أمتار كي لا يقتلهم لغم واحد أو طلقات رشاش سارت قوات الإنزال.

ألقصف لايتوقف ولو لدقيقة واحدة بالقرب تقرع بانتظام مدافع 120 ملم وتدوي "اقاصيا 152 ملم المدفعية ذاتية الحركة.........."

يستطيع أحدهم القول لماذا كل هذه المجازفة؟ وما المعلومات التي حصل عليها في هذه المحادثات فهل من دون حديثه كنا استطعنا سماع هذه الأنباء؟

حقاً، كنا قد عشنا من دون معلومات عن هولاكو في ذلك الزمن لكن لذلك عاش غولاغ وهو يحطم ويدمر المصائر وكانت بداية نهايته احتقار الناس له وبداية هذا الاحتقار كانت صراحة أولئك الذين استطاعوا التخلص من هولاكو فلقد وجد الصحفي الكسندر واجبه المهني في قول الحقيقة عن الحرب الشيشانية، وكان ذلك بالنسبة إليه يجب أن أرى كل شيء بأم عيني وسماعه بأذني وإدراكه بعقلي، هذه هي مهمته وقد نفذها لذلك ولدت الكلمات التي قلما من القراء من لم يرتجف قلبه لها.

يخدم في جيشنا ليس القتلة والمغتصبون والمتعسفون الأكثرية في الجيش الشيشاني ليست من قطاع الطرق بل من الأشخاص الذين لاذنب لهم بأنهم الآن لا يعيشون في منازلهم ومع زوجاتهم وأطفالهم ويقتلون ويموتون في ركام غروزني.

هكذا وبهذا الشكل تحدث "تلقائية القيام بالواجب" وهكذا يقام بالواجب في الظروف التي فيها تكون الصحافة مرتبطة بالرأس المال الصناعي المالي بفعل

الأسباب الاقتصادية. إن عملية تحديد الذات وتلقائية القيام بالواجب المهني تنعقد بشكل جدي بالنسبة لهيئة التحرير أيضاً وبالنسبة الى الصحفيين.

وسبب ذلك إن مثل هذا الارتباط كقاعدة يحول الصحافة إلى أداة وسلاح بيد المجموعات الاقتصادية المتناحرة والقوى السياسية المرتبطة معها.

وتمثل أمام فريق التحرير (المحررين) أهداف ليست مشروطة بجوهر الخصوصية الوظيفية للصحافة بالقدرالذي فيه تكون مشروطة بمصالح البنى التي تنجر إلى نشاطاتها وسائل الإعلام من دون ارادتها. وبالنتيجة إن سير عملية التحديد الذاتي للواجب في عمل الصحفيين يتم تشويهه بوضوح.

إن هذا الواقع غالباً ما يؤدي إلى أن تنشأ نزاعات بين الواجب المهني والواجب الوظيفي للصحفي إن الواجب الوظيفي الذي يقوم بدور منظم تعاون أفراد فريق العمل المتبادل (بما في ذلك الفرق الإبداعية) وبمساعدة التعليمات الإدارية – المناصبية يمكن أن يتطلب في هذه الظروف من الصحفي، إهمال الواجب المهني. وإن الصدامات الناشئة تحل بطرق مختلفة لكن على الأغلب بشكل دراماتيكي فيكون على أحد أطراف الصدام ترك هيئة التحرير بحريته أو رغماً عنه والآخرون يتحولون إلى مستهترين يكون الواجب المهني بالنسبة لهم ليس إلا كلاماً فارغاً.

وطرف ثالث يكتسب تلك الدرجة من "الانسجام" عندما تصبح طبيعة القناعة بأن "الصحفي ليس في حاجة إلى موقف".

إن الحالات من هذا النوع ما هي إلا علامة على عدم التوفيق في علاقات وسائل الإعلام الجماهيري والمجتمع. إنها تتحدث عن فقدان الصحافة لدورها المستقل ولقد عانى الصحفييون في الأنظمة الشمولية ما يشبه ذلك في الوقت الراهن في بلدان كثيرة. لكن عندما يكون ارتباط الصحافة بالسلطة قد خطفت بشكل رئيس التفويض الاجتماعي لوسائل الإعلام الجماهيري معيقة تنفيذ الواجب المهني الصحفي بكل حجمه. أما الارتباط بالبنى الاقتصادية المالية غالباً ما يبدل هذا التفويض مشجعاً الصحفيين على إهمال وتجاهل الواجب المهني. وليس مستغرباً أن أولئك بالذات

الذين بالنسبة إليهم يصبح الواجب المهني واحداً من الإرشادات الأخلاقية غالباً ما يفضلون وضع "الصحفي المستقل" والمتحرر من حتمية الرضوخ لأوامر الواجب الوظيفي إلا أن هذا في غالبية الأحيان يؤدي إلى تدهور الوضع المادي.

ولا يجوز الاعتقاد، مع ذلك إن الواجب المهني من حيث المبدأ لا يتناسب مع الواجب الوظيفي. ففي العمل المشترك الجماعي في ظروف طبيعية وكأن الواجب الوظيفي يساعد في تنفيذ الواجب المهني بتنظيمه العمل المشترك الجماعي هذا ومن الطبيعي هنا عدم استثناء التناقضات لكنها قلما تتخذ صفة الصدامات بخضوعها للحل بصورة عملية وحسب نظام العمل.

والمثال النموذجي على ذلك الوضع الذي يمكن أن يجد نفسه فيه كل فرد. لنفترض أنك تعمل على مادة للنشر في العدد وعليك تقديمها قبل الساعة 12. الواجب الوظيفي يتطلب منك الدقة لأن سير العملية الإنتاجية الطبيعي يرتبط بذلك ولسبب ما لم تستطع فعل شيء لا تستطيع الكتابة إنك تقرأ الأسطر على شاشة الكومبيوتر وتعيد قراءتها مرة أخرى وفجأة تتذكر أنه بالنسبة للاستنتاجات التي تتوخاها المعلومات غير كافية، ولكي تتحاشى الأخطاء من الضروري القيام بالدراسة الكاملة وبسرعة لأحد الأحداث، هذا ما يمليه عليك الواجب المهني لكن هذا يعني أنك لن تستطيع تقديم المادة قبل الساعة 12... وهكذا من الممكن عدم الاكتراث بنوعية النص والكتابة حسب ما توفر لكن نصك عن الناس عن أناس أحياء. الأفضل ألا تستطرد في مواد وأنت الذي يختار الخيار الذي يمليه عليك واجبك المهني.

في حال التنظيم الجيد لعمل فريق التحرير يجب أن تكون مثل هذه الحالات متوقعة وتوضع الحلول لها دون أذى. إلا أن ذلك يحدث إن كانت الأمور مثالية. ففي الواقع غالباً ما يحدث خطر توجيه عقوبات مالية لهيئة التحرير وكل ذلك سيكون بسببك وهكذا عليك أن تكون مستعداً لقبول عقوبات إدارية لقاء مخالفتك قواعد العمل وأن تكون أكثر ذكاء أي التوفيق بين متطلبات الواجب المهني والواجب

الوظيفي وعليك تقع المسؤولية من هذا التوفيق فهل صادف أن فكرت بجدية بما تعنيه كلمة "مسؤولية".

ماذا يعني مفهوم "المسؤولية المهنية" والضمير المهني؟

إن مقولة "الواجب المهني" كما أصبحنا نعرف، تعكس ذلك الجانب من العلاقات الأخلاقية – المهنية التي تعود إلى جوهر العمل الصحفي وتظهر ذاتها على شكل دافع للفعل الضروري لتنفيذ الواجبات (الالتزامات) المهنية وترتبط فيه ارتباطاً وثيقاً جوانب العلاقات الأخلاقية – المهنية التي تحددها مقولات "المسؤولية المهنية" و "الضمير المهني".

تتشكل القاعدة الموضوعية لمقولة "المسؤولية المهنية" من الارتباط القائم فعلياً بين نتيجة النشاط المهني وبين تلك الآثار التي يمكن أن تمتلكها بالنسبة الى المجتمع وبالنسبة الى ناس محددين، وإن كل نشاط مهني أولي موجه إلى تلبية هذه أوتلك من الاحتياجات الاجتماعية وبالتالي يسعى إلى أن تكون نتيجتها تناسب المجتمع إلا أن هناك ظروفاً قادرة إلى درجة معينة على إلغاء هذا المسعى وتتحدث الدراسات عنها هكذا:

إن الطبيعة الحسابية للظواهر الاجتماعية واحتمالية معارفنا عن المستقبل تشترط عدم إمكانية التوقع الموحد لتطور الأحداث في العديد من مجالات الواقع المحيط بالإنسان ورؤية أو التنبؤ بالوضع المستقبلي في كل تفاصيله ودقته.

هذا يعني أن أي نشاط مهني إن كان يمتلك الصفة الإبداعية من مصيره إلى هذه الدرجة أوتلك إلى عدم التنبؤ بالآثار الناجمة عن نتيجته والهدف النهائي والمهام المرحلية في سير هذا النشاط يتكون في مضمونه في ظروف انعدام الوضوح (الضبابية). لذلك فإن الفرد يتخذ القرارات حول أفعاله مع حسبان احتمالية نهايتها البديلة: نجاح- فشل آثار، إيجابية – آثار سلبية مع كل اهتمامه بعمله لتحقيق النجاح ونتائج إيجابية للجهود المبذولة وإن هذا النموذج لاتخاذ القرارات والنشاط ذاته مع احتمالية البدائل يمكن وصفها بالمجازفة.

إن مفهوم "مجازفة" بالنسبة الى علمنا هو مفهوماً جديداً نسبياً إلا أن الأدبيات المتراكمة تسمح بالخروج ببعض الاستنتاجات التي لها بالنسبة لنا عند النظر بمقولة المسؤولية المهنية أهمية كبيرة للغاية.

الاستنتاج الأول : هوأن المجازفة بوصفها نموذجاً خاصاً لاتخاذ القرارات أثناء القيام بالنشاط هي الحتمية في جميع الحالات عندما نتعامل مع الإبداع القضية محصورة في أن الإبداع يكون موجهاً دائماً إلى أحداث وقائع ليس لها ما يماثلها إطلاقاً في الواقع وبالتالي إنها من حيث جوهرها مرتبطة بالضبابية وبما أن المجازفة حتمية يعني أنها مبررة ومباحة من حيث المبدأ.

الاستنتاج الثاني: يمكن لدرجة إباحية المجازفة أن تتبدل بالعلاقة بالضرورة الموضوعية للنشاط في اللحظة الراهنة المحددة وبأهمية بواعثه.

وكلما كانت الحاجة أكبر لنتائج النشاط وبواعثه كانت مبررة أكثر كلما كان اتخاذ القرارات مثبتاً أكثر حول التعامل مع النتائج البديلة.

الاستنتاج الثالث: يكمن في أن درجة احتمالية النتائج البديلة للعمل تعود إلى أي مدى عند اتخاذ القرارات يمكن اعتبار المصادر المعينة للضبابية ولنطلق عليها عوامل المجازفة ويبرز العلماء القضايا التالية القادرة على أداء دور هذه العوامل:

تناقضية الظواهر الاجتماعية وكثرة أنواعها واحتمالات طبيعتها المشروطة بعناصر العفوية والمصادفة.

نسبية عملية معرفة الإنسان للواقع المحيط التي تظهر على شكل عدم اكتمال المعلومات عن الموضوع في هذه أوتلك اللحظة.

استحالة التقديرات الموحدة لما يجري بسبب الاختلافات في نظم القيم والتراكيب النفسية – الاجتماعية للناس في اهتماماتهم ونواياهم وسلوكياتهم المعتادة.

محدودية موارد القائم بالنشاط أثناء اتخاذ وتنفيذ القرارات وهي الموارد الزمنية والمادية والعضلية والنفسية.

من المفهوم أن كل القضايا المذكورة أعلاه تظهر في حالات معينة من النشاط بمعايير مختلفة من الموضوع وفي أشكال متنوعة ولا تخضع دائماً للحساب ومن هنا خطر المجازفة غير المشروعة المسموح به بسبب عدم التقدير الصحيح لدرجة المخرج البديل للعمل الذي يقدر حقاً التوصل إليه وإن كان هذه الدرجة عالية للغاية فيمكن لها أن تتحول إلى ازعاجات جدية وخسارات كبيرة بالنسبة للقائم بالنشاط وبالنسبة للمجتمع على كل مستوياته (مجموعة من الناس، منطقة، بلد ...الخ).

إن المجازفة غير المشروعة – مجازفة غير مسموح بها لكن أين الموازين التي يمكن بواسطتها تحديد الخطر إن كان مشروعاً أوغير مشروع في كل حالة من الحالات المحددة؟

ومهما كانت الطرق المعاصرة لإثبات مقاييس الخطر (الكمي، النوعي، المعياري...) غنية في مضمونها. إن نتائج مثل هذه الدراسات على الأرجح لا تزال نظرية بحتة.

لكن في الواقع العملي إن الظاهرة الأخلاقية التي يشار إليها بمقولة المسؤولية المهنية بدور منظم السلوك.

وإن الشرعية التي سماها الباحثون تحرك المجازفة التي اكتشفت في أوائل الستينيات من القرن العشرين يمكن أن تكون تأكيداً غير مباشرعلى هذه القضية وبخلاف التصور الشائع عن ما يسمى بالنزعة المحافظة الواسعة والحفز على اتخاذ القرارات الجماعية كان بالإمكان عن طريق التجربة إثبات أن الإنسان العامل ضمن الجماعة يكون مستعداً كقاعدة لاتخاذ القرارات بمستوى عال من المجازفة أعلى منه لدى الفرد الذي يعمل وحده.

وخلال مناقشة هذا الاكتشاف المفاجئ وخلال معالجتهم لأسباب هذه الظاهرة عبر العلماء عن فرضية تشرح أوتفسر حركة المجازفة على الشكل التالي:

إن النقاش الجماعي يولد تواصلاً انفعالياً بين أفراد الجماعة ويؤدي إلى أن الفرد سوف يتحمل مسؤولية أقل عن القرارات الخطرة (المغامرة) لأن هذه القرارات توضع

من قبل الجماعة وإن النقاش الجماعي يضعف قلق أفراد المجموعة في حالات المجازفة وبالتالي إن أدت القرارات المغامرة المفترضة إلى الفشل، فإن الفرد سوف يتحمل المسؤولية ليس وحده، إذ تتوزع على كل أفراد الجماعة.

إن التفسير المقترح لحركة المجازفة من وجهة النظر النفسية مقنع بما فيه الكفاية كي يصبح أساساً للاختبارات المناسبة والذي يهمنا في هذه الحالة دخول المشاركين في النقاش إلى التأمل بالمسؤولية ولاسيما أنه شرعي تماماً.

القضية محصورة في أن قضية المسؤولية المهنية بشكل خاص تعكس كما هي الحال مع الواجب الجانب الذاتي والموضوعي للظاهرة التي ينظر فيها. إن كان الجانب الموضوعي يعود إلى العلاقة القائمة فعلاً بين نتيجة النشاط وآثاره (يمكن أن تكون بين هذه الآثار أيضاً مقاطعة القائم بالفعل) فإن الجانب الذاتي يتكون خلال سير عملية إدراك أفراد المجتمع المهني لمشاركتهم بآثار نتائج النشاط على مستوى الشخصية يظهر النشاط بأسلوبين:

أولاً: على شكل استعداد "للدفع مقابل المجازفة" إن بدت درجة المجازفة عالية وهكذا فإن الشخصية التي ستصبح حاملاً خاصاً للمسؤولية المهنية تقوم بدور ضمانة التنفيذ الشريف للواجب المهني والتقليل من الآثار السلبية لنشاطها، في حين أنه كلما كانت المجازفة أكبر كلما كانت مسؤولية القائم بها المهنية أعلى.

إن كل ما قيل ينسحب إلى درجة ما كذلك على المسؤولية المهنية للصحفي ففي "المبادئ الدولية للأخلاق الصحفية" التي تحدثنا عنها سابقاً هناك فصل بعنوان: "مسؤولية الصحفي الاجتماعية" يركز الانتباه على الجوهر الاجتماعي لمهنة الصحفي والمسؤولية الصحفية وجاء فيه:

إن الخبر يفهم في الصحافة كخبر اجتماعي وليس كمادة للاستهلاك هذا يعني أن الصحفي يتقاسم المسؤولية عن الخبر المنقول فهو مسؤول أمام أولئك الذي يراقبون وسائل الإعلام الجماهيري بل وقبل كل شيء مسؤول أمام الأوساط الاجتماعية

الواسعة عندما يأخذ في الحسبان المصالح الاجتماعية، وتتطلب مسؤولية الصحفي الاجتماعية أن يعمل في كل الظروف بما يتوافق مع وعيه الأخلاقي.

ومن الهام مبدئياً أنه في هذه الكلمات يعلن عن فهم العلاقات بين الخير الاجتماعي وبين الخبر الصحفي الذي ينشأ عند استعداد الصحفي، أن يكون مسؤولاً عن نوعية هذا الخبر وعن ضمانه.

لكن لا يقل أهمية فهم أن هناك عوامل موضوعية يمكن أن تنشأ بفعلها علاقة بين الخبر الصحفي والشر الاجتماعي. إن القرن العشرين قد شهد أكثر من مرة ماذا يحدث عندما تفقد الصحافة دورها المستقل وتتحول إلى أداة للأنظمة التوتاليتارية تصبح الصحافة وسيلة تحكم بالوعي الاجتماعي – التاريخي الضروري لتحديد طريق التطور.

في هذه الظروف تظهر في وسط أعضاء المجتمعات الصحفية حتماً اختلافات في فهم الواجب المهني والمسؤولية المهنية عملياً من وعي الشخصية بواسطة الواجب الوظيفي والمسؤولية الوظيفية وتظهر نزاعات جدية تصل إلى قطع علاقات العمل بين هذا الموظف وهيئة التحرير وهو الأمر الذي جرى الحديث عنه سابقاً.

لكن خلال سير العمل الطبيعي لوسائل الإعلام الجماهيري هناك إمكانية لظهور حالات عندما يؤدي نشاط الموظف في الصحافة إلى آثار يمكن اعتبارها بدقة أكثر ظواهر الشر الاجتماعي (إلى هذه الدرجة أو تلك) هكذا يحدث كل مرة عندما لا تأخذ المسؤولية المهنية دورها لدى الصحفي. فبفعل الظروف التي يحدث فيها الإبداع الصحفي تدخل الصحافة في عداد أنواع النشاط الأكثر مجازفة إن هذه الظروف تكون ملحوظة بوجود كل عوامل المجازفة المشار إليها مع العلم أنها تكون واضحة بدرجة ضعيفة للغاية:

إن الصحفي يتعامل مع الظواهر الاجتماعية وهذه الظواهر متناقضة من حيث صفاتها واحتماليتها وغناها بعناصر المصادقة والعفوية.

إن الإبداع الصحفي مبني على إدراك مختلف أنواع الأحداث الفعلية وأن الوعي مرتبط حتماً بالغموض الأمر الذي يهدد الصحفي بعدم دقة النبأ ونقصانه.

إن المتابعة الصحفية للأحداث تفترض دراسة التقديرات التي يقدمها المشاركون والشهود على ما يحدث، أما هذه التقديرات لا يمكن لها أن تكون واحدة لأنها ترتكز على نظم قيم مختلفة وعلى تراكيب اجتماعية - نفسية متنوعة وعلى مختلف الاهتمامات.

إن الكثافة العالية للعمليات الانفعالية والذهنية تميز النشاط الصحفي لأن الصحفي غالباً ما يعمل لوحده وهذا ما يجعله يقع في مجال مصالح وانفعالات المشاركين متنوعة الاتجاهات في الأحداث التي يقوم على دراستها إضافة إلى النقص في المعلومات الأساسية والزمن وبالتالي أنه يعاني دائماً من حالات التوتر أوما يشبه التوتر التي تفقر موارده الجسدية والنفسية وليس مدهشاً أن تكون احتمالية نتيجة النشاط البديل للنوايا الصحفية كبيرة للغاية ولاسيما في حال درجة الحرية المتنامية في الإبداع.

وإن المقابل الطبيعي لهذه الاحتمالية هو المسؤولية المهنية.

ومن الخطأ التفكير وكان ظاهرة المسؤولية المهنية لدى الصحفي مرتبطة فقط بموافقته الأخلاقية أن يكون مسؤولاً لأن القضية أكثر تعقيداً يتطلب الأمر مستوىً عالياً للنضوج الوطني وحتى المهنية كي يحدد مسبقاً بماذا ستجيب الحياة على كلمتنا.

من الضروري ليس فقط تربية المسؤولية المهنية في الذات بل لا بد من تعلمها أن تكون مسؤولاً مهنياً يعني أن توفر للمجتمع تنفيذاً نوعياً لواجبك المهني وأن تعرف كيف تجد الإمكانات والغرض لذلك في كل الظروف.

هناك ضمانة أخرى للتنفيذ النوعي للواجب المهني هي الضمير المهني هذه المقولة تعني تصورات الوعي المهني التي فيها تحفظ الذاكرة الجماعية للوسط الاجتماعي المهني عن الأوضاع الانفعالية التي عاشها الإنسان أثناء سيرعمله والتي تشكل الوسط الداخلي لعملية النشاط لأن هذه التصورات بصفتها موزعة على الشخصية تصبح

عاملاً قادراً على لعب دور تحريضي وهذا الدور له شكلان: تحفيز السلوك المهني والإنذار بعدم المسؤولية.

إن البداية الموضوعية للضمير المهني هي العلاقة القائمة فعلاً بين الحالة الداخلية للإنسان وبين تقدير سلوكه المهني الذي يتمثل معياره بالنسبة للوسط المحيط في العلاقة بالواجب المهني.

إن مقياس هذا الترابط مختلف عند مختلف الناس الأمر الذي في كثير من جوانبه يحدد كذلك قدرة الإنسان على تثبيت "الحقائق الأخلاقية" للجماعة كلها وطبيعة التصور الذاتي المتكون على أساسها حول ذلك الراحة الداخلية أوعدم الراحة التي تنشأ نتيجة للقرارات والأفعال المهنية المناسبة.

اعتقد مع هذا كله أن الضميرية كصفة من صفات الشخصية من وجهة نظر الأخلاق العامة لا يمكنها بالتمام والكمال تفسير خصائص السلوك تلك التي تنشأ عند الإنسان بسبب القيام بالواجب المهني وبسبب التصور الشخصي عن مضمونه وتظهر هنا تركيبة خاصة بالشخصية ودافع خاص للعمل المهني القادر على استحضار حالة السكينة الروحية والراحة النفسية أن تكوين هذه التركيبة يبدأ من عملية التكون المهني للإنسان ومما لاشك فيه أن درجة الضميرية التي تظهر فيها ذاتها الشخصية الأخلاقية تؤثرهنا تأثيراً جوهرياً إلا أنها تؤدي دوراً مميزاً تماماً تعد مقدمة وشرطاً لنجاح هذه العملية. إن الضمير الصحفي المهني عندما يتكون بهذه الطريقة وعلى هذا الأساس بالذات يظهر نفسه كما هو.

أولاً: إنه دليل دقيق وواضح لتناسب السلوك الشخصي للصحفي مع المقاييس الأخلاقية للمجتمع المهني وما يشبه الترمومتر الذي يسجل "حرارة" التصرفات المهنية إن "الحرارة" العادية تدل على أن الإنسان بصحة جيدة وأن قلبه مرتاح لكن عندما تبدأ التبدلات الحرارية يكون الضمير في عناد يعذب النفس ويسحب النوم والهدوء من الإنسان.

ثانياً: إن الضمير الصحفي المهني هو "محرض" للحل الأقصى للحالات المستعصية التي تحدث الكثير منها أثناء القيام بالواجب المهني الصحفي وإنه يدفع إلى خطوات مهنية ويعيق خطوات أخرى.

لكن كل هذا بالطبع بشرط حتمي إن كان لدى الصحفي ضمير مهني "لقد تراكم بدون قصد لدى عدد كبير من المواد المهمة جداً عن الشخص عنه" قالت لي عن ذلك زميلتي القديمة (عملنا في إحدى الصحف العربية) لماذا قلت مندهشة فأجابت أنه الآن في السلطة والوصول إليه في غاية الصعوبة ولا أستطيع بأي شكل من الأشكال مقابلته عندي الآن وضع "الصحفي المستقل" ولا تقف أي شركة ورائي وعن طريق الوقاحة لا أحب ولا أستطيع – من دون اللقاء معه إلا تستطيعين الكتابة؟ كنت أسألها كل مرة على الرغم من أنني كنت أعرف الإجابة مسبقاً لقد درسنا أنا وهي في مدرسة تحرير واحدة هزت كتفيها " أحد ما كان بإمكانه ذلك، الحقائق كثيرة وكلها مثبتة ولدي عائق نفسي ضميري لا يسمح لي من السهل علي الكتابة بحرية عن الإنسان إن أحسست به ونظرت في عيونه".

في الآونة الأخيرة تذكرت باستمرار هذا الحديث عندما كنت أقرأ نصوصاً فاضحة في هذه أو تلك من الصحف. وحسب أسطرها يمكن التأكيد بثقة. لقد رأى المؤلف بطله إما على شاشة التلفاز وإما في قاعة المحكمة، لذلك من الصعب عليه الهروب من المحاكمة. ويبدو لي أن نيكيتينسكي أحد الصحفيين الجادين القلائل الذين لا توجه إليهم أي ملاحظة عندما يكتب:

إن المسؤولية القضائية تعد دائماً ظاهرية ولاحقة في معناها الداخلي والسابق: إنها مشابهة للرقابة الذاتية لكنها تنفذ بحرية مع النظر إلى ضميرها الخاص وسمعتها في كل مرة بعد أن تزن ماذا ستقول وعن ماذا ستسكت (الامتناع عن المغريات) تنطلق بالدرجة الأولى ليس من المخاوف على جيوبها بل من ألا تفعل شيئاً معيباً وهذا يتطلب ليس فقط البحث الأشكال الأكثر أمناً للتعبير بل والمسؤولية

عن الكلمة من حيث جوهرها. يجب أن ندرك معنى قتل كلمتنا عدم قتلها لكن الجرح يمكن أن يكون مؤلماً.

من يتنازل عن الكرامة والشرف؟

إن مقولتي 'الكرامة المهنية' و'الشرف المهني' تعكسان أيضاً المجموعة الأساسية لتصورات الوعي الأخلاقي - المهني التي تحدد أساس الموقف المهني المتخصص. إن خصوصية هاتين المقولتين تكمن في أنهما تشيران إلى التصورات التي لها صفة القيم وتربطهما مع المسؤولية المهنية والضمير المهني إلا أنه في الحالة الراهنة هذه العلاقات مليئة بتقدير الذات لذاتها. وكي يصبح واضحاً عن ماذا يجري الحديث من الضروري التصور بوضوح ما الذي تتضمنه في ذاتها مجموعة التصورات التي يجري النظر فيها وما قاعدتها الموضوعية وفيم تنحصر جوانبها الذاتية والموضوعية.

تعود مقولة 'الكرامة المهنية' بالدرجة الأولى إلى تلك القضية الموجودة موضوعياً كدور حقيقي لهذه أوتلك من التجمعات المهنية وهذه أوتلك من المهن في الحياة الاجتماعية وأن انعكاس هذا الدور في الوعي المهني لهذا المجتمع يكون تصوراً ثابتاً بما فيه الكفاية عن أهمية المهنة بالنسبة للمجتمع وعن اعتراف المجتمع بهذه الأهمية وبذلك تكتسب صفة القيمة المهنية التي يجب الحفاظ عليها كأية قيمة أخرى. إن مثل هذا التصور يمكن أن يكون متماثلاً أقل أوأكثر كل شيء يعود إلى الحالة الذاتية وكقاعدة إنها مرتبطة أما بالدرجة التاريخية الملموسة (المحددة) لإمكانية آليات الإدراك القادرة على وضع الحلول وأما بالظروف التاريخية – الاجتماعية الراهنة إلا أن هذا التصور يحمل في أساسه بداية موضوعية متوفرة إلى هذه الدرجة أو تلك بالنسبة لكل متخصص.

وعلى مستوى الوعي الفردي يكون الجانب الذاتي للكرامة المهنية أكثر وضوحاً ويفسر ذلك قبل كل شيء بأن التصور حول الأهمية الاجتماعية للمهنة لدى شخص معين تكمل بتصورعن أهميته الخاصة عن دوره في مجموعة العمل واعتراف المجموعة بهذا الدور وبعبارة أخرى إن التصور عن الأهمية الاجتماعية للمهنة يتضمن كأمر

ضروري حتمي تقدير الذات للذات ويحسب الإنسان تقدير الذات للذات هذا حسب درجة تتطابق تصرفاته المهنية وسلوكه المهني مع مقولات الأهمية الاجتماعية للمهنة التي اكتسبها خلال سير عملية تكوينه المهني.

بيد أنه كما نذكر أن معيار "استيعاب" مضمون الوعي المهني وثبات تصوراته لدى مختلف الناس ليس واحداً في هذه الحالة وتعمل أيضاً مصافي الخصوصية الذاتية التي "تغربل" هذه أو تلك من أطياف الأهمية الاجتماعية للمهنة بالنسبة للإنسان لذلك يحصل أن مقياس الأهمية المهنية الخاصة ليس مثالياً إن تقدير الذات يمكن أن يبدو عالياً أو منخفضاً ومع ذلك هنا لا يجوز الأمر بدون "مواشير" نفسية تؤثر في إدراك الإنسان لتصرفاته فمثل هذه الحالات تتحدث عن الشعور المضخم أو المنخفض بالكرامة المهنية في غضون ذلك فإن كثيراً يعود إلى كيفية تظهر ذاتها في سلوك الفرد التركيبة الأخلاقية التي تعد الكرامة الإنسانية- التصور عن أهمية حياة الإنسان فيها واحدة من أدوات التنفيذ.

وإن العلاقات بين إدراك كرامتك الإنسانية وإدراك كرامتك المهنية لا تكون هرمونية (منسجمة) على الدوام الأمر الذي غالباً ما يصبح بالنسبة للإنسان سبباً للنزاعات الداخلية والخارجية الجدية. وعندما يكون تعاملنا مع شخصية ذات أخلاقية من درجة عالية بما فيها الكفاية، تكون هذه النزاعات قابلة للحل دون إلحاق الضرر بكرامة المجتمع المهني للمهنة. إن كانت أخلاقية الإنسان العامة متخلفة فتحدث أحداث يمكن للكرامة المهنية في هذا المجتمع العمالي أن تتضرر كثيراً ولنفكر كبداية بالمثلين التاليين من الحياة العادية.

جاء إلى الفريق التربوي في مدرسة الفنون عازف قيثارة عبقري وللأسف لم يكن لديه خبرة أبداً في العمل التدريسي مع الأطفال وتفهموا فشله التربوي الأول، ويمكن القول أن الفريق التربوي كان قوياً جداً وذا سمعة جيدة وتقاليد غنية. ولم يرفض الزملاء تقديم المساعدة للمربي الجديد وهو لم يتجاهل نصائحهم. لكن الدروس لم تتم بالشكل المطلوب وكان يغادر التلاميذ الصف واحداً تلو الآخر وجاء اليوم الذي قدم

فيه الموسيقي طلب استقالته إلى مدير المدرسة وكان دافع تقديم الطلب يدعو للاهتمام. كتب المربي إن الشعور بالكرامة الإنسانية لا يسمح له قبض المال مقابل عمل لم يستطع القيام به بالشكل المطلوب، ولن يستطع أبداً القيام به لأنه لا يشعر في ذاته أنه قادر على العمل مع الأطفال، ولاسيما أن فشله يمكن أن يؤثر سلباً على مستقبل المدرسة.

وقال لي مدير المدرسة فيما بعد "لقد عرفت أن كل شيء فعلاً كان كذلك لم تكن لديه مواصفات من يعمل مع الأطفال لكنني قرأت الطلب وأدركت لا يجوز التخلي عن هذا الإنسان لقد أقنعته بالانتقال إلى العمل المسائي للعمل مع البالغين وكل شيء كان على ما يرام". للأسف يوجد في واقعنا الحاضر حالات أكثر ذات معان أخرى وأتذكر واحدة منها حتى الآن بمرارة.

"هل صحيح أنك عندما تنتقين التلاميذ تضمنين دخولهم المعهد ولهذا السبب يدفع أهلهم مبالغ ضخمة مقابل الدروس؟ - سألت ذات مرة إحدى معارفي وهي معلمة خبيرة باللغة الإنكليزية ولها سمعتها بالطبع - قالت هي - فإنني أعطيهم معارف من الدرجة الأولى واستمر حوارنا على الشكل التالي:"

إنهم يفهمون من الضمانة ليس هذا على الإطلاق هذه مشكلتهم.

لكن، إن لم يقبل أحدهم هل ستعيدين المال؟

ما بك؟

ألا يبدو لك أنك تبصقين على كرامتك المهنية؟

نعم لا تسمح كرامتي الإنسانية لي بأن أشعر بأنني أسوا.

من هؤلاء المزاودين الجدد. ولا أريد أن أبدو أقل منهم ولا أريد أن آكل واشرب أسوا منهم. ولا أريد اقتناء سيارة أسوأ!

انتبهوا: نسمع الكلمات نفسها، "كرامتي الإنسانية لا تسمح". لكن معنى ما يحدث مختلف تماماً.

في الحالة الأولى "تحيز" الكرامة الإنسانية لمصلحة سمعة المهنة، ولمصلحة الكرامة المهنية، أما في الحالة الثانية استباحتها.

لكن القضية محصورة في أن التصورات عن الكرامة الإنسانية والمهنية يمكن أن تؤسس ليس فقط على القيم بل وعلى القيم الكاذبة وبعبارة أخرى القضية في الاختلاف بين مستويات الأخلاقية العامة للشخصية.

لنجرب الآن "التأمل" في الابتذالية (الاعتيادية) ولو بالطريقة السهلة التالية بطرح الأسئلة على أنفسنا كم موظف حكومي على مستوى المدعي العام في بلادنا أخذ على عاتقه التزاما القبض على منفذي الجرائم والمحرضين عليها كم من المواعيد انقضت فهل واحد منهم طلب الاستقالة معترفاً بصراحة بأنه غير مناسب لمثل هذه المهنة؟ وا أسفاه....

إن الكرامة المهنية على مستوى الفرد تظهر ذاتها على شكل على هدف القيام بتصرف ما كل تصرف يجب أن يتناسب مع الأهمية الاجتماعية للمهنة ومع التصور الاجتماعي عن هذه الأهمية ومع سقوط الكرامة المهنية تسقط أهمية هذه الجماعة العمالية وينخفض مستوى شهرة وسمعة هذا النوع من العمل.

إن تباعد التصورات عن دور الصحافة في العالم المعاصر واسع بما فيه الكفاية بالتناسب الكامل مع تلك الواجبات التي تقوم بها من الطبيعي ألا تكون التصورات عن أهمية مهنة الصحافة واحدة وأن المناقشات التي تنشب دورياً في الأوساط الصحفية حول هذا الموضوع ليس فقط تعكس تعددية أفكار المناقشين. إنها تظهر كم هي غير مستقرة وغير ثابتة وغير مقنعة بالنسبة للجدد في "الفريق" تلك المجموعة من الوعي المهني للمجتمع الصحفي التي تشكل القاعدة العقلانية للكرامة المهنية "السلطة هل هي مرآة أو خادمة" هكذا أطلق على عملهم مؤلفو "موسوعة حياة الصحافة الروسية المعاصرة" كاشفين بحق عن الشكوك المسيطرة في الوسط الصحفي المهني.

لكن لماذا في الحقيقة تنشأ هذه الشكوك؟ ولماذا نلجأ في نقاشاتنا إلى الصيغ التي تضم "أو – أو" القطعيتين؟ فإن الصحافة في واقع الأمر تقوم بواجبات مختلفة النظم في

المجتمع. لكنها كلها مشروطة اجتماعياً وضرورية اجتماعياً وبسبب أنها كثيرة لهذه الدرجة ومتنوعة فإن الأهمية الاجتماعية لهذه المهنة وقدرها تنمو فقط وتزداد. وإن الكسندر – بوشكين ثاقب الذهن لم يتسم ببساطة الصحفيين "طبقة من أناس حكوميين" (رجال دولة) إن الصحافة تعد موضوعياً عنصراً ضرورياً من عناصر الآليات التي توفر وتضمن حالات رسوخ المجتمع.

إن الجماعة الصغيرة المغلقة (لنفترض الأسرة) قادرة على العيش دون أن تقرأ الصحف أو تسمع الراديو أو تشاهد التلفاز كما حدث مثلاً مع ليكوف أما المجتمع (البشرية) كنظام متكامل لا يستطيع بدونها في المرحلة الراهنة عن التطور وفي هذا بالذات تنحصر لحظة البداية للتصورات عن الكرامة الصحفية المهنية التي علينا التثقيف بها في اتحادنا في المجتمع. إنني أشعر بالإهانة في كل مرة عندما أسمع كيف يسمون الصحفيين ب "أصحاب الريش الحريري" (الريش الأملس). ويتهمون وسائل الإعلام الجماهيري بأنها "كلب ينبح وريح ذاهب" أوبما يشبه ذلك لكنني أدرك أننا بأنفسنا نعطي الأساس لذلك. إن الصحفي عندما يتلاعب بعنوان برنامج تلفزيوني شهير يسمي زملاءه في إحدى مواده "مجتمع سمك القرش" ويرسم هذا النموذج الصحفي ما بعد التغيرات الدولية الجارية. وكأن كل شيء فيه اشتعل. مرتدياً ستره من الجلد وساقطاً يمشي ويتنقل من حفلة إلى أخرى ويلتهم كل شيء ويشرب حتى ينفجر ويظهر نفسه رويداً رويدا وكأنه يقوم بما يسمى بالتحقيق الصحفي...

شخصيه تشمئز منها النفس من غير كرامة مهنية ولا كرامة إنسانية إنها حالة شاذة، على ما اعتقد، وليست معممة. إلا أنها حقيقة واقعة. إن الأمور ليست على ما يرام مع الكرامة عند الصحفي في عصر الانتقال إلى اقتصاد السوق. يكفي أن ننظر إلى جيش المراسلين البرلمانيين عندما يتدافعون حاملين الديكتافونات نحو البرلماني الخارج من قاعة الاجتماعات ويكادون أن يسقطوا أرضاً بعضهم بعضاً. لا يعطي، ولا يأخذ هؤلاء هم يمثلون الصفوة المهنية..

لكن القضية ليست بالطبع في فقر المظاهر الخارجية للكرامة المهنية بقدر ما هي غالباً ما تُعطي انقطاعاً من حيث الجوهر: لا تحدد مسوغات السلوك المهني، فإن سمح الصحفي لنفسه الاقتراح على جريدته "مادة حسب طلب شخص ما" استلم مقابلها دون علم الإدارة، أو تقديم معلومات غير موثقة فإن هذا يشهد على أن دوافع سلوكه ليس لها أي شيء مشترك مع التوجهات إلى القيم الأخلاقية المهنية لجماعة العمل التي يعمل فيها، الأمر الذي يدل على فقدانه للتركيبة النفسية المناسبة. إن تركيبة شخصية معينة وهدفها جعل كل تصرف وكل فعل متناسباً مع الأهمية الكبرى لمهنتها يمكن أن تكون فقط بشرط أن تكون هذه الأهمية مدركة من قبل المجتمع المهني أصبحت بالنسبة إليه قيمه. في هذا المعنى إن الكرامة المهنية لصحفي محدد هي مشتقة من الكرامة المهنية لاتحاد الصحفيين، على الرغم من وجود علاقة عكسية بينهما حتماً.

إن مقولة "الشرف المهني" تعكس جانباً آخر من العلاقات الأخلاقية المهنية الذي له طبيعة قيمة إن جذوره هي في ارتباط موجود حقاً بين المستوى الأخلاقي لهذا أو ذاك الوسط المهني وبين المهنة وإن كانت المقاييس الأخلاقية- المهنية للجماعة العمالية تتوافق مع القانون الأخلاقي العام وتؤكد بوساطة سلوك أعضائها، فإن هيبة هذا المجتمع المهني الأخلاقية تصبح عاملاً يعزز تأثيره الاجتماعي ويثبت مواضيعه لذلك إن التصور عن مستوى تناسب المقاييس الأخلاقية – المهنية لهذه الجماعة العمالية في الوعي الأخلاقي - المهني مع القانون الأخلاقي العام يثبت كقيمة من القيم.

ويصبح من الضروري لأعضاء المجموعة التوجه إلى هذا المستوى والسعي إلى التنفيذ غير المشروط للواجب المهني وإلى العمل دون أي "ذنوب أخلاقية" وبعبارة أخرى يحدد مفهوم الشرف المهني. إن استيعاب الشخصية يستدعي لديها الاستعداد للعيش والعمل بشكل كي لايهان الشرف المهني أي تتكون تركيبة نفسية مناسبة إن السعي للحفاظ على الشرف المهني يتحول إلى دافع جوهري للسلوك المهني المسؤول والشخصية المتمثلة في الوعي الذاتي عن طريق الحلقة العقلانية والهدف للحفاظ

على الشرف المهني تكون بمثابة معيارعند التقدير الذاتي للتصرفات الخاصة بالنسبة الى الخبير.

إلا أنه هي الحال في كل حالات استيعاب الفرد للتصورات الأخلاقية – المهنية عند جماعة العمل فإن القياس وعمق مضمون الاستيعاب الذي يقف وراء مفهوم الشرف المهني يكونان لدى الناس متنوعين، وطبيعي أن يبدو القياس مختلفاً لتطابق سلوك الفرد المهني للمقاييس المفهومة في الوسط الاجتماعي للشرف المهني، وتقع الحالات التي تظهر فيها أعضاء الجماعة العمالية الأعاجيب في السيطرة على الذات والشجاعة باسم الحفاظ على الشرف المهني تقع في قطب واحد وفي القطب الآخر تقع حالات عندما تتكشف في تصرفات المهنيين القدرة على الدفاع عن شرف الطقم الرسمي. أي القدرة على العمل الموجه لاخفاء الخلافات بين الأساليب الأخلاقية – المهنية في القيام بالواجب المهني، وبين القانون الأخلاقي العام. إن شرف السترة الرسمية يشكل الاسم الحركي للقيمة الذي وضع من خلال تجارب العلاقات النزاعية للجماعات العمالية والمجتمع في سبيل الدفاع عن المصالح التعاونية بغض النظر عن مصالح تعاونيات آخرى أوالمجتمع بشكل عام. وطبيعي أن لا تتكون لدى الخبراء أثناء توجههم إليه "تلك" التركيبة وأن سلوكه حتماً سوف يبتعد أكثر عن القانون الأخلاقي العام.

في مختلف الروابط المهنية وبالتناسب مع خصائص مضامين الواجب المهني يتم تركيز مظاهر متنوعة من الشرف المهني وعندما يقولون: "شرف الطبيب" و "شرف المربي" و"شرف العالم" ...الخ. (يمكن الاستمرار في هذا التعداد حتى تنتهي قائمة المهن).

يحدث بالذات!

إن التركيز يتم بتناسب المهنة مع القانون الأخلاقي العام بناء على القاعدة الرئيسة – نوعية القيام بالواجب المهني. وتتكون باستمرار آراء عامة جيدة حول الاختصاصي الذي يرفع عالياً شرفه المهني.

وغالباً ما تأخذ هذه الآراء شكل السمعة – التقدير العالي المحدد التلقائي العفوي والمنتشر بشكل واسع لهيئته الأخلاقية المهنية.

إن سمعة الخبير هي رد فعل المجتمع على نتائج موقفه المهني المشروطة بطبيعة موقفه المهني ومستوى مهارته.

شرف الصحفي – بقدر ما ينفذ واجباته المهنية كي لا تمتلئ الأنباء التي يقدمها عن المجتمع بـ"الضجيج" والقيم الكاذبة وكي تستطيع أن تكون أداة فاعلة تساعد البشرية على الحفاظ على الاستقرار في الزمان والمكان وأن المؤشر الأساسي على نوعية المادة الصحفية هو درجة تشابه اللوحة الاخبارية للعالم مع وضعه الحقيقي وهي مرتبطة مباشرةً بصفات شخصية الصحفي تلك مثل: الشرف، النزاهة، المصداقية والضمير. إن توفر هذه الصفات يكشف مستوى الأخلاقية العامة للإنسان ويكون بمثابة مقدمة للسلوك المهني المؤدي إلى القيام النوعي بالواجب المهني.

إلا أن الإمكانات الحقيقية لهذا الظهور فقط عندما تتكون تراكيب وأهداف العمل المهني المتناسبة مع المقاييس العالية للكرامة المهنية والشرف المهني وإن لم تضع الجماعة العمالية هذه المقاييس فيكون البحث عن السعي إليها في سلوك الفرد بدون معنى. ولكننا قد تطرقنا إلى هذه القضية في العلاقات الأخلاقية المهنية عندما نظرنا في مقولة "الكرامة المهنية" والأمر ذاته ينطبق كذلك على الشرف المهني.

فهل يمكن توقع ظهورها لدى الصحفيين في فريق التحرير ذاك الذي يحتوي قانونه الأخلاقي على تلك المسلمة: "إن لم تحدث الإثارة – فأحدثها أجعل من الصغائر حقائق".

ليس مستبعداً بالطبع أن تجد في هذا الفريق أناساً نزيهين وشرفاء لا يخافون الطلب من الزملاء وضع توجهات أخرى في أساس سلوكهم لكن تغيير الآراء القائمة والتابعة في الوسط المهني "بغراب أبيض" يكون عادة في غاية الصعوبة لأن الاهتمام بتكوين الشرف المهني وبالحفاظ عليه يجب أن يكون الشغل الشاغل لرابطة الصحفيين المهنية.

إن كبير محرري إحدى الصحف العربية المشهورة تحدث بكل أسف في الوسط الصحفي إنه كان عليه إقالة صحفي عبقري لأنه مرر "دناءة مزدوجة" إضافة إلى أنه دس في التحرير "تسجيلاً" ما قد دعمه بأكاذيب. "مثالي أنت إذا – أشار مجيباً أحد الزملاء من المستوى الوظيفي نفسه اليوم تمر "التسجيلات" حسب الطلب على قدم وساق والعاملون في العلاقات العامة يقنعون العدد الذي تريد من الصحفيين للقيام بذلك فهل ستطرد الجميع من عملهم؟ لكن إذا نظرنا إلى القضية هكذا نشهد كثيراً من هذه الحالات! تدخل زميل آخر في النقاش –"التسجيلات" حسب الطلب هي بداية نهاية مهنتنا. إنني هنا أدعم عدم التساهل! واختلفنا ولم نلفظ كلمة واحدة عن كرامة الصحفي وعن شرفه المهني لكن الحديث جرى عملياً عن ذلك ولذلك بالذات سألت "ماذا برأيكم إن التسجيلات حسب الطلب نقطة سوداء على الشرف الصحفي" أو علامة تغيير في المهنة المحادث الثاني نظر شزراً إلي وطرح سؤلاً بمثابة إجابة: "كيف يأكلون وبماذا هذا الشرف الصحفي".

نعم، إن هؤلاء الأذكياء في وسطنا المهني اليوم غير قلائل هذه هي مظاهر المناخ الأخلاقي في السلوك الصحفي الإنساني نهاية التسعينيات من القرن العشرين ومظاهر الوعي الأخلاقي – المهني لوسطنا الاجتماعي الذي يشهد على ضرورة القيام بعمل كبير وجدي داخل اتحاد الصحفيين في مجال تكوين القيم الأخلاقية – المهنية.

إن مجلة "الصحفي" في أحد أعدادها أعطت الكلمة للمحامية المسوكوفية تروتسكايا أي.ر التي عملت لسنوات عديدة قاضية، وقادت قضايا ضد الصحفيين وبما أنها تعرف جيداً الوضع في الماضي والحاضر توجهت إلى العاملين في "الورشة" الصحفية بطريقة مؤثرة جداً:

أصدقائي: إنكم في السنوات الأخيرة قد سلمتم بقوة في المجال المهني ولو كان قضاؤنا صارماً أكثر لأفلس العديد من وسائل الإعلام الجماهيري بكل بساطة. وبالمناسبة فإن العاملين الجدد في الصحف والمجلات الجديدة حيث يعمل كثير من الشباب في أكثريتهم المطلقة يرتكبون الأخطاء إنهم كقاعدة يمتلكون تصوراً ضبابياً جداً

عن القوانين وكان علي أن التقي الصحفيين الذين كانوا ممتازين بحق لماذا الكذب والإهانة في وسائل الإعلام الجماهيري – إنه فعل يعاقب عليه! ولديكم تعزز تقليد فاحش بما فيه الكفاية مثلاً تلزم المحكمة الصحفية أو المجلة نشر التكذيب فبدلاً من أن تعتذر مباشرةً وبإخلاص أمام الشخص تغرق في المتاعب فقط كي لا يفهم هذا الاعتذار كانتصار على الصحيفة أو المجلة ...

هذه الملاحظات التي قدمها إنسان خبير ومجرب وعركته الحياة تشهد ليس فقط على الإعداد القانوني الضعيف للعاملين في وسائل الإعلام الجماهيري. إنها تتحدث كذلك عن التباعد في السلوك المهني للصحفيين عن القانون الأخلاقي وعن أن مفهوم الشرف المهني في الوعي الصحفي غالباً ما يستبدل بالتصور عن "شرف السترة الرسمية" حقاً يجب على الجيل الجديد الشاب من الصحفيين ألا يقتدي بهذه النماذج من السلوكيات وما يدعو للسرور أن الأمثلة عن الصفة الأخرى في وسطنا المهني ليست قليلةً أيضاً فهناك الصحفييون الذين يستطيعون وصف ذاتهم:

إن أزعجت أحدهم من غير وجه حق فعيب علي أني لست بحاجة إلى محكمة كي أعتذر إن كنت مذنباً بالفعل.

وهناك جماعات تحرير تدرك جيداً أن "الأخلاق أرفع وأسمى من السياسة أما "السمعة فليس لها غلاف".

هذه الدلائل المستحقة على الطريق غير السهل الذي يسلكه تشكيل الأخلاق المهنية والذي يبدأ من تكوين الموقف المهني التشكيل المرتبط بالعمل على استيعاب وانتقاء التصورات الأخلاقية المهنية الأساسية التي تراكمت لدى رابطة الصحفيين إن الموقف يحدد الاستعداد للعمل بالتوافق مع هذه التصورات وأنه الأساس لنظام المنظمات الأخلاقية المهنية للسلوك الصحفي إلا أنه قد أشير هنا فقط ليس إلى كل العناصر التي تدخل في بنيتة وسيجري الحديث عن ما تبقى منها في الفصول القادمة.

الفصل الخامس

حتى مبادئك توجد بوفرة



حتى مبادئك توجد بوفرة

لقد اشتعل هذا النقاش في ندوة أصحاب الصحف النوعية وما أن عرف المشاركون في الندوة الحديث سوف يدور حول مبادئ السلوك المهني الصحفي حتى وجد راغبون بالتدقيق: لنبدأ من مبدأ الحزبية؟

ابتسمت القاعة أما أحد محبي التدقيق قال وكأن شيئاً لم يكن اقترح طريقة أخرى، لكل شخص شخصيته، ولدى كل واحد مبادئه. سمعت ردود فعل ساخرة كاستجابة فورية. الأفضل – لدى كل واحد أخلاقه!

عندئذ لديه نظريته الصحفية!

انزعج شخص أكبر في السن وذو هيبة.

توقفوا عن المتاجرة لأن مبدأ الحزبية أيضاً ليس غباء فيمكن بدء الحديث منه تحديداً، لكن مبدأ السلوك المهني أعتقد أنه لا يعني شيئاً آخر سوى الأخلاق.

وفجأة انطلق محب التدقيق كما يقال من الأكبر:

آه، تتحدثون عن الأخلاق إن مباءكم هنا موجودة بوفرة! بقدر ما توجد عقول بقدر ما توجد مبادئ، وكل ما ترد فكرة في رأس أحدهم يحولها إلى مبدأ. لكنني أعتقد أنه لدى الصحفي يجب أن يكون مبدأ واحد: النزاهة والنزاهة ومرة أخرى النزاهة!.

أحدهم أيد الخطيب وآخرون نوهوا بانفعال وغضب، إلى أن النزاهة هي صفة إنسانية وليست مبدأ وآخر أخذ يثبت أن الصفة أيضاً يمكن تحويلها إلى مبدأ. كان كل الحاضرين أذكياء، لكن سير النقاش تحدد بالمصادمات: تارة يأخذونه إلى جانب وتارة أخرى يأخذونه إلى جانب آخر، وفجأة سمع السؤال:

حقاً ماذا يعني المبدأ الأخلاقي؟ وما هي المقاييس التي تحدده؟

إن صوت المرأة التي طرحت هذا السؤال كان منخفضاً إذ لم تحاول رفع صوتها فوق صوت أحد تحدثت وكأنها تفكر بصوت عال، لكن الجميع صمت لدقائق

وأصبح واضحاً السؤال الذي طرحته المرأة تحول إلى سؤال شامل، والآن من الممكن البدء بالنقاش حول الجوهر.

ما المقاييس التي تحدد المبادئ؟

ثلاثة معان لوحظت في القاموس لهذه الكلمة:

المبدأ (جاءت من اللاتينية **principium** أي البداية، الأساس):

الموضوعة الأساسية الأصلية لأي نظرية أوتعاليم أوعلم أوعقيدة أومنظومة سياسية وغيرها.

القناعة الداخلية لدى الإنسان التي تحدد علاقته بالواقع ومعيار السلوك والعمل.

الخصوصية الأساسية لتركيبة أي آلية (ميغانيزم) أوجهاز.

وإذا تمعنا في الأمر إلى المعنى المحصور في المصدر اللاتيني ممثلاً بذاته مختلف قضايا كينونة هذا المعنى.

إلى ماذا يشير المعنى الثالث؟ يشير إلى خصوصية تنظيم الوقائع الموجودة موضوعياً والتي حدد عملها خصوصية ظهورها. إن كانت الوقائع هي الآليات والأجهزة التي تبلغ خصوصية تركيبتهم من قبل الإنسان، فإننا نستطيع الحديث بثقة عن المبدأ، وإن جرى الحديث عن الوقائع التي خصائصها أعطتها إياها الطبيعة مثال القلب البشري ألا يجوز القول أن مبدأ عمل قلب الإنسان هو التقليص المتناوب وتراخي عضلات أذينات القلب وبطيناته؟ يبدو أنه من الممكن إلا أننا في مثل هذه الحالات نفضل المفهوم الآخر - القانون. وبالتالي إن جوهر مفهوم "مبدأ" في معناه الثالث في أنه يصور الميزة الأساسية والأولية والمحددة بالنسبة لتوظيف موضوع الواقع لتنظيمه التي توجد بغض النظرعن أننا نستوعبها في اللحظة الراهنة أو لا لكنها معلوم عنها من قبل الإنسان.

وإلى ماذا يشير المعنى الثاني؟ يشير إلى الخصوصية الأساسية لانعكاس الوقائع الاجتماعية في هذه أوتلك من الأشكال ما فوق الشخصية للوعي الاجتماعي. إن المبدأ كمفهوم علمي ونظري وعقائدي هو نتيجة لمعرفة الظواهر في العالم الموضوعي

في هذه المرحلة أوتلك من تطوره، وفيها إلى جانب الصفات المحددة المميزة حقاً لهذه الظواهر تنعكس خصائص تكاملها من قبل صاحب المعرفة لذلك الظاهرة ذاتها يمكن أن تؤول مبدئياً في مختلف الاتجاهات العلمية بطرق متنوعة وهكذا في نظرية المادية الدياليكتيكية. إن تفسير تنوع العالم مبني على مبدأ وحدانية الكون الذي يتطلب من النظرية:

الكشف عن الوحدة الداخلية للظواهر وعلاقاتها وعن التحقيق المتعاقب لوجهة النظر المعينة عن الحقيقة وعن الصعود المنتظم من المجرد إلى الملموس ومن القانون العام إلى مظاهره الملموسة وفي الديكارتية (نسبة إلى ديكارت) الأرثوذكسية إن تفسير تنوع العالم يرتبط بمبدأ الثنوية الصادرة عن الاعتراف بالبدايتين المتساويتين وغير المقتصرتين بعضهما على الأخرى – الروح والمادة، المثالي والمادي.

وهكذا، فإن المعنى الأول لمفهوم "المبدأ" يتضمن جانبين موضوعي وذاتي ويحمل وحده الذاتي والموضوعي في انعكاس الخصائص الأساسية للواقع.

والمعنى الثاني لكلمة "مبدأ" تشير إلى التحول الذي يحدث عند معرفة الخصائص الأساسية للواقع في هذا التأويل أو ذاك تصبح حقيقة الوعي الشخصي. وتحت تأثير عدد من الظروف يتحول إلى قناعة وفي جانب معين من جوانبه يبدأ بالقيام بدور الأداة بالنسبة للشخصية في علاقاتها مع العالم، إلا أنه في غضون ذلك ينشأ ما يشابه درجة الذاتية أخرى تحويل المعارف يكون مترافقاً حتماً مع تأويلها الثاني والشخصي ومع الانتقاء.

إن هذه الجولة على القواميس حصلت ليس مصادفة ففي حركة معنى المفهوم تصبح مرئية تلك السلسة للحلقات المترابطة قانون الواقع (القانون الموضوعي) النظريات العلمية (الانعكاس الذاتي – الموضوعي للقانون) – أداة التطبيق (قواعد تطبيق القانون الذاتية الموضوعية) إن منطق المحاكمات المذكورة أعلاه هي المفتاح إلى الإجابة على السؤال المطروح في عنوان الفقرة وعن أي مبدأ يجري الحديث. إن المقولة التي تتصف بها هذه المبادئ لا بد من البحث عنها في الواقع وفي طبيعية

الظواهر المحددة ذات الأولوية وإن تحدثنا عن النشاط فيكون ذلك ضمن قوانين وطبيعة هذا النشاط.

ويشير الباحثون إلى الدرجة العالية للتعميم الناشئ عند انعكاس القوانين في مبادئ العمل وكتب دزيالوشينسكي م.ي.قائلاً:

"من المفضل فهم المبادئ كمؤشرات متممة للغاية للنشاط المهني تشير إلى الاستراتيجية العامة للسلوك المهني لكنها لا تعلن من نظام عمليات معينة".

إن المنهجي الشهير في مجال نظرية الصحافة بروخوروف ي.ب.عندما كان يضع التصورات عن نظام المبادئ بصدد هذه التصورات التي لها أهمية علمية شاملة كبيرة.

كتب قائلا: "إن المبادئ تعود إلى ذلك المجال من القواعد والمعايير في النشاط الذي يحدد طبيعته وإن انتاج عمل ينظم أيضاً بمعيار امتلاك ناصبة هذا النوع وطرق جمع المعلومات الأولية ومتطلبات قوانين التأليف وغيرها" بيد أن نسمي هذه القواعد مبادئ أوغير دقيق أن المبادئ تكمن على الدوام في أساس مجال ما من مجالات العمل الانساني إن مبدأ الحركة النفاثة (التفاعلية) موجود في أساس صنع الصواريخ ومبدأ بقاء الطاقة في أساس الفيزياء ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية في أساس العلاقات الدولية والخ.

وبناء على المبادئ تنتقي "في تنفيذها" وتنفذ قواعد ومعايير أكثر فأكثر وطرق العمل وقرارات تكنيكية وغيرها.

وهكذا إن المبادئ تبنى على قاعدة المعرفة ذات المستوى العالي وبالدرجة الأولى معرفة القوانين العامة لهذا المجال من العمل التي تشكل قاعدتها النظرية والتي تقوم بدور البداية المنظمة الأمر الذي بفضله تحدد طرق وأساليب العمل وفي المبدأ وكأن المعرفة ذات المستوى العالي "المدونة" (مثل القوانين) والمعرفة العاملة على قاعدة تنفيذ القانون تعطي وجهة نظر وطريقة النشاط في العمل موحدة.

ويمكن تقديم المبدأ بصورة مجازية كوحدة "النواة" المعرفة و"القشرة" - الأسلوب.

ويوجه الباحث الاهتمام إلى قضية مهمة أخرى:

طبيعي أن يكون اتباع المبادئ مثمراً (وبخاصة في المجال التاريخي) إن كان مبنياً على قاعدة من المعارف الصحيحة. حقيقة أنه في عدد من النظريات يسلم بالمبدأ ببساطة أو يثبت بطريقة كاذبة (مثلاً المبدأ العنصري لتفوق العرق الآري الذي حاولت الفاشية في تطبيقه في عملها السياسي الإيديولوجي).

لكن عمر هذه المبادئ يجب أن لا يكون طويلاً على الرغم من أن تطبيقها قادراً على إلحاق الضرر الكبير يعني هذا أنه من الممكن التأكيد على أن المبادئ صحيحة فقط بقدر المعرفة الصحيحة التي بنيت عليها ولا تقل أهمية ترجمة "المعرفة" إلى "أسلوب" إن كانت هذه الترجمة منفذة بدقة ونزاهة.

لقد جرى الحديث في هذه الحالة ليس فقط عن الصحافة فمن حيث الجوهر تم هنا سرد تأويل المبدأ كمفهوم نظرية العمل وعلى ضوء ما قد قيل إن هذا التفسير هو التفسير المقنع و"القادر على الاستمرار والعمل" ولا سيما أنه يكشف عن إمكانية استخدام الطريقة البنيوية في دراسة مضمون مفهوم "المبدأ" وخارج أطر نظرية العمل حقيقة في سبيل ذلك من الأفضل تغيير صيغة المضمون بعض الشيء بجعله أكثر شمولية:

المبدأ معرفة القانون + قواعد تنفيذ القانون الأساسية (التحتية) على الواقع (في العمل وفي العلاقات من هذا النموذج أو ذاك).

في هذه الصيغة إن مفهوم المبدأ يبدو مقبولاً كذلك في مجال العلاقات الأخلاقية – المهنية بإشارته إلى سبل إظهار المقاييس لتحديد المبادئ الأخلاقية – المهنية المعينة. إن مفهوم "المبدأ" في مجال علم الأخلاق المهني لم يكتسب حتى الآن معناه الاصطلاحي البحت. إن هذا ينحسب على كل المهن بما فيها الصحافة وفي أكثر الأحيان يستخدم عند تشريع معايير الأخلاق المهنية المتكونة عفوياً للدلالة على تلك

التي تعد أكثر أهمية من بينها وإن تصفحنا المواثيق التي تراكمت في الوسط الصحفي حتى اليوم إضافة إلى القوانين والإعلانات فسنرى:

إن كلمة "مبدأ" تدخل كذلك في تسمية الوثائق وفي عناوين بعض الفصول ونصادفها في النصوص لكن ماذا يكمن خلفها؟ لنقرأ بإمعان مقاطع من بعض المواثيق المهنية بعد ترقيمها حسب ظهورها:

مبدأ حق الناس في الحصول على المعلومات الصحيحة. إن الشعوب والبشر لهم الحق في الحصول على تصوير موضوعي للواقع عن طريق المعلومات الدقيقة والكافية وكذلك حق التعبير بحرية عن وجهة نظرهم بمساعدة مختلف أنواع الثقافة والاتصالات (من "المبادئ الدولية لأخلاق الصحفي المهنية").

التحقيق في العمليات القضائية والبحث يجب ألا يتضمن أحكاماً مسبقة لذلك على الصحافة قبل بدء أو أثناء هذه القضايا أن لا تتخذ وجهة نظر جانب من الجوانب.

ولا يجوز أن يعلن عن المتهم مذنباً قبل صدور الحكم القضائي وللنظر في القضايا في الوسط الشبابي لا بد من الإغفال قدر الإمكان نشر المعلومات عن السيرة الذاتية وصور المتهم مع الأخذ في الحسبان مستقبله إن كان الحديث بالطبع لا يدور حول جريمة بشعة ومن دون أسس كافية لا يجوز الإعلام عن قرارات من مبادئ العمل الصحفي «قانون الصحافة» المصدق عليها من قبل المجلس الألماني للصحافة.

يعتقد الصحفي أن وضعه المهني لا يتماشى مع المسؤولية التي يقوم بها في أجهزة إدارة الدولة والسلطات التشريعية والقضائية وحتى في الأجهزة القيادية للأحزاب السياسية وغيرها من المنظمات ذات التوجه السياسي. إن الصحفي يدرك أن نشاطه المهني يتوقف في تلك اللحظة عندما يمسك السلاح بيده.

بغض النظر عن أن كل هذه الموضوعات مقدمة كمبادئ للأخلاق الصحفية حتى عند القراءة الواحدة لهذه المقتطفات نرى أنها من حيث الجوهر متنوعة لأنها

تصف جوانب متنوعة للعلاقات وينظر إليها بدرجة مختلفة لمعناها العام وشموليتها، وإن قرأنا المادة المقتبسة مرة أخرى فسنرى بوضوح التالي:

المقتطف الأول: من هذه المقتطفات يخرج من حيث المضمون بعيداً خارج أطر الوثيقة المهنية – الأخلاقية ويبدو على الأرجح كموضوعة ميثاق حقوق الإنسان نعم له علاقة بالصحافة لكن بالقدر الذي يشير فيه إلى حق الناس الذي ضمانته تكون مرتبطة بنتاج العمل الصحفي.

المقتطف الثاني: يتضمن إرشادات أخلاقية – مهنية في مجال إضاءة الصحافة التوجه المواضيعي – النوعي الملموس ليس لها أية علاقة بمجموعة كاملة من التوجهات المواضيعية الأخرى وهذا يعني أنها لا تستطيع التأمل بأداء دور المنظم المهني العام للسلوك.

المقتطف الثالث: يتعلق بوضع الصحفي والوضع كما هومعروف موضوع حقوقي (جملة حقوق وواجبات) للمواطن أو للشخصية القانونية وبالتالي يتطلب التوصيف بناء على القانون.

من المفهوم أن هذا الأسلوب بتكوين المبادئ في قوانين علم الأخلاق لصحفيين مختلف البلدان لا يجوز تسميته متشدداً هذا 'التساهل' يبقي انطباعاً وكأن القوانين تكتب بتصرف مما يعني أنه من غير المفروض الاقتداء بإرشاداتها وأوامرها. وسبب ذلك هو تداخل معاني مفهوم 'المبدأ الأخلاقي المهني' (المبدأ الأخلاقي ومبدأ علم الأخلاق) لذلك من المهم جداً أن نحاول تحديده بدقة وإن سرنا وراء بروموخووف وعددنا مبدأ العمل الذي صاغه العلم التصور الذي فيه تتركب المعارف عن القانون الأساسي للنشاط وعن القواعد الأساسية لتنفيذه واستخدامه فإن الحقل الفكري لمفهوم 'المبدأ الأخلاقي _ المهني' يجب أن يكون أضيق بعض الشيء.

فإن هذا المفهوم مرتبط مباشرة ليس بالنشاط بشكل عام بل فقط بجزء معين منه إن هذا الجزء هو سلوك الشخصية الأخلاقي – المهني أي نظام ردود فعلها على شكل تصرفات في العلاقات مع الناس ومع المجتمع ومع الوسط المهني التابعة له خلال حل

المسائل المهنية العائدة إلى قانون المجتمع والقيم الأخلاقية المهنية العام وبالتالي مضمون مفهوم "مبدأ الأخلاق المهنية" (المبدأ كمفهوم الأخلاق المهنية) يجب أن يتضمن تصوراً عن قوانين العمل المشترك بين الوسط المهني وكل عضو فيه وبين المجتمع عموماً والقواعد الأساسية العامة لاستخدامه في السلوك الأخلاقي مع القيام الناجح بالمهام المهنية.

وما يتعلق بالقوانين فإن التصورعنها يتكون قبل كل شيء نتيجة لدراسة الأسباب التي تستدعي ظهور المهنة في المجتمع والتي تشترط تطورها وبالأهمية نفسها يمكن النظر إلى أهمية دراسة وظائف العمل المنفذ في أطر هذه المهنة بالنسبة إلى تكوين هذا التصور والدور الاجتماعي لهذا العمل وأهمية ذلك الإنتاج الذي تقدمه للمجتمع.

وبالنسبة الى القواعد الأساسية للسلوك الأخلاقي يجب القول أن التصور عنها يمكن الحصول عليه نتيجة لدراسة تلك الظروف التي تحدد نجاح العمل وبالتالي تكون العوامل التي تشكل الأنواع القصوى لسلوك الخبراء المهني.

وينتج من ذلك أن المقولات التي تحدد المبادئ الأخلاقية المهنية هي:

القوانين الموضوعية لتعاون هذا الوسط المهني مع المجتمع وبدقة أكثر وأقل معكوسة في العلوم.

الظروف التي تملي مثل هذا السلوك الأخلاقي _ المهني التي تستطيع فيه قوانين النشاط المهني بجميع الحالات التحقق على أكمل وجه.

ومن هنا تنبع شمولية المبادئ التي تشكل خصوصيتها الرئيسة. فعن أي قوانين تعاون بين الصحافة والمجتمع يمكن التحدث عنها شرعاً بالدرجة الأولى؟

ولفهمنا أن القانون "كعلاقة ضرورية وجوهرية وثابتة ومتكررة بين الظواهر والطبيعة والمجتمع" علينا أن نأخذ في الحسبان أن قوانين تعاون الصحافة والمجتمع تعود إلى فئة القوانين الخاصة التي تشكل مظاهر محددة للقوانين العامة للتعاون بين المجتمع ومختلف أنواع النشاط المهني والأساسي من هذه القوانين يتمثل في أن أي نشاط مهني

ينشأ ويتطور بفضل ضرورة تلبية الرغبات المناسبة للمجتمع باستمرار وبصورة جيدة وبالتالي إن الصحافة تنشأ وتتطور بفضل ضرورة تلبية حاجات المجتمع باستمراره وبشكل جيد من المعلومات السريعة والمتنوعة وذات الخصوصية الجماهيرية وهي تكون على شكل مؤسسة اجتماعية وعلى شكل عمل (نشاط) ويقترح العلماء اليوم التأكيد على أن الصحافة هي النشاط الذي يوصل بمساعدة المعلومات الحيوية العلاقة بين بعض الأفراد وبين جملة من المتغيرات الجديدة في المجتمع وبين حركة العالم المحيط وهي تنسق وتأثر الحياة الاجتماعية مع وتأثر الحياة الفردية وتضمن موازارتها ومزامنتها وتكاملها المعين وتؤدي وظائف متنوعة لإرشاد الأفراد في المجتمع.

وبفضل هذه الظروف في كثير من الجوانب إن الإنسانية المنتشرة على مساحات هائلة والمقسمة إلى قطع بفعل الحدود الدولية واللغات القومية والعادات والمصالح والقيم لم تتوقف عن كونها نظام ينظم ذاته موحد ومتكامل.

ومع ذلك يشير الباحث الادرالي ايرمولوف.ا.يو.إلى أن:

حقيقة السمو للعالم بالعلاقة بالأفراد الذين يشكلون جمهور وسائل الإعلام الجماهيري تتضمن موضوعياً إمكانية سوء استخدام احتكار الصحافة للأنباء اليومية السرية والمعلومات عن الواقع الضرورية جداً لهؤلاء الأفراد عدا ذلك إن هذه الحقيقة التي أهميتها تعزز فعلاً النشاط المتنامي للصحافة في المجتمع هي كذلك يمكن أن تكون أساساً للثنائية الفريدة لشخصية المتلقي توجهه اليومي ليس نحو العالم القريب المحسوس والواقعي فحسب بل نحو العالم الخيالي أيضاً أي نحو الواقع الدلالي- الرمزي الذي تحدثه وسائل الإعلام الجماهيري.

لذلك إن غرز هذا التوجه في الأفراد على أساس احتياجاتهم لتجديد العلاقات الإعلامية مع المجتمع يفتح الطريق الفعال لتأثير الصحافة على ذاتية المتلقي أحدث لديهم لوحات حقيقية أوكاذبة ونماذج حقيقية أوكاذبة تمثل الواقع المتسامي وبالتالي تؤثر بصورة خفية وتنظم علاقاتهم الشخصية بها وفي النهاية تؤثر وتنظم السلوك والأسلوب في حياة الأفراد في المجتمع ومن هنا تنبع إمكانية التحكم الخفي بالمشاعر

والتوجهات القيمة وبتفكير المتلقي المرتبطة بالدرجة الأولى بالجانب البراغماتي لتوظيف الصحافة كمؤسسة اجتماعية.

ويقصد ايرمولوف بالجانب البراغماتي لتوظيف الصحافة مصالح أجهزة الإعلام تلك المرتبطة بتوفير إمكانية بقائها والحصول على (رأس مال تجاري واجتماعي وسياسي خاص بها) إن هذه المصالح بالذات عملياً تدفع بالصحافة إلى أحضان الأوصياء فإنها إما أن تقع تحت جناح السلطة التي عليها أن تروج لنشاطها موفرة العلاقات المباشرة والعكسية بين ذات وموضوع الإدارة وإما تبحث عن العام لدى القوى الإجتماعية المؤثرة من الناحيتين السياسية والمادية وهي دائماً مهتمة باستخدامها بهدف الدعاية لمثلها وقيمها الخاصة التي تدخل بهذه الطريقة إلى تبادل روحي وتكتسب الشرعية في الوعي الشخصي والجماهيري.

وبالنتيجة تنشأ مخاطر جدية:

على الصحافة: لأنها تتحول من مؤسسة اجتماعية تجسد في ذاتها حرية الكلمة والعلانية والديمقراطية وتزود بارادتها المواطنين بالمعلومات الصحيحة المنتظمة والسريعة والشاملة من حيث تغطيتها للأحداث إلى وسيلة تحكم بوعي الإنسان وبالتالي تفقد جوهرها.

على المجتمع: ذلك لأنه بدلاً من أن يحصل على الصورة الصحيحة للواقع المتغير دائماً المصحوبة بتبادل حر للآراء والأفكار والتي تساعدها بذلك على تعزيز مؤسسات المجتمع المدني يحصل على بديل غير متكافئ. فيقترح عليه بشكل أساسي تفسيراً للمتغيرات يعتمد على المصالح الفئوية ويتضمن الدعاية للقيم المناسبة لهذه المصالح الفئوية والتي هي على الأغلب ضد المصلحة العامة.

على الفرد: لأن عالمه الداخلي المستقل يصبح معرضاً لذلك التأثير الإعلامي - النفسي الذي بسببه يفقد إمكانية التكوين المستقل لمواقفه من الأحداث التي تلقي عليها الضوء وسائل الإعلام الجماهيري على الرغم من أنه كذلك لا يخمن ذلك. فالقضية في أن الأساليب الخاصة والمميزة التي تصاغ في الصحافة التي تأخذ على عاتقها وظيفة

التحكم والهادفة إلى برمجة ردة الفعل الروحية النفسية عند المتلقي الضرورية لها محدثة في هذه الأثناء وهم استقلاليته التامة.

كيف - وفي أية ظروف - يمكن تحديد وتقليل مثل هذه المخاطروتقليلها والضمان للصحافة إمكانية العمل بالتوافق مع القوانين الخاصة بها فطرياً؟

وتظهر التجربة التاريخية أن السبيل إلى ذلك يمر من خلال حل مسائل الاستقلالية الاقتصادية لنظام وسائل الإعلام الجماهيري وتكوين تلك المقاييس في الوسط الصحفي للسلوك المهني التي في حال اتباعها تنشأ لدى الصحفي ممنوعات داخلية ثابتة على الابتعاد عن الخطوات المهنية الشرعية وهذه المقاييس يكون لها انعكاس أيضاً في المبادئ الأخلاقية – المهنية للسلوك الإبداعي لدى الصحفي فبماذا تنحصر إذاً؟

في كل حالات الحياة

إن تحليل وثائق اتحاد الصحفيين الدولي الأخلاقية – المهنية يظهر أن بين المبادئ المذكورة فيها هناك أربعة مبادئ تتطابق تماماً مع المقولات التي أشرنا إليها أعلاه (صياغاتها في قوانين مختلفة تختلف عن بعضها بعضاً اختلافاً قليلاً لكنها من حيث جوهرها متطابقة).

وبناء على درجة القرب من "القوانين ذات المستوى العالي" وعلى وضوح "الوظيفة الأدواتية" وعلى الشمولية. إن هذه المبادئ الأربعة تستطيع أن تحدد تجسيد موقفه في الخطوات المهنية الملموسة ومن المهم الإشارة إلى أن هذه المبادئ تفترض استخدامها في جميع حالات التطبيق الصحفي وتمس كل اتجاهات نشاط الصحفي وكل "خطوط" العلاقات الأخلاقية _المهنية التي يسيرعليها.

ولننظر على التوالي لكل مبدأ من هذه المبادئ بإظهار المعنى العام الذي تحافظ عليه في صفحات القوانين بغض النظر عن الصياغات المختلفة وبإعطائه بنية منطقية عامة. هنا نتحفظ لأن كل مبدأ يتضمن الإشارة إلى جوهرة وإلى الشروط التي يطلبها في سبيل تنفيذه.

المبدأ الأول:

التزام أولوية المصالح العامة والقيم الإنسانية للبشرية أمام الفئوية مظهراً النضوج الوطني في جميع حالات السلوك المهني.

إن أهمية هذا المبدأ مشروطة بأنه يرشد سلوك الصحفي إلى التزام القوانين التي تحدد نشوء الصحافة وجوهرها كنشاط مدعو لتوفير متطلبات المجتمع تلك التي بحلها تربط سلامته واستقراره. والسلوك الآخر مفعم بأنه يستطيع استدعاء تأثيرات لاوظيفية للنشاط ويجر وراءه حركة غير مرغوب فيها في الحياة الاجتماعية.

عند التحدث عن المصالح الاجتماعية لا بد من استهداف في هذه الحالات المصالح الإنسانية العامة، إن مفهوم "مجتمع" يستخدم هنا في معناه الأقصى ليكون مرادفاً لمفهوم "البشرية".

لكن ماذا تعني كلمة "التزام الأولوية"..؟ إنها الإرشاد (الأمر) لافتراض القدرة على فهم فيم تكون المصالح الإنسانية وفيم توجد المصالح الفئوية وما الخلاف بين القيم الإنسانية للبشرية وبين القيم الفئوية إن هذه القدرة تأتي إلى الإنسان فقط عند وصوله إلى درجة عالية بما فيها الكفاية من التطور الذهني والاجتماعي – السياسي والأخلاقي. وهكذا فإن التذكير بالنضوج الوطني عند صياغة المبدأ ليس مصادفة أبداً لأنه يبدو تلك المقدمة وذلك الشرط الضروري الذي يجعل اتباع هذا المبدأ ممكناً.

إن تتصرف بما يتناسب مع هذا المبدأ في الواقع ليس بالأمر السهل أبداً والحالة التالية من التطبيق الصحفي مثالية تماماً وتستحق النظر لأنها بالدرجة الأولى وصلت إلى هيئة تحرير إحدى صحف المدينة الشهيرة معلومات عن أن قادة أكبر محافظة ارتكبوا ذنب سوء استخدام المال العام. ولهذا السبب نشأ خطر على وضع الجمعية السكنية في المحافظة التي من دون ذلك ذهبت الأموال القليلة المخصصة لأعمال الإصلاح والترميم في العام الجاري في طريق غير معروف في الربع الأول من العام.

إن المراسل الصحفي الذي أوكلت إليه مهمة المتابعة ذاع صيته كإنسان مبدئي وبدا بما يسمى بـ "البحبشة" بالعمق وكان قد "جرف" جبلاً من الوثائق التي حصل عليها

بمشقة وتحادث مع أكثر من واحد من المشتركين في الأحداث وفجأة توجه إليه الـدعوة إلى رئيس التحرير وسأل كيف تسير الأمور ولم يستمع بانتباه كاف ومن ثـم قـال دون أن ينظر في عيونه:

الله معها، مع هذه القصة... لقد طلبت منك العمل على موضوع آخر يا ترى..

لم أفهم! نظر الصحفي متسائلاً إلى معلمه إنهما عملا معاً أكثر مـن عـام وبنـاءً على لهجة رئيس التحرير أدرك بسرعة أن وراء كلمات المعلم تختبئ ضرورة غير حيوية مطلقا "تحويل الانتباه" إلى مهمة أكثر أهمية.

ماذا يمكن أن أفهم هنـا؟ كـان صـوت رئـيس التحريـر مـشوباً بالارتجـاج قيـل لك لاحاجة، يعني، لاحاجة.

لا، اسمح لي...عاند الصحفي لا تخف، شيئاً اشرح بوضوح.

اشرح له ما بك؟ هل تعلم من هو كبير المحاسبين في الإقليم؟

تصور أنني أعرف قريبته شخصية مهمة ما.

نعم، ليس فقط قريبته لكنها زوجته! وهو ليس شخصية ما، بل أحد ... وسمى رئيس التحرير نسبة أحد "أصدقاء الجريدة" الذي يملك نسبة كبيرة من أسهمها.

آه ... تنفس الصحفي الصعداء وصمت.

ورئيس التحرير صمت أيضاً موجهاً نظرة إلى شيء ما عبر النافذة بعد مرور عدة أيام التقينا المشاركين في هذه القصة عند أحد معارفنا المشتركين وما لفت نظري العلاقة بينهم قد تغيرت بغرابة.

أي قطة مرت بينكما" سألت أحدهما "تقولين قطة" ابتسم هو – ببساطة إننا نخجل من بعضنا البعض لا بأس سننسى كل ذلك لأن الحياة ليست مياه مستقرة ففيها يحدث الكثير وحدثني عما حدث.

يبدو أن هناك أناساً قادرين على شجب أبطالنـا فإنهمـا الاثـنين تـصرفا بخـلاف المبادئ، والاثنان يبدوان ليس على أفضل حال لكن يمكن أيضاً فهمهما لقـد فرضـت

الحياة عليهم ليس أسهل الاختبارات اللاأخلاقية – المهنية. هذا هو تأثير الجانب البراغماتي لتوظيف الصحافة.

إن هذا الجانب البراغماتي هو الذي يدفع الصحفيين إلى مخالفة المبدأ الأخلاقي- المهني الذي يجري الحديث عنه ويطرح نفسه السؤال: من الممكن ألا يكون ضرورياً هذا المبدأ؟ لكن نلفت الأنظار إلى أن الصحفي ورئيس التحرير هما بطلا القصة المروية يعانيان من الشعور بالخجل. هذا يعني أن ضميرهما يعذباهما وهكذا في حالة مماثلة تالية سيكون بإمكانهما (أو أحدهما) إيجاد القوة لاختبار أخلاقي آخر وبالذات ذاك المبدأ الذي ترشد إليه الرابطة الصحفية والذي عالجناه أعلاه والإرشاد يؤكد هو الدليل إلى الطريق ومن دون شاخصات لا وجود لطرق حضارية.

المبدأ الثاني:

التزام الوثائق القانونية الدولية وبقوانين بلدك والتزام حقوق الإنسان باحترام مؤسسات المجتمع الديمقراطي.

إن مستوى الحضارة الذي توصلت إليه البشرية في كثير من جوانبه مضمون ومصان بالقانون والحق. إننا أصبحنا نعرف أن الحق نشأ في الحياة الاجتماعية لضرورة حل التناقضات التي لا تخضع للإرادة الحرة وعبارة أخرى أنه استخدم كوسيلة الإكراه على حل مثل هذه التناقضات إلا أن الحق ليس فقط قوة قوية يؤكد الباحثون:

إنه حسب رأي مؤلف الكتاب الحق في حياتنا هو المنظم المدعو لتنظيم والتحكم بالعلاقات الاجتماعية ولإدخال التراتبية إليها. الحق هوعامل انضباط مهم وبمساعدة الحق يضمن الانضباط المدني والحكومي الذي يعبر عنه بالنظام المتشدد والتراتبية الدقيقة للحياة الاجتماعية.

وإن التجربة التاريخية للإنسانية كونها مهمة هامة خاصة لتطور وعي المجتمع لحقوقه دفعت بإدراك ضرورة تثبيت والدفاع عن حقوق الإنسان التي لا تتجزأ. ولقد ولدت فكرة ضمان الحقوق الطبيعية للإنسان من قبل الدولة منذ زمن بعيد عبر القرون بعد حصولها على إثبات في أعمال العديد من المفكرين الطليعيين. ففي القرن

الثامن عشر قد أعلن عنها بوضوح في الوثائق التي دخلت الصندوق الذهبي لتطور الفكر الإنساني. في الوثائق الأمريكية في الإعلان عن الاستقلال وفي قانون الحقوق. وفي الفرنسية في إعلان حقوق الإنسان والمواطن. إن الكثير من موضوعات هذه الوثائق وجدت لنفسها انعكاساً في تشريعات البلدان الأوروبية لكن الإبداع القانوني الدولي وداخل الدول تطور بجدية في مجال حقوق الإنسان في النصف الثاني من القرن العشرين عندما أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة عن الإعلان العام لحقوق الإنسان وهذه اللحظة مميزة بأن حقوق ليس فقط يعلن عنها في المواثيق والإعلانات (بل وتسجل في القوانين الأساسية للدول وفي الإتفاقات الدولية الهادفة إلى تحقيق والدفاع عن حقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم (بالرغم أن هذا يحدث ليس بدون صعوبات).

تعد الصحافة ليس فقط وسيطاً إعلامياً في عملية تعزيز نظام القانون والدفاع عنه إنها وهي ذاتها عبارة عن القوة التي تنفذ هذا العمل ولكي يستطيع الصحفي القيام بهذا العمل بشكل جيد وعلى أكمل وجه عليه أن يمتلك معرفة متطورة للقانون وأن يتسلح بنظريات تقدمية للدفاع عن القانون والأهم أن يعرض بسلوكه الخاص كذلك مقدرته على العمل بالتوافق مع القوانين واحترامه لحقوق الإنسان وأيضا احترامه لكل المؤسسات الديمقراطية التي عليها أن تكون ضمانة للالتزام بهذه القوانين.

إلا أنه بغض النظر عن أن التزام قوانين حقوق الإنسان المعلن عنه من قبل زعماء أغلبية البلدان المتحضرة للصحفيين لمبدأ رئيس للصحافة أن حالات تجاهل حقوق الناس من قبل الصحفيين ليست قليلة. وكثيرة الأمثلة على تجاهل القوانين بما فيها قانون وسائل الإعلام الجماهيري.

وهكذا إن قانون وسائل الإعلام الجماهيري يؤكد صراحة على أن الصحفي عند قيامه بنشاطه المهني عليه "التدقيق في صحة المعلومات التي يخبر عنها" و"احترام حقوق والمصالح القانونية وشرف وكرامة المواطنين والمؤسسات" لكن شهراً بعد شهر تصل إلى المحاكم قضايا مرفوعة بسبب نشر معلومات غير دقيقة أو تمس شرف وكرامة

الشخص والعديد العديد منها يخسرها الصحفيون وليس مصادفة حتى "نجوم الغناء" المعتادون على اختراق الصحافة لحياتهم الشخصية يفقدون صبرهم ويسلكون "طريق الحرب" على الصحفيين.

لكن ليس دائماً يكون الصحفيون منصاعين للقانون وعندما يحصلون على المعلومات عند عملية إعداد المواد فبعد مشاهدتهم مخالفات القانون من قبل الموظفين الذين يعيقون دون أساس وصول الصحفيين إلى المعلومات يحاول الصحفيون المخاطرة والمجازفة فيحصلون على المعلومات بطرق ملتوية إن هذا حقاً ليس صحيحاً فهنا مشكلة ويجب حلها لكن ليس بهذه الطريقة.

وإن التناقضات في التشريعات التي تحدث المصادمات التي من الصعب جداً إيجاد الحل لها تدفع الصحفيين إلى اختراق حدود الأجواء القانونية. إنها ما يسمى بـ"المناطق الرمادية" إن الخروج منها يكون دائماً عملياً خارج الحقل القانوني. والمثال النموذجي على مثل هذا الصدام هو حالة مع "الحياة الشخصية" كما هو معروف أن قوانين العديد من البلدان المتطورة من بينها تحرم "جمع وحفظ واستخدام ونشر المعلومات عن الحياة الشخصية للأشخاص دون موافقتهم" ومن جهة ثانية هناك قانون آخر وهو:

لكل شخص الحق بحرية الحصول والبحث ونقل وإنتاج ونشر المعلومات بأية طريقة قانونية. ما الذي يحصل عندما يبدو الصحفي في نقطة تصادم القانونين.

احترام القانون وحقوق الإنسان – عنوان الاستقرار وأمن البلد الذين أصبحا عندنا أقل، أحد ما من الصحفيين يريد كي يصبح الوضع أسوأ من الصعب إيجاده أما أحد ما منهم لا يحترم القانون وحقوق الإنسان إيجاده لا يشكل أية صعوبة.

بألم يشير في كتابه "حقوق الإنسان" تروشكين ف.يو ولا يجوز عدم الاتفاق معه.

المبدأ الأخلاقي – المهني الثاني هام لأنه يفترض نقل الضرورة الظاهرية بالنسبة للصحفي إلى حاجة داخلية له يتحقق ذلك ليس فوراً، لكن فقط بشرط أن في المجتمع الصحفي تتكون أجواء مناسبة.

المبدأ الثالث:

التزام معايير الأخلاق المتبعة، وأيضاً بمقاييس ثقافة العلاقات المتبادلة بإظهار الإخلاص الإنساني العميق والتربية واحترام شرف وكرامة الفرد.

في أحد أعداد مجلة "الصحفي" نشرت مادة معدة من قبل المركز الدولي للصحفيين (الولايات المتحدة الأمريكية) ونبدأ المادة هكذا" إن البعض يعتقد أن الصحافة الأخلاقية هي "مضادات" أي توافق كلمات متقابلة من حيث المعنى".

لماذا البعض؟ نعم، إن أكثرية الناس هكذا يفكرون!

أشار بعد أن وضع المجلة جانباً ضيفي الصحفي المجرب الذي عملنا معه فترة طويلة.

وهذا يشبه الحقيقة أتذكر "ت"؟ (وذكر نسبة أحد معارفي المقربين) إنه أفضل صحفي عرفته من بين الجميع فكيف كان يبدو؟ وكيف تصرف؟ أنا لست واثقاً أنه كان يغتسل في الأسبوع ولو مرة واحدة وأنه من الضروري طلب السماح عند الدخول إلى غرفته أحد ما أو إلى مكتب.

"ت" كان حقاً شخصية بارزة إن لم نقل كريهة. ولم يملوا في الأوساط الصحفية سرد القصص عنه كان يستطيع الحصول على المعلومات من تحت الأرض وبالمعنيين المباشر وغير المباشر وحقاً كان لا بد من التدقيق في نصوصه (كانت تنقصه الفهلوية) لكن كان فيها دائماً "فكاهة". الأهم من ذلك كانت تتناول جوهر الأحداث بدقة ولم ترد فيها أخطاء فعلية. لكن كانت تسبق ظهورها في كل مرة أحياناً قصة ما حقيقية، وغير مبتذلة تارة فضيحة وتارة مضحكة. قالوا مثلاً أنه ذات مرة حصل على كشف حساب لإحدى مواده وهو جالس تحت الطاولة في غرفة في فندق ما حيث توقفت شخصية معروفة من الناحية الرسمية كانوا قد رفضوا دخوله القاعة ودخل سراً والأكثر إلحاحاً على ما استمع إليه "ت" من المحادثة التي أجرتها هذه الشخصية المعروفة مع الصحفية الشابة كانت هذه الصحفية التي وافق ضيف المدينة على التواصل معها بكل ترحاب.

ما رأيك سألت زميلي لماذا لم تضمه أي جريدة إلى ملاكها؟ الجميع استفادوا من خدماته لكن لم تقبله ولا هيئة تحرير.

رفع جوابه مستغرباً:

الزمن كان في أيام الحرب الباردة! ولم يقدروا العبقرية عندئذ.

أمن الممكن لذلك أنه بالنسبة الى الإنسان الطبيعي التهرب من التواصل مع مثل هذه "الشخصيات الشاذة"؟

يجب التسامح كثيراً مع العبقريات. وأحكمت الدائرة.

انظر ماذا يحدث قلت أنا في البداية نتسامح كثيراً مع العبقري ومن ثم نبدأ التفكير أنه هكذا يجب أن يكون في الصحافة وبعدها تلد فكرة أو رأي "الصحافة الأخلاقية هي تتطابق مع الكلمات المتقابلة من حيث المعنى".

يبدو أنه نعم... وافق بصعوبة. وقدمت له عدد "الجريدة" حيث نشرت فيها مقابلة مقدمة ليس بلا سخرية لأحدهم مع مقدم أحد البرامج التحليلية الاسبوعية في قناة B.L.c وهو أيضاً إنسان عبقري. تحدث في المقابلة هذا المحلل بطريقة غريبة عن آداب السلوك واللباقة بعد أن أشار إلى أنه لا ينوي التعاطي مع جريدة " m " بصدد نشرها، صرح قائلا: "الأفضل أن أحقرهم وليرفعوا ضدي دعوى" وأضاف: "إنني أحقر الناس الذين أرى توضيح العلاقات معهم لا يصل إلى مستوى كرامتي" هنا ضيفي لم يستطع تمالك نفسه:

لكن هنا أخلاق سيئة. إن نشاهد هذا على الشاشة، تصوري ماهو "فيروس النذالة" الذي يتكون!

لقد أعجبني جداً تعبيرة هذا "فيروس النذالة".

إن وضع الصحفي في المجتمع هو أنه يجذب دائماً الانتباه إن أراد ذلك أم لا ويؤثر على الجمهور ليس فقط بنصوصه وإن كان صحفياً تلفزيونياً؟ فإن أي إشارة له وأية كلمة وتعابير وجهة وحتى نظرته (دون الحديث عن البرنامج

بشكل عام) يمكن أن تصبح مصدراً للفيروس خيراً كان أم شريراً – إن ذلك يعود إلى مستوى أخلاقياته وثقافته.

وحقيقة أن الصحفي يدخل في علاقات مجموعة العمل الأخلاقية المهنية في الوقت الذي لديه قد تكون تقليداً محدداً للتنظيم الأخلاقي لسلوكه في المجتمع يحدث تعقيدات غير قليلة. نكرر أن المستوى الأخلاقي لدى الناس مختلف بغض النظر عن أن القانون الأخلاقي الذي يتطلب تنسيقاً لأعمال كل فرد وكل مجتمع على حدة. وإن كان الأمر غير ذلك فلا يجوز الحديث عن المبدأ الذي ننظر فيه الآن لكن بما أن الواقع على هذه الشاكلة وبما أن ينضم إلى الوسط المهني للصحفيين أناس من مستويات مختلفة من الأخلاقية لأن هذا المبدأ مهم جداً أو أنه قادر على تحفيز التطور الثقافي والأخلاقي لكل عضو على حدة من أعضاء هذا الوسط بتحسينه وتصحيحه بذلك للمناخ الأخلاقي المهني، وحقاً إن هذا لا يمكن أن يكون ضمانة مطلقة لعدم تحول مفهوم الصحافة الأخلاقية إلى أن تتطابق الكلمات المتناقضة من حيث المعنى لكنه يساعد إلى درجة ما على حل التناقضات التي تنشأ بين متطلبات الأخلاق العامة وبين حالة جو الوسط الصحفي الأخلاقي – المهني وبالنتيجة تتاح الفرصة لتعزيز هيبة الصحافة في المجتمع ولتوسيع مجال الآثار الإيجابية لعملها.

إن إرشاد للصحفيين لالتزام هذا المبدأ اليوم مهمة جوهرية للغاية ففي مرحلة التطور المتسارع للسوق الإعلامية والنشوء المتواصل لوسائل إعلام جديدة والتحسن المتوالي والسريع على تكنولوجيا الإلكترونية أن السلك الصحفي يزداد بكثافة بأناس من مختلف فروع النشاطات وبالنسبة للعديد منهم أن القيم الأخلاقية – المهنية في الصحافة ليس واقعاً أبداً، بل التصور عن حرية الإبداع لا يجمع بينه وبين التصورات المهنية العقلانية أي شيء، وأن أكثر الضمانات قوة من الجور الإرادي واللاإرادي. يمكن أن يكون المستوى العالي للباقة الإنسانية وثقافة الصحفي بالذات.

المبدأ الرابع:

تنفيذ كل الأفعال المهنية بتأمل وتروي وبإخلاص وبدقة بإظهار الضمير الحي والمثابرة وعند الضرورة الرجولة.

إن هذا المبدأ مرتبط ارتباطاً مباشراً بسابقه ومن حيث الجوهر يعد تفصيلاً للمبدأ الثالث لكن هذه التفاصيل لها خصوصيتها ومن نوع خاص، وإن الإرشادات الواردة فيه تعود مباشرة إلى إرشادات أخلاقية العمل أما أخلاقية العمل كما نذكر تشكل مجموعة خاصة من التراكيب الأخلاقية التي نشأت في سبيل تعزيز العلاقة المخلصة بالعمل في سلوك الإنسان بغض النظر عن مكانته في المجتمع (بغض النظر عن المهنة) وهكذا أبدت نفسها خلال التطور الاجتماعي ضرورة ضمان الوصول المتواصل للسلع النوعية المهمة والحيوية إلى المجتمع موفرة بذلك بقاء الإنسان والمجتمع، وأن الأخلاق المهنية في المجتمع الصحفي مدعوة لإرشاد أعضائها إلى تلك العلاقة بمسلمات أخلاقية العمل التي فيها يجب أن لا تنشأ المسائل الخاصة بنوعية السلع الصحفية.

بيد أنها وللأسف تنشأ.

كان التلفاز المحلي في السابق أقل شهرة لكن أكثر مهنية كادر جيد وضوء طبيعي في الاستديو ولباس المقدم جميل فمن الآن يهم هذا كله تأملت أثناء حديثها مع مراسلة مجلة "الصحفي" إحدى نجوم شاشة التلفاز... في حين كانوا يقولون: "إن الحماس قد ذهب والمهنية لم تظهر بعد".

يأتي الصبيان والفتيات الصغيرات إلى التلفاز كي يتعرفوا إليهم. حقاً لتحصيل المال لكن لا بد من تحقيق هذا وذاك في كاميرا الهواة دون التفكير مسبقاً. إن الفتيات الصغيرات من قناة "النيل" يسمون بالعازفات على الكمان أثناء المهرجانات، ويبدو لهن أن ذلك سهلاً لهذه الدرجة وبالفعل ضغط على الزر وحصل على لوحة، دس الميكروفون وحصل على لقاء صحفي ويقولون للضيوف اكتبوا الأسئلة وتظهر

على الشاشة ويتعرفون إليك في الشارع. إنك لجم لماذا كتبت السيناريوهات؟ ولماذا هذا الكادر الذي لا بد من جمعه.

انعكست في هذه المتابعة، كم هي مميزة امارات "يوميات التلفزيون" الآن إذ إنه ذات مرة عندما قرأت مقطعاً من ندوة صحفية عد ممثلوا ثلاث مدن الحالة وكأنها حالتهم.

وبدا ملحوظاً أن الدقة أيضاً في عمل الصحفيين أصبحت منخفضة المستوى لأن ذلك يبدو حتى في عدد الأخطاء التي تلاحظ على صفحات الجرائد، وأن الأخطاء بالمقارنة مع القصص التي تشتعل حولها الدعاوى القضائية. بالسبب ذاته إذ إن الصحفي قد سمح لنفسه أن يكون متهاوناً فتارة لا يدقق المعلومات والمعطيات التي جلبت الأقاويل وتارة أخرى لا يفكر كيف يثبت موقفه بصورة أفضل وتارة ثالثة لم يرهق نفسه في البحث عن الكلمة التي لا تهين شخصيات المادة المنشورة.

من المميز في هذا المعنى العبء القضائي بين المدعي العام في مدينة القاهرة وصاحب هذه المقالة "هيا اغتصب!" التي نشرت في (صفحة الحوادث). إن المادة الصحيحة من حيث جوهرها كانت غير معدة بشكل دقيق (المؤلف استمع فقط إلى جانب واحد) وكتبت بحدة عاطفية شديدة (إن المدعي العام المذكور موظفة النيابة العامة التي يدافع عنها دون أي أساس) "سارقين حقيقيين". وانتهى الأمر أن المحكمة في القاهرة قد اتخذت قراراً بإلزام هيئة التحرير بنشر التكذيب وإلزامها بدفع مبالغ كبيرة لصالح المدعي..

حقاً، إن الأمثلة غير قليلة أيضاً على الميزات المقابلة لهذه في وسائل الإعلام الجماهيري إنها تتحدث عن أن أصحاب الأثير والقلم غير بعيدين عن الفضائل التي بفضلها تملأ السيول الإعلامية الجماهيري النصوص على الدوام التي تسمح للصحافة القيام بدورها بشكل جيد ويعود ذلك أيضاً ليس فقط إلى أن من يجري التحقيق الصحفي من "النقاط الساخنة" أو من أماكن والأحداث الطارئة. إن الناس الذين ببساطة يتكلون على الآخرين موجودون ولحسن الحظ في جميع الأقسام المختلفة

"للورشة الصحفية". والمهم أنهم بالذات من "يحدد الجو" في وسائل الإعلام الجماهيري. وجوهر الأمر هو أنه لهذا بالذات يجب على المبدأ الرابع أن يرشد الوسط الصحفي.

ونؤكد مرة أخرى: إن خصوصية المبادئ الأخلاقية – المهنية هي طبيعتها الشمولية هل يتعامل الصحفي مع مصادر المعلومات وهل يتواصل مع الشخصيات الفاعلة في المنشورات القادمة وهل يتوجه إلى الجمهور وهل يتعاون مع ممثلي السلطات أو الزملاء في كل هذه الحالات أنه (إن كان مهنياً حقيقياً) عن وعي أو من دون وعي يعتمد على المبادئ المذكورة أعلاه إن هذه الوصايا الأخلاقية – المهنية التي إن اتبعتها لا تفقد أبداً الإحساس بالمسؤولية ولا تهين كرامتك المهنية ولا تلوث شرفك وباختصار ستعيش بوئام مع ضميرك.

لكن المبادئ الأخلاقية – المهنية ليست أمراً من قائد وإنما هي توصيات أو وصايا. وإن الصحفيين يقسمون إلى قسمين قسم يتبع هذه المبادئ والقسم الآخر يتجاهلها. وإن كان الوسط المهني مخلصاً للأخير، وإن كان لا يلغي بالسخط عندها يصطدم بعلاقات اللامبالاة بهذه المبادئ يعني أنه مريض وبشكل جدي: فقدان التوجهات يهدد بـ "الطريق المجهول" والحمد لله أن في سلكنا الصحفي أخذت تظهر علامات الصحة. وتنكشف في هذا المعنى حقيقة لنيات إحداث لجنة حكم كبيرة تابعة لاتحاد الصحفيين العرب التي قد نظرت في عام 1999 في حالات أزمات عديدة نشأت بسبب عدم التوفيق في مجال العلاقات الأخلاقية – المهنية، إلا أن نصف البنية وكثرة الطبقات للعلاقات المهنية – الأخلاقية التي يدخل فيها الصحفي أثناء عمله تشترط حتمية تدقيق الدوافع الموضوعة عموماً في المبادئ وتظهر الحاجة إلى المنظمات الأخلاقية – المهنية لبعض جوانب السلوك الصحفي المهني ماذا تشكل هذه المنظمات؟

الفصل السادس

المعايير مثلها كمثل الرقابة



المعايير مثلها كمثل الرقابة

بعد أن أنهيت ترتيب الموضوعات الأخلاقية - المهنية المأخوذة من القوانين التي قرأتها طلبت من الزميل الصحفي النظر إلى نتائج العمل. وكان من المهم توضيح هل من السهولة ملاحظة الفوارق بين ثلاث فئات من التصورات التي تشكل الجزء الأساسي لوعي الصحفي الأخلاقي- المهني أخذ الوريقات وقرأها وأمعن في التفكير ومن ثم أخذ يدقق:

المقولة الأخلاقية - المهنية. هي التصورات التي تعطي الصحفي نظاماً للإرشادات النفسية الأساسية للعمل وتحدد الموقف الصحفي ربما نعم.

المبادئ... المقصود الصف الثاني من التصورات هي تلك التي تحدد قواعد السلوك الأساسية والشاملة بالنسبة الى المهنة وكأنها تدل على الشروط التي بناء عليها سيكون على الصحفي أن يكون دائماً في القمة لنفترض.

أما الفئة الثالثة لا تزعل أقول لك فوراً: تستدعي لدي الامتعاض الحاد وتفهم كاغتيال للحرية مع ذلك إنها الرقابة! انظر كم من المعايير هذه هناك!إنها شريط شائك بستة صفوف حتى إنني ضحكت: إن هذه المعايير بنيت على ستة صفوف فعلاً (سنرى ذلك فيما بعد) وحاولت الاستشهاد بأنها بنفس العدد في القوانين ولست أنا من اخترعها لكن زميلي لاحظ فوراً إنها حسب القوانين مشتتة أما هنا تبدو جميعها مجتمعة وتحولت

إلامَ تحولت؟ سألته دافعاً إياه انهاء فكرته؟.

قلت إلى رقابة!

وهذا الذي كنت بحاجة إليه فقط:

ومن الممكن أن الإرشادات أيضاً لأجل الرقابة الذاتية.

وبدأنا مناقشة هل الصحافة في حاجة إلى رقابة أم لا "الرقيب الداخلي" ما هو العدو لحرية الإبداع أم المستشار الحكيم للصحفي الذي يشجعه ويشجع الصحافة والمجتمع وكل إنسان يضعه الطريق المهني في عداد الصحفيين اتفقنا على أنه مستشار، عندئذ نشأ سؤال آخر هل يجب أن يكون لدى "المستشار" أسس ما لتقديم "النصائح" ومرة أخرى توصلنا إلى وفاق وإن صح التعبير "دروس التاريخ".

لكن في أساس المعايير الأخلاقية - المهنية توجد مثل هذه "دروس التاريخ"

قلت أنا أفكر في الوصف: المعايير هي التصورات المتكونة خلال العمل في المهنة وتدفع إلى تلك الأنواع من السلوك خلال النشاط الذي يسمح بالتواصل في ظروف معينة وباحتمال كبير إلى علاقات أفضل وبتحقيق نتائج جيدة.

نعم، قال هو

أقنعتني لكن مع ذلك لا يجوز أن تكون كثيرة هكذا!

والآن جاء دوري بالموافقة وبدأ من جديد إحصاء ما أخذته من القوانين محاولاً التخلص من تقسيم المعايير الزائدة. بدا أن الزميل كان على حق ووجدت الأسس لذلك واستخدمتها ومع ذلك أن "الصفوف الستة" بقيت ستة اتجاهات بالذات للعلاقات الأخلاقية - المهنية لا تزال موجودة في العمل الصحفي وعنها سيأتي الحديث لاحقا.

علامَ تبنى العلاقات مع المتلقي؟

إن العلاقات مع متلقي المعلومات - جمهور وسائل الإعلام الجماهيري هي الغالبة في أخلاق الصحفيين المهنية.

إن القارئ والمستمع والمشاهد هم الذين نعمل من أجلهم ونخصص لهم ثمار أعمالنا دون ملل أو كلل من متابعة متغيرات الواقع لكي نخبر في الوقت المناسب عن الأنباء المهمة والمساعدة على الإمعان بها وإدراكها لكن كما استطعنا أن نقتنع أن السلطة الصحفية بالنسبة الى المتلقي لاتكون دائماً آمنة ويكتب عالم الاجتماع فيدونوف ن.ل معللاً ضرورة دراسة تطبيق استخدام أو حاجة الجمهور للمعلومات:

منذ أن ظهرت بين التجربة الشخصية للفرد وباقي العالم شخصية المفسر الشخص (أو المؤسسة) وهو لم يسقط من القمر(بالرغم من حيث الخصوصية والأهمية، وتبرز أهمية دوره أن الإنسانية منذ زمن بعيد ميالة إلى تأليهه) العلاقة بينهم أصبحت معضلة: موضوعاً للتفكير والتأمل ومن الممكن للتحول بكيفية قيام المفسر بمهمته وما لوحة العالم الذي يرسمها للوسط المحيط به وإلى أي جانب من الأفق يتطلع في هذه الأثناء...

إن الأهمية العملية الكبيرة والطارئة لهذه المشكلة حددت السعي العفوي للجمهور (على الأمم للجزء الأكثر ثقافة منه) إلى الدفاع عن نفسه من التأثير الكبير للصحافة مركزاً الاهتمام بتعاون الإنسان الشخصي مع نظام وسائل الإعلام الجماهيري من وجهة النظر هذه، يمكن الحديث عن أفعال الجمهور كنشاط منتقى بالعلاقة بوسائل الإعلام الجماهيري وعن القيادة النشطة للإنتقاء وأخيراً عن الحواجز التي يدافع بها الفرد عن ذاته والتي يقابلها الفرد بتفاعله مع وسائل الإعلام أو إن صح التعبير عن المصافي التي من خلالها يزرع الفرد المعلومات.

ماذا يعني هذا بالنسبة الى وسائل الإعلام الجماهيري المعينة في ظروف التنمية لا يتطلب الشرح بالتفصيل. إننا أصبحنا نعرف أن طرطشة الانعكاسية الصحفية المهنية في هذا الصدد قد تحولت بالنسبة للبلاد التي سارت على طريق تطور التنمية منذ زمن بعيد إلى عملية مكثفة لتشريع المعايير الأخلاقية المهنية التي تكونت عفوياً بهدف جعل علاقات الصحافة مع المجتمع على أكمل وجه. وقد بدأت بعض المجتمعات العربية بإصلاحات السوق في السنوات العشر الأخيرة فقط من القرن الماضي وهكذا إن صحافتها ما لبثت أن تستوعب خصائص التفاعل مع الجمهور في الوضع الاقتصادي والاجتماعي – السياسي والاجتماعي – النفسي الجديد (إضافة إلى أنه متأزم في كثير من جوانبه) وفي هذه العلاقة أن تجربة الاتحاد الصحفيين الدولي في مجال الحؤول دون وقوع تعقيدات غير مرغوب فيها في العلاقات مع المتلقي للإعلام الجماهيري والمسجلة على شكل موضوعات قوانين أخلاقية لها أهمية كبيرة

جداً بالنسبة للشعوب العربية. بماذا وبأية معايير بالذات تنظم علاقات (الصحفي- الجماهير) في زماننا وإلى أي قدر تستطيع هذه المعايير إيقاف النظام الأكبر لتفاعل المنتج مع المستهلك للمعلومات الجماهيرية؟

إن تحليل الوثائق الأخلاقية – الصحفية وتصريحات أصحاب القلم والأثير والأعمال العلمية في مجال الأخلاقية المهنية للصحفي تسمح بالاستنتاج أن الأمر المحدد اليوم في هذه المجموعة هي المعايير التي تتضمن المتطلبات الإرشادات التالية:

الدفاع بكل السبل عن حرية الصحافة كجزء لا يتجزأ من حقوق البشرية والخير العام احترام حقوق الناس بمعرفة الحقيقة بتقديم المعلومات عن الواقع الصحيحة والموضوعية بدرجتها القصوى وبالفصل الواضح بين الإخبار عن الوقائع وبين الآراء ومواجهة الإخفاء المقصود للمعلومات المهمة اجتماعياً ونشر المعلومات الكاذبة.

احترام حقوق الناس في المشاركة في تحديد الرأي العام بمساعدتهم التعبير بحرية عن وجهة نظرهم في الصحافة والراديو والتلفاز وبمساعدتهم بجعل وسائل الإعلام الجماهيري في متناول أيديهم.

احترام القيم الأخلاقية والمقاييس الثقافية لدى الجماهير باستخدامها كأساس قيم للإنتاجات وبعدم السماح بالتلذذ في النصوص بتفاصيل الجرائم وبالتسامح مع الغرائز السيئة وحتى التأكيدات والكلمات التي تحقر مشاعر الإنسان القومية والدينية والأخلاقية.

تعزيز الثقة بوسائل الإعلام الجماهيري بالمساعدة على قيام حوار مفتوح بين وسائل الإعلام الجماهيري والقراء والمشاهدين والمستمعين وبالاستقبال العلني للاحتجاجات المحقة للأوساط الاجتماعية على نشاطها وبإعطاء إمكانية الإجابة على النقد وبالتصحيح السريع للأخطاء الجوهرية ومن دون السماح بالتحكم المقصود بوعي المتلقي للمعلومات وأيضاً تنويهه من خلال مضمون المواد عن طريق عناوينها غير الدقيقة.

إن هذه المتطلبات – الإرشادات المذكورة لا تشمل بالطبع كل تصورات الـوعي الصحفي المهني المتعلقة بإمكانيات جعل التعاون مع الجمهور على أفضل صورة. ولقد ذكرنا فقط منه تلك التي تخدم التحقيق المباشر للموقـف المهـني والمبـادئ الأخلاقيـة – المهنية لدى الصحفي وإنها تساعده على الوقوف في حالات الانتقاء الأخلاقـي علـى الأفعال التي لا تلحق أي أذى جوهري بمتلقي السلعة الصحفية.

إن اتبـاع المعـايير المقدمـة في صـفنا الأول والأولى أصـبح تقليـداً ثابتـاً بالنـسبة لـ **MASS MEDIA** كل العالم. وإن الـصحفيين بإظهـارهم التـضامن النـادر يـرون مهمتهم بدرجة عالية من النبل في سبيل الدفاع عن استقلالية الـصحافة عـن الـسلطة وبعدم السماح بإدخال الرقابة وبدعم الزملاء في تلك الدول حيـث وسـائل الإعـلام الجماهيري لم تعزز بعـد في حقوقهـا الديموقراطيـة،إلا أن حقيقـة وجـود هـذا التقليـد لا يعني أبداً أن هناك ولو دولة واحدة في الكرة الأرضـية تم التوصـل فيهـا إلى الحريـة المطلقة للصحافة. حتى في الولايات المتحدة حيث ضمان عمل الحكومة الديموقراطيـة وحرية المواطنين يتمثل في حرية الصحافة لا وجود لحرية مطلقة للصحافة ولا يمكن أن تكون لأن مفهوم "الحرية المطلقة" عند تطبيقـه علـى المؤسـسات الاجتماعيـة والإنـسان ككائن اجتماعي هو كلام فارغ أن الحرية المطلقة تعني انقطاع تام وغياب تام للعلاقات والروابط ويمكننا تصور حامل الحرية المطلقة فقط في الفراغ وهذا أيـضاً نـسبياً، ذلـك لأن الفراغ هو فراغ وأن منطق المحاكمات العقلية الذي بناه البروفـسور جـون مايريـل للبرهنة على التأكيد أن في أمريكا حرية للصحافة يستدعي الفضول:

كلمة "حرية" يكتب هو، لا تعني أن الإنسان حر من كل شيء، أن تكون متحـرراً مـن كـل شـيء مـن النـاس الآخـرين، مـن القـوانين، مـن الأخـلاق، مـن الأفكـار، والانفعالات مستحيل في الواقع. وأن الإنسان سليم التفكير لا يـستطيع الرغبـة بهـذه الحرية. والحقيقة تكمن في أن أي حرية ضرورية ومرغوباً فيها يجب أن يكون لها حدود لأن الحرية الفعلية يجب أن يكون لها معنى وأرضية وأمثلة هذه القاعدة للحريـة يمكـن إيجادها في علم الأخلاق الكونشوسي. والخير هنا أساس حدود الحرية وعلى الإنـسان

أن يختار الخير وليس الشر، وإن انتصر الشر فإن الحرية ستزول على الأرجح وهكذا، إن اتبعنا هذا العلم الأخلاقي فعلينا السماح بالحرية فقط من أجل الخير وليس من أجل الشر وهكذا تتنامى الرغبة في التوقيع تحت هذه الكلمات لكن العائق واحد لقد أثبت التاريخ أن الخير أحياناً لا يكشف فوراً عن وجهه أما الشر فيحب ارتداء لباس الخير لذلك من غير الصعب الوقوع في الخطأ.

نعم، إن الحرية الفعلية يجب أن يكون لها معناها وأرضيتها وهذا المعنى وهذه الأرضية عندما نتحدث عن حرية الصحافة يشكلان القوانين الخاصة بها لأن حرية الصحافة هي إمكانية بناء عمل الصحافة بالتناسب مع قوانينها الداخلية دون السماح للعنف والسيطرة على طبيعتها، وأن هذه الإمكانية بالذات في ظروف عندما يتطاولون على الدوام وباستمرار عليها أولئك من يرغبون في استخدام الشمولية الروحية الفريدة لهذه المؤسسة الاجتماعية، ومجال وسرعة تأثير الصحافة لخدمة المصالح والأهداف الخاصة يحاولون حماية الصحفيين بالتوافق مع المعيار الأخلاقي المهني الذي نتحدث عنه.

احترام حق الناس في معرفة الحقيقة هو المعيار التالي في هذا الصف الذي يفترض مظاهر محددة للغاية لهذا الإحترام وتتكون من:

الملاءمة والمصداقية والموضوعية الممكنة في حدها الأقصى للمعلومات المقدمة السعي إلى أن يستطيع متلقي المعلومات تكوين تصوراً واضحاً لنفسه عما يحدث في الواقع وكيف يفكر الصحفي بهذا الصدد.

الاستعداد للذهاب إلى النزاعات وحتى الدخول بعلاقات خدمة معقدة باسم ضرورة ايصال للجمهور الخبر المهم بالنسبة له أو بالعكس إعاقة انتشار المعلومات الكاذبة.

هل هي كثيرة خروقات هذا المعيار في عمل وسائل الإعلام الجماهيري؟

للأسف، ليست قليلة. لكن مع ذلك لدينا العديد من الصحفيين الذين يعملون بالتناسب مع هذا المعيار اتوماتيكياً دون تأخير. إن الصحفي الذي تحدثنا عنه لم يكن

المثال الأوحد على ذلك والمعيار الثالث في هذا الصف الذي يفترض احترام حقوق المواطنين، في المشاركة في تبادل الآراء بمساعدة تحديد الرأي العام. إن العاملين في الصحافة المطبوعة والإلكترونية يلتزمون به بدرجات مختلفة وتساعد التلفاز والراديو في البحث عن أشكال جديدة لاجتذاب الجمهور إلى هذه العملية إمكانات التكنولوجيا الحديثة إن البث المباشر للقاءات مع رجالات الدولة المعروفين ورجالات المجتمع المستهوين ومع ممثلي العلوم والثقافة والاتصال الهاتفي المباشر والاستطلاع العالمي الشامل والنشط وحقيقة إنه ليس على الدوام يقدم الجانب الغني للآراء بشكل كاف وتوازي المواقف لكن الصحافة الإلكترونية تسبق الصحافة المطبوعة في مجال أشكال مشاركة الجمهور في تكوين السيول الإعلامية الجماهيرية.

وتسود على صفحات الجرائد آراء الصحفيين الخبيرين، وأضحى نشر رسائل القراء نادراً على الرغم من أن في المنشورات والإصدارات تم الحفاظ على العناوين مثل "آراء" أن تنظيم وترتيب "مواد المؤلفين" على الشكل الذي مارسته الصحافة في الأنظمة الشمولية الحمد لله قد أصبح من الماضي ومعه تذهب بالتدريج إلى الماضي ظاهرة مثل "ما وراء المؤلف أما الأشكال الجديدة لوصول كلمات القراء إلى صفحات الإصدارات المطبوعة تولد بصعوبة والملاحظات تشير إلى أن كلمة القارئ اليوم يمكن إيجادها في الصحفية في ثلاث حالات وبصعوبة أيضاً:

إن كان هذا "القارئ" ممثلاً لخدمة ما من خدمات العلاقات العامة وعندها تنشر نصوصه تحت عنوان "أنباء البزنس" و "حق الإعلان" وغيرها.

إن كان منشأ "لأسلوب اكسبريس" ما أو "كريم _ اكسترا" والذي يروج لبضاعته.

إن كان شخصية مؤثرة أو سائدة في المحيط والتي تطلب منها الجريدة إعطاء حديث صحفي أو تدعوها للإشتراك في جولات الإتصالات الهاتفية المباشرة مع القارئ.

في هذه الحالة إن تطبيق الإصدارات التي تجتذب إلى عملها "مجموعة واسعة من أصدقاء هيئة التحرير" جدير بالاهتمام وتضم هذه المجموعة شخصيات إبداعية لامعة من مختلف مجالات العمل تمتلك عبقرية الكاتب الاجتماعي، وإنها تقدّم عناوين دائمة وتقوم بدور الخبراء وتتقاسم التصورات بصدد هذه أو تلك من القضايا التي تعيشها مع البلد كله هذه هي الاستجابة المستحقة للصحفيين على مطلب المهنة والموضوع في المعيار الذي يجري الحديث عنه.

إننا غالباً ما نصطدم أثناء عمل الصحفي بخرق للمعيار المذكور في قائمتنا تحت رقم أربعة، ويبدو أنه يأمر بجد ذاته بأشياء مفهومه: الاعتماد في نتاجاتنا على تلك المواد الثقافية وعلى تلك القيم التي يسترشد بها الجمهور، وعدم دفعه إلى الرذائل والقسوة وعدم تحقير قيم الإنسان القومية والدينية والأخلاقية بالسماح لنفسنا بعدم وضوح وسائل التعبير عن الخبر ومع ذلك فإن هذه الإرشادات بالذات تبدو صعبة التنفيذ.

لقد عالجنا ذات مرة في حلقة بحث مواد قادمة إلى إحدى الصحف العربية تحت عنوان "إلى العدو بسرعة" وضع الطلاب أمامهم هدف تحديد هل يستطيع المؤلفون تنظيم الملاحظات هكذا كي لا يشوه تقدير المؤلف الحقيقة، وفجأة قالت إحدى الفتيات المستاءة بتعجب "يا له من كابوس..! إنهم يكتبون عن مقتل الناس ويضحكون في الوقت نفسه، وينتج أن حياة الإنسان لا تمثل أي قيمة بالنسبة لهم". وكان من دون فائدة اقتراح النظر بكيفية نقل الواقعة وكيف عبر عن التقويم غلت القاعة بالعواطف بأن علاقة العاملين في هيئة التحرير، بالحياة المبنية من قيم إنسانية عامة قد استدعت لدى الشباب الكراهية وعندما هدأت موجة الاستنكار طرحت السؤال التالي: "أمن المعقول لم يكن لدى مؤلفي هذه الملاحظات إحساس بالشفقة على المصابين وبالعطف على الأقرباء؟ وهل من المعقول أن تكون حياة الإنسان في الواقع لا تساوي في أعينهم شيئاً؟ - لا بالطبع هذا في سبيل النكتة الجميلة.

- قالت الفتيات مقاطعات بعضهن بعضاً، أما الشباب فابتسموا بتسامح ومن ثم قالوا "لو أنهم نكتوا في مكان ما في الغابة فهذه جريدة" ومن ثم قالوا : "لو أنهم نكتوا في مكان ما في الغابة فهذه جريدة".

وعند ذلك الحين وفي كل مرة تقريباً عندما يكون علي الحديث عن جوهر المعيار الذي أصبح في هذه الحالة مادة لاهتمامنا أبدأ باقتراح بالاطلاع على مواد هذه الزاوية "إلى العدو بسرعة" الاستنتاجات تظهر لوحدها عند أولئك الذين يشاركون في الحديث.

إن المعيار الخامس يشكل حالة خاصة الأمر محصور في أن تعزيز الثقة ثقة الناس بوسائل الإعلام الجماهيري مهم بنفس الدرجة الذي هو فيها خطر. إننا أصبحنا نعرف أنه في التاريخ كانت حالات عندما كانت تتحول الصحافة المثقلة بفعل هذه أو تلك من أسباب الوظيفة التحكمية باستخدام ثقة الجمهور.

إن التحكم هو طريقة فريدة من نوعها للتنظيم الاجتماعي والإدارة والرقابة وحتمية حياة الناس الشخصية. ففي المجتمع التوتاليتاري (الشمولي) يكون إضافة ضرورية للعنف والإرهاب المفتوحين ليقوم قبل كل شيء بوظيفة "المخدر" الايديولوجي والمسكن الروحي لعملهم التدميري بوضعه تحت قناع "النهج الحزبي" والمصالح العليا للدولة أو الملائمة الثورية في ظروف المجتمع المتحضر حيث يشجب السلوك العنيف للإنسان أخلاقياً وفي غالبية الحالات يحرمه القانون أن التحكم يكون عنصراً فريداً من عناصره في غضون ذلك أن قوة وفاعلية هذا العنصر أعلى كثيراً من العنف المفتوح، لأن التحكم يتم بسرية ومفعل في عالم الإنسان الروحي- النفسي ليشمل شرائح شخصيته الواعية وغير الواعية.

ومن المتوقع أن التحكم بما أنه من حيث جوهرة ظاهرة بناءة مثله مثل أي ظاهرة أخرى فيها بعض الجوانب البناءة، لا يزال علماً في حاجة إلى دراسة. لكن حتى لو افترضنا أنها موجودة لا يجوز عدم رؤية الكذب الذي يكمن في أساس هذه الظاهرة وبالتالي فإن التحكم لا يتوافق مع الصحافة من حيث وصفها ومن الصعب التهرب منه لان المقدمات الموضوعية موجودة بالنسبة إليه. إلا أنه يتعارض لأن الصحافة

جاءت إلى الحياة نتيجة لحاجة البشرية بالاسترشاد في الديناميـة الفعليـة للعمليات الاجتماعية. وبناء على هذا كله فإن هذا التناقض هو ظهور آخر للتناقض الأساسي، والقائم حالياً في الصحافة الذي يرتبط بتضمينها في محيطي تنظيم المجتمع الأمر الذي تحدثنا عنه بشكل كاف.

ومن هنا نستنتج: أساساً لتعزيز ثقة الجمهور بالصحافة يجب أن تكون خصائص السلوك المهني للصحفيين تلك التي تحذر من تقوية وظيفة التحكم للصحافة في وقت واحد، ويعلن عنها المعيار الأخلاقي – المهني هذا الذي هو مثقل إلى الحد الأقصى بالتحفيز حماية جماعة المتلقي للمعلومات.

إن الأخلاق الصحفية المهنية كما نرى تلزم بتهيئة أجواء العلاقات الصحفي – متلقي الأخبار قبل كل شيء على حساب احترام الجمهور متعدد الجوانب الإحترام الذي يفترض ضرورة دراسته والحفاظ على قيمه وحقوقه وتفهم ما يقلقه ومصالحه ومشكلاته أن معطيات البحوث الروسية – الأمريكية الاجتماعية التي جرت بين عامي 1992–1996م.أظهرت أن تصورات الصحفيين الروس والأمريكان عن الجمهور تختلف جوهرياً لأن الأمريكيين ميالون أقل بكثير إلى اعتبار جمهورهم سهل الإيمان والوثوق، ولا يهتم بالقضايا الجدية، لأنهم يفكرون به أكثر بكثير من الصحفيين الروس عن جمهورهم. أفليس هنا يجب البحث عن أجوبة عن أسئلة كثيرة صعبة تمثل أمام صحافة اليوم؟

هل نكشف عن المصادر أم نخفيها؟

إن علاقات "الصحفي – مصدر المعلومات" مهمة للغاية بالنسبة للصحافة التي بفضلها تحصل وسائل الإعلام الجماهيري يوماً بعد يوم على معلومات عما يحدث في العالم.

إن الواقع بالنسبة للصحفي من وجهة النظر هذه هي مجموعة مصادر المعلومات وتجب معرفة ايجادها واستخدامها بالشكل الصحيح، وهناك ثلاثة نماذج من المصادر ولكل نموذج خصوصيته.

النموذج الأول: الوثيقة – الشهير بأنه يشكل ثمرة نشاط ما في مجال إعادة صناعة الخبر الأول وأنه "محفوظ" في وثيقة بمساعدة هذه أو تلك من العلاقات على هذه أو تلك من المواد للحفظ وللنقل في الزمان والمكان.

النموذج الثاني: الوسط الموضوعي – المادي- له صفة حمل "آثار" طبيعية للاتصالات مع الناس والأحداث وهذه الآثار تمثل أمامنا على شكل تفصيلات الوضع الذي على خلفيته جرت الأحداث وتستطيع أن تتحدث عنها أقل من الوثيقة لكن المواد والأشياء تتحدث فقط مع من يجيد النظر إليها ويرغب في فهم لغتها.

النموذج الثالث: الإنسان - الحلقة الأساس بالنسبة للصحفي في الوسط الإعلامي لأن هذه الحلقة في التقليد العلمي الأمريكي تسمى "المصدر الحي" إن هذه التسمية تمتلك ليس فقط معنى مباشراً بل ومعنى غير مباشر، فالانسان هو الفاعل وهو داخل في العمليات الطبيعية والاجتماعية للعلاقات الكثيرة، ولذلك إنه مصدر لا ينضب للمعلومات.

أولاً: إنه يعتبر دائماً شاهداً أومشاركاً في أحداث ما، ولذلك يقوم بدور حامل المعلومات عنها.

ثانياً: إنه حامل المعلومات عن ذاته ومن عالمه الداخلي المنشأ ذاتياً.

ثالثاً: إنه ناقل للمعلومة التي يحصل عليها الآخرون.

إن خصوصية هذا النموذج هذا من المصادر هي في استطاعتها الكشف عن ذاتها أو لا تكشف للصحفي، لأن الإنسان كونه مخلوقاً اجتماعياً يبرمج بنفسه سلوكه ويكون حثه على التواصل صعباً للغاية.

هل يستطيع الصحفي إثارة اهتمام الناس بالتعاون مع أجهزة الإعلام؟

ليس فقط يستطيع بل وعليه أن يفعل ذلك! لكن كيف؟ بالكاد هنا أن يكون الجواب واحداً بقدر عدد الناس تكون دوافع السلوك.

إن الصحفي المهتم في اجتذاب هذا أو ذاك من الأشخاص إلى التعاون كمصدر للمعلومات لا بد له قبل كل شيء أن يدرك بماذا تحدد تصرفات هذا الشخص

بالدرجة الأولى. فهناك أناس يطمحون لأن يصبحوا صحفيين، وإن كان لديهم تعليم عال آخر فإنهم بكل سرور يبدؤون العمل والتعاون مع الصحافة كمراسلين من غير الملاك، وهناك أناس يتمتعون بنزعة الكاتب الاجتماعي ومستعدون على الدوام للمشاركة في مناقشة القضايا المهمة وللمساعدة بوضع الحلول لها. وهناك راغبون في الكسب من العمل الصحفي أو ساعون للشهرة هؤلاء أيضاً مؤلفون محتملون من خارج الملاك. وهناك أيضاً من يميل إلى تقديم المساعدة لوسائل الإعلام على الرغم من أنهم لا يسعون لا إلى الشهرة ولا إلى المال. وعلى الأغلب إنهم أولئك الذين لا يسمح لهم ضميرهم المهادنة مع الفساد وعدم العدالة والمساواة والاستبداد، أما الإمكانات لديهم لا تكفي لاعاقة الشر دون الإعلان عنه. في مثل هذه الحالات يذهب الناس إلى التعاون مع الصحافة من قناعات وطنية مخاطرين بالكثير. ولذلك يحتاجون إلى ضمانات معينة بعدم الإعلان عن أسمائهم الأمر الذي تجيزه التشريعات.

لكن عموماً لا بد من القول إن علاقات الصحفيين بمصادر المعلومات ضعيفة التنظيم قانونياً، ولذلك ينشأ هنا العديد من المشكلات فمثلاً: إن القانون في بعض البلدان العربية حول وسائل الإعلام الجماهيري وكأنه يلزم الشخصيات المسؤولة الذين يحملون المعلومات بتقديم المعلومات الضرورية للصحفيين "حسب طلب هيئة التحرير. "وأيضاً عن طريق إجراء مؤتمرات صحفية وتوزيع المواد الخ. ويشار في القانون أيضاً إلى أن "الممانعة عن تقديم المعلومات المطلوبة ممكنة في حال كانت تتضمن معطيات تعتبر سراً حكومياً أو تجارياً أو أي سر آخر يحفظه القانون بشكل خاص بيد أن نظام تقديم المعلومات للخدمات الصحفية ونظام توكيل الصحفيين على مواثيق تشريعية محددة غير متوفرين".

وبالنتيجة ينشأ على الطريق نحو المعلومة لدى الصحفيين العديد من الحواجز المقامة اصطناعياً التي يكون من الصعب جداً تجاوزها بالطرق المشروعة، ولهذا السبب يقع الصحفي في وضع الخيار الأخلاقي الذي الخروج منه بكرامة يمكن فقط في حالة واحدة: إن التزمت على الرغم من كل التعقيدات بمقاييس الرابطة المهنية للسلوك

المعمـول بهـا الـتي توجـد في وضـع المعـايير الأخلاقيـة – المهنيـة ولم تـنس الكرامـة والشرف المهنيين.

بأي مقـاييس في هـذه الحالـة يجـب الاسترشـاد؟ بـشكلٍ عـام إن هـذا الـصف من المعايير الأخلاقية – المهنية يبدو اليوم كالتالي:

عند العمل مع مصادر المعلومات للحصول على المعطيات لابـدَّ مـن اسـتخدام الطرق الشريفة والشرعية حصراً وهـذا المفـروض. فـالتراجع عـن متطلبـات القـانون وإرشادات الأخلاق (استخدام 'الغرفـة الـسرية' أو 'التـسجيل الـسري' والحـصول غـير العلني على الوثائق وغيرها). فقط في الظروف التي فيهـا يبـدو الخطـر واضـحاً علـى الرفاه الاجتماعي أو على حياة الناس.

احترام حق الشخصيات العادية والقانونية في رفض تقـديم المعلومـات إن كـان تقديمها لا يعد ملزماً ويفرضه القانون، وعدم السماح لنفسك باستخدام عـدم اللباقـة والـضغط والتخويـف. الإشـارة في المـواد إلى مـصادر المعلومـات في جميـع الحـالات عدا تلك عندما توجد مسوغات للحفاظ على سريتها.

الحفاظ على السر المهني فيما يتعلق بمصدر المعلومات إن كانت هنـاك مـسوغات لإبقائها من دون توقيع مع التراجع عن هذا المطلب فقط في ظروف استثنائية بناء على حكم المحكمة أو بناء على موافقة مقدم المعلومات في الحـالات عنـدما يعتـبر الإعـلان عن اسمه السبيل الوحيد للهروب من إلحاق الضرر المحتم بالناس.

التزام السرية المتفق عليها منـذ الحـصول علـى المعلومـات بتلبيـة طلـب مقـدم المعلومات بعدم جعل المعطيات المعينة أو الوثـائق في متنـاول الإعـلان عنهـا في جميـع الحالات عدا تلك التي فيها تكون المعلومة مشوهة عن قصد.

لماذا تتضمن قائمة المعايير هذه إشارتين متقابلتين من حيـث الجـوهر. مـن جهـة الإعلان عن مصدر المعلومات ومن جهة أخرى إبقائه في السر؟

ويمكن إيجاد تفسير لذلك في الآتي أن الإشارة في الـنص إلى مـصدر المعلومـات تعتبر بالنسبة الى المتلقي دليلاً على مصداقية الخبر وتعطي إمكانيـة تـصديقه. وإن نـشأ

شك تكون برهاناً على موضوعية الصحافة، ولهذا السبب تشكل عنصراً قيماً من عناصر المادة إلا أن حقيقة أن "المصدر الحي" في الواقع يمكن أن يتعرض لخطر حقيقي بسبب تماسه مع الصحافة. ويضع الوسط الصحفي أمام ضرورة الالتزام بمتطلبات التشريع الذي يأخذ المخبر تحت حمايته بقوة الأخلاق المهنية.

ونشير إلى أن المعيارين المذكورين يتم اختراقهما في عمل الصحافة العربية المعاصرة بالكاد أقل من غيرهما. وعلى ما يبدو أن الأمر ينحصر في أنهما يعكسان تلك اللحظات في العلاقات الأخلاقية – المهنية التي تؤثر مباشرةً في الحفاظ على الظروف المناسبة للعمل.

أما فيما يخص الإرشادات الأخرى فلا بد من التأكيد على إنها غالباً ما "لا تعمل" ليس فقط في البلدان العربية بل وفي البلدان الأخرى. ونتوجه مرة أخرى إلى معطيات الدراسات الروسية – الأمريكية التي أجريت بين عامي **1992-1996** م. إذ يكتب مؤلفو الكتاب المكرس لها:

إن الصحفيين الأمريكيين وبناء على أجوبتهم يحصلون أحياناً على المعلومات الضرورية باختراقهم بعض المعايير والقواعد إنهم يسوغون استخدام الوثائق السرية العائدة إلى مؤسسات حكومية أو تجارية دون الحصول على موافقات خاصة ضعف ما يقوم به الصحفيون الروس، ويعتبرون من المسموح به نشر الوثائق الشخصية دون الحصول على إذن أصحابها، ولا يرفضون إمكانية الضغط على الأمريكان يسوغون نشر أسماء الشخصيات التي يجب عدم الإعلان عنها حسب القانون وعلم الأخلاق.

وبناء على هذه الدراسة وعلى هذه الخلفية فإن الصحفيين الروس يبدون ملتزمين أكثر بالمعايير الأخلاقية ومع ذلك فالصحفيين الروس على نفس المستوى مع الأمريكان لا يعتبرون استخدام الميكرفونات السرية (المخفية) والكاميرات المخبأة ذنباً كبيراً ولا يستنكرون تطبيق القبول في العمل في شركة أو مؤسسة أخرى بهدف الحصول على المعلومات في سبيل الاستخدام الداخلي.

إن تفسير مقدار هذه الدرجة من التحرر من المعايير ممكن فقط بالظرف الذي تحدثنا عنه أن القاعدة القانونية الموجودة لا توفر للصحفيين إمكانية الحصول على المعلومات الضرورية، وإن الوصول إليها يجب أن يكون مضموناً بتشريع مفصل ومعد جيداً آخذاً بالحسبان مجمل خصائص الصحافة كعمل وكمؤسسة اجتماعية، وحتى الآن وما دام هذا لم يتوفر فإن سلوك الصحفيين غير المعياري يكون التخلص منه صعباً، وكما تظهر تجربة الولايات المتحدة لديه توجه نحو التحول إلى تقليد يصبح من الأصعب التغلب عليه وأصعب من السماح بتكوينه.

لا تلحق الضرر! ماذا يعني؟

إن المشهد الذي جاء الحديث عنه في مجلة "الصحفي" وكتبه معلق تلفزيون خاباروفسك بقي في ذاكرتي لأنه منذ زمن طويل تعلمت أنا أيضاً درساً مشابهاً من الحياة.

جوهر "قصة خاباروفسك" هو : أن فريق التلفزيون الإقليمي "اكتشف" عندما كان يصور أحد البرامج شخصية شهيرة.

كانت تعمل هذه الشخصية سراجاً والتقطت في البرنامج على الهامش وفي بعض اللقطات لكنها لفتت أنظار الصحفيين إليها:

لقد فتننا بحبه الشغوف للخيول وبعاداته المميزة وفلسفته الخاصة في عمله وبمهارته الفريدة والمدهشة في صناعة السروج والمقاود وكان متحدثاً جيداً.

باختصار لقد قررت المجموعة الذهاب إلى القرية مرة أخرى كي تصور برنامجاً آخر وخاصاً به لكن وللأسف ومؤلف المادة تحدث للقراء عن انطباعاته:

التقينا بشخص آخر تماماً غير اجتماعي ومنغلق ورفض رفضاً قاطعاً التصوير ومهما حاولنا اقناعه لم يرغب التحدث فيم حصل؟ وماذا حدث؟ صامت وجميعهم صامتون! وقبيل مغادرتنا شرحت لنا إحدى القرويات الثرثارات الأمر: بعد البرنامج اضطهدت الزوجة السراج، والذنب كان بسبب سؤال طرحته على سبيل النكتة، ولسوء الحظ هذا السؤال طرحه هذا المشهد. ماذا يعمل السراج لو حدث الطوفان

الشامل؟ احزروا، كيف أيضاً ومنذ ذلك الحين انغلق هذا الإنسان ولم يرغب بالتعامل مع التلفزيون وهكذا كان ذهابنا من دون جدوى.

لم ترغب مراسلة التلفزيون حقاً في الإساءة إلى هذا الشخص الرائع، لكن الذي حدث أنها أساءت وربما أن القليل من الصحفيين يستطيع عدم الوقوع في مثل هذه التجاوزات في بداية مستقبلهم المهني، لذلك تكثفت مثل هذه التجربة التاريخية للمهنة الصحفية في مجموعة من المعايير الأخلاقية – المهنية الهادفة إلى تنظيم العلاقة "الصحفي – البطل".

إن هذه العلاقات بالنسبة للصحفي (ويمكن أن تكون بناءة أو مشكلة أو نزاع) يصبح المشاركون في الحدث الذي ذهب إليه حتماً أشخاص المسرحية في موضوعة – شخصيات أبطال" ايجابيون أوسلبيون وهم، في المناسبة، أناس أحياء وعليهم أن يستمروا في الحياة في نفس المحيط الذي سيقرأ أو سيشاهد أو سيستمع الإنتاج الصحفي المكرس لهم، وغالباً ما يرتبط مصيرهم بذلك الأمر بسيط لو ممازحة الأصدقاء لكن يحدث أنه بعد كلمة غير مناسبة في الصحافة يتحول الشخص ذو السمعة الجيدة فجأة إلى موضوع للاحتقار، والمحاكمة القادر على تسميم حياته لفترة طويلة. إن الحديث في هذه الحالة لا يدور حول النقد البناء الموجه إلى البطل، وإنما حول "الأخطاء" الصحفية. فيما يتعلق بالمواد النقدية فإنه أثناء العمل عليها يكون الخطر الأساسي على الصحفي هو الوقوع في التحامل. الإنسان يستطيع أن يتحمل أي نقد إن كان بناءً ومثبتاً ولبقاً، أما إذا كانت تقديرات الصحفي متحاملة وسطحية ووليدة غياب الضمير المهني عندئذ تحدث نوبات قلبية عند الأبطال.

إن كل هذا مجتمعاً يحدد الأهمية الاستثنائية للمعايير الأخلاقية- المهنية من هذا الصف والأكثر أهمية بينها هي:

الاعتناء بعدم التحامل والمحاباة في المواد المنشورة باختيار أشخاص لتقوم بدور الشخصيات لا يمكن أن تكون العلاقة معهم نفعية وتناقض الخير الاجتماعي أو متميزة.

احترام شخص الإنسان الذي أصبح مادة للاهتمام الصحفي المهني بإبداء اللباقة والصبر خلال التواصل معه.

احترام حق الإنسان في حصانة حياته الشخصية بعدم السماح لأنفسنا بتناولها دون موافقة البطل القادم في جميع الحالات، عدا تلك التي يعد البطل فيها شخصية جماهيرية وحياته الخاصة تستدعي اهتماماً اجتماعياً لاشك فيه.

أن تكون صادقا مع الواقع ولا تشوه بالموضوع الصحفي حياة البطل بتذكرك أن هذه الشخصية واقعية، ولذلك فإن أي محاولة لتلويث أو تلميع هذه الشخصية ستكون مكشوفة، وسوف تعقد ليس فقط علاقات البطل مع محيطه فحسب، بل وستشهر بصاحب الموضوع الصحفي وبوسيلة الإعلام الجماهيري التي يعمل بها.

الامتناع عن الملاحظات أوالإشارات أوالإيحاءات المهنية والمستخفة التي يمكن لها أن تحقر البطل بالذات: الامتناع عن المقامرة الساخرة باسمه وكنيته وتفاصيل مظهره الخارجي، وعن التذكير به بأنه مجرم إن كان ذلك ليس مثبتاً في المحكمة، وعن الملاحظات غير الودية فيما يتعلق بالعرق والقومية ولون البشرة والأمراض والنواقص الفيزيولوجية.

ويتبادر إلى ذهن كثيرين السؤال: ماهذا إن كنت تخاف الملاحقة والإتهام بالمحاباة فمن المستحيل الكتابة عن معارفك الصحفية (وإن أردت أن أكتب عن معلمي المفضل في المدرسة؟ سألني مثلاً أحد الطلاب) الإجابة بسيطة هنا: هناك نوع من الإبداعات مثل الأدب الاجتماعي أي العمل غير المغلق مهنياً. أتريد الكتابة عن المعلم؟ يمكنك على الدوام أن تعد مقالاً اجتماعياً تستطيع تبادل الآراء فيه مع أناس آخرين بناء على تجربة علاقاتك الخاصة مع المعلم، لكن إن نشأ في مدرستكم السابقة في الوقت الراهن وضع متأزم يتطلب تحليلاً بعيداً عن المحاباة وعن الكلمة الصحفية، فيجب هنا التفكير بجدية، هل من المفيد لك كتابة هذا الموضوع؟ الأفضل أن يقوم بذلك أحد زملائك الحياديين، أما أنت فيمكنك أن تقوم بدور أحد مصادر المعلومات.

من جيل إلى جيل تنتقل في الوسط الصحفي وصية حكيمة قديمة، بعد أن تنتهي من كتابة الموضوع اقرأه بأعين بطلك، ومن ثم تصور أنك قابلته إن كنت تستطيع النظر في عينيه، يعني أن كل شيء على ما يرام وإن انتابتك الرغبة بإبعاد نظرك عن نظره وإن شعرت فجأة بالحرج فإن الأمر سيئ لأنك أخطأت في مكان ما وليس بهذه البساطة يمكن إيجاد هذا الخطأ!

من المؤلف؟

في كل مرة تقريباً عندما تبدأ الحديث في الوسط الطلابي عن أن الخط المهم للعلاقات الأخلاقية – المهنية في الصحافة هو علاقات الصحفي – المؤلفون والرد يكون على شكل سؤال: ماذا تقصدين؟

بالنسبة الى الشخص الذي لم يعمل بعد في الصحافة يبدو هذا التشعب غريباً. احكموا بأنفسكم إننا فقط نفعل ما نقول عن عمل الصحفي الإبداعي وبالتالي عن أعمال المؤلفين، وفجأة تظهر علاقات خاصة ما الصحفي– المؤلف من المؤلف في هذه الحالة؟ الحاجة للتفسير ضرورية حقاً.

لنتذكر: إن واجبات الصحفي المهنية مرتبطة ليس فقط بإنشاء مواد خاصة به. إنه يشارك كذلك في تنظيم السيول الإعلامية الجماهيرية، هذا يعني أنه مضطر لإقامة اتصالات مع ممثلي مختلف المهن الصحفي يجتذب هؤلاء الممثلين إلى مناقشة القضايا والحالات الاجتماعية المهمة.

ويحجز لها النشر ومشاريع برامج في الإذاعة والتلفاز ويساعد في تحويل نصوصهم (وبالمناسبة النصوص القادمة لوحدها الرسائل) لتتناسب مع معايير التواصل الحضاري في وسائل الاتصال الجماهيري. وإن الحقل الخاص للتفاعل هو أعمال المؤلفين، رجالات مختلف أنواع الإبداعات وأحياناً إن هذه المؤلفات الموسعة والمعقدة من حيث بنيتها تكون شاملة وتتشكل نتيجة لتنسيق الجهود الإبداعية للفنانين من الاختصاصات المختلفة والتي بالنسبة لها يقوم الصحفي بدور صاحب الفكرة. إما بدور المحرر الفني (الموسيقي) وإما بدور المخرج المنفذ، وأحياناً تكون ببساطة تصريحاً

صحفياً مقدماً من قبل رجل الأعمال الصحفي الراديو أو التلفاز أو الجريدة أو من قبل سياسي ومثقف أوعالم والطرائق كثيرة لكن في أي حالة إن الحديث يدور حول "حقل التفاعل" حقل تطبيق العلاقات الأخلاقية - المهنية التي أحد جوانبها الصحفي والجانب الآخر "وكالته" (الشخصية أوعلى شكل فريق كامل) ويتم تقليده "رتبة" مؤلف (مؤلف خارج الملاك) ونلاحظ إلى جانب المصلحة الاقتصادية المتواضعة والعوامل الأخلاقية إن هذه العلاقات لا تدعم من أي مؤسسات اجتماعية ولا من القانون ولا من السلطة الإدارية ولا بقوة الرأي العام، وإن الصحافة تقوم بتنظيم التعاون الروحي في المجتمع باسم إنشاء سيول إعلامية جماهيرية كوظيفة مع الحد الأعلى من إبداء "الإرادة الحرة" للناس.

لكن هناك حيث يوجد التفاعل، ولا سيما، الحر من أي نوع من أنواع الإجراءات الانضباطية، فإن حدوث التناقضات التي تظهرعلى شكل حالات أزمات التي من الضرورة إيجاد المخرج منها يكون حتمياً.

إن هذه التناقضات يمكن أن تكتشف في مختلف مراحل التفاعل والتعاون وتحدث تعقيدات عديدة غير متوقعة في تنظيم السيول الإعلامية الجماهيرية. وهي كذلك مرتبطة بمخطط التكامل الدوري والمنظم وإصدار هذه السيول "في الضوء" وفي "الأثير" ومن الطبيعي في غضون ذلك أن يتعب الصحفي ويعصب بسبب التوتر المستمر، فإن كل خطوة مهنية تقريباً مرتبطة لديه بالخيار الأخلاقي.

ولهذا السبب تكون عملية ترتيب التصورات التي تكونت من خلال العمل الصحفي مهمة وتحفظ في الوعي المهني للرابطة الصحفية كإرشادات وشواخص للتوصل إلى اتخاذ قرارات ذكية في مثل هذه الحالات الحرجة.

وإن هذه التصورات تشكل طائفة المعايير الأخلاقية المهنية:

بناء العلاقات مع المؤلفين على أساس الإحترام المتبادل بالاعتماد على التعاون الطوعي وبصبر التوصل إلى الفهم المتبادل والالتزام وبالابتعاد عن "انتحال شخصية المؤلف".

تقدير أصالة المؤلف وذاته وعند تحرير الموضوع السعي للحفاظ على خصوصية المؤلف في أفكاره وفي أسلوبه ولغته دون السماح بإضافة التعديلات حسب الأذواق التدخلات في العمل الذي تمليه الضرورة غير الموضوعية وذوق المحرر.

التنسيق مع المؤلف الحصول على موافقته على كل التغيرات في عمله حتى التصحيح في الأسلوب أما في الحالات عندما يكون هذا مستحيلاً (مثلاً اختصار المادة في لحظة المونتاج أو الطباعة).

من الواجب تفسير أسباب التدخل الصحفي في العمل بعد النشر وتقديم الإعتذار للمؤلف عند الضرورة.

البرهنة بدقة متناهية للمؤلف على سبب عدم النشر عندما يكون ذلك لا مفر منه محاولاً عدم ازعاجه وعدم جرح مشاعره الأدبية.

صون سمعتك المهنية بعدم السماح لنفسك الاستعارة من موضوعات المؤلفين (الأفكار، الوقائع) وفرض الاشتراك في التأليف على صاحب العمل الصحفي (باستثناء حالات عندما يكون هذا الاشتراك في التأليف ضرورياً لمصلحة العمل).

من وجهة نظر تطابق هذه المجموعة من المعايير فإن أكثر نقاط الضعف في صحافتنا هو الحديث الصحفي الذي يسجل للراديو أو التلفزيون، وسبب ذلك في أن حقوق المؤلف المستمال إلى هذا الشكل من المشاركة في العمليات الإعلامية الجماهيرية حتى اليوم لم تدرك كما يجب ولم تنعكس أبداً بجلاء في التشريعات، ولو في قانون "حقوق المؤلف والحقوق المتلاصقة" ولم ترتب بتعليمات خدماتية خاصة، وبالنتيجة غالباً ما تنشأ احتجاجات جدية لمقدمي الأحاديث الصحفية على وسائل الإعلام الجماهيري، لأن الأحاديث الصحفية المعلن عنها في الأثير تختلف بوضوح عن تلك التي كان قد سجلها الصحفي في الفرقة عند إجراء الحديث، والقضية ليست فقط في الإختصار التكنولوجي المحتم للموضوع عن قصد أوغير قصد لكن النص المركب يختلف مرة أخرى جوهرياً عن عبارات المؤلف من جهة المعنى، وإلى الآن فإن تعاون الصحفي والمؤلف في مثل هذه الحالات لا يمكن أن ينظم قانونياً وإدارياً وعلى

المنظمات الصحفية على الأقل خصوصاً لفت انتباه الزملاء إلى ضرورة التـزام المعيـار الثاني والثالث من هذه الفئة من المعايير.

من الذي يحدث 'المناخ الأخلاقي'؟

عنـدما قـرأت في وقـت مـن الأوقـات في 'الجريـدة الأدبيـة' مقـالاً للأكـاديمي ف.م.غلوشكوف الذي عبر فيه عن فكـرة أن هـدف الإدارة ومقيـاس نوعيتهـا يجـب أن يكون الوضع المريح للشخص الذي يتضمن رفاهيته و'الراحة النفسية' اقترحت على الطلاب مناقشة مسألة 'الراحة النفسية' وبخاصة توضيح إلى ماذا يمكن أن تعود الطلاب حتى ذلك الوقت لم يقرأوا المقال لكنهم شاركوا في الحديث بترحاب، وفي نهاية المطاف توصلوا إلى الاستنتاج الذي أدهشني بخصوصيته بدرجـة الإجمـاع وبتقـارب أفكـارهم من تأملات الأكاديمي. والأهـم أن مـا أصـر عليـه الطـلاب كـان ينحـصر في الآتـي: إن الإنسان يشعر بالراحة النفسية عندما يعيش في مصالحة مع ذاته ومـع المحيطين بـه. ومن ثم سألت هل كانوا مرتاحين في هيئة التحرير؟ في الصيف كانوا قد عادوا لتـوهم بعد أول عمل إنتاجي، البعض أجاب فوراً وقطعياً 'لا' وآخرون ارتبكوا والبعض الآخر هز بكتفيه، وواحد فقط من أصل خمسة عشر قال 'نعـم' لقـد أعجبـتني الأجـواء كـثيراً في التحرير وكنت قد عملت في الجريدة قبل الجامعة وكان وضـعنا لـيس سـيئاً، لكـن هنا يوجد مناخ أخلاقي مميز، ولم أرغب في السفر.

مناخ هيئة التحرير الأخلاقي... لقد أشرنا إليه عن حالة العلاقات الأخلاقية - المهنية في صحافة البلدان ذات التقاليد الديموقراطية المتطورة، ولاحظنـا أن دور المنـاخ الأخلاقي واسع: إن كان فيه كل شيء على ما يرام فإنه يشجع على علاقات الإحترام بين أعضاء الفريـق الـصحفي ومـوقفهم مـن المقـاييس المهنيـة للـسلوك الـتي تـساعد على تعزيز هيبة وسمعة المهنة، وهيبة الشخص نفـسه وتعـزز الرفاهيـة الماديـة قانونيـاً وشرعياً، ويحدث المناخ بالذات في كثير من الجوانـب عنـد الإنـسان الـشعور بالراحـة النفسية. لكن ما هو من حيث الجوهر؟ وما الذي يميزه؟ عندما تأملـت هـذه الأسـئلة

توصلت إلى الاستنتاجات التي من الأهمية بمكان تقاسمها على الرغم من أنها بالطبع ليست من دون جدال.

إن مناخ التحرير الأخلاقي المهني كله المناخات هو اقتران الشروط الثابت وعلى الأغلب عديد السنوات التي تتميز بها مقاييس الحياة الجديدة للفريق الصحفي لأن المناخ الأخلاقي – الصحفي الصحي هو الحياة الصحية السليمة للفريق ونتائج عمل جيدة.

إن نوعية المناخ الأخلاقي – المهني في التحرير تعود إلى ظروف عديدة لكن الأكثر تأثيراً على الأجواء في التحرير هي:

طبيعة الموقف الحياتي للموظفين السائدة في التحرير.

درجة تقارب المواقف المهنية لدى مختلف أعضاء الفريق الصحفيين العاديين والرؤساء.

طبيعة الأهداف التي وضعتها رئاسة التحرير.

طبيعة العلاقات بين رئاسة التحرير والموظفين المبدعين العاديين.

طبيعة العلاقات بين الموظفين المبدعين العاديين.

أشكال التواصل المتبعة داخل الفريق.

أشكال تعاون فريق التحرير مع العالم المحيط بما فيه الزملاء في مؤسسات صحفية أخرى.

إن هذه الظروف كلها هي بمعنى ما ظهور هذا أو ذاك المستوى من مستويات الأخلاقية والنضوج الأخلاقي – المهني لكل من الموظفين، وحتى مستوى ثقافة العلاقات الخدمية المتبادلة وبالتالي فإن المناخ الأخلاقي الصحفي ناتج عن المستوى العالي للنضوج الأخلاقي – المهني للفريق وعن الدرجة الرفيعة لأخلاقية العلاقات الخدمية المتبادلة.

إن أخلاقية العلاقات الخدمية المتبادلة ليست نفس الأخلاقية المهنية. إنها جمع خاص لقواعد السلوك في فريق العمل (بما فيه الإبداعي) وعام من حيث قاعدته

بالنسبة للمؤسسات والمصالح من جميع الاختصاصات. وإن خصوصية النشاط تؤثر في طبيعة هذه العلاقات لكنها موصولة بواسطة الأخلاق المهنية وعلم الأخلاق المهني لهذا السبب يبدو أنه في مجال العلاقات الأخلاقية – المهنية "الصحفي- الزملاء" يعمل نوعان من الضوابط: معايير الأخلاق المهنية ومعايير المناخ المهني في الفرق التحريرية وفي نهاية المطاف وروح كل الوسط الصحفي لأن هذه المعايير الموحدة في فئة واحدة تبدو على الشكل التالي:

مساندة التضامن المهني واحترام وحدة المصالح والأهداف للرابطة الصحفية بتفضيلها على مصالح وأهداف السياسية أو المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي يمكن أن ينضم إليها الصحفي.

الاهتمام بسمعة المهنة ودون السماح للأفعال التي تؤدي إلى مسؤولية جنائية وتلحق الضرر بسمعة الصحافة والذات عدم قبول الهدايا والخدمات والامتيازات التي يمكن لها أن تشهر بنزاهة الصحفي الأخلاقية وعدم استخدام الوضع الوظيفي لإهداف شخصية وعدم رفض نشر المواد استرضاء للمصالح المنفعية وعدم كتابة "المقالات حسب الطلب" وتجنب التراجع عن متطلبات القانون وإرشادات الأخلاق في الحياة الشخصية.

الإسراع فوراً لتقديم المساعدة للزملاء الذين يقعون في ظروف صعبة أو في مصيبة خاصة في حالات التعدي على حقوقهم أو إحداث أي معوقات أمام تنفيذهم واجباتهم المهنية.

احترام معايير العلاقات في الخدمة المتبعة فريق التحرير بالاعتماد على الانضباطية والمبادرات الإبداعية والمنافسة والمساعدة المتبادلة تلك التي يكون فريق التحرير فيها قادراً على القيام بعمله على أكمل وجه.

الاهتمام بالحفاظ على المناخ الأخلاقي اللائق ضمن فريق التحرير بالتأكيد بسلوككم على النزاهة واللباقة في العلاقات وعلى الاستعداد للفهم المتبادل والإغاثة

المتبادلة ولمساعدة بعضكم بعضاً في عملية تطوير القدرات الإبداعية وزيادة المعارف والمهارة.

احترام حقوق المؤلف لدى الزملاء والدفاع عن حقوقكم كمؤلفين دون السماح للاعتداء التعسفي وغير المنسق في المواد (خاصة إن كان يشوه مضمونها) و أن تكونوا غير متهاونين مع السرقات الأدبية.

احترام حقوق المؤلف لدى الزملاء في الرفض المعلل إن كانت تتناقض مع موقفهم المهني أو قناعاتهم.

إن الانحرافات هذه للمعايير في الحياة اليومية للصحفيين تحدث أكثر مما نرغب به لذلك في الحقيقة عندنا القليل من فرق التحرير التي المناخ الأخلاقي فيها يمكن الاقتداء به لكن التناقضات بين سلبيات التطبيق وما يجب أن يكون لديها توجه نحو الحل وبذلك بالذات تتحرك الصحافة وتتطور. وأن التوصيات الإنسانية على فكرة تخترق بين الفينة والأخرى من قبل أحد ما، لكنها تعيش منذ قرون وهي نقطة انطلاق في توصيف الخير والشر لأعداد هائلة من الناس يحمونها من الأخطاء. وإن المقاييس الأخلاقية – المهنية للسلوك المستوعبة أيام التشكل المهني تتحول أيضاً إلى نقطة انطلاق في الاختبارات التي تعدها الحياة للصحفي.

لماذا ترتيب "الألعاب مع السلطة"؟

طرحت هذا السؤال مرة على زملائي.

علاقات "الصحفي – السلطة".

أعاد طرح السؤال أحدهم. أعتقد أن هنا لا وجود لموضوع الأخلاق هذه روابط مؤسساتية بحتة.

لقد كنت قد سمعت آراء من هذا القبيل: إن أخلاق الصحفي المهنية بالفعل لم تعالج علاقات الصحفي مع السلطة "كمسألتها" على الرغم من أن هذه العلاقات من وجهات نظر أخرى تدرس منذ زمن بعيد وبشكل جدي ومن دون حساب الجانب الأخلاقي أيضاً.

في هذه الغضون أن تعاون السلطة والصحافة هو جانب من جوانب العلاقات الاجتماعية ويجب أن ينظم ليس فقط بالتشريعات، بل وبالأخلاق من الطرفين من جانب السلطة ومن جانب الصحافة في هذه الأثناء أن الحديث يدور عن خضوع الصحافة للبنى الحكومية ونم عن إلغاء ارتباط الصحافة بالسلطة وعن ضرورة ضمان العمل الأمثل لهذه المؤسسة وتلك لفائدة المجتمع كله إن دراسة الجانب الأخلاقي لعلاقات الصحافة مع السلطة مهمة واحدة من المهام المهمة جداً لعلم الأخلاق المهني المعاصر، لأن حاجة وسائل الإعلام الجماهيري للتوصيات العلمية في هذا الصدد كبيرة للغاية.

ولقد بدأت حقاً عملية تكوين المعايير الأخلاقية – المهنية من هذا النوع في العمل الصحفي لكنها تسير ببطء وصعوبة لأن التناقضات الموجودة بين الصحافة والسلطة لها طبيعتها الثابتة لدرجة أنها غالباً ما تتحول إلى صراع فعلي ومع ذلك تظهر حقائق تشهد على أنه في الوسط الصحفي تعزز بوضوح إدراك ضرورة التنظيم الأخلاقي لهذه العلاقات متعددة الجوانب والجوهرية بالنسبة للمجتمع.

وعبر المدير العام لاذاعة B.B.C في أحد أحاديثه الصحفية عن أفكار مهمة جداً في هذا المعنى فاعترف من جهة أنه يرى جوهر الصحافة في معارضتها للسلطة ولذلك أن B.B.C" تتخذ موقفاً متشدداً من السلطة أكثر من مواقفها الأخرى ومن جهة ثانية أشار مديرعام الإذاعة قائلا: "إننا دائماً نناقش دون أن نزعج أو نحقر أحداً ببساطة تطرح الأسئلة كي يدرك المستمع من يقف أمامه لكن بلطف كبير" وأوضح لماذا "B.B.C هي الإذاعة التي يستمعون إليها جيداً في السفارات وفي البنى الحكومية وأجهزة الدولة: "إننا نوصل كامل الأخبار إلى الناس الذين يقررون بغض النظر عن مجال عملهم".

تطل من وراء هذه الاعترافات وبوضوح الإرشادات الأخلاقية – المهنية المدروسة. وصاغت مرات عديدة مثل هذه الإرشادات المحكمة الخاصة بالخلافات الإعلامية والتابعة لرئيس الدولة في الجزائر معبرة عن أملها في أن التوصيات التي

تختصر آراء المشاركين في الاستماعات ستساعد في حل بعض المسائل المعينة وخدمة قضية تحرك الجزائر نحو علاقات حضارية ضرورية بين السلطة والصحافة في الظروف المعاصرة.

ونشاهد أيضاً في قوانين علم الأخلاق المهني لوسائل الإعلام الجماهيري الخارجي بعض الموضوعات تركز على المقاييس الأخلاقية المهنية المحددة في هذا المجال. وبترابط بحوث العمل الصحفي الآن وبعض من التجارب التاريخية التي انعكست في قوانين يمكننا وضع هذه المجموعة من التصورات للوعي الأخلاقي – المهني للوسط الصحفي في الفئة التالية من المعايير:

إظهار الاحترام للسلطة كمؤسسة اجتماعية مهمة تهدف إلى إدارة الحياة الاجتماعية. تقديم الدعم الإعلامي لأجهزة الدولة في مجال تنفيذ مهامها بقيام علاقة مباشرة وعكسية بين أجهزة الإدارة والشعب.

الدفاع عن حق الصحافة في الاستقلالية عن السلطة من حيث الشرط الأهم بالنسبة للرقابة المسؤولة للمجتمع على نشاط أجهزة السلطة بما فيها مراقبة سلوك أجهزة الدولة على جميع المستويات. الدفاع عن حق الأوساط الاجتماعية في الدخول إلى المعلومات عن نشاط أجهزة السلطة بالمساعدة على انفتاحها وإمكانية الدخول إليها في سبيل النقد الاجتماعي البناء.

فضح سوء استخدام الوظيفة وذنوب الأشخاص العاملين في أجهزة السلطة للقطاعين العام والخاص محاولاً تحسين نظام الإدارة المدنية. بالحقائق تنفيذ تصريحات ممثلي أجهزة السلطة وتاكيدات السياسيين التي لا تتطابق مع الواقع دون السماح لهم بخداع المجتمع.

الاهتمام بدقة وثبوتية نقد أجهزة السلطة في المواضيع المنشورة دون أن تعتبر السلطة كمؤسسة اجتماعية وممثليها المعينين مع إظهار اللباقة الضرورية.

ولكي تأخذ هذه المعايير مفعولها وتعمل لا بد من تحرك جوابي من جهة أجهزة السلطة أن لهجة عدم التهاون التي تستخدمها أحياناً وسائل الإعلام الجماهيري

بالعلاقة مع أجهزة السلطة تلقى تفسيراً لها في كثير من الأحيان في العلاقات غير المحترمة وغالباً التحيزية للسلطة مع الصحافة وفي عدم فهم وظائفها في المجتمع وخصائص النشاط الصحفي. ويتحدث عن ذلك بوضوح غياب الاهتمام والانتباه لكلمات الصحفيين مهما كانت كلماتهم هذه مقنعة ودافعة.

والآن مهما كتبت الصحافة ومهما كانت المواد التي تظهر على صفحات الصحف حادة أن السلطة لا تعيرها الاهتمام (إن كانت فقط لا تمس شخصيات ما) وأن هذا موقف لكنه موقف مضاد للطبيعة لأنه من الصعب أن تجد بلداً متطوراً يمكن أن يكون فيه هذا. وحتى الآن لا يزال هذا الوضع موجوداً والرأي العام للوسط الصحفي المهني بالكاد أن يحكم بشدة على مخالفة المعايير المصاغة هنا.

وبشكل عام إن "المعايير غير العاملة" هي مشكلة جدية بالنسبة لعلم الأخلاق المهني كعلم وغالباً ما تكون نتيجة "لأسباب متشابكة" تظهر فيها أمراض المجتمع.

الاستنتاجات:

وهكذا لقد عالجنا التصورات والمبادئ والمعايير الأخلاقية – المهنية التي توجه سلوك الصحفيين فما الذي نتج عن هذه المعالجة.

على أساس تحليل الوثائق الأخلاقية – المهنية الصادرة عن اتحاد الصحفيين الدولي يمكننا الخروج بالاستنتاج إن التصورات الأخلاقية – المهنية التي توجه سلوك الصحفيين خلال نشاطهم المهني غير متشابه. وإن هذه التصورات تخضع للترتيب محدثة ثلاث فئات واضحة تماماً تستطيع أن يشار إليها بمفاهيم "مقولات" "مبادئ" ومعايير تقليدية بالنسبة لعلم الأخلاق المهني.

الفئة الأولى من التصورات المشار إليها بمفهوم "مقولة" تقوم بدور المشرف على وعي الصحفي الأخلاقي - المهني وتحدد قاعدة موقفه المهني لظاهرة في إدراك الشخص بذاته لمستوى التماثلية مع الوحدة المهنية المحقق الذي يعطيه توجهات نفسية أساسية لهذا النوع من العمل.

وأن المقولة الأساسية بين هذه المقولات هي مقولة الواجب المهني أي التصور الذي كونته رابطة الصحفيين عن الالتزامات أمام المجتمع التي تأخذها الرابطة على عاتقها بحرية مدركة إياها مع مكانة ودور مهنتها في الحياة الاجتماعية. وإن الالتزامات الموجودة التي تقع على الصحفيين في المجتمع تحدد الجانب الموضوعي من الواجب المهني فعلاً أما الجانب الذاتي فمرتبط بمستوى إدراك هذه الالتزامات من قبل الرابطة مع التخصص المهني الداخلي الموجود، وأخيراً مع خصائص الصحفيين الشخصية، ويظهر على شكل تحديد الواجب لذاته لدى بعض الفرق الصحفية وبعض الشخصيات كل على حدة وأن هذا التحديد الذاتي للواجب يولد القناعة بضرورة الاشتراك الشخصي بشكل معين في تنفيذ الالتزام المتبعة في الرابطة وكنتيجة لذلك يكون الدافع الذاتي للعمل على شكل تراكيب مهنية ثابتة.

والأساس الموضوعي لمضمون مقولة "المسؤولية المهنية" يتشكل فعلاً عن طريق الارتباط القائم بين نتيجة العمل المهني للصحفي ومع تلك الآثار التي يمكن أن يمتلكها بالنسبة للمجتمع، ولأناس معينين، أما الجانب الذاتي يتكون خلال عملية إدراك أفراد الوحدة المهنية لدورهم في آثار نتائج النشاط، وعلى مستوى الفرد، فإن هذا الجانب يظهر على شكلين: على شكل الاستعداد للمجازفة الذي يشجع على التحديد العفوي – الحدسي للحد الأقصى للدرجة المسموح بها. وعلى شكل الاستعداد "لدفع ثمن المجازفة" إن كانت درجتها عالية فإن الفرد الذي يقوم خصوصاً بدور حامل المسؤولية المهنية يبدو بهذا الشكل ضمانة التنفيذ النوعي للواجب المهني والحد الأدنى من الآثار السلبية لنشاطه، لكن من الخطأ التفكير وكأن مظاهر المسؤولية المهنية للصحفي تعود فقط إلى "موافقته الأخلاقية" أن يكون مسؤولاً ولا بد أيضاً من المستوى العالي للنضوج الوطني والمهنية كي يستطيع الإنسان "قراءة" بماذا ستجيب الحياة على كلمته.

وإن الضمير الصحفي أيضاً يرشده إلى التنفيذ النوعي للواجب المهني، وإن هذه المقولة تعكس تصورات الوعي المهني التي تتضمن المعارف التي كونتها أو جمعتها

الرابطة المهنية من الأوضاع المهنية للإنسان تلك التي تتوالد من رد فعل الجسم على استيعاب أفعاله من قبل العالم الخارجي وتترافق مع عملية النشاط على شكل وسطه الداخلي، ويعد أن يعمم الفرد هذه التصورات تصبح عاملاً قادراً على لعب دور الحفز وبطريقتين: تشجيع السلوك المهني المسؤول وتدارك عدم المسؤولية.

مقولتا "الكرامة المهنية" و"الشرف المهني" تتميزان بأنهما تعكسان التصورات الموجه نحو القيم وإن الكرامة المهنية ترجع بجانبها الموضوعي إلى تلك الظروف مثل الدور الواقعي للمهنة في الحياة الاجتماعية وأن انعكاسها في الوعي المهني بالنسبة للمجتمع وعن اعترافها بهذه الأهمية وبذلك تكتسب طبيعة القيمة المهنية التي يجب أن نحافظ عليها كأية قيمة من القيم. وعلى مستوى وعي الفرد أن التصور عن أهمية المهنة يضاف إليه تصوراً عن الأهمية الشخصية بالنسبة للرابطة الصحفية – التقدير الذاتي ويظهر ذاته على شكل مقاصد التصرفات التي كل واحد منها يجب أن يتناسب مع الأهمية الاجتماعية للمهنة ومع التصور الاجتماعي عن هذه الأهمية. إن هذا المقصد يمكن أن يتكون لدى الشخص فقط بشرط أن تكون أهمية المهنة مدركة من قبل جماعة العمل وأصبحت بالنسبة لها قيمة من القيم.

وإن الجذور الموضوعية لمقولة "الشرف المهني" تنحصر في الإرتباط القائم فعلاً بين المستوى الأخلاقي للمهنة والعلاقة بها من جانب المجتمع. وأن التصورات عن درجة تطابق المقاييس المهنية للرابطة الصحفية مع القانون الأخلاقي العام وعن ضرورة الاسترشاد بهذه الدرجة التطابق والسعي إلى القيام بالواجب المهني دون أية "عيوب أخلاقية" تتعزز في الوعي المهني على شكل قيم وتصبح دافعاً جوهرياً للسلوك المهني المسؤول والاهتمام بتكون الشرف المهني وبالحفاظ عليه يجب أن يكون الواجب العام للرابطة الصحفية.

إن تصورات **الفئة الثالثة** تتحدد في مفهوم المبادئ الأخلاقية – المهنية.

إن المبادئ ترتكز على القوانين الموضوعية لتفاعل الوحدة الصحفية المهنية وكل عضو من أعضائها مع المجتمع بشكل عام إنها تتضمن القواعد الأساسية الشاملة لاستخدام هذه القوانين في السلوك الأخلاقي للصحفي عن طريق تنفيذ مهامه المهنية.

إن هذه القوانين المعكوسة في العلم بدقة أكبر أوأصغر تشكل فئة واحدة من المقولات التي بها يستحسن تحديد المبادئ أما **الفئة الثانية** من المقولات هي الظروف التي تملي على الصحفي هذا السلوك المهني الأخلاقي الذي فيه تستطيع هذه القوانين في جميع حالات النشاط المهني أن تكون منفذة بالشكل الأمثل ومن هنا شمولية المبادئ من حيث الجوهر تتجسد فيها المقاييس السلوكية المتكونة من قبل الرابطة الصحفية التي عند تحقيقها تنشأ لدى الصحفي ممنوعات داخلية ثابتة للابتعاد عن الخطوات المهنية الشرعية، في أي حالة من حالات النشاط الصحفي.

وبفعل ذلك أن تصبح المبادئ وسيلة لحماية الصحافة والمجتمع وعن كل فرد يستهلك السلعة الصحفية من عدد متكامل من المخاطر الناشئة بسبب خصائص الظروف الاجتماعية والنفسية التي تعمل فيها وسائل الإعلام الجماهيري.

ومن المبادئ الواردة في الوثائق الأخلاقية - المهنية أربعة فقط تستجيب للمقاييس الضرورية إنها تستطيع تماماً الطموح إلى أداء دور القاعدة المنهجية للسلوك الأخلاقي – المهني للصحفي المساعدة على تجسيد موقفه المهني بخطوات مهنية محددة في كل حالات العمل الصحفي.

الفئة الرابعة من التصورات الأخلاقية المهنية للوحدة الصحفية تتألف من المعايير، والهدف منها توجيه الصحفي إلى أنواع السلوك تلك التي تسمح له مع الاحتمالات الكبيرة تحقيق العلاقات الأمثل أثناء العمل وفي ظروف محددة وفي الوقت نفسه تساعده على تحقيق نتائج جيدة وفي الوقت نفسه فإن المعايير هي إرشادات بالنسبة للرقابة الذاتية لأنها تحدد مجال حرية الإبداع للصحفي، لكنها تحد من إرادته الخاصة بنفس القدر الذي يتطلبه القانون الذاتي للصحفي المستوعب كإرادة الوحدة

الصحفية المهنية، ويمكن القول أن المعايير الأخلاقية – المهنية هي قواعد السلوك، سلوك الصحفي مع الناس الذين يلتقي بهم وبتواصله معهم يبني عمله الصحفي.

إن المعايير الأخلاقية – المهنية التي توجه سلوك الصحفي تشكل ست فئات بالطبع بتلك العلاقات الأخلاقية – المهنية التي تتكون حتماً لدى الصحفي في حياته المهنية: "الصحفي – الجمهور"، "الصحفي – مصدر المعلومات"، "الصحفي – بطل الموضوع"، "الصحفي – المؤلفون"، "الصحفي – الزملاء"، "الصحفي – السلطة".

في كل واحدة من هذه الفئات هناك المعايير التي أصبحت بالنسبة للعاملين في وسائل الإعلام الجماهيري مقاييس اعتيادية للسلوك، بما في ذلك في كثير من البلدان العربية أيضاً، لكن في كل فئة من هذه الفئات توجد تلك المعايير التي "لا تعمل" فعلاً. ولا إجابة مقنعة حتى الآن على السؤال "لماذا؟" البحث عنه هو مهام علم الأخلاق المهني في الدراسات اللاحقة.

الفصل السابع

النواحي المنهجية والقانونية للأمن الإعلامي والسيكولوجي في وسائل الإعلام الجماهيري



النواحي المنهجية والقانونية للأمن الإعلامي والسيكولوجي في وسائل الإعلام الجماهيري

الثقافة الصحافية وسيلة من وسائل تكوين الأمن الإعلامي عند الشباب:

لقد كتب الكاتب الإنكليزي أوروئيل في عام 1949 رواية ضد الطوباوية في المجتمع الغربي عام (1984) وقد انتقد أوروئيل المجتمع الذاهب إلى تغيير الرأسمالية وبدا له ذلك بتكوين نظاماً نخبويا شمولياً يصبح فيه السلاح الأساسي والرئيسي في إدارة الناس متمثلاً في وسائل الإعلام الجماهيري. يظهر في الرواية (الأخ الأكبر)، التلفزيون الذي يتابع أبطال الكتاب من جدران كل منزل. إن إمكانيات التحكم عند وسائل الإعلام الجماهيري بقيت تشغل اهتمام الخياليين. وأحد أهم أعمال الدكتور راي بريد بيري (451) حسب فارنغيس (1951) يتطرق من حيث الجوهر إلى تلك المسألة ذاتها:

كيف يمكن حماية الإنسان من عالمه الداخلي ومن مماثلته في ظروف توغل التلفزيون إلى الحياة الشخصية. إن الجدران التلفزيونية التي أختلقها بريد بيري أضحت رمزاً لوضع الإنسان في المجتمع: كلما كانت هذه الجدران أكثر، كلما كان مستوى الثراء أعلى وكذلك الوضع الاجتماعي بيد أن طائفة المتحكمين استخدمتها من أجل جعل المجتمع مطيعاً وغبيا وخاملاً. ومشاكل الحياة الحقيقية استبدلها بحياة عالم التلفزيون والأوبرا الفقاعية حلت محل الحياة الواقعية. وطلبت السلطة كي يشاهد الناس التلفزيون فقط، الكتب التي كانت بإمكانها تكوين علاقة نقدية مستقلة بالواقع، فقد أحرقت. وإن التلفزيون الذي يعتبرونه بشير الحقائق كمرجع آخر بنسبة للإنسان المعاصر بغض النظر عن البلد الذي يعيش فيه ويصبح أكثر فأكثر ما يشبه «الأخ الأكبر» الذي يلزمنا على التفكير كيفما يريد هو، ومشاهدة ما يقترحه والقبول

بالاستنتاجات التي يفرضها، إن ضد الطوبابة الماضية أخذت تتحقق، فأخذت القراءة التحليلية بالتحويل إلى عبء والأفلام الجدية والبرامج التلفزيونية الهامة بدأت تفقد الوقت على الهواء، أما الأنباء المسلية أو أخبار التسلية أو الأوبرات الفقاعية التي تنهال على العقل تكتسب وتسيطر على المجال التلفزيوني. ومع ظهور الإنترنت أخذت وسائل التسلية عن طريق الفيديو تكتسب أشكالاً جميلة أكثر فأكثر: إن (القناصين) و(المتسولين) قد بدؤوا يهجمون على العقول ويخطفون الأنظار بعزلهم الإنسان عن عالمه الخارجي. وإن أشكال أفلام الاتصالات غير الموقعة (المجهولة) الجديدة ـ المؤتمرات، و ICO المراسلة ـ تعزل الإنسان عن مجتمعه المعتاد وتفصله عن الواقع.

إن الشباب الذين يعيشون خضم ثقافة الفيديو الشهيرة والمعاصرة تنقصهم على ما يبدو المواقف النقدية من وسائل الإعلام الجماهيري التي تعود إليها إلى درجة كبيرة درجة سعة الإطلاع والموقف الوطني والقيم الحياتية للإنسان المعاصر.

وإن نقد وسائل الإعلام الجماهيري بسبب محاولاتها التحكم بالرأي العام نقد عادل وصحيح إلا أنه يجب أن يكون موجهاً ليس فقط إلى الصحفيين المحترفين في العمل الإعلامي. ففي ظروف قيام المجتمع الإعلامي الذي غالباً ما يسمى أيضا بمجتمع المعارف يزاور دور جمهور وسائل الإعلام الجماهيري بحدة. وبفضل التكنولوجيا المعاصرة والحديثة في مجال الاتصالات ـ والإعلام حصل الإنسان المعاصر على إمكانيات غير محدودة للوصول إلى حجم المعلومات الذي كان من الممكن الوصول إليه بفضل وسائل الإعلام الجماهيري فقط. ويستطيع المشاهدون والقراء اليوم تحليل ومقارنة ومعالجة الأنباء والتفكير فيها التي يجرنها بأنفسهم بسهولة في السيل العام. وإن القدرة على العمل والتعامل مع هذا السيل أصبح بالنسبة لجماهير وسائل الإعلام الجماهيري الخبرة الأهم، ولكن دور الصحفي في هذه الظروف يتغير جذرياً (راديكالياً).

الثقافة الصحفية كأولوية اجتماعية جديدة:

تلعب وسائل الإعلام الجماهيري دوراً هاماً في المجتمعات المعاصرة، لذلك تعد الثقافة المنتظمة ومتعددة الجوانب في مجال وسائل الإعلام الجماهيري جزءاً لا يتجزأ من ثقافة المواطن العصري العامة، وعن العديد من المنظمات الدولية.وضعت اليونسكو والمجلس الأوروبي، مراراً مهمة التعليم والتثقيف في مجال وسائل الإعلام الجماهيري، فمن حيث الجوهر، إن الحديث يدور حول تطوير فهم الشباب للعمل ونشاط وسائل الإعلام الجماهيري التي تعد عنصراً ضرورياً من عناصر الحياة الاجتماعية والنشاط المهني اليومي ووقت الفراغ. وهذه ليست ثقافة عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري على الرغم من أن المجالين يجب أن يتناسبا بعضهما مع البعض الآخر.

إن هدف الثقافة الصحفية هو تكوين العلاقة النقدية لدى الشباب بالصحافة، وتحويله إلى مستخدم مبدع لوسائل الإعلام الجماهيري في حياته المستقبلية بعد الانتهاء من الدراسة المدرسية والجامعية. إن هذا يكتسب أيضاً أهمية خاصة لأن الوالدين في المجتمع الحديث يفقدان يوماً بعد يوم السيطرة على وصول الأطفال على وسائل الإعلام الإلكترونية ـ التلفزيونية والإذاعة والإنترنت وألعاب الكمبيوتر. إن أمن الطفل الإعلامي هو مهمة الأسرة كما هي مهمة التربية المدرسية.

- إن كل هذا يجعل أهمية الثقافة الإعلامية حيوية للغاية ودور التعاون الدولي وتبادل الخبرات عالمياً على الدوام. ما هي إذاً القوى الاجتماعية التي تستطيع ويجب أن تبحث عن السبل لتوحيد الجهود في مجال إحداث أمن إعلامي للشباب؟
- ويرجع على إعداد الشخصيات والمنظمات العامة في مجال الثقافة الإعلامية الآتي:

1. المعلمون في المدارس وغيرهما من المؤسسات التعليمية.
2. المربون في الجماعات و المنظمات الشبابية الرسمية وأعضاء مختلف التجمعات.
3. الباحثون.
4. فئات الآباء.

5. المساجد و الكنائس وغيرها من المؤسسات الدينية.
6. الشركات الإعلامية ـ التجارية منها وغير التجارية.
7. أجهزة تنظيم وسائل الإعلام الجماهيري.

- لدى هذا القدر المتنوع من ((الشخصيات الفاعلة)) دوافع عمل مختلفة كثيرة في مجال الثقافة الإعلامية، بدءاً من حماية الأطفال حتى تطويرهم إلا أنهم جميعاً يسعون لكي يصنعون فهم و عقل مستخدمين واعين ومغالين لوسائل الإعلام الجماهيري.
- إن ضرورة الثقافة الإعلامية كبيرة و بشكل خاص في البلدان التي فيها النظم الإعلامية موجهة تجارياً أو فيها وسائل الإعلام الجماهيري تكون مرتبطة بقوة بالإعلانات التلفزيونية للسلع الأجنبية.
- فالتعاون الوثيق هنا بين المؤسسات التعليمية والصناعة الإعلامية يكون أكثر ضرورة.

موجة الثقافة الإعلامية:

إن الطرق التقليدية لحل قضية الثقافة الصحفية قد طرحت بشكل اساسي لحماية الأطفال ـ وجرى الحديث عن تطوير الخبرات لإبعاد الأنباء والقيم الخاطئة أو الكاذبة في وسائل الإعلام الجماهيري. واليوم إن التركيز قد انتقل إلى تعليم الأطفال القدرة على فهم وسائل الإعلام الجماهيري والاشتراك بفاعليه أكبر في الثقافة الإعلامية التي تحيط بهم، وحددت الأخطار التي تنبع من وسائل الإعلام في مختلف البلدان والثقافات بأشكال مختلفة. وكان الجانب الثقافي في بريطانيا محض اهتمام المنورين الإعلاميين.

واعتقدوا في هذه البلاد أن وسائل الإعلام الجماهيري تشكل ثقافة (هابطة) يمكن أن تدمر قيم الثقافة ((الرفيعة)) لدى الأطفال.وفي الولايات المتحدة الأمريكية وجهت العدسة على الجانب الأخلاقي: كانت هناك مخاوفاً من أن تستطيع وسائل الإعلام الجماهيري تزويد الأطفال وحقنهم بالقيم والسلوكيات غير المقبولة بالنسبة

لهم. وأخيراً اكتسبت الثقافة الإعلامية في عام 1970 جانباً آخر سياسي، لقد تكون تصور بأن وسائل الإعلام الجماهيري مسؤولة عن تكوين الآراء والمعتقدات السياسية.

وهكذا إن الثقافة الإعلامية التقليدية قد طرحت الأهداف التالية من تربية الأطفال:

1. احترام الثقافة «الرفيعة».
2. معايير السلوك الصحية أخلاقياً.
3. التصور العقلاني من السياسة.

تحدث اليوم متغيرات في هذا النظام بسبب ظهور وسائل إعلام جديدة. غالباً ما تعتبر الثقافة الإعلامية ما تشبه الحقنة التي يجب أن تقي الأطفال من وسائل الإعلام الجماهيري. إلا أن هذه الطريقة تتجاهل الفوائد الكامنة والملذات التي يستطيع الأطفال الحصول عليها من استخدامهم لوسائل الإعلام الجماهيري الحديثة، أما الآثار السلبية فبالعكس ترقى إلى المطلق.

وتلاحظ في الحقيقة توجهات في العديد من البلدان نحو الطريقة الأكثر انفتاحا التي تتغلب على الحماية الخالصة (بريطانيا أستراليا والدول الإسكندنافية) ولم تعد الثقافة الإعلامية تعالج فقط كمعارضة للتجربة المدرسية والطلابية في وسائل الإعلام الجماهيري. إنها تتكون من الشكل المركب للحماية والإعدادات التي تدفع الشباب إلى القبول بالقرارات الواعية حسب إرادتهم، وتقترح الثقافة الصحفية لتطوير فهم وسائل الإعلام الجماهيري بين الشباب الذي يؤدي بدوره إلى المشاركة الواعية وإلى الاجتذاب إلى الثقافة الإعلامية المحيطة بهم.

النواحي المفتاحية الهامة:

إن نموذج الثقافة الإعلامية الذي اقترحه معهد السينما البريطاني في الأعوام 1989 ـ 1991 قد اعترف به فيما بعد على المستوى الدولي والنواحي المفتاحية والتوجهات الهامة لهذا النموذج المنصوص عليها في القائمة رقم (1).

إن المهمة المركزية لهذه الطريقة محصورة في تكوين الأطر النظرية التي يمكن أن تستخدم وتطبق على كل طيف وسائل الإعلام الجماهيري المعاصرة، القديمة والحديثة على حد سواء، إلا أن النواحي المفتاحية الواردة في القائمة هي ليست المجموعة الإلزامية من المواضيع للتعاليم المعزولة بعضها عن البعض الآخر ببساطة يجب عليها أن تساعد في تنظيم التصورات عن منهجية الثقافة الإعلامية التي يمكن لها في ظروف قومية ملموسة ومحددة أن تأخذ أشكالاً خاصة. عدا ذلك أن هذه القائمة من النواحي المفتاحية لا تتضمن أي أشكال لتعليم العمل الصحفي التطبيقي (من الإبداعي مثل التصوير، حتى التحليلي، أي البحث في النصوص الإخبارية الإعلامية) إلا أنها تعتبر أيضاً جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الإعلامية.

عناصر الإستراتيجية:

إن تطوير الثقافة الصحفية في البلدان الأكثر تقدماً يعود إلى توفر تعاون عدد من العناصر الحتمية والبعض منها يعمل على المستوى الدولي والبعض الآخر على المستويات الإقليمية والقومية والمحلية.

ولقد طالت بعمق التحولات الاجتماعية الاقتصادية وسائل الإعلام الجماهيري في البلدان ذات الاقتصاد الانتقالي ومن بينها بعض البلدان العربية و الإسلامية، مغيرة دورها كثيراً ووظائفها في المجتمع وتأثيرها على الجماهير وأشكال الاحتياجات الإعلامية.ولقد أدت الحرية السياسية في بعض الدول التقليدية ليس فقط إلى النمو العاصف من حيث العدد لوسائل الإعلام الجماهيري، لكن أدت أيضاً إلى ظهور صعوبات جديدة في فهم المجتمع للإعلام. توازي الآراء السياسية في وسائل الإعلام الجماهيري.

القائمة رقم (1)

النموذج البريطاني للثقافة الإعلامية

وكلاء وسائل الإعلام الجماهيري: هؤلاء من يعمل في عملية الاتصالات، وما ينقل ولماذا؟	من يصنع النص، الأدوار في عملية الإنتاج، مؤسسات وسائل الإعلام الجماهيري الاقتصاد والأيديولوجيا، النوايا والنتائج.
فئات وسائل الإعلام الجماهيري:ماهي نماذج مضامين وسائل الإعلام الجماهيري	مختلف وسائل الإعلام الجماهيري (التلفزيون، الإذاعة، السينما وغيرها) الأشكال الوثائقية الإخبارية الدعائية الأجناس (الخيال العلمي، الأوبرا الفقاعية) الطرق الأخرى في تصنيف النصوص، كيف ينسب تصنيف النص أو النصوص إلى فهمهما.
تكنولوجيا وسائل الإعلام الجماهيري: كيف تنتج وسائل الإعلام الجماهيري	ما هي التكنولوجيات ولمن متوفرة وكيف تستخدم، والفوارق التي تنشأ بين وسائل الإعلام الجماهيري في عملية الإنتاج وخلال مراحل النتيجة النهائية.
لغة وسائل الإعلام الجماهيري: كيف نعرف ماذا يعني مضمون وسائل الإعلام الجماهيري.	كيف تصنع وسائل الإعلام الجماهيري المعاني والشيفرات والشروط والتراكيب النصوصية..
جمهور وسائل الإعلام الجماهيري: من يحصل على محتوى وسائل الإعلام وما هي نتائج ذلك؟	كيف تحدد الجماهير وتبنى،و كيف يستخدم ويجيب على مضمون وسائل الإعلام.
إعادة الإعلان عن الواقع في وسائل الإعلام الجماهيري: كيف تقدم وسائل الإعلام الجماهيري.	العلاقات بين محتوى وسائل الإعلام الجماهيري وبين الأحداث الواقعية، والناس والأفكار والتقاليد وآثارها.

ليس فقط استدعت التنوع في المضمون بل وحفزت النقاشات الصحفية السياسية التي تتنافر في حرب إعلامية لا هوادة فيها، وتستوعب وسائل الإعلام الجماهيري من قبل المجتمع العربي وبخاصة من قبل الصفوة السياسية كأداة للتحكم بالناخبين كوسيلة ضرورية لتكوين الرأي العام بالنسبة للصفوات السياسية والمالية، ويستدعي هذا لدى الجماهير العربية المعتادة على الثقة بوسائل الإعلام الجماهيري المشاعر المتناقضة، بدءاً من الاستياء والاحتجاج حتى الضياع، ومن اللامبالاة السياسية حتى الرفض الكامل لاستخدام وسائل الإعلام الجماهيري.

وتعتبر الأزمة الاقتصادية المستمرة التي أدت إلى تقليص النفقات العائلية على وسائل الإعلام الجماهيري عبئاً كبيراً وفي الوقت الراهن إن جزءاً غير كبير من السكان يستطيع السماح لنفسه امتلاك التكنولوجيا المنزلية الحديثة (التلفزيونات أو الكمبيوترات، و استخدام الإنترنت).

إن كل هذا يحدد الحيوية الخاصة والضرورة التي تتمتع بها الثقافة الإعلامية ليس فقط بالنسبة للأطفال بل وبالنسبة لمختلف فئات الشعب العربي.

وانطلاقاً من هذا لابد من تقسيمها إلى نماذج مترابطة لكنها مختلفة بعضها عن البعض الآخر عند تكوين أسس الثقافة الإعلامية العربية.لذلك إن العامل العربي للثقافة الإعلامية يجب أن يوفق في داخله بين صفقتين اثنتين: المرونة، والشمولية.

العامل العربي ـ البرامج والنماذج:

إن منظمة اليونسكو بدأت عام **2001** العمل في مجال إحداث وتنفيذ البرنامج العربي للثقافة الإعلامية، وإن العامل العربي الذي نقترح إحداثه هو عبارة عن جملة البرامج المكرسة لمختلف مستويات امتلاك المعارف حول وسائل الإعلام الجماهيري والخبرات في مجال استخدامها.

ولـذلك وبهـذه المناسـبة نقـترح أربعـة مـستويات للثقافـة الإعلاميـة العربيـة مقدمة حسب البرامج المستقلة التالية:

البرنامج الأول: التعرف إلى وسائل الإعلام الجماهيري وحقن الخبرات الأوليـة في مجال الاستخدام الواعي لها.

البرنامج الثاني: تطوير فهـم وسـائل الإعـلام الجمـاهيري وتـدريس الخـبرات في مجال الاستخدام المستمر والدائم.

البرنامج الثالث: المشاركة الواعية في وسائل الإعلام الجماهيري.

البرنـامج الرابـع: تطـوير الإبـداع الإعلامـي بمـا فيـه القـدرة علـى صـناعة وسائل الإعلام الجماهيري وإعلانها بالاستقلالية.

وبمناسـبة التعقيـد والـشرائح المتعـددة للجمهـور العربـي الـذي يجـب توجيـه الثقافة الإعلامية إليه على العامل العربي أن يتضمن عدداً مـن النمـاذج الـتي نوردهـا في القائمة (2)

القائمة رقم (2)

العامل العربي للثقافة الإعلامية

النموذج	الجمهور	البرنامج
النموذج الأول: التعليم غير المنقطع.	الأوساط الاجتماعية الواسعة.	البرنامج رقم (1)
النموذج الثاني: التعليم الدراسي في المدارس المتوسطة المتخصصة.	الفئات الكبرى من حيث العمر في رياض الأطفال، التلاميذ، الدارسون.	البرنامج رقم (1 ـ 4)
النموذج الثالث: التعليم العالي.	طلاب الجامعات والمعاهد العالية.	البرنامج رقم (1 ـ 4)
النموذج الرابع: تعليم فئات السكان من الشرائح الشعبية الفقيرة.	الأمهات الوفيدات اللواتي أجورهن منخفضة، المعاقون والمتقاعدون	البرنامج (1 ـ 2)
النموذج الخامس: التعليم للمربين.	المعلمون والمدرسون في الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية والمربون في المؤسسات الخاصة بالأطفال أمناء المكتبات والوالدان	البرنامج (1 ـ 4) (بإضافة الدورة بعنوان منهجية التعليم)

إن البرامج المقترحة في إطار العامل العربي هي أحجار الأساس مستقلة تماماً بعضها عن البعض الآخر التي يمكن أن تتجمع وتتخذ هياكل وأشكال متنوعة بغض النظر عن الجماهير التي كرس لها هذا البرنامج أو ذاك وإليكم البرامج الأساسية التي يبنى منها العامل العربي المقترح.

البرنامج (1): التعرف إلى وسائل الإعلام الجماهيري وحقن الخبرات الأولية في مجال استخدامها الواعي.

القسم (1) وسائل الإعلام الجماهيري:

1. نماذج وسائل الإعلام الجماهيري.
2. نماذج مضمون وسائل الإعلام الجماهيري.
3. نماذج الجمهور.

مضمون وسائل الإعلام الجماهيري والدعاية «الإعلان» ، النص، الصوت، الصورة في مختلف وسائل الإعلام الجماهيري.

القسم (2) الخبرات:

عن إمكانية استخدام التكنولوجية المرئية والمسموعة (قنوات التوزيع و إمكانية الوصول إلى وسائل الإعلام الجماهيري و اختيار وتسجيل البرامج الإذاعية والتلفزيونية واسترجاع التسجيل.

- إحداث أرشيف للصحف والمجلات.
- إحداث أرشيف للتسجيلات الفيديو والراديو.
- ترتيب وتنظيم الأرشيف المنزلي.

البرنامج (2): تطوير فهم وسائل الإعلام الجماهيري وندرس الخبرات في مجال الاستخدام الدائم.

القسم (1): وسائل الإعلام الجماهيري.

أسس نظرية الاتصالات وفهم تطوير عملية الاتصالات المرسل ـ المضمون ـ المتلقي، نماذج الاتصالات من التواصل (أسس التواصل الشخصي).

- المعلوماتية:

أنواع التخصصات الصحفية.

الأجناس.

أنواع النصوص.

تكامل التعاون بين المعلومات و الصحافة والدعاية و الاعلان.

الاعلان والعلاقات العامة.

البلاغة واللغة الجماهيرية.

القسم (2). الخبرات.

الخبرات الأساسية واستخدام الكمبيوتر.

تنضيد النصوص في الكمبيوتر.

التصوير.

استخدام كاميرات الفيديو.

البرنامج (3): المشاركة الواعية في وسائل الإعلام الجماهيري.

القسم (1).المشاركة في وسائل الإعلام الجماهيري (الكل تحت قيادة المدرسين).

إعداد النماذج الأساسية للنصوص الصحفية:النبأ الإخباري ـ الخبر الريبورتاج ـ المقابلة ـ التعليق ـ المقالة الانتقادية، (التقرير).

إعداد الماكيت للإصدار المطبوع.

العمل على البرامج الإذاعية (السيناريو، التسجيل).

العمل على البرامج التلفزيونية (السيناريو، التسجيل).

القسم الثاني (2) الخبرات.

تطبيق خبرات البرنامج (2) إحداث صفحة فردية خاصة على الإنترنت تحت إشراف المدرس.

البرنامج (4). تطوير الإنتاج الصحفي (بما فيه القدرة على إحداث وسيلة إعلام بشكل مستقل).

القسم (1) إحداث كتب تدريس وسائل الإعلام الجماهيري (باستقلالية).

التخطيط وإصدار عدد الإصدار المطبوع.

التخطيط وإصدار البرنامج الإذاعي.

التخطيط وإصدار البرنامج التلفزيوني.

إحداث إنترنت ـ وسائل الإعلام الجماهيري.

القسم (2). الخبرات.

تثبيت وتطوير الخبرات المكتسبة (البرامج 1 ـ 3).

دورة 'منهجية التعليم'

شكل أو أشكال التدريس والتقرير ـ المحاضرة، دروس عملية، وظائف كتابية، مذاكرة، امتحانات خطية وشفهية (اختبارات).

أشكال التواصل بين المدرس والطلاب ـ الطاولة المستديرة، مناقشة موضوع معين، محاججة علنية، استطلاع.

تطوير العامل العربي للثقافة الإعلامية:

تحدد الأهمية المتزايدة وحيوية الثقافة الإعلامية في العالم العربي الحديث بأمرين حديثين هامين اثنين، فمن جهة أولى إن الثقافة الإعلامية تقوم بوظيفة الوسيلة الهامة للحماية من التأثير التحكمي لوسائل الإعلام الجماهيري التي تعد أدوات بأيدي السياسيين وغيرهم من الصفوة في الحكم. ومن جهة ثانية، تستطع الثقافة الإعلامية المساعدة على المشاركة الواعية للدروس في الوسط الإعلامي والثقافة الإعلامية والأمر الذي يصبح بدون أي شك أمراً من الأمور الهامة للتطور الفاعل في المجتمع الإنساني المتطور.

وانطلاقا من هذا الهدف يتوقع تنفيذ تطبيق العامل العربي للثقافة الإعلامية على مستوى المؤسسات التعليمية المختلفة وعن طريق وسائل الإعلام على حد سواء، في مقدمتها الإذاعة والتلفزيون الحكوميان والمتحكمان.

ولا بد من إدخال الثقافة الإعلامية إلى البرامج التعليمية والخطط التعليمية في المدارس المتوسطة والمدارس المتوسطة المتخصصة في المعاهد والجامعات، ويمكن تحقيق ذلك على شكل دروس مستقلة وعلى شكل دروس خاصة أو إلزامية أيضا، ويمكن أيضا تطوير أشكال التعليم عن طريق الألعاب بالنسبة للصغار، وعن طريق الحلقات والدروس الطوعية بالنسبة للدارسين في جميع مستويات التعليم في أطر هذه

الدورات التعليمية، وإن نظام التعليم المتواصل وحتى تعليم المربين يمكن أن يأخذ قاعدة له في كليات وأقسام الإعلام في الجامعات والمعاهد، ويجب أن يضاف إلى ذلك المراكز التعليمية المتخصصة بالثقافة الإعلامية على قاعدة المكتبات والمراكز الثقافية وأوقات الفراغ ويمكن أن تلعب الدور الكبير أيضا الإنترنت المتخصصة التي تقترح استخدام الشبكة العالمية دون مقابل (مجانا).

الاستراتيجيات الوطنية العامة:

يبدو أن العالم العربي في ظروف الانتقال إلى المجتمع الإعلامي بحاجة إلى اختيار الأولويات وباعتمادها على بعض الدول تستطيع التغلب على الصعوبات المتعلقة بالمرحلة الانتقالية، وأن تصنع أسس المستقبل، ويتطلب رفع وزيادة دور المعارف في مجال استراتيجيات التطوير الاقتصادية والسياسية، وتقدم التكنولوجيات الإعلامية وتكنولوجيا الاتصالات موقفا واعيا من وسائل الإعلام الجماهيري. ان هذا الموقف من وسائل الإعلام الجماهيري يجب أن يتشكل عن طريق مؤسسات ووكالات اجتماعية مختلفة.

وحسب رأينا أن ليغاريتم إحداث وتطبيق الاستراتيجية الوطنية العامة في العالم العربي يمكن أن يتضمن أمرين أساسيين على الأقل:

وضع الاستراتيجية (المستوى السياسي زائد السلطة التنفيذية على مستوى وزارات التعليم والإعلام العربية زائد الأجهزة الأمنية القومية والمحلية زائد حملات وسائل الإعلام الجماهيري على المستويات القومية والإقليمية والمحلية).

التنفيذ على أساس تعاون كل المؤسسات (المدارس، المؤسسات التعليمية المتوسطة والمتخصصة، المعاهد والجامعات، مراكز التعليم المستمر أو المفتوح، المكتبات).

الخاتمة

لا تزال الصحافة اليوم مهنة الكبار ، لكن لا بد لكل طفل أن يعرف كيف يصنع الصحفيون النصوص والعلاقات والرموز والشخصيات. وعلى هذا المستوى بالذات يستطيع الشاب تنمية قدراته ليصبح مواطناً صالحاً ومتخصصاً أو اختصاصياً جيداً في مجال عمله. إن المصرفي والحقوقي والممثل والمدير، كلهم يعملون في المجتمع، وإن كانوا لا يستطيعون فهم المسألة الماثلة في مجتمعهم سوف لن يحققوا النجاح المهني والوطني و الشخصي.

إن تحليل النبأ ومضمون وسائل الإعلام الجماهيري هو واجب كل مواطن يفكر بصورة نقدية. أن النبأ المكتوب على الهاتف الخليوي و الأغنية بأسلوب الروك نيوزويك، والفيلم الروائي أو الخبر في الأخبار المسائية، كل هذا وسائل إعلام جماهيرية، وصحافة، وإعلام.

وإن كان أطفالنا يتعلمون في المدارس فانه من الضروري ان يخبرون بأشياء كثيرة، عندها يستطيعون التفكير واتخاذ القرار الإبداعي في المستقبل. إن التحليل النقدي لوسائل الإعلام الجماهيري ـ ليس مهنه بل طريقه لفهم الحياة المعاصرة.

ملحق:

المشروع النموذجي لدورة الثقافة الإعلامية المقترحة للدارسين في الصفين السابع والثامن من التعليم الأساسي.

هدف الدورة: تكوين تصوير: انتقادي عن وسائل الإعلام الجماهيري لدى التلاميذ وأيضاً جعلهم مستخدمين مبدعين للصحافة التقليدية (الصحف، الإذاعة، التلفزيون) والجديدة (الإنترنت)

الدرس الأول: المفاهيم الأساسية:

ما هي وسائل الإعلام الجماهيري؟ لماذا هي ضرورية للإنسان والمجتمع؟

هل وسائل الإعلام ضرورية للتلميذ؟ ولماذا؟

أنواع وسائل الإعلام الجماهيري:

وسائل الإعلام الجماهيري المطبوعة (الجريدة، المجلة، الكتاب) وخصائصها وما يميز بعضها عن البعض الأخر. الخصوصية القومية لوسائل الإعلام الجماهير المطبوعة في العالم العربي والولايات المتحدة الأمريكية وأوربا الغربية واليابان، أمثلة الصحف والمجلات، الإصدارات ذات الاهتمام العام والإصدارات المتخصصة.

وسائل الإعلام الجماهيري المسموعة والمرئية (السينما - الإذاعة - التلفزيون - الفيديو)، ميزاتها الخاصة. خصوصيات كل وسيلة إعلامية مسموعة مرئية.

الإنترنت — وسائل الإعلام الجديدة. نشاطها العالمي و وسائل الإعلام التقليدية في الإنترنت.

العمل الذاتي. تعبئة الاستمارات

الدرس الثاني: الاتصالات الجماهيرية:

ما هي الاتصالات؟ من يؤثر في محلية عملية الاتصالات؟ وما الذي ينفق؟ ولماذا؟ اللغة، النص، هما: أساس الاتصالات. من يصنع الخبر وكيف يصل إلى وسائل الإعلام الجماهيري، وما هو التأثير الذي يتركه الخبر على عملية نقله من مكان الحدث إلى وسيله إعلامية محددة؟ تأثير نموذج الوسيلة الإعلامية على لغة وأسلوب طرح الخبر (طباعة - مسموع مرئي، نوعي - جماهيري).

العمل الشخصي. التحليل المقارن لأخبار مختلف وسائل الإعلام الجماهيري (تحليل الأخبار الواحدة في الصحف النوعية أو الجماهيرية، في الأخبار التلفزيونية والإذاعية). وإلى ماذا وجه كل نوع من هذه الأنواع الاهتمام؟ المصادر: "الوطن"، الأهرام، "الشرق الأوسط" "السفير" "الجزيرة"، تشرين "" القنوات التلفزيونية - "القناة الأولى - الثانية - "

الدرس الثالث: أجناس وسائل الإعلام الجماهيري:

ما الذي يجبر المواد بعضها عن بعض الأخر في جريدة واحدة (في قناة إذاعية واحدة، في قناة تلفزيونية واحدة)؟ مفهوم النوع (الجنس). الأجناس الإخبارية (الوثائقية) الروائية في وسائل الإعلام الجماهيري، الإعلان: اختراق أم معلومة؟ كيف نميز الإعلان عن النص الصحفي؟ مبدأ الهرم المقلوب، أسئلة الصحفي الأساسية: من؟ أين؟ متى؟ دور "المتصدر". الإجابة على السؤال، لماذا؟

العمل الشخصي. تحديد الجنس (العمل مع القصاصات، ومع الأشرطة المرئية وأشرطة الفيديو) تحليل (المتصدر).

المصادر: الصفحة الأولى من الجريدة الإخبارية، المقالة الافتتاحية، المجلة الشبابية، أخبار التلفزيون المحلي، المقابلة، المسلسل، حفلة موسيقية سيمفونية، موسيقا الروك الأجهزة - جهاز الفيديو.

الدرس الرابع. تكنولوجيا وسائل الإعلام الجماهيري:

ما هي تكنولوجيا وسائل الإعلام الجماهيري، التي يمكن أن تكون في متناول الإنسان المعاصر؟ كيف يمكن استعمال تكنولوجيا الاتصالات والأخبار الجماهيرية؟ أجهزة لنقل النصوص والصور أمثلة: جريدة، مجلة، أشرطة مرئية وفيديو، ديسكات صغيرة، كمبيوترات، هواتف نقالة.

العمل الشخصي، كيف يمكن تسجيل الخبر في مختلف وسائل الإعلام، الأجهزة التكنولوجية، دفتر وقلم، مسجلة محمولة، كاميرا فيديو، جهاز فيديو.

الدرس الخامس. انعكاس الواقع في وسائل الإعلام الجماهيري:

العلاقة بين محتوى الوسيلة الإعلامية والأحداث الواقعية، هل تستطيع وسائل الإعلام الجماهيرية نقل الحقيقة أو نصف الحقيقة؟ كيف تؤثر وسائل الإعلام على الأحداث في الواقع: الآثار الممكنة للخبر، والريبورتاج والمقالة؟

لعبة الأدوار: الصحفي ينقل الخبر إلى جهاز التحرير.

المشاركون:

أولئك من ينتج الخبر (لجمة البوب، الرياضي، السياسي، الناشط)

المندوبون.

محررو القسم.

رئيس التحرير.

العمل الشخصي. تحليل كيف يؤثر الناس على عملية صناعة الخبر لوسائل الإعلام الجماهيري. هل من الضروري تأشير المادة؟ حقوق المؤلف: لمن يعود الخبر؟

الأجهزة التكنولوجية: دكتافون مع شريط، كاميرا فيديو، جهاز فيديو.

الدرس السادس. الإنترنت كوسيلة إعلامية:

الإنترنت كمصدر للأخبار والتسليات (التسالي والألعاب والمواد الدراسية. هل بالإمكان الوثوق بأخبار الإنترنت؟ كيف يمكن حفظ الخبر في الإنترنت؟ ما الذي يجب أن يعرفه الصحفي العامل على الإنترنت؟

العمل الشخصي، البحث عن الوسيلة الإعلامية في الإنترنت حسب العنوان، عن طريق نظم البحث.

الأجهزة التكنولوجية ـ صنف ـ إنترنت.

الدرس السابع. مجموعة تحليل المشروع:

لعبة الأدوار: كيف تجمع المواد للجريدة، نوعية الخبراء المختارين، ما هي المواد الضرورية، كيف يمكن إيجاد الأنباء ووسائل الإيضاح (الصورة).

الأجهزة التكنولوجية ـ صنف ـ الإنترنت.

العمل في جماعات المشاريع: الأسابيع من السابع حتى التاسع من الفصل الثاني للعام الدراسي: أحداث الجريدة، برامج الفيديو من أجل أيام الاعلان (التوقيع)

المراجع

- بريد بيري ص 451، حسب فهرنفيت، موسكو 2000.
- فارتانوفا ي.ل: الانترنيت لكل واحد حقيقة ام وهم / مجلة المجتمع الاعلامي 2000 العدد (1).
- فارتانوفا ي.ل:مسائل جديدة وحواجز جديدة للعصر الرقمي / مجلة المجتمع الاعلامي 2001 العدد (3).
- زاسورسكي.ي.ن:وسائل الاعلام الجماهيري في المجتمع الاعلامي / مجلة المجتمع الاعلامي 1999 العدد (6).
- ارول. ج:1984، أي اصدار؟

- Casserly p.the concept of universal service and the need to promote wider access to new information and communication technologies in member states of the council of Europe.Strasbourg: council of Europe.1996.
- information society: challenges for Europe..Strasbourg: council of Europe.1997.scheffknecht j.j. information technologies in schools:reasons and strategies for investment..Strasbourg: council of Europe.2000.

الفصل الثامن

التقدم التكنولوجي في مجال وسائل الإعلام الجماهيري من مواقع الأمن الإعلامي السيكولوجي والبيئي والبيولوجي



التقدم التكنولوجي في مجال وسائل الإعلام الجماهيري من مواقع الأمن الإعلامي السيكولوجي والبيئي والبيولوجي

ابتداءً من الربع الأخير من القرن العشرين أخذت الروح تعود مرة أخرى إلى المناقشات التي تقف في طرق تطوير البشرية، كما يحدث ذلك في مراحل الأزمات العامة أو الخاصة، وظهر العديد من المقالات والدراسات التي تتحدث عن تأثير التقدم على تطور الحضارة الإنسانية، وعلى التأثير الذي أبداه على البيئة وعن أثره على أي شخص وعن بقاء **homo sapiens** كنوع بيولوجي يشكل جزءا غير كبير من المجال البيولوجي، وإن كان الكثير من العوامل التكنيكية والتكنولوجية تعتبر بدون أي شرط كأسباب زادت لمرات عديدة خطر التهديدات البيئية المحتملة وخطر تحقيقها الفعلي، فإن عوامل تأثير وسائل الإعلام الجماهيري، وبخاصة الإلكترونية، لا تؤخذ بعين الاعتبار عادة.. وعبثاً يقومون بذلك.

سنحاول فهم درجة خطر التكنولوجيات الإعلامية المعاصرة والاتصالات وأيضا تلك الاتجاهات في نشاط المجتمع التي تسمح بتحاشي الآثار المدمرة أو بالتقليل الجوهري للمخاطرة على أساس تعميم وتحليل نتائج الدراسات في مجال عدد من العلوم البعيدة بما يكفي بعضها عن بعضها الآخر من حيث موضوع وأساليب الدراسات.

تعتبر وسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية نوعا من أنواع التكنولوجيات الإعلامية، وواحدة من أكثرها قدرة وقوة من حيث قوة التأثير على الناس.

تصبح هذه التكنولوجيات وسطا مثاليا بالنسبة للتركيب والإيصال إلى البيت وإلى أماكن الدراسة والعمل لمختلف النماذج الإعلامية والتصاميم اللغوية والدلالاتية، بعد الأخذ بالاعتبار اتساع شمولية الأراضي وبساطتها وتشويقها. والتركيب يمكن أن يصبح سببا لظهور أوبئة لأمراض غير معدية ببساطة بفضل

الأدوات الواسعة الاستيعاب بسهولة ويسبب الانتاجات التلفزيونية أو المنتجات الإعلامية المصغرة أثناء العملية الإبداعية أو تلك التي صنعت عن قصد. ويمكن أن تستخدم أيضا كوسيلة قليلة النفقات، لكنها فاعلة للغاية في مجال إدارة سلوك الجماهير من جانب وسط واسع من المهتمين بذلك، وكوسيلة لإيصال الأسلحة الإعلامية للدمار الشامل من قبل المتعصبين الإرهابيين والعصبية المتعربدة، ومن قبل "الساخرين السود" وببساطة من قبل الأشخاص المرضى نفسياً.

ويتكون انطباع عن أننا لا نتعلم من تجارب تاريخ البشرية:

خلال قرون كانت الحاجات الاقتصادية الحاجات السائدة عند "الإنسان الاجتماعي". وقد أدى إلى تبدل وتأثير ارتقاء المجتمع وإحداث وإدخال التكنولوجيات الحديثة أعلى من تأثير ارتقاء الوعي لدى الفرد ولدى الجماعة. ويقدر بعض الباحثين أن الانقطاع المتكون للإمكانيات التكنولوجية عن القدرة على إدراك آثار نتائج استخدامها بعدد من مئات السنين

وأحد أشار هذا الانقطاع على خلفية الأولوية للمصالح الاقتصادية التي غالبا ما تكون مرضية (باثولوجية) يشاهد على أي فرع جديد نوعيا. من فروع الاستيعاب العملي للانجازات العلمية. ودائما يقع ذاك الجزء من البشرية الذي يحول أفضل الانجازات الحضارية وكل ما يحدث الراحة والازدهار لخدمة مصالحه وإلى وسيلة لترهيب الناس بهدف استعبادهم وإخضاعهم.

وإن المحطات النووية ومحطات الطاقة الكهرومائية والمصانع الكيميائية والمستودعات والمنتجات الميكروبيولوجية وغيرها التي احداثت بفعل الجهود العقلية والفيزيولوجية على أساس انجازات الأفكار العلمية تحول كل سكان المعمورة إلى رهائن (مجانين جبناء) وعلى متعصبين إرهابيين أو إلى مؤمنين بسيادة الأشخاص. وأضحت الطائرات المدنية المريحة سلاحا للتخويف.

وأخيرا، نصبح نحن وإياكم مشاهدين ومشاركين في إحداث سلاح دمار شامل ووسيلة إدارة سلوك الجماهير جديد لا يقارن من حيث فاعليته دون أن ندرك أننا

نتحمل أكثر فأكثر من إمكانيات التكنولوجيات الإعلامية والاتصالات الرقمية المقدمة لنا، وأننا لا نعير اهتماما بالخطورة التي لا يزال هناك متسع من الوقت للحؤول دون حدوثها مع الحفاظ على كل قدرات هذه التكنولوجيا الايجابية.

إن مخاطر هذه الطريقة التكنوقراطية السائدة في البرامج الإستراتيجية لتكوين المجتمع الإعلامي الدولي ومشاريعها المحددة يمكن توحيدها في ثلاث فئات: المخاطر السيكولوجية، والمخاطر العصبية، والمخاطر الحيوية.

وإن الفئة السيكولوجية للمخاطر وآثارها قد تمت دراستها بشكل واف في أعمال معاهد علمية نفسية في مختلف البلدان المتقدمة ومن قبل بعض الدكاترة في علم النفس مثل: ف.ي.ليبسكي والدكتور في علم النفس ل.ف.ماتفييفا في كلية علم النفس في جامعة موسكو الحكومية.

والجانب العصبي ـ الفيزيولوجي للمخاطر تشكل في شكل المركز من قبل رئيس مخبر الفيزياء العصبية التابع للمركز العلمي للصحة النفسية في أكاديمية العلوم الصحية الروسية ، والعضو في أكاديمية العلوم في نيويورك وفي الأكاديمية العالمية للعلوم في مجال الطاقة الإعلامية وفي الجمعيات والروابط العلمية الدولية في مجال دراسة المخ: **TSBET**، **TSNIP**، **HPEH**، **IBRO** الدكتور في العلوم البيولوجية البروفسور أ.ف.ازناك. والمخاطر البيوجينية التي يمكن أن تصبح نتيجة لها، الكارثة البيئية العالمية مع تغيير مفاجئ وسريع أو هلاك المجال البيولوجي، تنبع من الأعمال العلمية المشتركة النظرية والتجريبية التي تنفذ على أساس الدراسة العلمية التي استمرت أعواما طويلة من قبل الدكتور في العلوم البيولوجية والعضو في أكاديمية العلوم في نيويورك ب.ب.غاريف في معهد قضايا الإدارة في أكاديمية العلوم العربية وفي معهد علم الوراثة الكمية.

ولقد أثبت ليبسكي في أعماله الكثيرة بقوة ومن مواقف إنسانية وعلمية منتظمة المشاكل العامة للأمن الإعلامي ـ السيكولوجي التي تنشأ بوتيرة متصاعدة لعملية العولمة الإعلامية. ودرست ماتفييفا الجانب السيكولوجي للاتصالات الجماهيرية

والإعلان بالتفصيل وبدقة. وبما أن اهتماما كبيرا يوجه على هذه وتلك من المسائل في العمل الراهن سوف لا نكرر أنفسنا وسنشير فقط إلى تلك الجوانب التي ترتبط بتقدم تكنولوجيات الإرسال التلفزيوني ووسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية عموما ذلك لإدراكنا أنها تحتوي في استخدامها على تكنولوجيات إعلامية واتصالات بما فيها شبكات الكمبيوتر الدولية ذات الاستعمال العام وإنتاج (بما فيها النسخ المتسلسل) وتنفيذ المنتجات الاعلامية المحدودة واسعة الانتشار بحرية والعاب الكمبيوتر وبرامجه.

والمعلومات كافية أيضا حول حقائق تأثير مختلف التأثيرات التي أدخلت إلى البرامج التلفزيونية الإذاعية على الناس بهدف إحداث مزاج معين لديهم وحالة انفعالية مستقرة وثوابت نفسانية مثبتة لدى الجمهور أو تلقين الناس الرأي بخصوص هذه المسألة أو تلك (انظر مثلا، أورلوف أ. الواقع العام: مجال الثقافات على الشاشة كبيئة تغذية. موسكو 1998). وإن هذه التأثيرات معترف بها خاصة بأنها الأكثر سببية اجتماعية للنمو العام للعدوانية بين الناس.

وهناك أيضا تأثير سلبي للغاية على جسم الإنسان لبعض عناصر البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي تحفز مثلا في بعض الحالات الأمراض العامة المتعلقة بالصرع لدى الأشخاص الذين لديهم استعداد لذلك الأمر الذي يلاحظ بعد مشاهدة الأفلام المثيرة ــ العاطفة المنتجة على أساس تكنولوجيات الكمبيوتر. وعن بعض برامج التلفزيون تؤثر سلبا على النفسية والتفكير وتستدعي موجات حالات التهيج و الانفعال.

عند الشباب. بماذا يمكن تفسير كل هذا؟

ننظر في الاستنتاجات من نتائج دراسات العقود الأخيرة من القرن العشرين يتم تنفيذها في أطر مقررات علمية مختلفة مثل البيوسياسة والإنسانية الفلسفية والوراثة التموجية والسيكولوجية وعلم الخلايا والوراثة اللغوية والبرمجة البيوإعلامية وغيرها.

ولوجود مشاهدي التلفزيوني ومستمعي الراديو ومستخدمي الانترنت والمنتجات الإعلامية المحددة في واقع ما يتعرضون إلى عدد من أنواع التأثيرات.

أولاً، التأثيرات السيكولوجية المتعلقة بشكل تقديم خطة المؤلف أو باستخدام التكنولوجيا النفسانية التحكمية التي تطبق عن إدراك أو غير إدراك من قبل مقدمي البرامج أو المشاركين في البرامج التلفزيونية والإذاعية.، ويمكن لتأثيرات التكنولوجيات النفسانية أن تساعد ديكور الاستديو والموسيقى المرافقة والتأثيرات الناتجة من الفيديو والقاعة التي تؤدي إلى تغيير حالة وعي المشاهدين والمستمعين. ويمكن لتكوين الوعي الجماعي وفرض الثوابت السلوكية أن تكون نتيجة لهذا التأثير. وإن فاعلية استخدام هذه التأثيرات تعود إلى المستوى العام للمعارف والثقافة لدى الجمهور. وتكون هذه التأثيرات تحت رقابة الوعي حتى التحبيب الكامن للتأثير من قبل المشاهدين والمستمعين بالذات عند إعدادهم إعدادا معين.

ثانياً، لتأثيرات الوسائل المرئية والمسموعة حتى تلك التي لا تحمل أعباء دلالة والتي مخزونها يتوسع مع كل تأثير خاص جديد أو تكنولوجيا مرمزة. إن هذه التأثيرات غير مراقبة عمليا من العين أو الأذن إلى اللاوعي وتطلق مختلف العمليات الفيزيوعصبية. والإنسان ينتبه لها ، لكن متأخرا، عادة عندما تبدأ التوترات الاختلافات الفيزيولوجية بالظهور ويسوء الوضع الصحي. إن تأثير استفزاز الظواهر السيكولوجية يمكن أن يبدأ خلال ثوان معدودة من التأثيرات. والمثال الشهير، هو الاشتعال العام للصرع التصويري المفاجئ من مختلف الدرجات لدى أكثر من 12 ألف من اليابانيين الذين تتراوح أعمارهم بين 5 ـ 58 عام والذين توجهوا لطلب المساعدة الطبية بعد مشاهدتهم الفيلم المثير "بوكيمن".

ويمكن لوباء الأمراض السيكولوجية غير المعدية وحتى للتشوشات النفسية العامة أن تكون آثار لمثل هذه التأثيرات. ومن المدهش أن مصطلح "المرض السيكولوجي" قد ظهر قبل أقل من "خمسين عاما.

أما الآن من بين أكثر من عشرة آلاف مرض معروف، إن أكثر من 70 ٪ تعود بالذات إلى هذا النوع من الأمراض.

ومما لا شك فيه أن البروفسور أ.ف. ازناك كان محقا عندما كتب: "لا بد من التأثير بشكل خاص أيضا على جانبين هامين من المشكلة.

أولا: إن تأثيرات كل هذه التأثيرات غير المرضية... تتمتع بالقدرة على التراكم وعند اجتياز أية عتبة " يمكن لها أن تؤدي إلى آثار متصاعدة وغير مقوقعة.

ثانيا: ويعتبر الأكثر حساسية وتأثيرا بتأثيرات البيئة المحيطة حتى ليس الأطفال (كما كان معتقدا في السابق والذين من السهل نسبيا حمايتهم من أكثرية هذه المؤثرات). إنما الأشخاص من أعمار اليافعين والشباب (التلاميذ، الشباب، الطلاب) يعتبرون بالكاد أكثر المستهلكين نشاطا للتكنولوجيات الإعلامية والاتصالات ومنتجاتها.

بالطبع، إننا لا ندعو أبدا ولا في أية حالة من الحالات إلى إيقاف التقدم العلمي ـ التكنولوجي، إلا أنه، حسب رأينا، على منتجي ومستخدمي التكنولوجيات الإعلامية والاتصالات وعلى الأشخاص الذين يحددون السياسة الاجتماعية والتكنولوجية في هذا المجال أن يتمتعوا بمعلومات وافية حول كل أفضلياتها و"سيئاتها" في سبيل العثور على الطرق المقبولة لحل هذه المشكلة الجديدة التي مثلت بحدة أمام الإنسانية جمعاء ".

وثالثا: التأثيرات الخفية. إن هذه التأثيرات لا تقع تحت رقابة الوعي من حيث المبدأ، الأمر الذي قاد إلى المنع القانوني لاستخدامها، لكن القانون، كالعادة، لا يطبق.، ومن هذه التأثيرات التي يمكن أن تحمل عبئا معنويا أو لا تحتوي عليه. والمثل الأكثر سذاجة على هذه التأثيرات يمكن أن يكون الكادر المعروف باسم الكادر الخامس والعشرون. وتعود إلى أكثرها حاذقة الصوت والصورة

المقنعان اللتان تتشكلان عند التناسب الضروري لمستويات الإشارات في عملية مزاجها ، مثلا بواسطة أجهزة تقليدية أو عن طريق الكمبيوتر الخاص. ومن المهم هنا الأخذ بالاعتبار أنه من غير الضروري أبدا إدخال حواشي مخفية أو إضافة نماذج مرئية أو مسموعة مقنعة إلى عملية إنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية. وتستطيع أن تكون موجودة أيضا في المادة الأولية التي يحصل عليها، مثلا، من شبكات الكمبيوتر العالمية المربوطة بوسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية بنظم عالية الفاعلية. ولا يشكل تعقيدات هامة كذلك إدخالها في عملية إعادة إرسال الإشارات عن طريق شبكات الاتصال (خاصة، أشرطة الراديو والكابلات) وهي في طريقها إلى المستهلك.

وتدير التأثيرات المخفية العمليات الفيزيوعصبية والنفسية عند توغلها اللاوعي على المستوى ما قبل الإدراك. وإن فاعلية من هذه التأثيرات عالية للغاية. وغالبا ما يمكن تقدير آثار هذه المؤثرات المخفية عند اختصارنا لما قلناه أعلاه بصدد التأثيرات السيكولوجية والضوف السمعية والمرئية.

وخلال عملية التطور تستطيع التكنولوجيا الإعلامية وتكنولوجيا الاتصالات الرقمية المعاصرة أن تؤدي إلى ترك أثار لا عودة عنها بالنسبة لبقاء الحياة على الأرض التي يمكن مقارنتها بالتأثيرات الإشعاعية، وباستخدام الأسلحة الكيميائية أو البكتيرية وبالتأثيرات البيئية الأخرى. وقد كتب ب.ب. غارياف في مقالته "الوراثة التموجية كواقع " قائلا أن " الـ "cuo2" الكهرومغناطيسي الأنتروبيولوجي الذي يحيط بالكرة الأرضية خطر بالذات بسبب الاحتمال العالي للإشارة الصدفة من المتشابهين الكهرومغناطيسيين "الضارين" في البنى اللغوية التي تستخدم من قبل الموروث التموجي لدى سكان الأرض ". إن هذا الخطر يزداد باستمرار ودون انقطاع بسبب كثافة الطيف عند تنامي عدد قنوات البث، وبسبب زيادة الضجيج الإعلامي الذي تحدثه، وبسبب ولادة التأثيرات الخاصة المتفنن بها أكثر وأكثر.

وكان الباحث زيان كناجين قد بدأ في عام 1957 في الصين الأبحاث التي لاقت صدى لها وتوافقت مع تنبؤات العلماء الروس أ.غ.غورفيتش و أ.أ.ليوبيشيف، وتابع هذه الأبحاث العلماء الروس في الأرض العربية، وفي العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي تنبؤا بأن أجهزة الوراثة في أجسام الأرض تعمل ليس فقط على مستوى الأشياء بل على المستوى الميداني وقادرة على نقل المعلومات الوراثية بفضل الموجات الكهرومغناطيسية والصوتية، الأمر الذي تأكد بالنتيجة نظريا وتطبيقيا. وإن الآليات التي تستدعي مثل هذه الآثار والنتائج قد وردت في أعمال غاريايف وفي المقال "وسائل الإعلام الالكترونية: "علم النفس البيئي والاستمرارية". التي نشرت في مجلة "تكنولوجيا السينما والتلفزيون" (2001 رقم 4) ويبدأ ذاك الزمن الذي يفرض على كل منتجي تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والمتخصصين الذين يستخدمون الوسائل التكنيكية وعلى مستخدمين أيضا لها تذكر استمرار: "أن الحساسية المؤلمة للوعي البشري في الكرة الأرضية منخفضة لحد الحالة المرضية. وإن الحروب والصراعات القومية والفقر والأمراض تعتبر أمور حتمية، وتقع في هذا الجدول غير السعيد بيئة وسط حياة الإنسان. وتلاحظ هنا أيضا ردود فعل هادئة للغاية. يقومون في الحقيقة، بشيء ما لكنهم يقولون أكثر ما يفعلون، وهذه المقالة هي أيضا حلقة في سلسلة التحذيرات العديدة من مخاطر التلوث الانتروبوجينية. لكن تحذيرنا من نوع خاص ويتعلق بعمل الجهاز الوراثي لكل أجسام الكرة الأرضية بما فيها الإنسان ولقد قيل الكثير هنا أيضا عن التشوهات الوراثية التي تظهر في كميات كبيرة، وعن التغيرات الوراثية،وعن بقعة تشير نوبل. ولقد أضحى ذلك أمرا اعتياديا وأخيرا أنبئوا بأنه بعد شهر أو شهرين سوف تكون النتائج وحتى أوردوا عدد المتضررين، لكن لم يحدث شيء، و هاهم يعيشون. ومن الممكن أن تحذيرنا هذا سوف يمر مباشرة أمام أنظار اللامبالين. أي ان ذلك يحدث في مكان ما لا يخص البشر. الكل عاش، من البكتريا حتى الإنسان.(ب.ب.غاريايف).

ولا بد من الإشارة إلى فكرة أخرى. تستطيع التأثيرات الواردة أعلاه عند تأثيرها في البداية على المجال النفسي للإنسان مركزة مثل كل شيء على اللاوعي لديه أن تتحقق ليس فقط عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية. ولم تكن استثناء كذلك التكنولوجيات الطباعية التي تستطيع أيضا أن تكون خطرة من وجهة النظر المعلوماتية ـ السيكولوجية. وإن نماذج الإيضاحات المختلفة أو الوتيرة الخاصة للنصوص عندما تشكل رؤية القرار يمكن أن تحقق العديد من فعاليات التأثير المشار إليها.

لكن، هل هناك فعلا، أسساً للقلق والتوتر العام؟ من الممكن أن التأثير السلبي لتكنولوجيا المعلومات يمكن مقارنته من حيث مجالات الآثار مع الكوارث الجوية وحوادث السيارات التي أضحت اعتيادية ومع غيرها من الكوارث الطبيعية؟

وعقد في السادس من نيسان عام 2001 في وزارة الصحة المصرية لقاء مع وزير التطوير الصحي في أوربا والمنظمة الدولية للصحة جوزيف هوكوتشيا، نوقشت خلاله خطط التعاون بين وزارة الصحة المصرية ومنظمة الصحة العالمية حسب مشاريع وبرامج الوقاية من الأمراض النفسية وتطوير مساعدة المرضى المصابين بأمراض نفسية ونفسانية في مصر.

وشرح هوكوتشيا اهتمام منظمة الصحة العالمية بتطوير تلك البرامج مشيرا إلى أن اهتماما كبيرا في هذا الأيام يعار في العالم لبرامج أمراض السل والإيدز والأمراض السرطانية ولكن من الخطأ السكوت عن مسألة الصحة النفسية.

وفي هذه الأثناء يتابع هوكوتشيا قوله، إن حوالي 400 مليون شخص في العالم كلهم يعانون حسب درايات منظمة الصحة العالمية، من أمراض ذات طابع نفسي ونفساني، وقد تعرض حوالي عشرة آلاف شخص في مصر لمثل هذه الإمراض. وحسب إحصائيات غير رسمية، إن كل ثاني شخص يواجه مشاكل من هذا النوع، وحتى في البلدان المتقدمة يتم الكشف عن 50 ٪ فقط من حالات الإمراض النفسية. وقد تضاعفت مراراً نسب الوفيات التي تسجل في الولايات المتحدة الأمريكية

كوفيات غير معروفة الأسباب. وإن هذا النمو يتطابق مصادفة أو بشكل طبيعي من حيث الوقت مع الازدياد الكبير في إمكانيات التكنولوجيات الرقمية لإنتاج برامج البث التلفزيوني والمنتجات الإعلامية المحددة.

وهناك معطيات ومعلومات عن النسب الأعلى بكثير بالمقارنة مع المتوسط الإحصائي للتعرض للمرض والوفيات لدى الكادر الذي يرتبط عمله بعملية إنتاج البرامج التلفزيونية وبالرقابة على شاشات المونيطورات الكثيرة للأجهزة التلفزيونية. في غضون ذلك أن الابتعاد عن المعايير المحددة للتأثيرات الضارة للأجهزة العاملة خلال عملية إعطاء الشهادات لأماكن العمل لا يتم إظهاره.

وإن القلق من حقيقة الخطر على البشرية من الاستخدام غير المحدد لإمكانيات التكنولوجيا الإعلامية المعاصرة والاتصالات يعبّر المجتمع العلمي الدولي عنه بصورة معينة. وإن التعامل غير الدقيق مع المعلومات يعتبر في الوقت الراهن التهديد رقم واحد لوجود البشرية وتطور الحضارة. وبالفعل، إن آفاق تطوير الإمكانيات التي تطرحها نظم البث عالية الفعالية والمتكاملة مع نظم الكمبيوتر توفر الظروف للتنفيذ الكامل أكثر بكثير وإلى تقوية القدرة الذهنية لدى البشر وتوفر الشروط للتحسن الإنساني.

يبد أنها تحدث أيضا مشاكل عالمية جديدة لا يمكن لها أن تكون في وضع اللامبالاة بالنسبة لأحد ما. وقد صيغت هذه المشاكل بشكل مركز.والمثال على ذلك ما ورد في قرار المؤتمر الدولي الثالث للعلوم "العمليات الانعكاسية والإدارة"، الذي انعقد بين 8 ـ 10 تشرين الأول عام 2001 في الأكاديمية الدبلوماسية التابعة لوزارة الخارجية العربية في معهد السيكولوجيا التابع لأكاديمية العلوم العربية بمشاركة حوالي 200 عالم ومتخصص منومولدوفا واوكرانيا وبلغاريا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية وجاء في قرار المؤتمر بخاصة ما يلي:

(يعبر المشاركون في المؤتمر الثالث الدولي للعلوم) العمليات الانعكاسية (الإدارة) عن قلقهم من الإدراك غير الكافي من قبل رجالات الدولة وأوساط رجال

الأعمال والاتحادات الاجتماعية في المجتمع الدولي للأخطار والتهديدات الشاملة لأمن البشرية عند دخولها القرن الحادي والعشرين.

إن تنفيذ المشاريع التكنيكية لتطوير المجتمع المعلوماتي الشامل بدون الحل البناء المتزامن لمسائل ضمان الأمن الإعلامي ـــ السيكولوجي يحدث تهديدات حقيقية جديدة لسكان الأرض.

إن غياب مثل هذه الحلول أو تأخر تنفيذها يمكن أن يؤديا خلال عملية تطور نظم الكمبيوتر والتكنولوجيا الرقمية وفائقة الفاعلية في وسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية والتوزيع غير المراقب للمنتوجات الإعلامية المحددة إلى إلحاق الضرر بصحة سكان الأرض الجسدي والنفسي ونشوء الظروف التي تسهل كثيراً استخدام بعض التكنولوجيات النفسية الكمبيوترية بهدف التحكم بالرأي العام وفرض الثوابت السلوكية كأداة للإرهاب البيئي واسع النطاق، الأمر الذي يمكن أن يؤدي حتى إلى تغيرات لا رجعة عنها في صندوق الوراثة في المجال البيولوجي يستدعي قلقاً خاصاً.

وبعد حدوث العمليات الإرهابية في الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من أيلول عام **2001** أجرت الأكاديمية الدولية للإعلام التي لها وضع استشاري عام كمجلس اجتماعي واقتصادي للأمم المتحدة مع مشاركة أقسامها كلها في الخارج مناقشة اقتراحات حول قضية (المواجهة الإعلامية للإرهاب)،خلال شهر ونصف. وإن الوثيقة التي اقرتها (الطاولة المستديرة) الدولية قد وزعت في الأمم المتحدة والى رؤساء الدول والحكومات والبرلمانات والى عدد من المؤسسات والمنظمات الدولية وجاء فيها:

(يتضاعف الخطر على تطوير وعلى وجود المجتمع البشري بالذات بسبب الاستخدام غير الطبيعي من قبل السوبر إرهابيين للتكنولوجيا الإعلامية، والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وحتى بسبب التركيب العرضي للبنى اللغوية والبلاغية الخطرة بالنسبة لجينات المجال البيئي وللإنسان. وبفضل الطريقة التكنوقراطية في حل مشاكل إعلام المجتمع الذي يؤدي إلى شكلانية التفكير وتخفيض المناعة النفسية لدى

الإنسان في المجتمع المعلوماتي الشامل الذي يتمتع فيه أمن السكان والمجال البيولوجي الإعلامي والسيكولوجي والإعلام البيئي بأهمية خاصة).

وقد قدمت هذه الوثيقة اقتراحات بناءة في مجال الموضوع الذي نحن بصدده وبخاصة:

وضع وتنفيذ نظام إجراءات دولية وقومية ووسائل تكنيكية في مجال ضمان الحماية الفعالة من انتشار الأشكال الضارة على صحة السكان الفيزيولوجية والسيكولوجية لتقديم ونقل المعلومات عن طريق شبكات المعلومات الدولية ذات الاستخدام العام بما فيها الإنترنت والبث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية والكابلات واللعاب في الكمبيوتر والبرامج والمنتوجات السمعية والبصرية و(الإعلامية المحددة) والأشكال التي تحرمها التشريعات وفي مجال الحؤول دون استخدام (السلاح الإعلامي) بما فيه الفيروسات الكمبيوترية والتأثيرات الخاصة غير المسموح بها والطرق المخفية للتأثير على المستهلك والفيروسات الجسدية - النفسية التوجهات اللغوية الدلالاتية نحو النظم البيولوجية والإنسان والخصائص التموجية للجهاز الوراثي.

وتقديم توصية للحكومات والمؤسسات المالية والأجهزة الإدارية المحلية والمصارف وشركات التأمين والصناديق الحكومية والخاصة، وللمنظمات والشركات وللأشخاص لتقديم الدعم متعدد الجوانب (الفعلي والتنظيمي وغيرهما) للقيام بالدراسات العلمية والاختبارات ووضع الإجراءات المشار إليها والوسائل التكنيكية وضع التنفيذ ومعالجتها.

وتسمح معدات الاستديو الحديثة ووسائل البرمجة المنتشرة بحرية بالنسبة للكمبيوترات الشخصية بتكوين أو تركيب التأثيرات المخفية بسهولة وعن قصد على المشاهدين والمستمعين. ولوجود مئات كثيرة من المراسلين المرخص لهم ومستقل فقط وأكثر من أربعة ملايين مستخدماً للإنترنت ولشبكات الكمبيوتر ذات الاستخدام العام مع وسائل الإعلام الجماهيري الإلكترونية في النظم الرقمية عالية الفاعلية

في العالم العربي هل نستطيع أن نكون محميين من الأضرار والمقاصد الضارة ومن تكوين الرأي العام بالاتجاه الضروري لأحد ما ومن الترهيب باستخدام الأوبئة وبالأمراض النفسية والنفسانية من جانب الجماعات المعادية للمجتمع والإرهابية والإجرامية وحتى من أشخاص مستقلين بمن فيهم المرض نفسياً أو من الهجمات البيوجينية الإرهابية؟

في الوقت الراهن تتوفر منتوجات مبرمجة منتشرة بحرية عند استخدامها يستطيع مستخدمو الكمبيوترات الشخصية إنتاج منتوجات متعددة جغرافية و (الإعلامية المحددة) تتضمن طوائف سمعية ومرئية مخفية وفيروسات جسدية ـ نفسية، وقد تم الكشف في الإنترنت عن تلك الفيروسات الموجهة ليس إلى الوسائل التكنيكية، وإنما إلى نفسية المشغلين وإن هذه الفيروسات، عند نشاطها في الوسائل الرقمية في استوديوهات الأجهزة والبرمجة لوسائل الإعلام الجماهيري الإلكترونية تكون قادرة على القيام بمآس متعددة.

وليس صعباً فهم أن تكامل شبكات الكمبيوتر ذات الاستخدام العام مع مجمعات الأجهزة الرقمية لوسائل الإعلام الجماهيري الإلكترونية الذي يشترط وجود حمايات يمكن أن يصبح الوسيلة القوية للتأثير الإجرامي على الجمهور.

ولابد من الإشارة إلى أن درجة خطورة وسعة وواقعية المسألة وضرورة حلها على الأقل بالتوازي مع تنفيذ مشاريع الشمولية الإعلامية تدرك بقدر قليل جداً، فإن كان الفهم المطلق واضحاً على جميع مستويات المجتمع فإن الإجراءات الملموسة في مجال الحؤول دون وقوع الخطر لا تتخذ عملياً لتبقى موضوعاً للنقاش والتصريحات.

واتخذ زعماء المجتمع الدولي وثائق براجية تحدد التطور اللاحق للحضارة على أساس المجتمع الإعلامي (المعلوماتي) الشامل، مثل الوثيقة ـ الإعلان (حول السياسة الأوروبية في مجال تكنولوجيا المعلومات الجديدة) الصادر عن لجنة وزراء المجلس الأوروبي بين / 6 ـ 7/ أيار عام / 1999 (بودابست)، والوثيقة الختامية للاجتماع الصادرة في العاشر من حزيران عام 1999 والبلاغ الصادر عن دول وحكومات بلدان

مجموعة الثماني الصادر بين 18 ـ 20 حزيران عام1999 (كيلن)، ووثيقة أوكيناوا حول المجتمع المعلوماتي الشامل الصادرة في 22/ تموز/ عام2000 وإعلان الأمم المتحدة الصادر في 8/ أيلول / 2000، والإعلان الصادر عن منظمة الأمم المتحدة.

وقد أكدت معظم حكومات الدول على البرنامج العالمي المتكامل (العالم الإلكتروني لسنوات 2002 ـ 2010) بهدف تطوير وتنفيذ الاتفاقيات الدولية، هذا البرنامج الذي يفترض بخاصة (إحداث حوافز إضافية لتطوير وسائل الإعلام المستقلة على قاعدة إدخال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى عملها المهني)، وضمان (المساعدة في مجال تطوير وسائل الإعلام المستقلة عن طريق إدخال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات).

ويمثل تطوير استخدام تكنولوجيا المعلومات الاتصالية عالية الفاعلية مع استخدام شبكة الانترنت مكانة خاصة في البرنامج العالمي المتكامل (العالم الإلكترونية) وفي وثائق المجتمع الدولي.

وإن (تقرير بانفيمان) وقوميا ـ الإتحاد الأوروبي مارتين بانفيمان الذي نشر عام 1994 قبل اجتماع المجلس الأوروبي في جزيرة كورفا. وكان (تقرير بانفيمان) نتيجة لعمل فئة من المتخصصين ضمت بشكل أساسي ممثلي البرنس الأوروبي الكبير، ومثل أعضاء (مجموعة بانفيمان) بشكل رئيسي الصناعة الالكترونية والبزنس في مجال المعلومات والاتصالات.

وهذا ما حدد وبما فيه الكفاية الدائرة التكنوقراطية وحيدة الجانب للمسائل والوظائف والمهام التي تحل والموجهة قبل كل شيء للتوسيع الكبير لسوق الوسائل التكنيكية وخدمات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

وإن الأهداف الإنسانية التي أعلن عنها التقرير من دون شك هامة ومفيدة بحد ذاتها، لكن الأهداف الرئيسية في هذا التقرير كما هي الحال في الوثائق المذكورة أعلاه هي أهداف اقتصادية للشركات التي يشارك ممثلوها في البرهنة على المشروع ووضع

أسسه، أما التوجه الإنساني للمشاريع يبدو كطريقة ترويج غير موفقة تزيد من متطلبات السوق التي هي قيد التشكل في ظروف بعض الدول، ومنها الدول العربية.

وتنشأ الاستنتاجات المماثلة كذلك عند النظر في منابع فكرة، المجتمع الإعلامي التي ظهرت في نهاية الستينات وأوائل السبعينات من القرن العشرين في اليابان، وهذا ليس مدهشاً، لأن هذه الفكرة تضاعف الوزن النوعي للعنصر الإعلامي في قيمة أو ثمن البضاعة المنتجة والخدمات المقدمة وتسويقها إذ يجب أن يضاعف مراراً مجموع الأرباح في الشركات العاملة في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الاقتصادي وبالمقدمة الاتحادات الكبرى، ففي الوقت الراهن وحسب بعض التقديرات إن ريعية البزنس الإعلامي وفي مجال المعلومات و الاتصالات تتقدم كثيراً على الريعية في مجال أي إنتاج وطني آخر.

وتنبع ثانوية الأهداف الإنسانية والمهام في مجال الموقف من الأهداف الاقتصادية من خصائص الإجراءات التي تفترضها الوثائق في مجال أمن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إن هذه الإجراءات دققت وحددت فقط في مجال حماية النظم الحكومية والتجارية من الوصول إليها دون ترخيص أو تفويض، وبواسطة توظيف المماثلة الإلكترونية والتواقيع الالكترونية الكتابة السرية وغيرها من وسائل توفر الأمن ومصداقية العمليات العملية على شبكات المعلومات.

وإن هذه الوثائق قد أشارت بشكل مبهم وغامض إلى قضايا أمن المستخدمين والمستهلكين لسلع ومنتوجات وسائل الإعلام الجماهيري الإلكترونية ومستخدمي شبكات الكمبيوتر العامة في الجزء الإنساني لمشاريع gno مثلاً، إن إعلان لجنة وزراء المجلس الأوروبي الصادر في 6 ـ 7/ أيار عام / 1999 يقلل من إدراك المخاطر الكامنة التي تخفيها في داخله استخدام التكنولوجيات الإعلامية بالنسبة للأفراد وبالنسبة للمجتمع الديمقراطي بشكل عام، ومشروع البرنامج العالمي المتكامل يفترض (إجراء دراسات للعوائق والمخاطر والتهديدات ضد المواطنين وأصحاب الفعاليات الاقتصادية في مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات)، ولم تحدد في الوثائق لعدد

من الأسباب، المخاطر والتهديدات المحتملة المشار إليها، ومن بين هذه الأسباب لابد من إبراز خمسة أسباب سوف ننظر فيها على مثال العوائق في تنفيذ مبادئ ميثاق (مذهب) الأمن الإعلامي في العالم العربي والعالمي.

إن تحليل هذا الميثاق مع الوثائق القانونية العاملة والتي تحدد بهذا الشكل أو ذاك مسؤولية وحقوق وواجبات الدولة والبزنس والمجتمع في مجال ضمان مختلف جوانب الأمن بما فيها الأمن الإعلامي سيؤدي إلى الاستنتاج التالي:

1. إن الميثاق نفسه كوثيقة له أهمية على مستوى الدولة يتناسب مع الاحتياجات المعاصرة للمجتمع العربي والدول العربية، ويتضمن الموضوعات الضرورية والكافية كلها التي تحدد الأهداف والمهام والمبادئ والاتجاهات الأساسية لضمان الأمن الإعلامي خلال السنوات القريبة القادمة دون إدخال إليه أية تعديلات تذكر.
2. إن القوانين العربية النافذة أو القوانين أو شروحاتها والأفعال الحكومية ضمن القانون في العالم العربي تحدث مجتمعة قاعدة معيارية كافية للحل الناجح لمسائل الأمن الإعلامي وإن النقص الرئيسي في أكثرية الوثائق المشار إليها هو غياب أو عدم وضوح الصياغات الخاصة بالإجراءات المتعلقة بالمسؤولية عن عدم تنفيذ القوانين والقرارات المتخذة والمعايير والقواعد المثبتة وأيضاً المسؤولية عن التعطل وعدم النشاط.
3. إن الوثائق المعيارية في الفروع المخصصة للتنفيذ الملموس تتمتع في أكثريتها الساحقة بطبيعة شكلية أو أنها تكون غائبة تماماً ولم يتم العثور بشكل عام على المواد المنهجية في مجال تقدير مستوى الأمن الإعلامي وفي مجال ضمان الأمن الإعلامي - السيكولوجي والحيوي والبيئي وفي مجال الحماية من إمكانية استخدام (السلاح الإعلامي) والتكنولوجيات السيكولوجية المخفية.

وهكذا إن السبب **الأول** الذي يعيق تنفيذ موضوعات الميثاق (المذهب) الخاص بالأمن الإعلامي في العالم العربي هو غياب الطبيعة الشكلية للوثائق المعيارية

في الفروع في هذا المجال وعدم وضوح إجراءات المسؤولية عن عدم تنفيذ متطلبات التشريعات على جميع المستويات الإدارية والتنفيذية وبخاصة المسؤولية عن التعطل وعدم النشاط.

إليكم مثالين:

من منطلق المذهب والتشريع النافذ (حول وسائل الإعلام الجماهيري) والقانون الصادر (حول حماية حقوق المستهلك) والقانون الصادر (حول الأمن) (السلامة) والقانون العالمي الصادر (حول الإعلان) والقانون الصادر (حول سلامة السكان من الأمراض الوبائية) والقرارات الوزارية الصادرة حول (قضايا الحكومة في مجال الصحافة والتلفزيون ووسائل الاتصال الجماهيري) وقرار (وزارات الاعلام والإذاعة والتلفزيون) وغيرها من الوثائق،وإلزامية تنفيذ سياسة الدولة في مجال الحؤول دون إلحاق الضرر بصحة المستهلكين لمنتوجات وسائل الإعلام الجماهيري الإلكترونية و(الاتصالات الجماهيرية والإرسال التلفزيوني والتبادل الإعلامي وإرسال المعلومات الإضافية وتطوير شبكات الكمبيوتر ذات الاستخدام العام... وتنظيم الإنتاج والتوزيع للمنتوجات السمعية ــ البصرية بما في ذلك التسجيل والترخيص في المجالات المشار إليها) كلفت بها وزارات الإعلامفي كثير من البلدان العربية في مجال الصحافة والتلفزيون ووسائل الاتصالات الجماهيرية وأحد متطلبات قانون وسائل الإعلام الجماهيري يتضمن: (تمنع استخدام معالجات النصوص الإعلامية العائدة إلى وسائل الإعلام الجماهيري المتخصصة والإدخالات المخفية التي تؤثر على لا وعي الناس أو التي تبدو ضارة بالنسبة لصحتهم وسلامتهم في البرامج التلفزيونية والفيديو والسينما وفي الأفلام الوثائقية والروائية وحتى في الفضائيات الإعلامية الكمبيوترية والبرامج الكمبيوترية).

وإليكم توضيحاً لموقف بعض وزارات الإعلام في العالم العربي لقد أجرت الجريدة ـ الانترنت في الرابع من أيلول عام **2001** مقابلة مع الوزير المصري صفوت الشريف وإليكم مقتطفات من هذه المقابلة: سؤال ـ السيد الوزير المحترم بما أن مدينتنا

القاهرة أصبحت وكأنها ميدان (حقل تجارب) لمعالجة التكنولوجيات عالية الفاعلية للبث التلفزيوني نطلب منكم ان تحدثنا عن موقفكم الخاص وعن موقف الوزارة حول هذه المسألة المقلقة.ففي عام 1997 صدر كتاب (البيئة المرئية للتلفزيون) وبعدها أي في عام 1998 لقد خصص بعض البرامج لعلاج مشاكل (الواقع الافتراضي في التلفزيون) لمسائل البيئة في ثقافة الشاشة في عام 1999 أدى إلى قلق جدي اكبر من مسائل البيئة التلفزيونية. والمقالة الحوارية التي ظهرت هذا العام في مجلة (روز اليوسف) رقم 4 (المؤلف غير معروف) تجعلنا لا نشك بحقيقة الأخطار البيئية المتعلقة بإمكانيات التكنولوجيا الرقمية الجديدة وبالزيادة اليومية لدرجة المخاطرة في تنفيذ هذا التهديد.

لم يرد الجواب على هذا السؤال:

سؤال: السيد الوزير المحترم، نرجو منكم أن تحدثنا عن السياسة والإجراءات التي تخطط لها وزارتكم في مجال توفير الأمن البيئي وبالدرجة الأولى السيكولوجي - البيئي لوسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية وللمستهلك والملاك العامل في الشركات التلفزيونية.

الجواب: صعب علي القول أن الوزارة سوف تكافح هذه المسألة إن كانت موجودة من حيث المبدأ. لكن مبدأ الأمن والسلامة كعامل تأثير على المجتمع فإن هذا في صلب عمل رابطة المستهلكين.

فعليهم أن يقوموا بالاختبارات والتجارب والتقدير الواقعي الحقيقي للأمن البيئي. وعلى المستهلكين الدفاع عن حقوقهم هناك بالذات.

والإيضاح الآخر يمكن أن يتمثل في الإجابة الخطية لذاك الوزير بالذات على اقتراح يتضمن إعطاء ملاحظاته حول مشروع المذهب البيئي الموضوع لمصر والعالم العربي. وكان واضعوا المذهب قد اعلموا بأن المشروع لا يتضمن الموضوعات التي تنفيذها يدخل في عداد المهام التي ألقيت على عاتق الوزارة.

عملياً إن رئاسة الفرع! إما تجاهلت بعض القوانين مباشرة وواجباتها الخدمية المباشرة المكلفة بها بناء على قرار الحكومة وإما أنها غير مؤهلة على الإطلاق من الناحية المهنية، وبما أنها غير مطلعة حتى على المنشورات ولو تلك المنشورة في إصدارات الفرع، وأنها لا تدخل في نزاع مع البرنس التلفزيوني والإعلاني.

المثال الثاني على عدم تنفيذ أهم القرارات الحكومية في مجال الأمن الإعلامي، لكن على مستوى الفروع. وكما أشرنا إن البرنامج العالمي التكاملي "العالم الالكترونيا خلال 2002 ـ 2010" يفترض من جهة أولى إجراء دراسات للعوائق والتهديدات للمواطنين ولأصحاب الفعاليات الاقتصادية من جراء استخدام التكنولوجيا الإعلامية.

إلا أنه من جهة ثانية، إن مقارنة أحجام التمويل المخصص لدراسة العوائق والتهديدات تظهر بالمقارنة مع النفقات على تطوير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، شكلية تضمين هذا الموقف في البرنامج العربي المتكامل.

إن واضعي البرنامج العالمي المتكامل كأنهم لا يرون درجة عمق القضية تلك عندما تصبح البنية التحتية المحدثة وسطاً مثالياً بالنسبة لاستخدام "السلاح الإعلامي" وتكنولوجيا المعلومات الضارة من الناحية النفسية والجسدية. ومن السهولة بمكان ملاحظة خرق تلك المتطلبات التشريعية التي تلتزم بالدرجة الأولى بالاهتمام بالتحذير من الحالات الطارئة من ظهور الأوبئة غير المرضية وبتوفير الأمن للمستهلكين والعاملين في المصانع في المجالات الإعلامية والاتصالات بما فيها وسائل الإعلام الجماهيري الالكتروني ونشاطها.

وهكذا إن السبب **الثاني** الذي يقف عائقاً على طريق تنفيذ موضوعات مذهب الأمن الإعلامي العربي هو غياب الثقافة القانونية مع الاقتران بعدم تنفيذ متطلبات الوثائق القانونية المعيارية من قبل الأشخاص المفروض عليهم القيام بذلك، على جميع المستويات الإدارية والتنفيذية. في غضون ذلك، ومن وجهة نظر الآثار الممكنة لتنفيذ

التهديدات الحيوية والبيئية والسيكولوجية ـ الإعلامية ـ لا يلعب دوراً، ويحدث عدم التنفيذ ذاك من غير معرفة بسبب محدودية التفكير أو تلبية المصالح الشخصية الخاصة.

والسبب الثالث النابع من ذلك الوضع للأشياء عندما ينظر إلى الإجراءات التحذيرية على المستوى التنفيذي وكأنها غير ملازمة، تمكن صياغته على الشكل التالي: إن الوثائق الأساسية حول مسائل توفير الأمن تتمتع على الأغلب بطبيعة دفاعية لذلك تدفع البشرية إلى التخلف الدائم عن المصادر الجديدة للأخطار والتهديدات المنطلقة من الجماعات المعادية للمجتمع ومن بعض الأفراد.

وإن 'التغلب' العقلي الحذر والمنظم والتكنيكي على الجماعات المعادية للمجتمع والأشخاص ضروري جداً وكذلك تجديد إمكانية نشوء التهديد ذاته. وإن تطبيق هذه الطريقة ممكن فقط في حال إدراك الممارسين (بدءاً من الرؤساء في السلطة التنفيذية حتى المصممين والمنتجين لوسائل البرمجة والتجهيز لتكنولوجيا المعلومات\ والاتصالات) لغياب البدائل.

والسبب الرابع الذي يعيق مذهب الأمن الإعلامي للعالم العربي ينبع من ثلاث خصائص:

التنظيمية ـ الاقتصادية والسيكولوجية والعلمية ـ التكنيكية:

إن الخصائص العلمية ـ التكنيكية التي تعقد توفر الأمن الإعلامي في ظروف تطبيق استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي تتكامل اكثر واكثر وحدة النظم الرقمية عالية الفاعلية تنحصر في أنها مستمرة في الهيمنة على الطريقة التكنوقراطية في مجال إعداد وثائق البرمجة على مستوى الدولة وفي معالجة ووضع مشاريع تطوير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الإقليمية وعند معالجة وإنتاج الوسائل التكنيكية. هذه الطريقة تلعب دوراً إيجابياً بسماحها بتحقيق تقدماً جوهرياً في نوعية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المعروضة والخدمات وتخفيض استهلاك الطاقة. بيد أنه على هذا الأساس لا يجوز من حيث المبدأ إجراء تقديرات للمشاريع والتهديدات ضد المواطنين والمراكز الاقتصادية في مجال استخدام تكنولوجيا

المعلومات. وهذا مفهوم لأن الاختبار العلمي المشترك بين العلوم فقط على أساس استغلال نتاج الفلسفة (بيوسياسية) وعلم النفس وعلم النفس البيئي وفيزيولوجيا الأعصاب وعلم الوراثة وعلم اللغة الوراثي والبرمجة البيواعلامية وعلم البيئة والمعلوماتية.

وغيرها من العلوم الأخرى القادر على تقديم تصور كامل عن آثار استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وعلى أساس الطريقة العلمية باشتراك كل العلوم أيضاً يمكن اقتراح الحلول الملموسة التي تسمح بالتقليص الكبير لمستوى المغامرة في تنفيذ التهديدات إن لم يتم التغلب عليها كلياً وبتنفيذ الإجراءات في مجال إعادة الاعتبار للمتضررين.وللخصوصية السيكولوجية جانبان:

أولاً: الوتائر العالية حصراً لتطوير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الرقمية تسبق كثيرا تغيير القوالب في وعي واضعيها التي تكونت خلال مرحلة التكنولوجيات المتماثلة عندما كانت الصعوبات الإدارية تعيق الانتشار الواسع للتأثيرات الضارة و "السلاح الإعلامي" ذي الإصابة الجماعية. ولا يزال وضعوا هذه التكنولوجيا يتخذون نفس الموقف من التكنولوجيا الرقمية الجديدة، حيث أنهم لم يأخذوا في الحسبان عاملٍ التطبيق السهل للتأثيرات السلبية على انتشارها. **وثانياً**: لقد أعطت تكنولوجيا المعلومات الرقمية الإمكانية للمؤلفين (واضعي السيناريوهات والمخرجين والمحررين والمصورين وغيرهم) في تجسيد أيه أفكار إبداعية وأحياناً غير المتوقفة عملياً. ويمكننا ملاحظة في البرامج التلفزيونية وفي المنتوجات الإعلامية المحددة الجماهيرية (أفلام الفيديو، وألعاب الكمبيوتر وغيرها) وفي الانترنيت وتطبيق العديد من المؤثرات الخاصة التي تكون في غالبيتها غير آمنة بالنسبة للصحة (نتذكر حقيقة حالات الصرع الضوئية بسبب مشهد استمر خمس ثوان في فيلم الصور المتحركة "بوكيمون"). ولا تزال كل محاولات علماء النفس والأعصاب تفسير ضرورة الاستخدام الحذر جداً للتأثيرات الخاصة في البراج التلفزيونية والإذاعية وبشكل خاص في الإعلان تواجه عائقاً لا يزال صعب التغلب عليه. وينظر المؤلفون إلى هذه التحذيرات وكأنها اغتيال

لحقوق المؤلف والتعبير عن الذات. في غضون ذلك لا يأخذون بالاعتبار حق المستهلكين (المتلقين) بالأمن والحماية من مثل هذه المنتوجات للصحة النفسية والفيزيائية (الجسدية)، وكما هي الحال مع عدم اعتبارهم للمعايير القانونية المناسبة. أي أن المؤلفين والموزعين قد بدوا غير مستعدين سيكولجياً لتحمل المسؤولية في مجال البحوث الإبداعية.

وتتطابق الخصوصية التنظيمية ــ الاقتصادية للعمل في مجال توفير الأمن الإعلامي مع المثل الشهير "من كثرة الملاحين غرقت السفينة". إن تحليل التشريع بما فيه تلك التشريعات التي أقرها بعض المسؤولين حول الوزارات والإدارات يشير إلى أنه مع اعتبار التأثيرات الإعلامية معقدة العوامل والطيف الواسع للضرر بسبب تحقيق التهديدات المحتملة من وضع وتنفيذ سياسة الدولة في مجال التوجهات لتوفير الأمن الإعلامي التي ينص عليها الميثاق لابد من أن يعمل على أقل تقدير في هذا المجال تسع وزارات وإدارات. في غضون ذلك إن التنسيق في مجال التعاون بينها يقع على عاتق أربع وزارات. وكلف خمسة أجهزة بمراقبة تنفيذ المصانع والمؤسسات ورجال الأعمال للمتطلبات المعيارية.

ولا يجوز الفهم من هذه الوثائق سارية المفعول من يتحمل المسؤولية عن حالة حل المسألة بشكل عام من بين منسقي التعاون المشترك. ومن هنا ينبع عدم الدقة في صياغة البرنامج العربي والتمويل غير الكافي على الإطلاق من حيث الحجم الذي يفترضه هذا البرنامج للعمل في مجال الأمن الإعلامي و بخاصة التهديدات الإعلامية - السيكولوجية والحيوية والبيئية وفيما يتعلق بمن يقوم على تنفيذ وحدة الأموال من خارج الميزانية وحتى توزيعها والغموض الكامل فيما يتعلق بالجهاز التنفيذي الذي يجب أن تقدم إليه الاقتراحات الملموسة بجملتها من بين الأجهزة الأخرى.

وفي النتيجة إن الأعمال العلمية والهندسية ــ التكنيكية الهائلة التي قام بها الخبراء الروس لم تتطور ولم تتجسد في حال اتجاهات تنفيذ موضوعات الميثاق (المذهب).

وهكذا إن السبب الرابع الذي يعيق تنفيذ موضوعات ميثاق الأمن الإعلامي له طبيعته متعددة الجوانب وتتصف بمشاركة العلوم الأخرى.

وهذه الطبيعة تنبع من تعدد عوامل التأثيرات الإعلامية على الإنسان والبيئة مع ترك آثار هائلة من وجهة النظر العلمية ـ التكنيكية وله طبيعة متعددة الفروع (تعددية الفروع) في مجال الضمان التنظيمي ـ الاقتصادي لحله دون التنسيق الضروري الجامع ودون التلقائية السيكولوجية لمنتجي ومستخدمي تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

وأخيراً، نتحدث عن سبب استراتيجي آخر. إن التوجهات التي يحددها الميثاق (المذهب) في مجال ضمان الأمن الإعلامي في مجال الحؤول دون الوصول غير المرخص له إلى المعلومات ومصداقية التوقيع الالكترونية وغيرها من الملحقات الإدارية والاقتصادية تعتبر عامة وشاملة بالنسبة للبلدان المشاركة. لكن يستطيعون وسوف يقررون إلى درجة كبيرة كل دولة على حده. هناك طريقة مغايرة تماماً ضرورية عندما يدور الحديث عن الجوانب الإعلامية ـ السيكولوجية والبيولوجية والبيئية للأمن الإعلامي. ومن المستحيل حل المسألة من قبل دولة لوحدها أو إتحاد لوحدة إذا أخذنا بعين الاعتبار عالمية شبكات الكمبيوتر العامة ذات الاستخدام العام (عشرات الملايين من المصادر المجهولة للمعلومات وغير المعلن عنها) وعملية التكامل معها بواسطة وسائل الإعلام الجماهيري الالكتروني الرقمي وعدم محدودية المساحات لوسائل الاتصالات (الهوائية، الفضائية، والكابلات) وخصائصها بالإيصال الفوري "للسلاح الإعلامي" دون تشويه أو تشويش، وأيضاً الانتشار الواسع لها على شكل نسخ غير مراقبة عن طريق أفلام الفيديو المتنوعة والمنتوجات البصرية و الإعلامية المحددة، وألعاب الكمبيوتر والبرامج على النطاق العالمي.

إن هذا المجال (الوسط) الإعلامي ـ الاتصالاتي يصبح وسيلة مثالية للقيام بعمليات إرهابية ولفرض سلوكيات معينة على الجماهير الواسعة وللترهيب من قبل الفئات المعادية للمجتمع وبعض الأشخاص الأمر الذي أشير إليه مراراً في المؤتمرات

العلميـة والعمليـة ـ التطبيقيـة الدوليـة وفي النـدوات واللقـاءات العالميـة. وللأسـف إن الوثائق المعروفة المشار إليها أعلاه المتخذة مـن قبـل المجتمـع الـدولي تكتفـي فقـط بالإقرار بوجود التهديدات ولا تتضمن عنصراً بناءً.

ويؤكـد علـى هـذا الاسـتنتاج الـذي أوردنـاه أعـلاه للمـؤتمر الـدولي الثالـث بين العلوم "العمليات الانعكاسية والإدارة" حول الإدراك غير الكافي من قبل رجالات الدولة وأوساط رجال الأعمـال والمنظمـات الاجتماعيـة الدوليـة للأخطـار الـشاملة التي تهدد أمن البشرية.

والسبب الخامس الذي يعيق تنفيذ موضوعات الميثاق (المذهب) في مجـال الأمـن الإعلامي ـ السيكولوجي والبيوجيني والبيئـي يحـدد بـشمولية تكنولوجيـا المعلومـات والاتصالات والآثار الناتجة عن تنفيذ التهديدات الذي يمكن الحؤول دونه عـن طريـق المشاركة البناءة لكل المجتمع الدولي وتنسيق وتطبيق البرامج الدولية الشاملة.

هذه هي من وجهة نظرنا الأسباب الإستراتيجية الأساسية الـتي تـسمح إزالتهـا إلى درجة كبيرة بتنفيذ موضوعات مذهب الأمن الإعلامي للبلدان العربية. ولا بد من الإشارة إلى أن درجة المخاطرة بالنسبة للبشرية علاجية للغاية، وبخاصة بالنسبة للجـزء الأكثر تطوراً من الناحيـة العقليـة الـذي هـو في تمـاس دائـم مـع الوسـط الإعلامـي وبالنسبة للجيل الشاب.

وهكذا إن تكنولوجيا المعلومات باعتمادها على مختلف أشكال تقديم المعلومات تؤثر تأثيراً مميزاً على الوعي الفردي والجمـاعي. ففـي الظـروف المعاصـرة أو بخاصـة عـن التحـسين اللاحـق والتنفيـذ لمـشاريع التطـوير للمجتمـع الإعلامـي العـالمي إن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تسرع أكثر فأكثر كل أنواع ارتقاء البـشرية الـتي تستطيع توجيه الارتقاء نحو خير هذه البـشرية، وكمـا سنـشير فيمـا بعـد، نحـو إلحـاق الضرر بالإنسان والإنسانية والبيئة أيضاً.

إن العالم العربي يمتلك قدرات عقلية عالية للغاية على المستوى العالمي وقادر ويجب أن يقوم بالواجب أمام امته وأمام البشرية جمعاء في مجال الحؤول دون وقوع أخطار عالمية تكون مرتبطة بقيام المجتمع الإعلامي العالمي.

الاستنتاجات

إن العملية التقنية في مجال وسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية إلى جانب أنها وسيلة وأداة تحقيق الأهداف الإنسانية الأهم بالنسة لتطور الحضارة البشرية في الأرض التي أعلن عنها مذهب المجتمع الإعلامي (المعلومات) الدولي يمكن أن تصبح مدمرة بالنسبة للإنسان كنوع بيولوجي، وبالنسبة لكل المجال البيولوجي إن لم يتم التغلب إلى تخلف إدراك رجالات الدولة وأوساط الأعمال والمنظمات الاجتماعية العالمية للأخطار العالمية الناشئة على أمن البشرية وإن لم تتخذ خطوات عملية في الوقت المناسب للتغلب على هذه الأخطار.

ويبدو الجزء المثقف (الذهني) من البشرية الذي يتعامل بشكل دائم في أمكنة عمله وفي الظروف المنزلية مع السيول الإعلامية عن طريق الشبكات الكمبيوترية ووسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية أو الجيل الشاب الذي يتعامل مع المنتوجات الإعلامية المحددة الضارة والساعي إلى الحصول إلى المعارف عن طريق نظام التعليم عن بعد الأكثر عرضة للإصابة والأكثر تعرضاً للأخطار البيئية.

ويمكن أن تنتج الآثار الكارثية إما بسبب التركيب الصدفي (العرضي) للبنى المكونة أو اللغوية الضارة، وإما عن طريق أفعال مقصودة تقوم بها الأنظمة الإجرامية والمنظمات والأفراد، إن أخذنا بالاعتبار البساطة النسبية لوسائل وطرق تحقيق التأثيرات وانخفاض أسعارها وفاعليتها العالية في تحقيق الأهداف الإجرامية.

المهمة الأهم في الظروف المعاصرة للتنفيذ المكثف لمشاريع الانتقال إلى المجتمع المعلوماتي العالمي وتطويره هي وضع الإدخال العملي للإجراءات والطرق والوسائل الخاصة بحماية السكان من التأثيرات المخفية المقصودة أو غير المقصودة والضارة على الإنسان والبيئة بشكل عام التي يمكن أن تتحقق مع استخدام تكنولوجيا المعلومات

والاتـصالات الحديثـة والواعـدة وأسـاليب إعـادة الاعتبـار للنـاس الـذين تعرضـوا لهذه التأثيرات.

إن مهمة تقليص المخاطرة والحؤول دون حدوث كارثة بيئية محتملة قدر الإمكان في ظروف العولمة يمكن أن تنفذ عن طريق الأفعال المنسقة لمختلـف منظمـات المجتمـع الدولي الاجتماعية والحكومية والخاصـة. ويفـترض هـذا ضـرورة التمويـل والرقابـة التعاضدية من قبل المجتمع الانساني بكل منظماته.

الفصل التاسع

التنظيم القانوني لأمن أطفال العالم العربي الإعلامي



التنظيم القانوني لأمن أطفال العالم العربي الإعلامي

تكونت في بداية أو قبل الألفية الجديدة في العالم العربي حالة أزمة في مجال حماية حق الأحداث في الأمن الإعلامي المعترف به من قبل القانون الدولي والوطني. ويلاحظ التأثير الإعلامي غير البناء اجتماعياً على الأحداث من جانب الجماعات الإجرامية والمنظمات الدينية المتعصبة والغيبية والصوفية ووسائل الإعلام الجماهيري ووسائل الاتصال الالكترونية المعاصرة والمؤسسات التجارية المتنوعة. وتظهر التأثيرات السلبية للوسط الإعلامي بما فيه الإعلام الجماهيري الموجه بشكل خاص إلى الأحداث (الإصدارات المطبوعة والبرامج التلفزيونية وغيرها) بخاصة على شكل نشر المعلومات التي تحفز (الدعاية إلى الغيبية والإباحية والانتحار والأنواع المتطرفة للعمل وأوقات الفراغ والعلاقة الشاذة بالحياة) وذات الطابع الإجرامي بين الأطفال، منها تلك التي تشكل من ناحية الجاذبية من مختلف أنواع لسلوك المنحرف:

تعاطي المخدرات والأشياء المؤدية إلى الخلل النفسي والدعارة والبغاء والقسوة والعنف ونمط الحياة الإجرامي وغيره).

وتبقى عملية التطوير حتى الآن من دون مراقبة وغير منظمة قانونياً في المجال الإعلامي العربي لوسائل الاتصال العصرية الحديثة (وبالدرجة الأولى شبكة الانترنيت والعاب الكمبيوتر) التي تسهل كثيراً عمل إمكانية الانتشار العام للمعلومات والموارد القادرة على التأثير على الأطفال والأحداث تأثيراً نفسياً سيئاً وتحفز عندهم الميول إلى السلوك المنحرف وأشكاله المرضية الشاذة جنسياً وعدوانياً وعنفاً وغيرها.

ويقع الأطفال بصورة عفوية ضحايا لبعض السياسات التثقيفية والإعلامية التي لا تضمن الضمانات ـ القانونية المناسبة للحماية الإعلامية والروحية الآمنة للأحداث في مجال الإعلام الجماهيري والتعليم والثقافة.

وفي الوقت نفسه وتحت غطاء ضمانه حرية اختيار الفرد يقوم رجال الأعمال انطلاقاً من الجنس والبزنس الإباحي بحمله غرز النزعات الشهوانية الهادفة وتشويه الأطفال والأحداث جنسياً. ويربط الخبراء في مجال علم الإجرام والإمراض النفسية عند الأطفال والأحداث والفيزيولوجيا وعلم الجنس والنفس بين الانحراف والجريمة والمخالفات العنيفة للقوالب المتكونة في المجتمع الخاصة بالسلوك النموذجي والتشجيع المكشوف واستفزاز الأحداث إلى القيام بالتصرفات المحرمة تقليدياً التي تلاحظ اليوم بشكل واضح بين الأطفال. ومتخفية وراء الحريات الدستورية (حرية الإعلام الجماهيري وحرية الكلمة) بدأت في المجال الإعلامي العربي بشكل عدواني مكثف عمليه إدخال المشاريع التثقيفية والتنويرية المليئة بالتوجهات الجنسية التخريبية الهدامة المكشوفة أو المخفية المدعومة مالياً وسياسياً من الخارج. والأخيرة تتسرب إلى المناهج الدراسية المدرسية وإلى المجلات الشبابية وتنتشر عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية وغيرها من وسائل الاتصالات الحديثة. إن هذا النوع من النشاط الممول في قسطه الأكبر من قبل أصحاب الاستوديوهات الجنسية والإباحية والمؤسسات التجارية الغربية وجه إلى سوق ترويج المنتوجات والخدمات ذات الطابع الإباحي على حساب الأحداث. ويجب أن ينظر إلى هذا النشاط كعدوان إعلامي وكشكل مخفي للاستغلال الجنسي التجاري والاقتصادي للأطفال.

ولا بد من الاعتراف بأن النظام القضائي بشكل عام في العالم العربي غير موجه حتى الآن إلى حماية مصالح الأطفال والأحداث في المجال الإعلامي التثقيفي ولا إلى ضمان أمنهم الروحي والإعلامي. ويلحظ غياب الضمانات القانونية اللازمة لتوفير حماية المصالح القانونية للأحداث المرتبطة بخاصة بحماية الوسط الواسع من جماهير الأطفال والأحداث الذين يستهلكون سلع وسائل الإعلام الجماهيري ويستخدمون

الانترنيت من الأشكال الهدامة والمفسدة للتأثير الإعلامي، وأيضاً من الاستغلال الجنسي للأحداث بخاصة بشكليه العقلي والتجاري.

إن ضمان حقوق الطفل في حمايته إعلامياً هو شرط ضروري لتطور الأطفال الجسدي والنفسي والروحي والأخلاقي الطبيعي، وهذا يعني هو ضمانة للبقاء والحفاظ على المجتمع من الناحية الروحية والثقافية والأخلاقية وبدءاً من أوائل التسعينات، إن هذا التوجه في مجال الدفاع عن حقوق الأحداث الأساسية والرئيسية المعترف بها من قبل القانون الوطني و القومي والدولي بحاجة إلى اهتمام الدولة المركز وغير المؤجل وهذه الفترة بالذات ظهرت العمليات الهدامة في نشاط تلك البنى الاجتماعية التحتية المدعوة من حيث أهدافها بالذات للعب دور المؤسسات الاجتماعية والحلقات الأساسية في نظام وقاية وحماية سلوك الأحداث من المراقبة.

إن الأسرة والمدرسة ومؤسسات قضاء وقت الفراغ ووسائل الإعلام قد أخذت تستخدم وهذا يدعو للدهشة أكثر فأكثر كقنوات للتأثير السلبي على الأطفال والقاصرين لتشوه وعيهم الحقوقي ـ الأخلاقي ولتساعد على (انحرافهم) و (تخريبهم من الداخل) و تدمير هذه الفئة الاجتماعية من السكان الأكثر تقلباً واستيعاباً.

وإن الاستنكارات الاجتماعية الجماهيرية (لم تجد حتى الآن صدى لها لدى رجالات الدولة) حيث أخذت تستدعي في الآونة الأخيرة نشر أشكال غير تقليدية وجدية للتنمية الروحية والأخلاقية للأطفال المرتبطين بالتأثيرات الإعلامية المكشوفة والمركزة والعلنية والهدامة على وسط واسع وغير محدود من الأحداث.

إن هذا التأثير اكتسب حتى بداية القرن الحادي والعشرين طبيعة غير مسبوقة من حيث سعتها وآثارها المدمرة وينفذ في عدة اتجاهات عن طريق:

- فرض (بما في ذلك عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري والانترنت) المعايير والقيم وطرق التواصل ونمط الحياة الموجودة لدى الوسط ذي التوجه الإجرامي.

- الدعاية المكشوفة والخفية لتعاطي المشروبات الروحية والمخدرات والانفلات وللمظاهر الشاذة جداً للتعاطي مع الجنس.
- تبرير (المكشوف والمخفي) التشجيع السلبي (عن طريق التأثير و"عدم الممانعة") أو الإيجابي على استخدام واسع للكلمات غير العادية والشاذة وغيرها من أشكال السلوك الشاذ.

إشهار طرق الإعداد وارتكاب وإخفاء الجرائم وغيرها من عمليات المخالفة للقانون والخطرة،" وتفسير" وحتمية (حتى الجبرية والأحجية مما يسمى بالجذور القومية والتقاليد والتوجهات العالمية للتطورات الاجتماعية وغيرها من الحجج المفتعلة والمختلفة) ونمط الحياة "المشاكس" ومخالفة القوانين في كل مكان وكل يوم.

الدعاية لعبادة العنف والقسوة وغيرها من أنواع السلوك المخالف للقانون والمنحرف الذي يطبق عن طريق وسائل الإعلام والدعاية والإعلان وحتى مع استخدام الشبكات الحديثة للاتصالات بما فيها شبكات الإنترنت التي تسهل كثيرا نشر المعلومات الهدامة اجتماعيا "المواقع الإباحية وصور الأطفال الفاضحة والعناصر البديلة للجنس) والتي تضمن عدم الكشف عن منتجيها ومستخدميها.

التنفيذ غير المراقب لوسائل الإعلام الجماهيري الموجة إلى جمهور الأحداث (المجلات المتخصصة والبرامج وغيرها من المواد المخصصة للأطفال واليافعين المكرسة للدعاية "لنمط حياة سليم" و"الجنس الصحي" و"للشركات المسؤولة" و"لحقوق الطفل" وغيرها) المشكوك بها من وجهة النظر القانونية والأخلاقية والمهنية (الصحفية والسيكولوجية والتربوية والطبيعية).

التأثير على وعي وإدراك ونفسية الأحداث من جانب الطوائف الدينية الشمولية والمؤسسات الغيبية ـ المتصوفة ذات الأصل الوطني أو الخارجي التي تقيم على أراضي البلاد العربية والموجهة من حيث مذاهبها وتطبيقاتها إلى تدمير تقاليد التربية الأسرية، إلى تفكيك الروابط الأسرية والعائلية إلى تنمية الأطفال جنسياً (مثال، طائفة "الأسرة" والطوائف الشيطانية وغيرها من المؤسسات الدينية الهدامة وعبادات تطبق التواصلات

الجنسية غير المحدودة بما فيها مع الأحداث وتعلم الأطفال في سنهم المبكر تقنية التعاطي الجنسي مع أقرانهم ومع أعضاء الطائفة البالغين ويلزمهم على ممارسة الدعارة في سبيل جذب أعضاء جدد إلى الطائفة) وأيضاً أولئك الذين يستخدمون التكنيك النفسي.

إدخال نماذج متنوعة (بدءاً من مؤسسات ما قبل المدرسة) من البرامج والمناهج والمواد الدراسية ذات التوجه الهدام الذي يتناقض مع العادات والتقاليد المتكونة للتربية الاجتماعية والأسرية والثقافة القومية العربية (وأدق، الثقافة متعددة القوميات) والتي لم تتأقلم مع الظروف العربية ولم تعالج فيها.

ومن بين الحقوق التي تتطلب أولوية الحماية في المجتمع العربي المعاصر لحقوق الأحداث الحقوق الإعلامية المتضمنة:

1. حق الوصول إلى المعلومات.
2. الحق في الأمن الإعلامي.

إن مفهوم "الأمن الإعلامي" للإنسان بشكل عام والطفل خاص يعتبر من حيث خصوصية جديداً على النظام القانوني العربي وعلى التطبيق التشريعي لذلك يكون بحاجة لتنظيم حقوقي دقيق وواضح ولتفسير علني. ولقد اتخذت في الأعوام الأخيرة جملة كاملة من الوثائق التشريعية الموجهة إلى ضمان الأمن القومي للبلاد العربية. بما فيها: "قانون الأمن العالم العربي" الصادر ونظرية الأمن القومي العربي إلا أن قليلاً من الاهتمام يعاد إلى التنظيم الحقوقي للعناصر الأساسية التي لا تتجزأ لظاهرة الأمن القومي: أمن الفرد والفئات الاجتماعية التي بحاجة إلى حماية خاصة من قبل الدولة وتغيب بخاصة:

- الوصف القانوني لمفهوم (الأمن الإعلامي للمجتمع والإنسان) والآليات القانونية لضمانه.
- الإشارة إلى الإجراءات ذات الطابع الروحي والأخلاقي من بين الإجراءات الأخرى ذات الأولوية في مجال ضمان الأمن القومي.

- إبراز مصالح التطور الطبيعي لإعضاء الأحداث في المجتمع وأهداف الأمن والحماية (بما فيه الأمن الإعلامي) والمواضيع للحماية الخاصة مصالح الفرد والمجتمع والدولة الهامة حياتياً من التهديدات الداخلية والخارجية وينظر إلى المصالح الحيوية كجملة المتطلبات التي تلبيها تضمن فعلاً التنفيذ وإمكانيات التطوير التقدمي للفرد والمجتمع والدولة ومن المواضيع (الأهداف) الأساسية للأمن: (الفرد وحريته وحقوقه) والمجتمع وقيمه المادية والمعنوية (الروحية) والدولة نظامها الدستوري وسيادتها وسلامة أراضيها، ومن بين التوجهات الأساسية للدولة في مجال تكون الموارد الإعلامية والمعلوماتية يجب ان يشير التشريع إلى (ضمان تطبيق حقوق المواطنين والمؤسسات والمنظمات على أساس الموارد الإعلامية وموارد الدولة).

إن الوصف القانوني لمفهوم "الأمن الإعلامي": يعني حالة حماية الوسط البيئية الإعلامية في المجتمع التي تضمن تكوينه وتطويره لمصلحة المواطنين والمنظمات والمؤسسات والدولة ومن الواضح أن عنصراً واحداً فقط من عناصر الأمن الإعلامي للمجتمع وهو حماية المعلومات نفسها والمجال الإعلامي نفسه. يجب ان يكون معكوس في هذه الوثيقة ويؤخذ فيها بعين الاعتبار ضرورة ضمان حماية المجتمع والفئات المكونة له والأفراد فيه من الأنواع والأشكال الهدامة للمعلومات.

وفيما يخص الفرد أن هذا المفهوم يوصف "بأمن الضمان الإعلامي للمصالح الحيوية للإنسان تعتبر مصالح الفرد الإعلامية مادة له وفي مجال الأمن الإعلامي إن الأخطار على مصالح الفرد الحيوية (الخطر الإعلامي) يمكن أن تنبع إما من التأثير الإعلامي السلبي وإما من غياب المعلومات الضرورية.

وانطلاقاً من المقدمات القانونية المشار إليها أعلاه لابد من ضمان التالي: كمهام توفير الأمن الإعلامي للأحداث على مختلف المستويات القانونية:

الوصول الحر للأحداث ولممثليهم الشرعيين إلى المعلومات الضرورية لتطوير الطفل الجسدي والنفسي والروحي والأخلاقي الطبيعي بما في ذلك المعلومات عن حقوق الأحداث.

الوصول الحر للأطفال وآبائهم إلى المعلومات عن عوامل الوسط الخارجي التي تهدد حياة وصحة وتطور الأحداث الطبيعي: عن الحالات الطارئة، وعن الحالات الإجرامية، وعن الوضع البيئي والجوي والصحي والوبائي وغيرها.

حماية الأطفال من أنواع المعلومات تلك التي تشكل خطراً على حياتهم وصحتهم وإلا سوف يمكنها أن تلحق الضرر بهم بتطويرهم الاجتماعي والجسدي والنفسي والروحي والأخلاقي الطبيعي.

وكانت الدولة العربية في أواسط الستينات من القرن الماضي قد اعترفت عند وضعها لبرنامج مكافحة التشرد بارتباط هذا المرض الاجتماعي بالقضايا والمشاكل الموجودة في المجالات الروحية ـ الأخلاقية والثقافة الأخلاقية في المجتمع. وقد منعت في هذه الفترة بالذات الدعاية في أواسط الأحداث لنمط الحياة الإجرامي ورومانسية شخصية المجرم وتضمن هذا القرار " القضاء على تشرد الأطفال وإهمالهم" حيزا واسعا و اشار الى أدب وأفلام الأطفال وقد جاء فيه فرض التحريم على الدعاية.

لنمط الحياة الإجرامي ونشر أية معلومات أخبار يمكن لها أن تؤثر تأثيراً ضاراً على الأطفال وكلفت الأجهزة المعنية لهذه الأهداف بتعزيز الرقابة على الآداب والأفلام السينمائية بعد السماح للأدب والأفلام التي تستطيع أن تلحق الضرر بالأطفال (تمجيد المجرمين وغيرهم) وبعد مرور نصف قرن تقريباً وبحدة أكبر أمام المجتمع ظهرت مهمة: مكافحة إهمال الأطفال والتشرد والجريمة حتى بداية القرن الحالي اكتسبت هذه المشكلة طبيعة حيوية وأهمية في نظر الدولة لدرجة أن وزراء الداخلية العرب أعطوها وضع التهديد للأمن القومي، و قد أعطوا تعليمات للأجهزة المختصة لاتخاذ إجراءات سريعة لحلها.

ولهذا إضافة إلى كل ما سبق، لابد من تـذكر التجـارب الوطنيـة (في الـستينات) في مجال منع التأثيرات الإعلامية السلبية على الأحداث كعامل من عوامـل التخريـب الأخلاقي والإجرام وعدم إمكانية أقلمة هذه الفئة العمرية من السكان ولم تنـشأ هـذه المشكلة لأول مرة إذ أنها ظهرت في العالم العربي في نهاية القرن العشرين، أوائل القرن الحادي والعشرين، لكن هذه المرة على مستوى إعلامي جديد أكثـر تطـوراً وبأشـكال وآفاق غير معقولة. إن العولمة ودخول الكمبيوتر في جميع مجـالات الحيـاة الاجتماعيـة التي نعتبرها مثلها مثل العمليات التكنو ــ جينيـة الأخـرى كلـها والتـأثيرات الجانبيـة السلبية تتحول أكثر فأكثر بالنسبة للمجتمع وقبل كل شيء بالنسبة للأطفال إلى التأثير الإعلامي شامل مفتوح وعلني له توجهاته الهدامـة وحـسب تقـديرات علمـاء صـحة الأطفال وعلماء النفس والنفسانيين والمختصين في علم الجريمـة وغيرهـم مـن الخـبراء في مجال حماية الطفولة، أن الضرر الذي ألحق بالأطفال العرب في التسعينات من القرن الماضي بسبب عمليـة البـدء بتـدمير النظـام المتكـون للتوجهـات الأخلاقيـة والقيميـة للمجتمع العربي وبواسطة الإفساد الجسدي والأخلاقي للأطفال مع التواطؤ الفعلـي من قبل بعض المؤسسات يتمتع بطبيعة هدامة من الصعب التغلب عليها وتصحيحها.

وليست صدفة أن تكون عملية الحفاظ علـى أخلاقيـة وروحيـة المجتمـع العربـي مستمرة وضمان الأمن الفيزيـائي الروحـي والإعلامـي رسميـاً ومعترفـاً بهمـا علـى المستوى القانوني بأنهما من أهم مواضيع الأمن القومي العربي يتـضمن حمايـة الإرث الثقافي العربي الأخلاقي والتقاليد التاريخية ومعايرة الحياة الاجتماعية وتكوين سياسـة حكومية في مجال التربية الروحية والأخلاقية للسكان ومنع استخدام زمن البـث علـى الهواء في وسائل الإعلام الجماهيري الإلكترونيـة، لبـث الـبرامج الـتي تـروج للعنـف والتي تستغل المظاهر الدنيئة والخسيسة.

وقد اعترف في مذهب الأمن الإعلامي القومي العربي بأنها توجيهـات أساسية لضمان الأمن الإعلامي للبلاد في مجال الحياة الروحية: بـ أنهـا وضـع آليـات قانونيـة وتنظيمية خاصة لعدم السماح بالتأثيرات الإعلاميـة الـسيكولوجية المخالفـة للقـانون

على الوعي الاجتماعي، ومنع استخدام الإرسال الأثير بوسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية البرامج التي تروج العنف والقسوة والسلوك المعادي للمجتمع.

وتشهد استنتاجات الخبراء في مجال حماية صحة الأطفال النفسية على الرابط بين الانشغال النشيط للأحداث ودخولهم الوسط الإعلامي المشوه من جهة وبين تغيرات نفسياتهم وسلوكياتهم وزيادة الأحوال النفسية المرضية من جهة ثانية. وإن التأثير المتزايد لتكنولوجيا المعلومات الحديثة على تربية الأطفال وعلى العلاقات الأسروية يدمر التقاليد القومية المتكونة في العالم العربي (ينسف أمن الدولة) ويوضع عملية تكوين الجيل الناشئ تحت رقابة القوى غير المعنية أبداً بالمصالح العربية يتكون خطر على الرصيد الشعبي العربي (تشكيلة الشعوب العربية).

وتغيب الضمانات الضرورية للحؤول دون حدوث تأثيرات إعلامية سلبية على الدارسين من قبل البنى الإجرامية الفئوية وغيرها من التراكيب المعادية للمجتمع التي تتوغل دون استئذان في المؤسسات التعليمية الثقافية والاجتماعية والرياضية المخصصة للأطفال واليافعين في مجالات أخرى من حياتهم.

إليكم فقط بعض الأمثلة من الحياة اليومية للأحداث المعاصرين:

وسائل الإعلام الجماهيري. إن كل ثاني تلميذ يحصل على المعلومات الأساسية عن الجنس، بناءً على دراسات الخبراء، من البرامج التلفزيونية، وكل ثالث منهم يحصل عليها من الصحف والمجلات. وأطفال الريف الذين تبلغ أعمارهم 13 عامًا قد أشاروا إلى أنهم يجدون في علب العلكة ببعض البلدان العربية مصادر معلومات عن الجنس.

وهناك مشاريع مماثلة يتم إدخالها إلى المجال التعليمي العربي بمساعدة المطبوعات المتخصصة ذات التوجيه الشهواني المكرسة للشباب واغلبها غربية المجالات المخصصة لليافعين التي تستغل بنشاط وفاعلية اهتمام اليافعين بالجنس تدخل إلى البلدان العربية في الخارج وبمخالفتها للقوانين النافذة أنها لا تخضع كقاعدة لرسوم وضرائب عالية إضافية لغيرها من الضرائب المقررة على المطبوعات الشهوانية المتخصصة وإنما

على العكس من هذا، تتمتع بحسومات ضرائبية وجمركية وذلك عن طريق اختفائها وراء ستار المنشورات في مجالات التعليم والعلوم والثقافة الحقيقية غير المألوفة هي أن مجلة معروفة لا اريد ذكر اسمها وتحت عنوان كل ماتريد أن تعرف عن الجنس لكن تخاف السؤال عنه' والتي يشكل الأطفال بدأ من السن الثانية عشر جمهور قرائها، وبناءً على نتيجة اختبار قامت به مجموعة طلاب من قسم الاعلام جامعة دمشق كانت قد اعتبرت هذه المجلة بناءً على قانون وسائل الإعلام الجماهيري السوري مطبوعة شهوانية متخصصة يمنع توزيعها في أواسط الأحداث (اليافعين) تنفيذاً للتشريعات النافذة.

واعتباراً من كانون أول عام 1997 توزع دار النشر 'بوردا' و التي تنتشر في البلدان العربية والمكرسة للشباب اليافعين بعدد ونسخ أسبوعية يصل إلى 300 ألف نسخة والتي تنشر فيها مواد عن الجانب الفيزيولوجي للعلاقات بين الجنسين وعن تقنية الجنس التي تترافق مع التوضيحات لخصائص الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية وللوضعيات لطرق تلبية الرغبة الذاتية والمتبادلة بين الشريكين في العملية الجنسية والانحرافات الجنسية وتوجه للقراء الأحداث نصائح وتوصيات مفصلة في مسائل فيزيولوجية ونظافة الحياة الجنسية التي تساعد على تكوين التطورات المشوهة لديهم عن معايير الأخلاق الجنسية بما فيها عن الحياة الجنسية المتنظمة والمتنوعة في فترة ما قبل البلوغ كنموذج طبيعي وحتى معياري السلوك الاجتماعي وأزد على ذلك أن المجلات المشار إليها تتضمن مواداً ذات طبيعة إباحية وتشجع على الاهتمام قبل أوانه لدى الأحداث بمسائل الجنس وتستفز لديهم البداية المبكرة للحياة الجنسية.

وفي بعض المجلات العربية الهابطة يتم إتباع اتجاه واضح نحو إزالة من وعي جمهور الأحداث أية محدوديات وممنوعات كانت مشترطة اجتماعياً أو فيزيولوجياً على الممارسة الجنسية في سن اليفوع وعلى تدمير وإنهاء الحدود بين المعيار والشذوذ في السلوك الجنسي والاجتماعي وإليكم فقط بعض العناوين المنشورة في بعض المجلات العربية الإباحية ـ 'منطقة البغاء' ـ 'الانحراف'

وتنشر من عدد إلى آخر صور فتيات وشبان عراة بالكامل بمن فيهم الإحداث منهم وقد أعلن عن مسابقة صور "الأكثر اثارة للنشاط" تحت شعار "اتصل - اكتب - تفضل - اخلع ومارس الجنس" واحصل مقابل ذلك على جائزة مالية وعلى متعة معنوية وفي الزاوية الثابتة "الزوايا" يتم تصوير وضعيات غير لائقة تصل إلى مستوى متدني جداً "التيس أمام الشجرة - والتقاطع، وغيرها" ويشهد على توجيه هذه المعلومات إلى جمهور الأطفال الاستخدام الوقح من قبل هيئة التحرير (يبدو الإيضاح الأكثر والاستيعاب الغراء) التوضيحات لطرق الإدخال (الأعضاء الجنسية) بمساعدة الصور أثناء العملية الجنسية التي يتم افتعالها بين أبطال القصص والألعاب المحببة للأطفال مثل باربي وكين. وتنشر هذه المجلات إعلانات شهوانية للبالغين وعناوين المواقع الإباحية على شبكة الانترنت.

ويحصل على المعلومات عن المخدرات كل ثاني حدث عملياً عن طريق البرامج التلفزيونية (47.7 ٪) وكل سادس حدث يحصل عليها عن طريق الصحف والمجلات (15٪) تقريباً.

وغالباً ما تعلق وسائل الإعلام الجماهيري تحت شعار الدعاية المضادة للمخدرات على عناوين أمكنة تسويق المخدرات حتى يصل فيها الأمر إلى التوضيحات المفضلة والدقيقة للمستهلك المتوقع إلى أي نموذج من المروجين عليه أن يتوجه ولأي نوع من أنواع المخدرات وإلى الأسعار السائدة وأخبار أخرى تساعد على تشجيع نمو عدد متعاطي المخدرات تأثير جوهرياً فإنها بالنسبة للأحداث تعتبر من دون شك قاتلة لأنها قادرة على تحفيز اهتمام الأحداث بتعاطي هذا السم وتوجيههم نحو البحث عن مصادر المخدرات وليس مصادفة أن يضاف بندا الى بعض القوانين في البلدان العربية حول وسائل الإعلام الجماهيري" و حول "حول المخدرات" وتعديلات على القوانين العربية النافذة بهذا الخصوص. يتضمن : "منع النشر في وسائل الإعلام الجماهيري وفي شبكات الكمبيوتر أيضاً للمعلومات عن طريق وأساليب صالحة وصناعة واستخدام وإمكانية الحصول على المخدرات وتمنع الدعاية

لأية أفضليات لاستخدام بعض المخدرات وما يشابهها باستثناء الدعاية المخدرات الواردة في بعض البنود بالتناسب مع القوانين العربية النافذة "حول المخدرات" في وسائل الإعلام الجماهيري المكرسة والمخصصة للعاملين في المجالين الصيدلاني والطبي. ومع ذلك إن إدخال الجديد هذا لا يقفل بالكامل قنوات التأثير الدعائي للخطر الاجتماعي لوسائل الإعلام الجماهيري على المستهلكين المحتملين للمخدرات و في مقدمتهم الأحداث.

وبقيت خارج مجال التنظيم القانوني:

نشر المعلومات عن حسنات استخدام المخدرات بشكل عام ونسبة الضرر، وعرض الوضع الطبيعي والصحي لدى متعاطي المخدرات المزعوم.

نشر الأساطير عن الخصائص الإيجابية للمخدرات: التأثر على زيادة القدرات الإبداعية والخصائص الاستنتاجية وغيرها.

التركيز على الشعور الجميل بالكيف عند توضع تأثير استخدام المخدرات.

الأشكال المخفية للدعاية:

بذريعة العمل التعليمي التثقيفي بين الشباب والأحداث.

الاستشهاد بالمشاهير من الناس الذين يتعاطون المخدرات لتنفيذ الأمثل لعبقريتهم.

بذريعة الدعاية المدمرة للمخدرات في المطبوعات الطبية والصيدلانية المتخصصة

ويمكن صياغة المبادئ التالية لمنع نشر معلومات معينة تعد الأكثر خطراً محتملاً:

لا تضر: عدم المعرفة أحياناً، وعدم الرؤية الأفضل للمعرفة المشوهة المقدمة من قبل البرامج والمجلات الخاصة بالطفل.

الحد الأدنى من استخدام المصطلحات والمقاييس ذات الطبيعة التقديرية أو التي لا تتمتع بتأويلات متماثلة.

كفاية والحد الأقصى من المنع وعدم السماح لوسائل ترويجها (الدعاية لطرق استخدام وتعاطي المخدرات والممنوعات غير المألوفة في مجال السلوك الجنسي.

شمول أكثر أنواع المعلومات الهدامة نموذجية: عن طرق وأساليب المعالجة والإعداد واستخدام الصناعة وعن أمكنة الحصول على المخدرات وعن المروجين لها وأسعارها وخصائصها (ليس فقط عن أفضليات) مختلف أنواع المخدرات وعن أمكنة زراعتها وزراعة الأفيون وغيره، والدعاية لأية أفضلة من أفضليات استخدام بعض أنواع المخدرات.

تحول كل طرق الدعاية المكشوفة والمخفية بما فيها أساليب الإيحاء الضمني والبدائل الكاذبة والتأثير على اللاوعي مع استخدام التكنولوجيا السيكولوجية.

الإعلان عن الطرق المسموح بها لنشر المعلومات وعن من يقوم بهذا النشر - منع نقل معلومات لغير المحترفين بذريعة العمل التعليمي - التثقيفي والديني أو غيره الذي يقوم به أناس لا يملكون ترخيص للقيام بمثل هذا العمل مع إدخال نظام خاص لإعطاء التراخيص والمتطلبات من الدعاية المضادة للمخدرات.

الدعاية (الإعلان): إن القوانين في بعض البلدان العربية "حول الإعلان" تفترض التنظيم الأكثر تناسباً مع المقاييس الدولية للعمل الإعلاني فيما يتعلق بالأحداث أو مع استخدام شخصيات من الأحداث من الدعاية والإعلانات غير الملائمة والمحدوديات العمرية في العمل الدعائي _ الإعلاني يجب أن تكون مستوعبة كذلك من قبل الوثائق التشريعية الأخرى التي تمس مصالح الأمن الإعلامي للأطفال في مجالات المعلومات العامة والثقافية والتعليم ويجب تدعيم القوانين المناسبة بالموضوعات الواردة في بعض القوانين العربية "حول الإعلان" التالية:

1. إن المعلومات التي تنشر علناً في أواسط الأحداث يجب أن لاتحفز العنف والعدوانية لديهم ولاتثير الفوضى وحتى لا توقظهم لارتكاب أفعال خطرة قادرة على إلحاق الضرر بصحة الناس أو التي تهدد أمنهم.

2. عند إنتاج وطباعة وتوزيع المواد المتضمنة المعلومات المخصصة للأحداث تحديداً بهدف حمايتهم من الاستهتارات بسبب ضعف عقلهم وغياب خبراتهم غير المسموح به هو.

- التشهير بسمعة الآباء والمربيين ونسف ثقة الأحداث بهم.
- نشر المعلومات المكتوبة أو المرئية أو المسموعة التي تشير إلى الأحداث وهم في الأماكن الخطرة والحالات الصعبة.
- الاستخدام المكتوب والمرئي أو المسموع لنماذج الأحداث في المعلومات ذات الطابع الجنسي.

وانطلاقاً من هذا التحليل لمعايير القانون الدولي والوطني و القومي لا يجوز السماح باستخدام المعلومات في المواد المشار إليها.

- المثيرة أو الموجهة إلى العداء القومي العرقي والاجتماعي أو الديني وإلى عدم التسامح.
- ذات الطابع الإباحي.
- التي تدعو إلى الحرب والنزاعات المسلحة.
- التي تعرض أو تدعو إلى العنف والقسوة.
- الداعية إلى أفكار وتعاليم الفئات الدينية التي لا يسمح لها بالعمل على الأرض العربية أو أن هذا العمل محدود لا يتناسب مع التشريعات النافذة.
- الدعاية إلى النمط الإجرامي في الحياة وإلى معايير وقيم الوسط الإجرامي وحتى تلك المعلومات القادرة على جذب المواطنين إلى ارتكاب الجريمة وأية أفعال معادية للمجتمع أي المعلومات و الأخبار حول الجريمة.
- القادرة على نسف احترام المواطنين للقانون وللمعايير العامة للأخلاق.

التعليم: مجال تقديم الخدمات التعليمية الأساسية الإضافية وبفعل عدم كفاية التنظيم القانوني فيه لضمان الأمن الإعلامي للدارسين أنه يعد في الوقت الراهن ممثلة وممكنة جزئياً لتوغل المعلومات التي تنسف صحة الدارسين الأخلاقية والنفسية

والجسدية في المؤسسات التعليمية والطبية التثقيفية الخاصة بالأطفال والأحداث. أن مثل هذه المعلومات تدخل في وعي الدارسين عن طريق أشخاص غير مؤهلين وغير نافعين للعمل التعليمي وما يرافقه (من حيث الصفات الأخلاقية السيكولوجية والخصائص النفسية ـ الفيزيولوجية والميزات السلوكية ـ ومن حيث خضوعهم لأحكام سابقة ومن حيث تمتعهم بالعادات الضارة وبالميول المعادي للمجتمع وغيره).

إن غياب رقابة الدولة والمجتمع فعلاً عن العمل التعليمي ـ التثقيفي في وسط الأحداث في مختلف المؤسسات الاجتماعية (وسائل الإعلام الجماهيري المؤسسات التعليمية والمدارس المنهجية التربوية والتربوية ـ النفسية) الذي ينفذ بخروقات فاحشة لمعايير القانون الأسري والتعليمي والتشريعي في مجال الصحة و إن توجه معلمي المناهج والبرامج الخاصة بمسائل صحة الحياة الجنسية نحو إدخال عبارة الجنس في كل أنواعه بما فيه الشذوذ الجنسي إلى إدراك الطفل اليافع يمكن أن يشترط، حسب تقرير الخبراء الآثار الوخيمة على تطور الشخصية الاجتماعية والجنسية والنفسية بالذات: الانحراف في نفسية وسلوك الأطفال وزيادة لاأخلاقية الجنس عند الأحداث وفتح الطريق أمام الاهتمام بالسلوك اللاجتماعي، وتدمير الأشكال التقليدية لعلاقة المتبادلة مع الآباء، ويتم إدخال في العملية التعليمية (بدءاً من المرحلة المدرسية للتعليم) وبشكل قصري مع تجاهل إرادة الآباء ثقافات غريبة عن الثقافة الوطنية والتقاليد ومناهج اختبارية وبرامج تعليمية هدامة من حيث تأثيراتها على نفسية وسلوك الأحداث. إن تدريس العديد من هذه البرامج التعليمية ـ التثقيفية مرتبط باستخدام الأساليب غير المسموح بها للتأثير على نفسية الأطفال: التنويم المغناطيسي وغيره وحسب معطيات أجهزة إدارة التعليم تتقدم عملية التطوير في نظام التعليم في المؤسسات الدينية والغيبية وغيرها من المؤسسات التي تطبق البرامج والمناهج التعليمية والصحية والتنويرية المرتبطة بالتدخل غير المسموح به في مجال الصحة النفسية والروحية للدارسين الأحداث.

وعاماً بعد عام إن أعداداً متزايدة من المربيين وعلماء النفس الذين أضحوا يمتلكون كل ما هو ممكن ولا يمتلكون تراخيص لإجراء دورات تدريسية لمناهج التعليم المبنية على تقنيات متنوعة فتكون بها من التحكم بنفسية الإنسان ويمارسونها في مدارس التعليم العام.

وإن الأساليب المستخدمة في هذه الأثناء للتأثير على نفسية الإنسان ممنوعة بأمر من وزارات الصحة والصناعة الدوائية والطبية في العالم العربي حول تنظيم استخدام أساليب التأثير النفسي وبخاصة يتضمن هذا الأمر (القرار) منع الدعاية والاستخدام بهدف المعالجة والوقاية وإعادة التأهيل للأساليب والمناهج السيكولوجية للتأثير وحتى للأساليب ووسائل ذات الطابع الغيبي ـ الصوفي والديني.

ومتطلبات مماثلة يجب أن تقدم من العمل المرتبط بإدخال المنهاج غير التقليدية والمواد التجريبية التعليمية المحدثة في محاربة المؤسسات التعليمية العامة (في أطر التعليم الأساسي والقاعدي والإضافي) وبهذا السياق يعتبر ضرورياً تنفيذ أجهزة الصحة والتعليم اختبار شترك شامل ومبدئي ورقابة منتظمة الإدخال المناهج والبرامج التعليمية في العمل الجماعي والفردي مع الأحداث تحت شعار تكوين نمط حياة صحي، وتجديد مضمون التعليم ودعم المشاريع التحديثية التجريبية وغيرها من المناهج والبرامج التعليمية المتعلقة باستخدام الأساليب غير التقليدية للتأثير على نفسية الإنسان، ويتطلب اتخاذ القرارات في مجال إدخال الأشكال غير التقليدية لتنظيم العملية التعليمية اهتماماً خاصاً وانتباهاً إلى توفير الضمانات الخاصة بأمن الفرد الروحي والسيكولوجي.

ولا تزال حتى الآن غائبة الآلية القانونية للحفاظ على الحقوق والمصالح الشرعية للدارسين الأحداث ولآبائهم في مجال العمل التعليمي الشامل التحديثي والتجريبي وكنتيجة إدخال الأساليب والبرامج التجريبية إلى الأشكال الأساسية والإضافية للعملية التعليمية والتي تعتبر غير مجربة ولم تتأقلم بعد مع الظروف الوطنية ومع خصائص تطوير الأطفال من مختلف الفئات العمرية.

الكتب: إن مدير أحد المدارس في العاصمة اللبنانية سحب من مكتبة المدرسة كتاب (دليل الطالب) معتبراً إياه ضاراً لنفسية الطفل وبناءاً على المعلومات الواردة على الغلاف الأخير وبناءً على التوجيه إلى القارئ الشاب الذي كتبه معد الكتاب والذي يمتلك خاتماً من المكتبة عليه، إن الكتاب مخصص لجمهور الشباب اليافعين، في هذه الحالة إنه مكرس للدارسين في المدارس العامة دون أية ممانعات ومحدوديات على الفئة العمرية.

ويتضمن الكتاب المواد التالية القادرة على:

- التأثير السيكولوجي السلبي والإجرامي والمفسد على الأطفال واليافعين. نسف ثقتهم بالآباء.
- المساعدة على استيعاب الأحداث لمعايير وقيم الوسط الإجرامي والفاسد.
- استغلال اليافعين واهتمامهم بالجنس.

الانترنت: مع تطور سوق الخدمات الإعلامية تكون الأنواع التقليدية والجديدة نسبياً لهذه الخدمات التي تقدم مثلاً باستخدام نظم الاتصالات الحديثة (الانترنت وغيره) بحاجة إلى تنظيم معياري مناسب وحتى عملية وصول الأحداث إليها.

وبعد تقسيم وإبراز المواضيع الأمنية التالية أمراً جيداً في التشريعات الدولية والقومية لاسيما المواضيع في مجال مواجهة نشر الصور الإباحية للأطفال على شبكات الكمبيوتر.

- الحماية القانونية للأخلاق الاجتماعية.
- الحماية القانونية لصحة ولتطوير الأطفال الاجتماعي والجسدي والسيكولوجي والروحي والأخلاقي المعياري.
- الحماية القانونية لأمن المجال الإعلامي الدولي ومتعدد الجنسيات ووسائل الاتصالات الجماهيرية وعبر الحدود.

- حماية المجتمع الدولي والدول المشاركة من نشاط الجريمة المنظمة ومن جعلها للمجال الإعلامي متعدد الجنسيات إجرامياً وإقامة الرقابة والسيطرة على وسائل الاتصال الحديثة عبر الكمبيوتر.

وتكتسب هذه المسألة الحيوية أكبر وحدة أقوى بسبب طبيعتها متعددة الجنسيات الإجرامية.إن الجريمة في مجال استخدام وسائل الاتصالات الحديثة وتكنولوجيا المعلومات تشكل بناءً على تطورها وتوسعها وتوسع مجالات الرقابة تهديدا متزايدا ليس فقط للأمن القومي، وبل للأمن العالمي أيضا.

لقد تكون في الأعوام والعقود الأخيرة في المجتمع شيئا فشيئا (ليس من دون مشاركة السيول الإعلامية غير المحدودة) ذلك الجو الإعلامي ـ السيكولوجي الذي ترافق بشكل مفاجئ للعديدين بأشكال مشوهة للوجود والبقاء وتواصل الناس وبطرق مشوهة لتلبية رغبات الأطفال لاحتياجاتهم الطبيعية في التواصل ولإثبات الذات. وبالنسبة للعديد منهم إن "التجارة" بالروح والجسد تحولت إلى مصدر اعتيادي أو من حيث الجوهر، مشجعا من المجتمع والصحافة لتلبية الرغبات والاحتياجات المادية، وإلى نقطة انطلاق فريدة من نوعها لبناء المستقبل الشخصي والمهني. ويدفع بهم إلى مثل هذه المهنة ليس فقط الحاجة وغياب الدفء الاجتماعي والإنساني والاهتمام بهم والوحدة والملل في أوقات الفراغ ، بل وما توصلت إليه جهود "المتورين" الوطنيين والأجانب من إزالة للحواجز النفسية والروحية ـ الأخلاقية زمن ضغط نفسي على مشاعر الخجل (الكاذب)، ومن التوجه والاعتماد على النمط المعيشي الحسي. وغالبا ويتم التذكير في الصحافة بقلق بالآثار الناتجة عن الإفساد الأخلاقي والجنسي للأطفال مثل منجزات الديمقراطية والثورة الجنسية مقابل الأخلاق المفرطة.

وإن حاولنا وصف التأثير الإعلامي السلبي على الأحداث لأكثرية مصادر الإعلام والمعلومات المعاصرة، فإنها تعكس بدقة أكثر جوهر عملية الفساد، وإن التفسير اللغوي لهذا المفهوم يأخذ بالحسبان معنيين أساسيين من معانيه:

1. الفساد الجسدي (الفيزيولوجي) أي الاغتصاب وفقدان العذرية (عند الفتاة الحدث).
2. الإفساد الأخلاقي، والوصول بالإنسان إلى التفسخ الأخلاقي التام وفقدانه لأية مبادئ أخلاقية.

ويمكن أن توصف الطبيعة الهدامة لأي تأثير إعلامي فقط على أساس الصفات النموذجية والشخصية للمستهلك (المتلقي)، وفي هذه الحالة مع اعتبار خصائص جمهور الأطفال وردود فعله النموذجية على هذا التأثير، ويبدو من وجهة نظر نظرية التأثير أن المعلومات تلك التي يمكن أن تكون مفيدة أو محايدة بالنسبة للبالغين اجتماعياً والناضجة بيولوجياً قادرة على إلحاق الضرر الكبير بشخصية الطفل التي لم تتكون بعد ويجب استخدام هذه الطريقة بالذات عند حل مسألة وجود الضرر وطبيعته الذي ألحق بالصحة وبالأخلاق وبالتطور الطبيعي للأطفال عن طريق الدعاية والترويج للعنف والقسوة والجنس والإباحية وغيرها والضرر الذي يلحق بالمتلقين الأحداث يرجع إلى عمر الطفل ويحتاج من حيث جوهره بتوجهه وعمق درجة التأثير المشوه على الشخصية بسبب آثار التأثير الإعلامي المشابه على جمهور البالغين.

إن خصوصية التأثير الإعلامي تتطلب طريقة تفاضلية مع اعتبار خصائص التطور السيكولوجي للأحداث في حل مسائل توفير الحرية الإعلامية للبالغين والأمن الإعلامي للأحداث في تطبيق عملية التنظيم القانوني لعمل وسائل الإعلام الجماهيري وتطبيق هذه الطريقة مع المحدوديات الرقابية والتشريعية المناسبة لحرية الإعلام الجماهيري بشكل مبدئي في أكثرية الدول الغربية الرائدة (الولايات المتحدة، فرنسا، ألمانيا، ايطاليا) وفي القانون الدولي (مثلاً ــ في إعلان الاتحاد الأوربي حول البث)، إذ ينص على محدوديات جوهرية وممنوعات في مجال نشر المعلومات في أوساط الأطفال واليافعين التي تُدمر أخلاقهمْ وتؤثر على رفاهيتهم وسعادتهم بما فيها المعلومات تضيع في مجال الأخلاقي ـ الجنسي (أنظر قانون ألمانيا) حول نشر المواد الضارة على الشباب.

إن الدراسات الجنائية الخاصة في العالم العربي وفي الخارج تؤكد التأثر المدمر لوسائل الإعلام الجماهيري على الأحداث والشباب الذين وضع وعيهم القانوني الأخلاقي يستدعي مخاوف جدية من دون هذا وحسب الدراسة الجنائية التي أجريت عام 2003 لتوجيهات التلاميذ الدمشقيين أن أكثر من 44٪ بقليل من الدارسين في الصفوف العليا مقتنعون بأن لا وجود لتلك الأهداف التي من أجلها يقترفون جرائم القتل والعنف القاسي لكن ستة من أصل 179 من الذين استطلعت آرائهم عبروا عن جاهزيتهم لارتكاب مثل هذه الجرائم القاسية انطلاقا من قناعات براغماتية بحتة: في سبيل الحصول على المال والمجوهرات والأغراض الثمينة في سبيل إثبات الذات والمستقبل.

وبناءً على الدراسة التي أجريت على الإدراك القانوني للطلاب في 7 كليات الجامعة اللبنانية الحكومية إن الأكثرية الساحقة 74.9٪ من الذين استطلعت آرائهم يعترفون بأن مخالفة القانون مبررة في بعض الحالات وقد أظهرت الدرجة العالية لجاهزية واستعداد الطلاب لارتكاب الجريمة المقصود ليس فقط بدوافع مادية بل وبدوافع مفرطة ونفعية وفقط كل سابع من بين الذين استطلعت آراؤهم أشار إلى عدم وجود مثل تلك الأهداف التي تبرر مثل هذه الجريمة وفي سبيل المستقبل السياسي إن كل عاشر طالب عبر عن استعداده لاقتراف جريمة أو إلحاق الضرر الجسدي الشديد، وكل ثالث مستعد للجريمة في المزرعة أو باستلام رشوة، وكل ثامن مستعد للسرقة والنهب والقرصنة وكل خامس يوافق في سبيل سعادة أقاربه على ارتكاب جرائم قاسية ضد الأشخاص وحوالي ثلث الذين شملهم الاستطلاع مستعدون للقيام بالسرقة في سبيل الخروج من حالة الفقر الموقع وليس مصادفة أن يشار بشكل خاص إلى نشاط وسائل الإعلام الجماهيري إلى وضع الجريمة ويوجه انتباه المجتمع الدولي إلى ضرورة تحسين التأهيل المهني ووعي القانون والمسؤولية الوطنية للصحفيين ذلك خلال المؤتمر الرابع للأمم المتحدة الخاص بقضايا الحؤول دون حدوث الجريمة والتعامل مع مخالفي القانون (1995) وينظر بشكل خاص في مسألة التأثير الجنائي

لعرض اللوحات المكشوفة للعنف والمواد المثيرة في وسائل الاتصال الجماهيري الإلكترونية على المشاهد وبخاصة على الشباب ويعار اهتمام خاص لعلاقة الجريمة بين الأحداث (وبالدرجة الأولى جرائم اليافعين باستخدام العنف) بالتصور الذي تقدمه وسائل الإعلام الجماهيري المعاصرة وأشير إلى أن الإجراءات المتخذة في مجال جرائم اليافعين نتيجة لمثل هذا التأثير لوسائل الإعلام الجماهيري تبدو غير فاعلة ولهذا السبب بالذات توضع من قبل المجتمع الدولي إجراءات تتعلق بالطرق الخاصة بالاستخدام الفاعل لوسائل الإعلام الجماهيري بهدف منع الجريمة ورفع مستوى مسؤوليتها عن تصعيد العدوان، ونشر الآراء الإجرامية وتعليم أحداث الجريمة.

وتساهم وسائل الإعلام الجماهيري نتيجة للدعاية للعنف والقسوة والروح الاستهلاكية والإباحية الجنسية مساهمة كبيرة في تربية الأطفال والشباب على روح القسوة والعنف وتثير لديهم السعي نحو اكتساب الشهرة عن طريق عرض القوة العضلية ويتخوف الخبراء المختصين من قابلية الأطفال الكبيرة في استيعاب شخصيات نمط الحياة الإجرامي التي تجعل منها وسائل الإعلام شخصيات رومانسية ومن الطرق والأساليب في ارتكاب الجرائم التي تجعلها وسائل الإعلام مشهورة ومن نماذج السلوك غير المعياري وغير العادي. ويتكون لدى الأحداث أو جزء منهم تحت تأثير وسائل الإعلام الجماهيري الشعور باعتيادية الجريمة واستيعاب الظواهر الإجرامية لعنصر من عناصر الوسط الطبيعي للحياة.

ويلاحظ توسع إطار السلوك المسموح به في المجتمع وعلى الأطفال واليافعين ويحاول اليافعون تطبيق نماذج السلوك الإجرامي التي يأخذونها من وسائل الإعلام الجماهيري في الواقع العملي.

إن انتشار الأنواع الجديدة، غير التقليدية للأفعال الخطرة اجتماعياً والمرتبطة بالفساد الجنسي والخلقي المكشوف العام تساعد عليه ليس فقط الأسباب الاجتماعية الاقتصادية الواضحة الوضع المادي المأساوي لأكثرية العائلات العربية وفقر وتشرد وإهمال الأطفال بل العوامل الاجتماعية السيكولوجية فتحت تأثير الدعاية الإعلامية

المتطرفة (وسائل الإعلام الجماهيري ـ الإعلان ـ الانترنـت ـ والمشاريع ذات التوجـه الهدام التعليمية ـ التثقيفيـة الأجنبيـة) تتكـون لـدى الأطفـال الآليـات الـسيكولوجية الوافية الطبيعية وتمحى التـصورات عـن المـسموح بـه وغـير المسموح بـه والفـوارق بين الأخلاقي و الأخلاقي.

فمن في ظروف الوباء السيكولوجي ـ الانفعالي الذي شمل سكان العالم العربي يأخذ على عاتقه وتكفيه الشجاعة على التأكيد أن موجـة الفـساد والـدعارة والفـسق الملحوظة الآن في أواسط الأطفـال غـير مرتبطـة بالتـدمير القـسري لقوالـب الـسلوك المعيارية المتكونة في المجتمع وبالتشجيع المكشوف لليـافعين علـى التـصرفات الممنوعـة والمخالفة للتقاليد؟

وإن تعليم الأطفال أشكال السلوك الشاذة بما فيها المخالفة اجتماعيا عـن طريـق إعطاء للأخير الطبيعة الجماهيرية الأكثر انتشاراً وبالتالي الطبيعية الاعتيادية في وسائل الإعلام يساعد على إزالة الحدود في الوعي بين المعيار والشذوذ (في المعنى الاجتماعي والفيزيولوجي كما هي الحال مع الإفساد الجنسي) وكنتيجة يحدث في وعـي الأطفـال الإلغاء حتى الفقدان التام للتوجهات في مجـال المعـايير والقـيم الاجتماعيـة وفي مجـال النمـاذج الـسلوكية الاجتماعيـة الايجابيـة والاجتماعيـة الـسلبية وفي مجـال التواصـل بين أفراد وبين الجماعات وتشكل هذه العملية خطراً خاصاً علـى تكـوين الشخـصية لدى الأحداث الذين لديهم النظام القيمي الأخلاقي.

يقع في مرحلة التكوين وبدون جهود خاصة يمكن أن يشوه تحت تـأثير النمـاذج السلبية للسلوك ليس فقط الموجودة في الحياة اليوميـة بـل المفروضـة بـالقوة مـن قبـل وسائل الإعلام الجماهيري.

إن العلماء الجنائيين في العالم العربي والخارج يعـبرون عـن قلقهـم مـن التوجـه المتنامي للخرق الجماعي والمكشوف والعلني لمعـايير الـسلوك المتبعـة.إن هـذه العمليـة تزداد حدتها بواسطة وسائل الإعلام الجماهيري الـتي تحـاول بإصـرار تبريـر وإثبـات الطبيعة الحتمية والمفروضة لمثل هذه الخروقـات الـتي تعلـم عمليـة المـواطنين خـبرات

السلوك اللامعيارية (التي لا تخضع لأية قواعد) والمخالفة للقوانين (التي تعتمد على المعايير المناقضة للقواعد الاجتماعية المتبعة في المجتمع).

من الواضح تماماً أن المجتمع والدولة لاتقدران حق التقدير أثار التشهير الجارية في الوقت الراهن بالقيم العربية التقليدية المتبعة باستبدالها بقوالب الثقافة الغربية عن المجتمع العربي (ما يسمى بـ الثقافة الوطنية) وإن الإعلان والتحبيب في الصحافة لتلك الأشكال للسلوك المنحرف الذي كان تقليدياً غير مقبول أخلاقياً (الدعارة الفسق الشذوذ المكشوف والجنس الفاضح والمخدرات و...... غيرها الكثير) تحدث انطباعا عن الطبيعة الحتمية وحتى عن تقدمية مالم يحدث، ويحدث بالنتيجة ازدياد غير مبرر وخطر لتسامح الرأي العام (على جميع مستوياته وصولاً إلى البنى السلطوية)، مع الأنواع المتطرفة والخطرة اجتماعيا للشذوذ الاجتماعي والفيزيولوجي، وإن أشكال السلوك المنحرف التي تعتبر مرفوضة تقليدياً كأشكال غير مقبولة ومعيبة و مشينة وفاحشة ومذمومة من قبل المجتمع فهي الآن مرفوضة في البلدان المتحضرة أو في أقصى الحالات قبل بها عن إكراه كواقع للإصلاح العربي تتغنى بها الصحافة والتلفزيون وتبرر ويعبر عنها رجال الثقافة والفن والسياسيون والمدافعون عن حقوق الإنسان.

إن موضوع الاغتصاب الجنسي والعنف الجنسي يستغل اليوم من قبل الكثير من البرامج التلفزيونية بما في ذلك تلك البرامج المكرسة للمشاهدة الأسروية وتزداد حالات تتجه الفتيات من سن 8 ـ 12 عاماً إلى المساعدة الطبية وإعادة الاعتبار اللواتي يعدون منهن نماذج مهينة وتحت تأثير الدعاية للحياة الجميلة إن بعض الأمهات يقدن بأنفسهن أطفالهن لتصويرهم وهم عراة.

إن هذا التأثير من جانب الأسرة والمجتمع يمكن أن يساعد حسب تقارير الخبراء في مجال حماية صحة الأطفال الجسدية والنفسية على الشذوذ الجنسي في سلوك الأحداث وعلى تكوين ثوابت انحرافية وحتى جنسية إجرامية أو جنائية وعلى استفزاز الممارسة الجنسية قبل أوانها وعلى عدم الاستدلال في العلاقات الغرامية وكثرتها وعن البحث عن الدوافع الأكثر تحفيزاً في النشاط الجنسي وعن البدائل عن ممارسة

الجنس عن طريق الهاتف وعن طريق الانترنت وغيره وإن التكوين المقصود بمساعدة الإعلام للعلاقة الإيجابية لليافعين مع الأشكال البديلة غير التقليدية للعائلة والزواج والانحراف والشذوذ والإفساد ويجر وراءه حتماً الانحراف الاجتماعي وعدم تأقلم الجيل الناشئ اجتماعيا والتعقيدات في تكوين أسرة طبيعية وولادة السلالة.

ومن المفروض جداً أن يقترح كبار الأطباء في الطب الوقائي في اغلبية بلدان العالم إجراءات محددة في مجال الحؤول دون انتشار عدوى الامراض الخطيرة التالية:

1. اتخاذ الإجراءات الصارمة التي تصل إلى سحب الترخيص في مجال الحؤول دون الدعاية في وسائل الإعلام الجماهيري وبخاصة في التلفزيون للانحراف الجنسي والصور الإباحية وحتى البرامج المكرسة لاجتذاب الشباب إلى مناقشة مسائل العلاقات الجنسية غير التقليدية...
2. تقديم المساعدة للقنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية التي تدعو وتروج لمعايير التواصل الخلقية والأخلاقية والبديهيات الدينية المكرسة لتعزيز العلاقات الاسروية وللحؤول دون البدء المبكر للشباب لحياتهم الجنسية.

وتؤكد الممارسة التحقيقية ـ القضائية على حقائق التأثير الواضح للسينما وللمواد الصحفية ومواد الفيديو والتلفزيون على اختيار اليافعين لارتكاب الجرائم والقتل والسرقة والنهب والسلب والاغتصاب وغيرها من الجرائم والأفعال التي تتنافى مع التقاليد الاجتماعية كطريقة لحل مشاكلهم الحياتية وتشهد معطيات استطلاع الآراء التجريبي د ـ 46 موظفة في أجهزة الإدعاء العام من مختلف مناطق البلاد الذي أجري في نيسان عام 1999 على التأثير السلبي لوسائل الإعلام الجماهيري على وعي وسلوك الناس وفي مقدمتهم الأحداث، ويعتقد أكثر من نصف من استطلعت آرائهم (56.5٪) أن منشورات وبرامج وسائل الإعلام الجماهيري المخصصة لحالة الجريمة تعقد عمل أجهزة الأمن بإعلانها وكشفها عن المعلومات السرية وعن أساليب العمل، ونفس العدد من الخبراء يعد أن وسائل الإعلان الجماهيري تستدعي لدى السكان الشعور بالخوف وبعدم الحماية من الجريمة وأن كل ثالث مَمن استطلعت

آرائهم (30.4٪) متأكدون من أن وسائل الإعلام الجماهيري تزيد من حالة التوتر الاجتماعي السيكولوجي في أواسط الأحداث، وكل رابع ـ خامس موافق على أن وسائل الإعلام الجماهيري تخلق لدى المواطنين الشر والغضب والتقزز والعدوانية (21.7٪) وحتى توقظ لدى الناس حالة العنف والتعسف في علاقاتهم مع المحيط (23.9٪) وستة فقط (13٪) أشاروا إلى بعض الإيجابية في دور وسائل الإعلام الجماهيري في مواجهة الجريمة وبالذات تأثيرها على تخفيض مستوى التوتر الاجتماعي ومساعدة الصحفيين في منع الكشف عن الجريمة، وإظهار أسبابها وغن وسائل الإعلام الجماهيري بإضعافها لحدة استيعاب المواطنين لظاهرة الجريمة ذاتها ولخطر آثارها وبتصورها الجريمة وكأنها شر لامناص منه، خاضع للطبيعة العامة للتطور العالمي تؤثر تأثيراً معيناً كبيراً على الوعي العام، وإن حوالي نصف الذين استطلعت أرائهم (43.4٪) يؤكدون بخاصة على التأثير القاتل لوسائل الإعلام الجماهيري على الأحداث و 13٪ منهم يشيرون إلى انها تربي لدى الأطفال واليافعين روح العنف والفسق والقسوة وتوقظ لديهم السعي إلى اكتساب الشهرة عن طريق استعراض القوة العضلية و 8.6٪ يشيرون إلى محاولات الأحداث تقليد شخصيات السلوك الإجرامي وتطبيقها على الواقع العملي وهي الشخصيات المأخوذة عن طريق سائل الإعلام الجماهيري و 4.3٪ قلقون من قدرة الأطفال على استيعاب نمط حياة قطاع الطرق وغيرهم من شرائح المجتمع الإجرامية وشبه الإجرامية والوسائل الجديدة والأساليب الحديثة لارتكاب الجرائم التي تستعرضها وسائل الإعلام الجماهيري والعدد متساوي (6.5٪) من الذين استطلعت أرائهم عبروا عن قلقهم من إمكانية إظهار الشعور لدى الأحداث عن طريق وسائل الإعلام الجماهيري بالاعتيادية على الجريمة. و إدخال الظواهر الإجرامية كعنصر من عناصر الحياة الطبيعية وحتى توسيع أطر السلوك المسموح به في المجتمع في وعي الأطفال والأحداث وأشير أيضاً إلى التأثير الجنائي الخاص لوسائل الإعلام الجماهيري على الأحداث مع الأخذ بالاعتبار لزيادة عدم الحماية للآخرين وتأكيد الرعب من المجرمين.

إن أكثرية الخبراء واجهوا خلال عملهم المهني حقائق التأثير الواضح للمواد السينمائية والإذاعية والتلفزيونية والصحفية على اتخاذ الأحداث القرارات تلك مثل:

- إنهاء حياة شخص آخر ـ كل ثالث خبير (34.8٪).
- ارتكاب جريمة أخرى ـ كل رابع خبير (23.9٪ بما فيهم خمس حقائق سلب وسرقة واحدة وخمس حالات قرصنة وحالة عربدة واحد، وحالة اغتصاب وواقعة واحدة للإلحاق الضرر الشديد بالصحة).
- الانتحار (7.4٪).
- الانضمام إلى جماعة إجرامية (8.6٪).
- ممارسة الجنس غير المشروع (4.3٪).
- الاشتراك في أنواع أخرى من النشاطات المعادية للمجتمع بالذات تعاطي المخدرات الاهتمام بالأفكار الفاشية والشيطانية (4.3٪).

وتتزايد أكثر فأكثر العملية الواسعة لجعل المعاهد والمؤسسات الاجتماعية مؤسسات تجارية تمارس التعليم والتنوير والتثقيف والتربية وتنظيم أوقات الفراغ وتسلية الأحداث على خلفية النقص الواضح في التنظيم القانوني لمثل هذا النوع من النشاط وغياب الرقابة الحكومية والاجتماعية المناسبة عليها، إن هذه الحالة بما في ذلك في مجال توفير الأمن الإعلامي للأطفال تتناقص مع المصالح الوطنية للدولة ومع مبادئ ومعايير القانون الدولي و العربي.

وقد أعلنت كأهداف لسياسة الدولة العربية في مصلحة الأطفال: حول الضمانات الأساسية لحقوق الطفل في العالم العربي الثاني: تحقيق حقوق الأطفال المنصوص عليها في الدستور العالمي العربي وعدم السماح بممارسة التمييز ضدهم وتعزيز الضمانات الأساسية لحقوق والمصالح الشرعية للأطفال وأيضاً أعادة لهم حقوقهم في حال خرقها، وتكون الأسس القانونية لضمانات حقوق الطفل.

إن القانون في اغلبية البلدان العربية المعاصر بالتزامه بالواجبات القانونية - الدولية للدولة يقدم تعريفاً وتوضيحاً أوسع من قبل لمفهوم التطور الطبيعي للطفل، وينظر القانون إلى هذا التطور بمعناه الفيزيائي والعقلي والنفسي والروحي والأخلاقي لأي شخص لم يصل الرشد في هذه الأثناء إن تعاون كل العناصر المسماة في التطوير الطبيعي للطفل وتربية الروح الوطنية والشعور بالمسؤولية فيه، وأيضاً تحقيق شخصية الطفل في مصلحة المجتمع وبالتوافق مع منجزات الثقافة العربية والعالمية التي لا تتناقض مع الدساتير والتشريعات العربية وتقاليد شعوب العالم العربي (المعلنة في القوانين كهدف من الأهداف الأساسية لسياسة الدولة لخدمة مصلحة الأطفال..

وتعد غير مرضية حالة أمن الأطفال واليافعين الإعلامي في مجالات الإعلام الجماهيري والإعلان والتعليم (بما فيه التعليم الروحاني) والسينما وتترك آثاراً قاسية وثقيلة خاصة بالنسبة للمناخ الأخلاقي السيكولوجي في وسط الأحداث الأمر الذي يرتبط بالطبيعة العامة لمثل هذا التأثير على وعي الأطفال واليافعين وفي الوقت نفسه إن الخلل الواضح في التنظيم القانوني للأحداث بسبب المعلومات القادرة على إلحاق الضرر بتطورهم الأخلاقي والنفسي والصحي والطبيعي وكذلك عدم تطابق التشريع العربي في هذا المجال مع معايير القانون الدولي تلحظ بالذات في المجالات المشار إليها أعلاه الخلل الواضح في التنظيم القانوني للأحداث بسبب المعلومات القادرة على إلحاق الضرر بتطورهم الأخلاقي والنفسي والصحي والطبيعي وكذلك عدم تطابق التشريع العربي في هذا المجال مع معايير القانون الدولي تلحظ بالذات في المجالات المشار إليها أعلاه إن نظرية الأمن القومي العربي ومذهب الأمن الإعلامي في العالم العربي الذين اتخذوا مستوى التضامن العربي ينصان على تحسين مستوى الحماية القانونية لأمن الشخصية بما في ذلك أمنها الإعلامي وجاء في التوجيهات الأساسية لسياسة الدولة في مجال الأسرة (التي أقرت تعزيز مساعدة الأسرة في تربية الأطفال

عن طريق منع إنتاج ونشر وتوزيع الإصدارات المطبوعة وأشرطة الفيديو وغيرها التي تروج الإباحية والعنف والتعسف والترويج لها.

وبناء على متطلبات القانون الدولي لابد من الانطلاق في أية حالة من حالات نشوء خطر خرق حقوق الأحداث من مبدأ أولوية مصلحة الطفل ومن توفير الدولة الحماية الخاصة لهم وتفرض مثل هذه القرارات وبالدرجة الأولى مبادئ الإعلان عن حقوق الطفل التي تعترف بأن الطفل بسبب عدم نضوجه الفيزيائي والعقلي بحاجة للحماية الخاصة والاعتبار بما في ذلك الحماية القانونية. ويتضمن ميثاق الأمم المتحدة حول حقوق الطفل (1989) إيلاء الاهتمام الكبير بالضمانة الأفضل لمصالح الطفل في جميع المواقف من الأطفال بغض النظر عن أنها تتخذ من قبل المؤسسات الحكومية أو الخاصة التي تمارس مسائل الضمان الاجتماعي ومن قبل المحاكم والأجهزة الإدارية أو التشريعية، وفي غضون ذلك يعار الاهتمام في الملحق إلى الميثاق بضرورة أخذ التقاليد الوطنية والقيم الثقافية بعين الاعتبار لحماية الطفل وتطويره الهرموني المتناسق.

إن حق كل طفل في الحصول على المعلومات اللازمة بناءً على الالتزامات الدول العربية القانونية الدولية، يتوافق مع واجب الدولة في توفير الحماية اللازمة للأحداث من المعلومات الهدامة والاجتماعية ـ السلبية القادرة على إلحاق الضرر بحالتهم الصحية والروحية والأخلاقية والنفسية (بما في ذلك الإجراءات الوقائية لحماية هذا الحق والإجراءات في مجال الحؤول دون حدوث خروقات للقواعد القائمة والممنوعات في المجال المشار إليه).

بكل الوسائل المتوفرة لديها القانونية والتشريعية الأخرى.

وهكذا إن مواد كثيرة من قوانين أغلبية البلدان العربية حول الضمانات الأساسية لحقوق الطفل في العالم العربي مثلاً تلزم أجهزة الدولة في هذه البلدان وأجهزة الإدارة المحلية والشخصيات الاعتبارية في الأجهزة المشار إليها بما يتناسب مع صلاحياتهم بحتمية تقديم العون للطفل في تحقيق حقوقه وحمايتها وتحقيق المصالحة القانونية مع اعتبار عمر الطفل وضمن حدود حجم عدم قدرة الطفل التي يحددها

التشريع العربي عن طريق اتخاذ وثائق قانونية معيارية مناسبة وعن طريق القيام بالعمل المنهجي والإعلامي وغيره مع الطفل في مجال تفسير حقوقه وواجباته وشرحها له، وعن طريق نظام الدفاع عن الحقوق التي أقرها التشريع العربي وأيضاً عن طريق تشجيع قيام الطفل بواجباته ودعم ممارسة تطبيق القانون في مجال حماية حقوق ومصالح الطفل القانونية".

إن الممارسة القانونية الخارجية والدولية تلتزم على الدوام بمبدأ إمكانية وشرعية الحد من الحقوق العامة للأشخاص العاديين والقانونيين في حالات تناقضها مع المصالح القانونية للأحداث.

إن مبادئ ومعايير القانون الدولي المعترف بها التي جزءاً من القوانين العربية النافذة لا يتجزأ من النظام الحقوقي العربي تنص على الحد الاضطراري من حرية الكلمة وحرية وسائل الإعلام الجماهيري.

وإن المادة 19 من الاتفاقية الدولية "حول الحقوق السياسية والمدنية" الصادرة بتاريخ 16/ كانون الأول / 1966 والتي تعلن حق كل شخص في التعبير الحر عن رأيه:

(ويتضمن هذا الحق حرية البحث والحصول وتوزيع ونشر أي نوع من المعلومات والأفكار بغض النظر عن حدود الدولة، شفهياً وخطياً أو عن طريق الصحافة أو الأشكال الروائية للتعبير أو بطرق أخرى حسب اختياره).

وتقر أن استخدام الحقوق المشار إليها تفرض واجبات خاصة ومسؤولية خاصة أيضاً. ويمكن أن يكون مرتبطاً بالتالي ببعض المحدوديات التي يجب أن يحددها القانون إن كان ضرورياً:

في سبيل احترام حقوق وسمعة الأشخاص الآخرين.

في سبيل الحفاظ على أمن الدولة والنظام الاجتماعي وصحة أو أخلاقية الأسرة.

وتسمح المادة العاشرة من الوثيقة الأوربية حول حقوق الإنسان في جزئها الثاني بالحد من حرية التعبير عن الرأي وحرية نشر المعلومات" في مصلحة الحؤول دون وقوع الجريمة وحماية الصحة والأخلاق وحماية سمعة وحقوق الأشخاص الآخرين".

ويكون الحد من حرية الكلمة وحرية الإعلام الجماهيري ممكناً عندما يهدد نشاط وسائل الإعلام الجماهيري حقوق الأطفال ومصالحهم القانونية، وإن ميثاق حقوق الطفل باعترافه في المادة بالدور الهام لوسائل العلام الجماهيري في توفير إمكانية وصول الطفل: إلى المواد والمعلومات تلك التي تكون موجة إلى المساعدة على سعادته الإجتماعية والروحية والمادية، وحتى على تطويره الجسدي السليم والنفسي توجه الدولة إلى تشجيع وضع "المبادئ الضرورية لحماية الطفل من المعلومات التي تحمل الضرر له..." وإن المبادئ الأساسية للأمم المتحدة في سبيل الحؤول دون الجريمة بين الأحداث (مبادئ الرياض الأساسية) 1990 توجه وسائل الإعلام الجماهيري إلى "جعل عرض المواد المتعلقة بالإباحية والمخدرات والعنف" في حده الأدنى وتتطلب "الابتعاد عن عرض الأطفال والنساء والعلاقات الخاصة بشكل يحط من الكرامة (المبدأ 43).

ويسمح بالحد الاضطراري من الحقوق الإعلامية وحقوق الإحداث أنفسهم المادة 13 من ميثاق حقوق الطفل عندما أعلن عن:

حق الطفل في التعبير عن رأيه بحرية "، بما في ذلك:حرية البحث والحصول على المعلومات والأفعال من مختلف الأنواع و نقلها " أقر أن تحقيق هذا الحق يمكن أن يتعرض إلى المحدوديات التي تكون ضرورية لاحترام حقوق وسمعه الآخرين ولحماية أمن الدولة أو النظام الاجتماعي وصحة أخلاقية السكان.

وهذه المبادئ بشكل عام يلتزم بها القانون في اغلبية البلدان العربية أيضاً. فتسمح المادة 13 من إعلان حقوق وحريات الإنسان والمواطن بإمكان الحق من حرية الإعلام الجماهيري في مصلحة الدفاع من الأخلاقيات. والمادة 31 من أسس التشريع العربي حول الثقافة تعلن عن مبدأ عدم التداخلات من قبل أجهزة الدولة والإدارة وأجهزة الإدارة المحلية في النشاط الإبداعي للمواطنين ومنظماتهم والمؤسسات الثقافية الحكومية وغير الحكومية باستثناء الحالات تلك عندما يكون هذا النشاط مؤدياً

إلى الترويج للحرب والعنف والتعسف والتميز العنصري والقومي والديني والطبقي وغير ذلك من الاستثنائيات وعدم التسامح والإباحية.

ان بعض المواد من قوانين بعض البلدان العربية "حول وسائل الإعلام الجماهيري "تعتبر استخداماً مسيئاً لحرية الإعلام الجماهيري استخدام وسائل الإعلام الجماهيري في سبيل الدعاية للحرب، وحتى لنشر البرامج التي تروج للإباحية وعبادة العنف والتعسف "وتمنع هذه القوانين "نشر المعلومات التي توزيعها ممنوع من قبل القانون الوطني في وسائل الإعلام الجماهيري وحتى على شبكات الكمبيوتر". وتتطابق مع القوانين المشار إليها التي تنص بعضها على إتحاد أجهزة الدولة في الإجراءات "في حماية الطفل من المعلومات والدعاية والتحريض الحاملة ضرراً على صحته وتطوره ومواد الفيديو التي تحرض على العنف والتعسف والإباحية وتعاطي المخدرات والسموم والسلوك المنافي للمجتمع" و تنص هذه القوانين على وضع المستوى التشريعي "معايير توزيع ونشر المواد المطبوعة وغيرها من مواد الفيديو والمرئية، التي لا ينصح بعرضها على الطفل للاستخدام. حتى يصل سن السادس عشر من العمر "في بعض البلدان العربية.

إن التعليم في مجال التصنيف العمري للإنتاجات المرئية المسموعة الذي تراه وزارات الثقافة في اغلب البلدان العربية مناسبا ينص على المبادئ العامة التالية:

1. الحرية التامة في اختيار ومشاهدة الأفلام للكبار بشرط توفير الحماية الكافية للأطفال واليافعين ومن البالغين الذين يستطيعون مشاهدة أفلاماً ذات مضامين معينه بخلاف إرادتهم أو بدون تحذير من هذه المضامين.
2. منع الأفلام التي تدعو إلى الحرب والعنف والتعسف والتمييز العنصري والقومي والديني والطبقي وغيره، وإلى الترويج الإباحي. ويكون في الوقت ذاته لزاماً الاعتراف بأن الإجراءات التشريعية المتخذة في البلدان العربية غير كافية بالنسبة لتوفير الأمن الإعلامي للأطفال، أما المبادئ والمعايير الدولية القانونية الدولية المشار إليها: اعلاه لا تزال حتى الآن غير مدرجة بالكامل في النظام القانوني العربي. ففي

بعض البلدان العربية، "ان سياسة الدولة في مجالس البث التلفزيوني الإذاعي لمصلحة الأطفال والشباب " لا تنفذ في الوقت الراهن بدرجة كافية الالتزامات الحكومية في مجال حماية الأطفال من المعلومات والدعاية والتحريض التي تحمل الضرر على الصحة والتطور الروحي والأخلاقي. وابتعدت الدولة عملياً عن حماية حقوق الأطفال ومصالحهم الشرعية وكذلك حقوق ومصالح الشباب في الحصول على المعلومات".

ولا تضمن الوثائق القانونية المعيارية التي تنظم البث الإذاعي والتلفزيوني بالكامل واجبات الدولة في مجال حماية مصالح الأطفال والشباب وفي مجال توفير الظروف لهم للإطلاع على الثروة الروحية للثقافتين العربية والعالمية. وتغيب الأليات في مجال تنفيذ القرارات ومعايير القانون الدولي المثبتة في مجال الالتزام بحقوق الأطفال وحماية الأطفال والشباب من المواد الإذاعية والتلفزيونية التي لا تتناسب مع معايير الأخلاق والأخلاقية)).

ومع اعتبار الطبيعة العالمية للمجال الإعلامي وقنوات الإعلام الهادمة (الانترنت وتكنولوجيا المعلومات الحديثة) يعتبر حتميا اتخاذ وإقرار معايير ومعايير دولية للأمن الإعلامي للاحداث ووضع المبادئ المناسبة للسياسة الإعلامية للدول فيما يخص الاطفال و الناشئين بما فيها مبادئ ومعايير رعاية الأحداث من التأثير الإعلامي السلبي المحتمل عليها من جانب: الوسط الإجرامي والمفسد ووسائل الإعلام الجماهيري والوسائل الحديثة للإتصال الإلكتروني وشبكات الإنترنت والبزنس الإعلامي والبزنس الإباحي ومن مجال تقديم الخدمات الجنسية و المنظمات الدينية والغيبية ذات التوجهات الهدامة.

وكانت قد اتخذت الخطوات الأولى في هذا الاتجاه.إن برنامج الدول الدول العربية حول مكافحة الإرهاب الدولي وغيره من مظاهر التطرف في الوقت الراهن ينص على وضع جملة من التدابير في مجالات ضمان المواجهة المنسقة ضد إنتاج ونشر مواد تدعو إلى العنف والتعسف في وسائل الإعلام الجماهير وفي سوق السينما ومواد

الفيديو وشبكة الإنترنت للمعلومات كتوجه مستقل للضمان الإعلامي التحليلي والعلمي والمنهجي للمجال المشار إليه للتعاون بين البلدان العربية. وإن قرارات الدول العربية حول حماية الطفولة ينص على النظر في مسألة "تنظيم عمل وسائل الإعلام الجماهيري الالكترونية والمطبوعة بهدف الدفاع وحماية صحة الأطفال الفيزيائية والنفسية والأخلاقية من تأثيرها المدمر".

ولقد قرر المجتمع الدولي القيام بعدد من الإجراءات خلال السنوات الخمس القريبة القادمة الموجهة إلى وضع إجراءات تنسيقية في مجال مواجهة استخدام شبكة الإنترنت لأهداف جنائية. وخلال اجتماع فئة ليون "الثمانية" في مجال مكافحة الجريمة المنظمة (هيروشيما اليابان، **14 ـ 16** كانون الثاني عام **2000**).

قامت إيطاليا بمبادرة وضع ومعالجة مواضيع مواجهة نشر وتوزيع الإباحية (صور الأطفال الإباحية) على شبكات الكمبيوتر، وفي مقدمتها عن طريق الإنترنت. ووضعت طريقة شاملة جامعة في أساس عمل مجموعة (الثمانية) القادم بما في ذلك بذل الجهود في مجال أجهزة الأمن والقضاء وحتى الجانب التكنولوجي للمسألة. ومن بين الخطوات ذات الأولوية تم اقتراح دراسة المواد المناسبة للقوانين الوطنية في الدول الأعضاء في سبيل تعزيز التعاون بين الدول "الثماني" في مجال المساعدة القانونية وقد اتخذ خلال مؤتمر النواب العامين لدول منطقة بحر البلطيق الذي عقد في **16** أيار عام **2000** في كوبنهاغن قرار بإحداث شبكة نواب عامين متخصصين في مجال مكافحة الاستغلال الجنسي بما فيه إفساد الأحداث من قبل البالغين لأهداف نفعية وغيرها..

وفي الوقت ذاته إن شعارات "حرية الكلمة" وحرية وسائل الإعلام الجماهيري" في الظروف العربية تحولت إلى بعبع يعبر إلى رحم أي محاولة ضرورية عقلانية لمواجهة الاباحية من قبل المجتمع والدولة في وسائل الإعلام الجماهيري والأوساخ الإعلامية. ويتضمن القانون في بعض البلدان العربية حتى الآن الموضوعات البلاغية العامة بشكل أساسي فيما يخص الأمن الإعلامي للأحداث وضمان حمايتهم، لكنه لا يفترض ولا يتضمن الآليات القانونية الضرورية لتنفيذها خلال العمل الزمني.

الوضع مثير. فلا يوجد في العالم العربي اليوم القانون الذي ينظم المنتوجات ذات الطابع الجنسي الذي يمكن إنتاجها ونشرها بين الأحداث والتي لا يمكن إنتاجها ويغيب عن القانون وصف وتعريف الإباحية "الصور الإباحية" والعنف والتعسف والاستغلال الجنسي. لذلك لا يجوز الدهشة من أن الممنوعات في مجال نشر الأخبار والمعلومات ذات الطابع الإباحي والدعاية للعنف والتعسف الموجودة على المستوى التشريعي تبقى ممنوعات شكلية. وبما أن العالم العربي بخلاف غير ه من الدول الاخرى لأول مرة عملياً تصطدم بالأشكال المتنوعة للإفساد الإعلامي العلني المكشوف للجيل الصاعد لقد بدا المجتمع وكأنه فوجىء بهذه المسألة، أما الأطفال العرب بدوا عملياً بدون حماية قانونية.

وبالنتيجة إن الأطفال الذين أفسدهم المجتمع نفسه ورمى بهم على مزبلة الحياة سوف ينتقمون من هذا المجتمع بإرادتهم أو بغير إرادتهم، فالعديد منهم سوف يعودون عاجلاً أم آجلاً إلى المجتمع وسوف يدخلون دون استئذان على أسر ومصائر شرائحه الموفقة كحاملين للأوبئة والأمراض الزهرية والنفسية وللعيوب الروحية الأخلاقية والأهداف الموجهة إلى تدمير أنفسهم والمحيطين بهم تدميراً فيزيائياً وأخلاقياً.

المراجع

1. لكوتشكوفا.ا.ف، بريستاتسكيا.و.ف: المقدمات الإعلامية للتحكم بالوعي الاجتماعي / مجلة موسكو ـ الحقوق 1999م العدد (1) ص27 ـ 38.
2. بريستاتسكيا.و.ف:الدفاع الحقوقي عن القاصرين في مجال التنوير الجنسي الجماهيري / مجلة الحقوق الروسية 2000 العدد (1) ص42 ـ 52/ .
3. تير ـــ اكويوف.ا.ا:امن الانسان: الاسس النظرية الاجتماعية الحقوقية، موسكو 1968 ص16 ـ 8.
4. القانون (عن الامن) 1992م.
5. نظر مجلة ف3، ص2:عن الإعلام والدفاع عنه العدد (8) 1995 ص 60.
6. تير ـ اكويوف.ا.ا: ا من الانسان:مرجع سابق،موسكو1998 ص13.
7. انظر:عشرة قوانين (عن الإعلام، والدفاع عنه).
8. مؤلف هذا البحث استجوب 1013 من شباب القطر من 10 ـ 17سنة من الفتيان و الفتيات (في عملية التناسق يتطابق من الاختيار العام).
9. كثيرة هي الصحف والمجلات في الوقت الراهن غيرت موضوعاتها، وانتقلت الى موضوعات تعالج مسائل محددة.
10. تسيجولنكو.س.ي، شاديوف.ا.ف: الشباب في عالم الإعلام 1998م.
11. قاموس اللغة الروسية، المجلد 4، موسكو اللغة الروسية 1983 المجلد 2 ـ 3.
12. مجموعة من البحوث العربية و العالمية في السنوات الاخيرة.
13. بحوث تحققت عام 1997 ـ مخبرية ـــ حقوقية في الوطن العربي و العالم، منها التوجه الحقوقي للشباب الطلاب. مجلة بشير جامعة موسكو ـــ كلية الحقوق 1998 العدد8.
14. من الضروري ملاحظة ان التأثير اخذ وجها آخر، لاسيما جمهور الشباب: تأثير الواقع الاجتماعي.

الفصل العاشر

التجربة الخارجية للتنظيم القانوني لحماية الأمن الإعلامي عند تحقيق البث الإذاعي والتلفزيوني



التجربة الخارجية للتنظيم القانوني لحماية الأمن الإعلامي عند تحقيق البث الإذاعي والتلفزيوني

يمكن اعتبار نهاية الألفية الثانية عن حق عصر الثورة المعلوماتية التي تتميز بالتطور الهائل للوسائل التكنولوجية والبرمجية لصناعة وحفظ ونقل المعلومات، وإن التكون السريع للمجال الإعلامي العالمي على أساس نشر شبكة معلومات في جميع أنحاء العالم يعد نتيجة لتطور تكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصالات العامة.

ويشترط الانفجار الإعلامي وعولمة العملية الإعلامية نشوء الحاجة إلى التسوية والتنظيم القانوني والتشريعي للعلاقات الإعلامية الجديدة.

وتعد العلاقات الإعلامية الجديدة لحل المسائل السياسية والحكومية والاجتماعية الهامة في مجال جمع وتراكم وحفظ ونقل المعلومات، إي إنتاج واستهلاك المنتجات الإعلامية والخدمات في مجال المعلوماتية التي لها أهمية حكومية واجتماعية، وباستخدام بعض الشخصيات العادية والقانونية لوسائل وتكنولوجيا المعلومات لأهداف سياسية وتجارية وتعليمية، وحتى لأهداف الراحة والتسلية.

إن أية أفعال تقوم بها أجهزة السلطة لأهداف اتخاذ أفعال معيارية موجهة لضمان الأمن الإعلامي المعلوماتي في العالم العربي ترافق كقاعدة بتطبيق متشدد في وسائل الإعلام الجماهيري من جانب خصوم أي تنظيم في هذا المجال الحساس.

وسبب هذا هو الذعر الذي يشعر به قسط من الوسط الاجتماعي العربي من العودة إلى أزمنة عدم الثقة العامة والتشكيك والريبة وإلى التنكيل الذي لا مبرر له، وإلى الفكر الواحد وعدم التنوع الإلزامي،وهناك مكان لسوء الفهم وعدم التقدير الكافي لإمكانيات وعمق التأثر من قبل وسائل الإعلام على نفسية الإنسان.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن المبدأ الدستوري لحرية الكلمة لا يتناقض مع مسائل توفير الأمن الإعلامي، وبالعكس أن ضمان الحق الدستوري للمواطنين بـ "البحث الحر والحصول ونقل إنتاج ونشر المعلومات بأية طريقة شرعية" هو وسيلة للحماية من التحكم بالرأي العام والمواجهة استيلاء فئة سياسية واحدة على المجال الإعلامي في الوطن وحماية الأمن الإعلامي

إن إحدى القضايا الأكثر أهمية بين قضايا التشريع العربي التي لم تجد لنفسها حلاً حتى قضية التنظيم القانوني للعلاقات الإعلامية وأهداف توفير الأمن الإعلامي، وبالرغم من أن القانون في اغلبية البلدان العربية "حول أسرار الدولة الذي اتخذ من زمن بعيد والقرارات المتفرعة عنه الصادرة عن الحكومات العربية إن هذه المسألة تمثل بحدة كافية ويمكن أن ينظر إلى الأمن الإعلامي من جانبين: الجانب الأول ينحصر في فهمه انطلاقاً من موضوعات القانون الإعلامي الذي ينظم العلاقات المتعلقة بتكوين والحفاظ وحماية الموارد الإعلامية (المعلوماتية) الحكومية وباستخدام المعلومات عن طريق شبكات المعلومات مع استخدام تكنولوجيا الكمبيوتر والجانب الثاني مرتبط بإنتاج وتوزيع المعلومات العامة وبتأثيرها على بعض المواطنين وعلى المجتمع بشكل عام وعلى أجهزة الدولة، لكن أيضاً مع الحماية من الكشف عنها بواسطة وسائل الإعلام الجماهيري ذات المحدودية في الاطلاع عليها، أي السرية أو العائدة إلى أسرار الدولة.

وأجريت محاولة توحيد هذين الأسلوبين في وصف واحد في مقالة الأمن الاقتصادي والاجتماعي في العالم العربي والوصف هو: "الأمن الإعلامي هو قدرة الدولة والمجتمع والفئة الاجتماعية والفرد على ضمان الموارد الإعلامية الكافية والمحمية والتدفقات الإعلامية لدعم النشاط الحيوي والقدرة على الحياة والعمل الثابت والتطور، ومواجهة الأخطار الإعلامية والتهديدات والتأثيرات الإعلامية على وعي الفرد والمجتمع وعلى نفسية الناس وأيضا على شبكات الكمبيوتر وغيرها من المصادر التكنيكية وصناعة الخبرات الفردية والجماعية والقدرة على إتباع السلوك البعيد عن

المخاطر، والإبقاء على الاستعداد الدائم لاتخاذ الإجراءات المناسبة في المواجهة الإعلامية المفروضة من أي كان.

ويوصف مفهوم "الأمن الإعلامي" حول المشاركة في التبادل الدولي للمعلومات كـ" حالة حماية الوسط الإعلامي في المجتمع الذي يوفر ويضمن تكوينه والاستخدام والتطوير لمصلحة المواطنين والمنظمات والدولة" وعند مقارنة وصف الأمن الإعلامي الوارد في بعض القوانين العربية "حول المشاركة في التبادل الدولي للمعلومات "مع مفهوم "الأمن" في قرارات وزراء الداخلية العرب" حول الأمن" تقترح صحيفة الاهرام وصفة خاصة، يجب أن نفهم من الأمن الإعلامي "التهديدات الداخلية والخارجية".

ويعد "الأمن الإعلامي السيكولوجي" الذي يجب أن يفهم منه، حسب رأي الاهرام، "حالة الحماية حالة الحماية للإنسان نفسياً من التأثير الإعلامي المدمر (إدخال معلومات هدامة إلى وعي أو اللاوعي الإنسان الذي يؤدي إلى استيعاب غير المناسب للواقع، جزءاً لا يتجزأ من الأمن الإعلامي).

ويسمح التطور المتسارع للوسائل التقنية المتخصصة القادرة على التأثير على الحالة النفسية ووعي الناس، والاستخدام للأجهزة والمعدات التقنية أو تدميرها والتي تتضمن الحفاظ على المعلومات ونشرها بالحديث عن وجود سلاح إعلامي يمكن خوض حرب إعلامية. وتعطي اللجنة الموحدة القادة هيئة الولايات المتحدة الأمريكية التعريف التالي: الحرب الإعلامية هي الأفعال المتخذة للوصول إلى التفوق الإعلامي في مجال دعم الاستيراتيجية العسكرية الوطنية عن طريق تأثير لى المعلومات وعلى نظم المعلومات عند الخصم وفي نفس الوقت ضمان أمن وحماية الخاصة ونظم المعلومات الخاصة".

تعطي الولايات المتحدة الأمريكية أهمية خاصة لضمان الأمن الإعلامي. ففي عام 2001 أعد خبراء شركة "راند **rand** في الولايات المتحدة التقرير **rand/mr-1-33-osd "of" the emergence.**

Noopolitile: toward an American information strategy"

الذي جاء فيه أنه بفصل الثورة الرقمية ينشأ مجال جديد لاستيراتيجية السياسة الداخلية والخارجية "الاستيراتيجية الجديدة" يتحدث التقرير عن السياسة الجديدة كشكل جديد للقيادة السياسية وكأسلوب لتنفيذ السياسة الخارجية "الاستيراتيجية الجديدة" ويتحدث التقرير عن السياسة الجديدة كشكل جديد للقيادة السياسية وكأسلوب لتنفيذ السياسة الخارجية في عصر المعلومات، عندما، بخلاف القوة المستخدمة سابقاً والفاحشة إن الأفكار والقيم الأخلاقية والقوانين تنتشر بواسطة ما يسمى بـ "القوة الناعمة" عن طريق (الجو الجديد ــ **hoocppal**) المتضمنة الفضاء الشامل لنشاط وسائل الإعلام الجماهيري.

وفي تقرير آخر لشركة / **rand** / جاء الحديث عن صراع الجيل الثاني الإعلامي الاستراتيجي الذي يكون مشروطاً بالثورة المعلوماتية.

وبمساعدة السلاح الإعلامي للجيل الجديد في مجال مواجهة الخصم يقترحون حل المسائل التالية:

- إحداث جو من الفساد وعدم الروحانية، والعلاقة السلبية بالإرث الثقافي للخصم.
- التحكم بالوعي الاجتماعي والتوجه السياسي للفئات الاجتماعية لسكان بلاد الخصم بهدف إحداث توتر وفوضى سياسية.
- زعزعة الاستقرار في العلاقات السياسية بين الأحزاب والمنظمات الاجتماعية في الدولة العدوة بهدف استفزاز النزاعات وتدمير الذات فيها.
- استفزاز المصادمات الاجتماعية والسياسية والدينية.

- تخفيض مستوى الضمان الإعلامي لأجهزة السلطة أو استخدام القرارات الإدارية الخاطئة.
- تشويه المعلومات المقدمة للسكان حول عمل أجهزة الدولة والتشهير بها.
- نسف السمعة الدولية للدولة وغيره.

كانت إدارة بيل كليتون قد اتخذت خطة قومية لحماية نظم المعلومات في الولايات المتحدة الأمريكية التي أقرها الرئيس في 7/ كانون الثاني / عام 2000، وبالتالي تم تحويل الخدمة العالمية المتخصصة لإعداد ودراسة الكمبيوتر، بما فيها توفير دفع أجور التعليم العالي لسنتين وبعد التعليم العالي في مجال الأمن الإعلامي، بشرط الانضمام إلى الخدمة في الدولة وبالتحديد الخدمة في مجال قطاع الأمن الإعلامي. وأحدثت في الولايات المتحدة أيضاً الشبكة العالمية للكشف عن التدخل ومعهد حماية البنية التحتية للمعلومات، إن نظرية سياسة الأمن المعلوماتي التي أقرت في أيار عام 2000 تنص على إحداث شبكة معلومات دولية يكون دورها الرئيسي في الوصول والتفوق المعلوماتي للولايات المتحدة والحفاظ عليه. إن كل هذا يشهد على أن القيادة الأمريكية ليس فقط تدرك أهمية توفير الأمن المعلوماتي لبلدها بل وتتخذ أيضاً الإجراءات في مجال تنفيذ البرامج الحكومية المناسبة.

الفصل الحادي عشر

الاتصال الجماهيري ومشكلة العنف



الفصل الحادي عشر
الاتصال الجماهيري ومشكلة العنف

تتميز القرون الأخيرة من تاريخ البشرية ليس فقط بالتطور العاصف للتكنولوجيا والعلوم والتعليم والثقافة، بل و حربين عالميتين وبعدد هائل من النزاعات الإقليمية المسلحة الدائمة وبالإبادة الجماعية التي ذهبت بملايين الأرواح وأظهرت القدرة الهائلة وجبروت قدرة الإنسان على التدمير. إن كل ذلك يترافق مع الزيادة الملحوظة في مستوى العدوان الشخصي الأمر الذي وجد لذاته انعكاساً في زيادة الجريمة ونموها عملياً في كل البلدان المتطورة.

ويشتكي الآباء والمعلمون والعاملون في أجهزة الأمن أكثر فأكثر من السلوك العدواني لدى الأطفال والشباب. ويلفت المعلمون الانتباه إلى أن ظواهر ومظاهر العدوانية والعنف بين الأطفال (بخاصة عند الأطفال في الصفوف الأولى والمتوسطة من المدرسة) قد ازدادت كثيراً خلال السنوات القليلة الماضية. وتمكن الإشارة إلى طريقتين اثنتين أساسيتين كحد أدنى للاستجابة لمثل هذه المشكلة. وفي الحالة الأولى، إن مشكلة نمو العنف يتم تجاهلها، وفي الثانية يتم تأويل نمو العنف في أطر نظرية تطور المجتمع والتأثير المتبادل لخطوط التطور التاريخي والسيكولوجي. ففي الحالة الأخيرة إن نمو العدوانية بما فيها العدوانية عند الأطفال، يفسر باستبدال الثقافة الذاتية.

ومن الطبيعي أن يزداد الاهتمام العلمي بمشكلة العدوانية والعنف في جميع أنحاء العالم لكن وبغض النظر عن أن المواضيع المتعلقة بالعدوانية والعنف تهم الباحثين من مختلف الاختصاصات منذ وقت طويل ،فإن مسألة أصول وأسباب العدوانية تبقى حتى الآن مفتوحة، ومعها يبقى عدد متكامل من القضايا من دون حل، وهي القضايا

التي تتعلق بكيفية مساعدة العلم في حل النـزاعات الشخصية والاجتماعية والسياسية التي تنشأ أكثر فأكثر في عالمنا المعاصر.

إن تحليل العدد المتنامي للمنشورات العلمية يدل على أن المجتمع المعاصر يسعى على أن يكون حراً ونظيفاً من العنف، لكنه في الوقت ذاته مسحور ومليء بالعنف، فإنه يقمع العنف ويحاول السيطرة عليه من جهة، وهو بالذات الذي ينتجه من جهة ثانية. وتوفر الحروب والأعمال الإرهابية والجريمة والعنف في الأسرة والنـزاعات العرقية والتواجد الدائم للعنف في المجتمع الذي تدعمه وتعززه وسائل الإعلام الجماهيري.

وتمس دراسة مظاهر مختلف أنواع العنف مشكلتين أساسيتين بالدرجة الأولى: استخدام العنف والعدوانية هذا الاستخدام. وما دامت الأعمال العدوانية والعنيفة ينظر إليها باستقلالية عن مسألة دورها في توظيف المجتمع، من الممكن المناقشة مطولاً وبدون فائدة نذكر عن العنف والأسرة والمدرسة والجيش أو عن الاهتمام غير الصحي لوسائل الإعلام بمسألة العنف.

ويشير الباحثون في مجال مسائل العدوانية والعنف إلى الدور الهام لوسائل الاتصال الجماهيري، وفي مقدمتها التلفزيون، في انتشار هذه الأشكال للسلوك. وإن الاهتمام بوسائل الاتصال في العالم المعاصر مرتبط، بأن دوراً خاصاً قد نسب إليها، إنها تقوم بوظيفة التواصل الاجتماعي على مستوى المجتمع كله. ويفهم من المصطلح **media mass** (وسائل الاتصال الجماهيري) مختلف طرق نقل المعلومات للجماهير بواسطة الوسائل التكنولوجية:

الإذاعة، التلفزيون، الفضائيات، الصحافة، الفيديو، التسجيلات، والسينما وغيرها. وتشمل مضامين وسائل الاتصال الجماهيري كل ناحية التأثير، بدءً من الإعلام والتعليم حتى الإقناع والإيحاء وبفضل هذا تستطيع وسائل الاتصال الجماهيري تكامل المجتمع و رفع وعيه الاجتماعي. وترتبط ظاهرة الثقافة الجماهيرية ارتباطاً وثيقاً بالاتصالات الجماهيرية.

هناك عدد من الآراء التي تحاول تبرير تواجد عنف التلفزيون والفيديو في حياتنا. وبناء على أحد هذه الآراء إن العنف هو جزء من حياتنا وثقافتنا. ونستنتج من هذا أن العرض المرئي للعنف يطلع المشاهدين فقط ويحضرهم للحياة في المجتمع ويدخل الأطفال إلى عالم البالغين، وعدا ذلك، إن عرض العنف يمكن أن يؤثر تأثيراً كارثياً على من يشاهده.

إلا أن نظرية أخرى مناقضة لهذه موجودة وبناء عليها إن العنف الذي يعرض بواسطة وسائل الاتصال الجماهيري يتمتع بقوة هائلة من الإيحاء: بالنتيجة، إن العنف المرئي (خيالي أو واقعي) قادر على إيقاظ العدوانية في داخل المشاهدين. وهذه الحقيقة بالذات التي أصبح من الممكن القول أنه مبرهن عليها، توقظ وتحفز علماء الاجتماع في جميع أنحاء العالم إلى دراسة الجوانب المعينة لتأثير عرض العنف على العدوانية.

إن الكثير من البرامج التلفزيونية تعرض باستمرار العنف بمختلف أنواعه. وتظهر مشاهد العنف على شاشات التلفزة أكثر بكثير مما هي موجودة في الواقع، ويوفر التلفزيون إمكانيات أكثر بكثير "الاختبار" هذا العنف على الذات، من الحياة العادية. ونتيجة لذلك يمكن أن يبدو للإنسان أن العنف قد أصبح أقرب إليه بكثير مما كان عليه في السنوات السابقة.

إن مناقشة دور وسائل الاتصال الجماهيري في نشر العنف في العالم المعاصر مرتبطة بالدرجة الأولى بمسألتين:

أ- العدوانية والعنف.

ب- تأثير العنف الذي تفرضه وسائل الاتصال الجماهيري على تبدلات مستوى العدوانية عند المستهلكين و في مقدمتهم الأطفال والشباب. ومن الطبيعي أن المسألتين تؤثران الواحدة منهما على الأخرى.

هناك عدد كبير من التعريفات للعنف، وعملياً يفهم من العنف فيها كلها استخدام القوة الذي يؤدي إلى إلحاق الضرر بالاحتياجات البشرية الأساسية أو حتى

بالحياة بشكل عام والضرر الـذي يخفـض مـستوى تلبيـة هـذه الاحتياجـات إلى أقـل مما يجب أن يكون، وإن التهديد بالعنف يعد أيضاً عنفاً.

ويعد الباحث الشهير في قضايا السلام والعنف غالتونغ كاحتياجات أساسية:

1. الحاجة إلى البقاء (ويعد الموت نفياً لهذه الحاجة).
2. حاجة اليسر (نفيها هو الفقر والمرض).
3. حاجة إثبات الذات (نفيها يعني فقدانها).
4. حاجة الحرية (نفيها التعسف) وأبرز ثلاثة أشكال للعنف هي:

المباشر والبنيوي والثقافي.

ويعد العنف المباشر مع كل أنواع القسوة التي يبديها الناس بعضهم على البعض الآخر وعلى الأشكال الأخرى للحياة والطبيعة بشكل عام اكثر أنواع العنف وضوحاً ومتناولاً لمراقبة التجريبية الاختبارية. ويظهـر العنـف المباشـر بالعلاقـة بالاحتياجـات المذكورة في الأشكال التالية:

1. القتل.
2. الضرر الجسدي، الحصار، المقاطعة، الفقر.
3. الإخراج من الثقافة الذاتية والإدخـال في ثقافـة أخـرى (مثـال، إلغـاء اللغـة الأم وفرض لغة أخرى)، الموقف من الناس كمواطنين من الدرجة الثانية
4. التعسف والاعتقال والطرد. إن هذه الأشكال بالـذات تتـصف أكثـر مـن غيرهـا كسلوك عدواني.

العنف البنيوي:

أ) الاستغلال من النموذج A، عندما يكون الأقل درجة ملحقاً الضرر به لدرجة أنـه يموت من الجوع والمرض

ب) الاستغلال من النموذج B، عندما يمكن للأقل درجة أن يبقى في حالة فقـر دائـم بما في ذلك المرض والنقص الغذائي.

ج) إدخال وتحديد المعلومات.

د) (العدوانية) والتفرقة.

ويقترح غالتونغ النظر إلى جوانب الثقافة تلك، المجال الرمزي لوجودنا الممثلة بالدين والأيديولوجيا واللغة والفن والعلم التجريبي والشكلي (المنطق والرياضيات) التي يمكن أن تستخدم لتبرير العدوان والعنف المباشر والبنيوي، كعنف ثقافي.

ويؤدي العنف الثقافي إلى أن العنف المباشر والعنف البنيوي يبدأ يظهر ويستوعب كقضية عادلة أو على كل الأحوال كقضية غير بشعة.

وللأنواع الثلاثة من العنف فوارق أساسية في المجال الزمني.فالعنف المباشر له طبيعة الحدث والبنيوي له طبيعة العملية مع الصعودات والهبوطات، والثقافي يبقى ثابتاً لفترات طويلة ويمكن العثور على تحولات من الثقافي مروراً بالبنيوي إلى العنف المباشر. وتربي الثقافة وتعلم وتجبر على النظر إلى الاستغلال والعدوان والأعمال العدوانية الفردية والجماعية كالنظر إلى الظواهر الطبيعية والعادية أو على عدم ملاحظتها إطلاقاً.

إن دراسة العنف الثقافي يسمح بفهم كيف فعل العنف المباشر (أو السلوك العدواني) وواقعة العنف البنيوي والعدوان.

إن أكثرية القيم العاملة في المجتمع المعاصر تساعد على أن تظهر العدوانية والعنف بنشاط في المجتمع وأن تنبعث من جديد. ويخص هذا بالدرجة الأولى القيم المتعلقة بالعلاقات العمرية والملكية والأوضاع والتي تحدث أساساً لظهور توترات اجتماعية قوية يعاني منها العدد الكبير من أفراد المجتمع. ويظهر العنف المباشر والعنف البنيوي في البلدان المحددة كمحاولة إعادة توزيع أو الحفاظ على الوضع والموارد والثروة والثأر من التحقير. عدا مختلف أنواع العنف المباشر، يمكن أن تنشأ أيضاً أحاسيس باليأس والوحدة والانعزالية التي تظهر كعدوانية أو لا مبالاة وإقصاء المواجهة إلى الداخل.

وقد أثبتت الدراسات المتعددة أن ازدياد ونمو السلوك العدواني والأفعال العنيفة في المجتمع مشروط بالتغيرات الاجتماعية الحادة والكبرى (مثال، التغيرات في البلاد) وبالمخالفات المرتبطة بهذه المتغيرات للنظام التقليدي للمجتمع التي تلزم الناس بتوجيه أنظارهم إلى قضاياهم الشخصية واهتمامهم بها.

وإن طرق حل حالة مسألة اللامبالاة مشروطة في كثير من جوانبها بالشخصيات النموذجية الموجودة في هذا المجتمع أو هذه الجماعة (بما فيها الجماعات العرقية) وبمخططات السلوك (مثال، العرقية التقليدية للسلوك).

والشخصية تمثل تصوراً مبسطاً مقبولاً وغالباً ما يكون مشوهاً عن الموضوع، وهذا التصور يتميز فيه الإدراك العادي.

إن أول دراسات لتأثير السينما على السلوك والتوجه القيمي بدأت تجري في الولايات المتحدة في نهاية العشرينيات من القرن الماضي، وأظهرت تأثيراً سلبياً. والسنوات التالية شهدت دراسات عديدة حللت بالدرجة الأولى نقطتين أساسيتين من المسائل:

1. هل يتعلم المشاهدون (خاصة الأطفال واليافعون) الأشكال الجديدة للسلوك العدواني عند متابعتهم شاشات العنف (تأثير التعليم) وهل يكون هذا التأثير مديداً؟.
2. هل يساعد العنف في وسائل الاتصال الجماهيري على تخفيض الحساسية من العنف، وهل ينعكس على احتمالية السلوك العدواني في الحياة الواقعية (الآثار الانفعالية).

وكان من أوائل من جند نفسه لمعالجة مشكلة العنف المعروض في التلفزيون وفي أشرطة الفيديو وفي أطر نظرية التعليم الاجتماعي، كل من باندورا أ. إيدون ل. هيو سمين ر. باركي، ليفكوفيتش م وغيرهم.

وأظهر ممثلو نظرية التعليم الاجتماعي أنه، إن عرضنا الطفل في ظروف التجربة المخبرية لتأثير معلومات الفيديو المتعلقة بالعنف، فإنه يبدأ بعد ذلك فوراً بالتصرف

العدواني. وأظهرت التجارب التي أجراها كل من باندورا وروس أن الأطفال ميالون إلى محاكاة ذاك السلوك الذي حقق أمام أعينهم تعزيزات إيجابية.

وهكذا بالذات يتقبل الأطفال الخبرات الاجتماعية والأفعال التي من بينها يمكن أن تكون السلوكيات العدوانية الموجودة لدى الآباء والرفاق والأقران.

وبناءً على نتائج العديد من الدراسات، إن الأطفال يتعلمون التصرف بعدوانية بفضل تقليد سلوك الممثلين المشاركين في لوحات عنف في مختلف الأفلام والبرامج. وإن مستوى الدقة التي سوف يقلد فيها الطفل سلوك الممثل يكون في هذه الأثناء عائداً إلى نتائج هذا السلوك، فإن كان الممثل قد "قلد وساماً" لقاء أفعاله، فإن الطفل سوف يقلده على الأرجح قبل غيره. وإن كان الممثل قد عوقب، فالطفل لن يقلده على الأرجح. وإن هذا صحيح بالنسبة للسلوك الاجتماعي واللا اجتماعي.

عدا ذلك، إن الكثير يرجع إلى خبرة الطفل في هذا السلوك وإلى النتيجة التي حققها. إن عدداً من الباحثين حاولوا إظهار العمر الذي يكون فيه الأطفال ميالين أكثر إلى تقليد أفعال الآخرين. وتم التأكيد من قبل العديدين على أن المرحلة بين 6 و 10 سنوات هي مرحلة التحفيزبالنسبة للتعليم بفضل المتابعة.

ويلعب إثبات الذات أيضاً بعض الدور في هذا النوع من التعلم ويبدو أن الطفل سوف يقلد ذاك النوع من السلوك الذي يتمتع بميزات قيمة أكثر بالنسبة له.

ولتفسير استقرار التوجهات العدوانية في زمن وإمكانية التنبؤ إلى السلوك الإجرامي في عمر البلوغ انطلاقاً من وجود العدوانية المبكرة وضع هيوسمين نظرية (السيناريوهات) وبناء على هذه النظرية يراقب السلوك الاجتماعي في كثير من جوانبه بتلك البرامج السلوكية التي تم تعليمها وثبتت من قبل الفرد زمن تطوره المبكر. ويمكن أن توصف هذه البرامج كسيناريوهات تحفيزيةالعملية الأولية التي بمساعدتها يتكون السيناريو في عملية التعلم لتي تتضمن عنصر المراقبة. إلا أن هذه العملية ذاتها تقع تحت تأثير عوامل متعددة للبيئة (الوسط): اجتماعية، ثقافية، عائلية.

وإن مجموعات السيناريوهات المدروسة تتحول إلى مجموعات أكثر عمومية وإلى مبادئ أساسية للسلوك الاجتماعي. وهكذا، إن السيناريوهات التي يقتدي بها الطفل في سلوكه العدواني تشكل القاعدة لإحداث سيناريوهات أكثر شمولية تتحكم بسلوك البالغ المعادي للمجتمع. ويعتقد هيوسمين أن ليس كل السيناريوهات التي تتكون لدى الطفل يمكن أن تكون حيوية. فقبل تحقيق السيناريو يقدر الطفل تطابقه مع المعايير الاجتماعية الموجودة في الوعي، ويدقق الآثار المحتملة لهذا التحقيق. وإن درجة دقة هذا التقدير يمكن أن تكون متنوعة. إن بعض الأطفال ببساطة لا يتمتعون بقدرة التقدير الدقيق. والأطفال الآخرون الذين توجد لديهم هذه القدرة متكونة أكثر يمتازون بتجربة تعزيز مختلف أنواع السلوك وباستيعاب المعايير الاجتماعية.

يستخلص هيوسمن من هذا التعريف التالي: الطفل العدواني هو الطفل الذي اعتاد التصرف بعدوانية، ويعيد ويحقق باستمرار سيناريو السلوك العدواني. ويبرز هيوسمن العمليتين الأساسيتين اللتين بفضلهما تحدث عملية تعزيز السيناريو: السلوك الخاص عند الشخص (التعليم المدخل والمتظاهر به) ومراقبة سلوك الناس الآخرين (التعلم بمساعدة المراقبة). وإن الحفاظ على السيناريو في الذاكرة يتحقق بفضل عمليتين أخريين: عملية التشفير الأولية للسلوك المراقب وعملية التعزيز. ويفهم من التشفير تكوين إعادة الإعلان عن المشجع الخارجي في نظام الذاكرة. ويمكن أن يكون السيناريو مرتبطاً بالمفاتيح الخصوصية في سياق التشفير، ويمكن أن يكون غير مرتبطاً بها بشكل مجرد. وسيكون على الطفل أسهل تشفير السيناريوهات ذات المفاتيح الرائدة والواضحة.

ولكي يثبت السيناريو في ذاكرته على الطفل أن يغذيه من وقت إلى آخر. والتغذية يمكن أن تكون بعدة أشكال ـ من المعالجة المعنوية للمشهد في التخيلات حتى محاولة تحقيقه في الحياة. وتضمن التغذية بالطبع إمكانية إعادة تقدير السيناريو. وإن بعض السيناريوهات التي تم استيعابها منذ البداية كمناسبة للفعل الاجتماعي العام سوف تصبح مستوعبة كغير مناسبة بعد تغذيتها السلبية.

وهكذا ـ لكي يؤثر السيناريو على السلوك المقبل عليه أن لا يكون مشفرا ومثبتاً في الذاكرة فقط، وإنما عليه أن يكون حيوياً ومثبتاً إيجابياً عند مواجهة المشكلة الاجتماعية. وعلى الأغلب يمكن أن يستخدم السيناريو إن توفرت أثناء تفعيله في الوسط المفاتيح الخاصة تلك التي كانت موجودة عند تشفير السيناريو. في هذه الأثناء يمكن أن تكون هذه المفاتيح مطابقة للاختلافات العرضية، ويبدو أنها قلما تكون مرتبطة بالسلوك العدواني، مثل اللون، الصوت، الرائحة، والمحيط المادي وغيره.

إن تحول السلوك العدواني المبكر للطفل إلى عادة يرجع إلى رد فعل الوسط المحيط به على هذا السلوك، والى العديد من العوامل.

فإن السلوك العدواني بالنسبة لبعض الأطفال يمكن أن يتمتع بتغذية إيجابية. وإن وسطهم العائلي ووسط أصدقائهم يطور لديهم الموديلات العدوانية ويشجع السلوك المعادي للمجتمع.

فبالنسبة لهم التشفير والتغذية واستخدام السيناريوهات العدائية تخف بـ شكل خاص. لكن عاجلاً أم آجلاً يقع هؤلاء الأطفال في وسط اجتماعي (المدرسة، الفريق، النادي) حيث السلوك العدواني يمكن أن يكون له آثاره السلبية جداً. وينتج هنا غير المتوقع: يبقى السلوك العدواني مستقراً حتى في حال نشوء آثار سلبية واضحة بالنسبة لهم. ويفسر صاحب النظرية هذا الأمر بأن الطفل لا يستطيع "التعلم مرة أخرى" من السيناريوهات العدوانية. ولهذا الأمر أسباب عديدة:

أولاً: يمكن أن يستوعب الطفل خطأ نتائج أفعاله في الوسط بسبب التقدير غير الصحيح للعلاقة العكسية.

ثانياً: إن حل القضايا اجتماعيا يتطلب جهوداً عقلية كبيرة. وهذا يحدث مشاكل كبيرة بالنسبة للأطفال ذوي العقول الضعيفة.

ثالثاً: تنشأ مشكلة بالنسبة للأطفال ذوي العقول القوية، إنهم يستطيعون إيجاد المبررات، الكبيرة لسلوكهم العدواني.

رابعاً: يستطيع الطفل الاختيار بنفسه لوسط التواصل الذي لا ينهى فيه عن السلوك العدواني.

وخامساً: هناك مشكلة ثبات مستوى العدوانية.

ويتم التركيز على الأمور التالية في مجال مسألة تأثير العنف التلفزيوني وشرائط الفيديو على تطور العدوانية. وقد وزعت نظرية تحليل السيناريوهات هذا التركيز:

1. إن الطفل الذي يتابع باستمرار على شاشة التلفزيون الأشخاص الذين يقومون بأفعال إجرامية يمكن أن يحتفظ بالسيناريو العدواني كسيناريو مناسب للأفعال الاجتماعية ويستخدم ليغاريتمات السلوك العدواني في بعض الحالات.
2. وبالاستناد على موديلات معالجة المعلومات يمكن فهم لماذا سيناريو العنف المستوعب من قبل الطفل كسيناريو غير حقيقي وغير نموذجي ويحتفظ المراقب للبعث التالي فقط تلك السيناريوهات التي تعود عليه بالفائدة الذاتية من حل القضايا الاجتماعية. وإن الأفعال التي يقوم بها ويعتبرها واقعية والتي تتناسب مع هذه الحاجة سوف لن تحفظ في الذاكرة ،وقد أثبتت هذه الفكرة عن طريق التجربة مرات عديدة وتغيير، وتشكيل الثوابت يعدان ظاهرة هامة أخرى للتأثير الذي تتركه السينما والتلفزيون. وكلما شاهد الشخص التلفزيون ومشاهد العنف فيه، وعلى أشرطة الفيديو أكثر كلما استوعب أكثر التوجه نحو السلوك العدواني. ومن وجهة نظر نظرية معالجة معلومات التوجه إن ذلك هو الإرشادات والقواعد والتفسيرات المأخوذة من المراقبات على سلوك الناس الآخرين.

وإن كان التلفزيون يؤثر على الطفل أو على البالغ التأثير الأكبر، فإن صورة الواقع الاجتماعي لهذا الشخص سوف تتأسس بالكامل عملياً على هذه الملاحظات. وهكذا، أن التوجه نحو عدوانية المتعصبين للسينما والتلفزيون بفضل العدد الكبير من مشاهد العنف المعروضة على الشاشات، سوف يكون أكثر إيجابية، وذلك لأنهم يستوعبون السلوك العدواني كمعيار. إن الاستيعاب الإيجابي للعدوانية متلازم

مع زيادة مشاهد العنف ومع العوامل الأخرى التي يمكن أن تجر وراءها القبول بالتوجهات نحو العنف.

إن الدراسة التي أجريت في ولاية جورجيا في الولايات المتحدة الأمريكية قد استعرضت العلاقة بين مواد البرنامج التلفزيوني والتوجهات، وأيضاً بين سوك المشاهدين بعد مشاهدته، وتمت دراسة السلوك المعادي للمجتمع بين تلاميذ الصفوف العليا قبل أسبوع قبل وخلال وبعد مشاهدة البرنامج التلفزيوني الذي كان مليئاً بالمحاور والريبورتاجات المتضمنة مشاهد عنف.

وباستخدام عدد مخالفات هؤلاء الأطفال لقواعد السلوك كوحدة قياس وحتى المراقبة على السلوك خارج المدرسة، عثر الباحثون على أن عدد المخالفات قد ازداد كثيراً خلال الأسابيع مادام البرنامج يبث في التلفزيون، وبخاصة عند الأطفال الزنوج. وفي الوقت ذاته تغيرت التوجهات عند الأطفال نحو الاستماع.

وقادت دراسات أخرى العلماء إلى استنتاج أن المتابعة المتكررة كثيراً جداً لمشاهد العنف من قبل البالغين يمكن أن تؤدي إلى تغيير في توجهاتهم نحو العنف. وأظهرت الدراسات أيضاً أنه عندما يراقب الشخص الذي تجريه التجربة أعمال العنف التي لا يعاقب عليها تزداد إمكانية أن يتصرف بعدوانية.

وهناك طريقة أخرى ممتعة لإظهار وقياس العلاقة بين المتابعة لمشاهد العنف وتوجهات وسلوك المشاهدين فحواها دراسة "تخفيف" و"تعميق" التوجهات. وحاول المختبرون في هذه الدراسات تصغير أو تكبير تأثير البرامج التلفزيونية على الأطفال بمساعدة تغيير توجهات الأطفال.

وقد أظهر أن تأثير التلفزيون الموجه اجتماعياً قد ازداد بقوة عندما استخدم اقتران المشاهدة تلك البرامج مع عوامل أخرى محفزة للدراسة الاجتماعية. وفي دراسة أخرى أشير إلى أن ملاحظات البالغين على مشاهد العنف أثرت تأثيراً كبيراً على تقليد ومحاكاة الطفل قبل سن الدراسة لهذا المشهد. وإن تواجد الوالد وعلاقته كان لهما أهمية كبيرة بالنسبة لهؤلاء الأطفال.

إن تغير التوجهات عند الناس الذين يتابعون باستمرار مشاهد العنف يمكن تفسيره بفقدان الحساسية من العنف. وهكذا، لقد تم إظهار أن الأطفال الذين يشاهدون باستمرار مشاهد العنف على شاشة التلفزيون أو الفيديو كشفوا عن مستوى أقل بكثير للدافع الفيزيولوجي في الإجابة على عرض مشاهد العنف من فئة الأطفال الرقابية. ويمكن التأثير على أن المستوى العالي للدافع الفيزيولوجي يزيد ميول الإنسان إلى السلوك العدواني، أما المتابعة المستمرة لمشاهد العنف تزيد وتعزز هذا المستوى.

هناك معطيات من أن زيادة مستوى الدافع الفيزيولوجي نتيجة لمشاهدة مشاهد العنف يمكن أن تكون أيضاً تغذية سلبية، في هذه الحالة إن "محبي" مشاهد العنف فاقدي الحساسية سوف يتصرفون بعدوانية أكثر. ويبرهن على هذه الحقيقة العديد من الباحثين في مجال الاتصالات مشيرين إلى أن التلفزيون يجعل الأطفال سوبر نشطاء بحقنهم المحفزات. ويؤكد آخرون على أن هذا الحقن يفعل فعل ما يفقد الحساسية. ويؤكد البعض الآخر على القدرة ذات التغذية الذاتية للعدوانية. وإن قبلنا بوجهة النظر هذه، فيكون هناك مستوى أقصى للدافع الفيزيولوجي الذي يجده الشخص الأكثر ملائمة له، وملبياً لاحتياجاته، وينتج من هذا أن السلوك العدواني يمكن أن يستخدم بهدف الوصول إليه. و بما أن السلوك العدواني يتطلب المستوى العالي من الدافع الفيزيولوجي، فإن الشخص فاقد الحساسية من العدوانية يتصرف بعدوانية أكثر عند تحقيق المستوى المطلوب للدافع الفيزيولوجي. وعندما يكون هذا المستوى محققاً تنشأ إجابة سلوكية نموذجية سائدة. وإن كان هذا السائد عدواناً (عدوانية) فيتم تحقيق الأسلوب العدواني في السلوك.

وقد أثبت الحفاظ على مستوى العدوانية خلال العديد من التجارب، وأظهرت نتائج الدراسات على هذه المواضيع،أن مستوى عدوانية الطفل بعد سن 8 ـ 9 سنوات يتوقف عن التغيير ويصلح دائماً خلال حياته كلها تقريباً (باستثناء الذروة عند عمر النضوج لدى الصبيان).

وإن الاكتشاف الأكثر دهشة بخصوص الجريمة عند البالغين يكمن في أن السلوك الإجرامي يمكن التنبؤ به إحصائياً ،انطلاقاً من وجود سلوك معـاد للمجتمـع عـدواني وسوبر نشيط مبكر.

وإن الطفل الأكثر عدوانية سرعان ما يصبح بالوقت نفسه عدوانياً بالغـاً وبالغـاً ميالاً إلى السلوكِ الإجرامي المعادي للمجتمع.

وحسب معطيات إيرون وهيوسمن لا يستطيع عامل واحد مقـاس في الطفولـة، وليس هاماً. إن كان بيئياً أم سيكولوجياً أو عائلياً ،التنبؤ بهذا الاحتمال بميول الإنسان إلى نوع معين من السلوك، مثل عامل العدوانية المبكـرة. ففـي الدراسـة الـتي أجراهـا إيرون وهيوسمن تم الكشف من أن النسبة التي يلـصقها بهـم أقـرانهم مـن التلاميـذ، وهي نسبة العدوانية في عمر الثماني سنوات تعـد البـشير لجانـب كامـل مـن أشـكال السلوك العدواني المخالف للمجتمع الذي يظهر بعد 22 عامـاً، ويتـضمن المخالفـات القانونية المسجلة رسمياً.

لكن هذا لا يعني أنه يمكن وضع علامة مساواة بين مفـاهيم الـسلوك العـدواني الإجرامي.و يقـصد فقـط أن العمليـات الـسيكولوجية الموجـودة في اسـاس الـسلوك العـدواني موجـودة ايـضا في اسـاس انـواع الـسلوك الاجرامـي المعـادي للمجتمـع. عدا ذلك، إن العدوانية هو نوع من أنواع السلوك الذي غالباً ما يعثر عليه بين الشباب والذي بناء على ذلك يجب أن تتم دراسته كجزء لا يتجزأ من عملية التطور.

وسمحت الدراسة التي أجريت في الثمانينات في ستة بلـدان الخـروج باسـتنتاج عن الوجود الفعلي للعلاقة بين امتلاء التلفزيون بالمحاور المتعلقة بالعدوانية، ومـستوى الجريمة. وهكذا كانت في بولونيا النسبة الأقل من الجريمـة. عندئـذ كانـت قـد احتلـت المرتبة قبل الأخيرة من حيث استخدام التلفزيونـات، وفي المرتبـة الأخـيرة مـن حيـث عـرض المحـاور ذات المـضمون العـدواني علـى شاشـة التلفزيـون ومـن حيـث نـسبة عرض الأفلام أو المحاور المتعلقة بالعنف. أما الولايـات المتحـدة الـتي كانـت صـاحبة

الرقم القياسي من حيث الجريمة في الثمانينيات، كان لديها أعلى نسبة مشاهد عنف البرامج التلفزيونية.

وتم الحصول نتيجة لهذه الدراسة أيضاً على معطيات هامة أخرى:

إن المؤلفين يضعون استنتاجات حول إمكانية وجود علاقة دورية بين المؤشرات على أساس التناسبات الإيجابية المكتشفة بين المستوى العالي للعدوانية عند البالغين وزيادة العنف السينمائي ـ التلفزيوني في الطفولة، وأيضاً بين زيادة العنف في التلفزيون لدى البالغين وعدوانيتهم المبكرة، وبين شغفهم المبكر بمشاهد العنف في التلفزيون. وقد حدد أن الشغف المبكر بالتلفزيون في الولايات المتحدة وبولونيا وفنلندة وإسرائيل يحدد بقوة بعدوانية الطفل. وفي جميع أنحاء العالم عدا أستراليا قد لوحظ الأكثر الميول الواضح لتأثير الشغف المبكر بالعنف في التلفزيون على المستوى المتأخر اكثر للعدوانية.

- وقد أظهرت دراسة تأثير العدوانية الرجالية والنسائية على التماثل الإيجابي مع الممثل أن الممثل الرجل يؤثر اكثر على الجنسين معاً، من المحتمل لأن سلوكه العدواني يتمتع بطبيعة بطولية.
- وعند تقريرهم التدقيق بموضوعية نظرية التعلم الاجتماعي حول أن إعادة بعث سيناريو السلوك تعود إلى هل سيكون "متمرناً عليه" ومكرراً من قبل الطفل. أغفل أصحاب الدراسة العلاقة المتبادلة بين متوسط المؤشرات للعدوانية وبين زيادة العنف التلفزيوني مع السلوك الخيالي. وأظهرت النتائج أن السلوك الأكثر عدوانية والشغف الكبير بالعنف التلفزيوني يترابط مع الخيالات المتكررة في مجال المواضيع البطولية ومواضيع العنف في جميع البلدان حيث أجريت الدراسة.
- وتم الكشف عن علاقة الوضع الاجتماعي لوالدي الطفل مع عدوانية هذا الطفل وزيادتها بفضل العنف في التلفزيون. وبين الأطفال الأمريكيين والأستراليين، إن الوضع الاجتماعي الأكثر انحداراً للعائلة تناسب مع العدوانية الأكبر ومع الزيادة الكبيرة للعنف في التلفزيون بخاصة عند الصبيان. وإن هذه الظاهرة

بالذات في إسرائيل، تم الكشف عنها لدى صبيان المدن، أما لدى الأطفال في الكويوتسات الإسرائيلية، إن العدوانية الزائدة وزيادة العنف في التلفزيون تقترنان مع الوضع الاجتماعي الرفيع للأسرة. وفي بولونيا كشف عن علاقة عكسية لعدوانية الأطفال وزيادة العنف التلفزيوني مع الوضع الاجتماعي للأسرة. أما في فنلندا يرتبط الوضع الاجتماعي الأعلى للأسرة مع العدوانية العالية لدى الصبيان والعدوانية المنخفضة لدى البنات. ويفسر أصحاب الدراسة هذه الفوارق بأن القياسات التقليدية للوضع الاجتماعي التي تستخدم في المجتمعات ذات نظام العمالة الحرة لم تعمل في تلك البلدان مثل بولونيا وفنلندا بسبب التجانسية الكبيرة للمجتمع فيها.

- واكتشف أصحاب الدراسة أن الأطفال الأكثر عدوانية وسطياً هم الأطفال الذين لديهم شغف العنف التلفزيوني والذين لديهم آباء بمستوى عال من العدوانية وكان هؤلاء الآباء غالباً غير راضين عن أطفالهم وكانوا يستخدمون ضدهم أقصى العقوبات (بخاصة ضد الصبيان). ومن المحتمل أن عدوانية الأطفال ونفي آباءهم لهم يكونوا في علاقة دورية بين بعضهما: إن نفي (تجاهل) الوالدين يشجع العدوانية عند الطفل الذي يصبح بعد ذلك ضحية لهجومات عدوانية أكثر وعقوبات من قبل الوالدين. وإن نفي الوالدين للطفل يمكن أن يؤدي إلى سلخه عن العالم الخارجي وإلى تقوقعه على نفسه وانغلاقه وإلى الانشغال بالعنف على شاشة التلفزيون بما فيه البرامج المحتوية على العنف.
- واكتشف أصحاب الدراسة عند دراستهم العلاقة بين شهرة الأطفال بين أقرانهم في كل البلدان الخمس كانت هناك علاقة عكسية بين عدوانية الأطفال وزيادة العنف لديهم بسبب العنف التلفزيوني وبشهرتهم بين أقرانهم من التلاميذ. وإنهم يفسرون هذه الحقيقة بأن الأطفال الذين يمتلكون عدداً أكبر من التجارب الاجتماعية يكونون أكثر شهرة ومحبوبين في المجتمع، هذا من جهة، ومن جهة ثانية إن السلوك العدواني عند الطفل غالباً ما تجعله أقل شهرة. إن كان الطفل يتحاشى

التواصل الاجتماعي، فيزداد احتمال وتكرار توجهه إلى التلفزيون، عدا ذلك، إن عدم شهرة الطفل يمكن أن تعزز وتقوي العلاقة بين تعلقه بالعنف التلفزيوني وبين المستوى العالي للعدوانية.

عند إحصائهم لنتائج هذه الدراسة عام **1990** استنتج أصحابها الآتي:

- إن الأطفال الأكثر عدوانية يشاهدون أكثر البرامج المتضمنة مشاهد العنف (بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية والجنس والعمر أو العوامل الثقافية).
- يتعلم الطفل سيناريوهات العنف عند متابعته مشاهد العنف على شاشة التلفزيون أو على شريط الفيديو، أما سلوكه العدواني يستمر في ردود فعل تؤدي إلى احتمال كبير للشغف بالمشاهد العنيفة التي تعرض في وسائل الاتصال الجماهيري.
- إن الخيالات في موضوع العنف يمكن أن تزيد احتمالية ،أن الطفل سيعزز ويحافظ على سيناريو السلوك العدواني.
- إن الخيالات (الفنتازيا) في موضوع العنف مميزة في الأساس للأطفال ذوي المستوى العالي من العدوانية الذين يشغفون بالعنف في التلفزيون.
- إن مستوى العدوانية يتمتع بتوجه تحول الانتقال من جيل إلى جيل آخر: إن أطفال الآباء الأكثر عدوانية يتمتعون بميول كبير لاستيعاب سيناريوهات السلوك العدواني.

ويبدو مما قيل كله أن موضوع تأثير العنف الذي يعرض في وسائل الاتصال الجماهيري ووسائل الإعلام الجماهيري ليس له مدلول واحد، لذلك لا وجود لما يدهش من أنه منذ بدايات وجوده يولد جملة كبيرة من المناقشات.

وإن هيوسمن ومونير يكتبون مدافعين أكثر فأكثر عن استنتاجهما، أن حقيقة تأثير مشاهدة العنف في التلفزيون على العدوانية يمكن اعتبارها مثبتة، أو هذا التأثير يتحقق بخمسة طرق على الأقل:

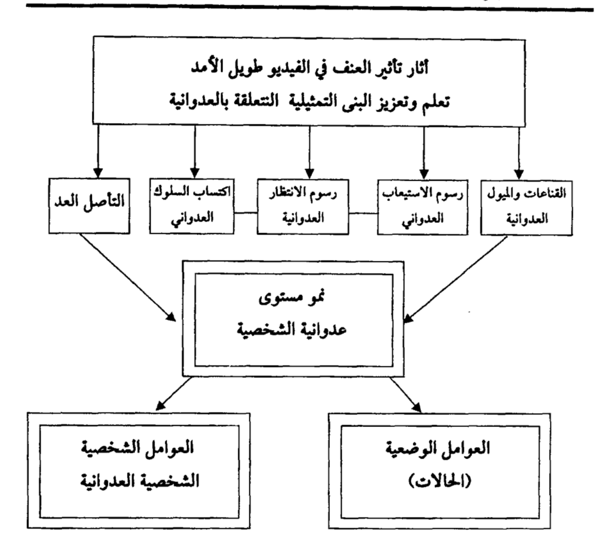
1. بمساعدة التعليم بالمحاكاة (عند المراقبة)، إن الأطفال ميالون إلى تقليد (محاكاة) سلوك آبائهم والأطفال الآخرين وأبطال الأفلام والبرامج و بخاصة عندما تكون

أفعالهم معززة بتغذية إيجابية. إن الطفل في هذه الحالة يتقبل هذا الموديل ويماثل نفسه به.

2. إن العنف الإعلامي يؤثر على الأطفال بشكل سيء ليجعل منهم غير حساسين من العنف. وكلما شاهد الطفل العنف الإعلامي أكثر كلما تقبل ثوابت إيجابية من السلوك العدواني. عدا ذلك إن الأطفال الذين يكونون شغوفين بالعنف الإعلامي ميالون إلى الشك بالآخرين في استخدام الأعمال العدوانية الأمر الذي يعد تشويهاً انفعالياً، وحتى يزيد من احتمال استخدام السلوك العدواني.

3. إن تبرير العنف يعد عاملاً آخر من عوامل تأثير العنف الإعلامي التي تشجع على السلوك العدواني. فإن الطفل عالي مستوى العدوانية يلجأ إلى العنف الإعلامي في سبيل التخلص من الشعور بالذنب والحصول على تبرير لعدوانيته الخاصة. وهكذا، يصبح بالنتيجة ميالاً أكثر إلى استخدام السلوك العدواني في حل القضايا الاجتماعية الناشئة.

4. إن العنف الإعلامي يتضمن المشجعات المفتاحية التي توقظ الأفكار العدوانية والفنتازيا والشعور بالأحاسيس والأفعال، ويفسر هذا الأثر المعروف الذي عثر عليه خلال التجارب: عند متابعة الأطفال أحد أنواع السلوك العدواني يعرضون أفعالاً عدوانية من نوع آخر فيما بعد. فحسب رأي هيوسمن، حتى المواضيع الجانبية كلياً التي تربط الطفل بالعدوانية يمكن أن تكون حافزاً لإطلاق السلوك العدواني العنيف.



5. وأخيراً، لقد اكتشف أن الأطفال الذين يشغفون بالعنف الإعلامي كشفوا عن مستوى عال أكبر من الانفعالات الفيزيولوجية استجابة على عرض مشاهد العنف أكبر من المجموعة المراقبة من الأطفال. ولذلك إنهم يسعون إلى الحفاظ الدائم على هذا المستوى بالتوجه من جديد إلى العنف في التلفزيون.

ويجيب هيوسمن ومايز على الملاحظة حول أن العنف المقدم في وسائل الإعلام الجماهيري في شكليه الإيجابي والمشرّع، لا يترك أثراً سلبياً على أخلاقيات المشاهدين أن الأطفال على العكس من ذلك ميالون إلى تقليد ومحاكاة السلوك الصادر عن الشخصيات العدوانية بالذات التي أفعالها تقدم في الفيلم أو في البرنامج كأفعال مقبولة اجتماعياً. ويؤكد فريدمان أيضاً أن العنف الإعلامي لا يستطيع ترك تأثير هام

ذلك لأن الأطفال يفهمون اللاحقيقة التي تحدث على الشاشة، الأمر الذي أجاب هيوسمن ومايز عليه بأن الأطفال أقل من 11 عاماً غير قادرين على التمييز الدقيق بين الخيال والواقع.

وإن الموديلات المعاصرة للسلوك العدواني تتضمن العناصر الجوهرية التالية:

1. القناعات العدوانية والثوابت فيها (في بعض النظريات العدائية).
2. المخططات العدواني للاستيعاب.
3. التوقعات العدوانية.
4. السيناريوهات السلوكية العدوانية.
5. اللامبالاة، أي انخفاض مستوى الحساسية من العدوانية.

إن تأثير العنف على الشاشة في بلادنا على السلوك لا يُدْرس عملياً. إن الأخبار المرئية التي تصل من الغرب منذ أكثر من عشر سنوات من قبل لجان أحدثت خصيصاً لذلك، لا تتعرض عندنا لأي انتقادات من الناحية العملية. إن مثل هذه الظاهرة لا تستطيع من وجهة نظرنا، أن تمر دون أثر، لكن أية قرارات تشريعية يجب أن تكون مسبوقة بدراسات وطنية جدية لهذه القضية الهامة.

مراجع المقدمة

1. ابرامـوف. د س: الأخـلاق المهنيـة للـصحفي. تناقـضات التطـور، البحـث، والآفاق. م. 1991
2. بوغريستام. أ: حرية الصحافة في المجتمع الديمقراطي: كتاب الطاولة في أخلاقيات الإعلام. نارتو 1992
3. الـسلطة، مـرأة أو خادمـة؟ موسـوعة الحيـاة للـصحافة الروسـية المعاصـرة، المجلد 2، موسكو 1998
4. غوسايف.أ.أ، أبيرسان و.غ: الأخلاق. م 1998
5. ذريالوشيسكي. ي. م: الصحفي الروسي في عصر الديكتاتورية. بعض الخصائص الفردية والنشاط المهني م 1996
6. دينيس.أ ماريل. د: أماديث عن الماس – ميديا. 1997
7. الصحفي / بحوث سوسيولوجية روسية أمريكية.م 1998
8. لامبيت. أ. ب: الاخلاص للواجب الصحفي. عـن الطريقـة الأخلاقيـة في المهنـة الصحفية. م. 1998
9. موراكـــوف. س. أ: المبـــادىء الأخلاقيـــة للـــصحفيين التلفزيـــونيين. (تجارب القوانين الأخلاقية) م. 1994
10. الحقوق والأخلاق في عمل الصحفي. يكنرينابورغ، 1996
11. بروخوروف. ي. ب: مدخل في نظرية الصحافة. م. 1998
12. القاموس الأخلاقي. م. (الإصدار الأخير).

مراجع الفصل الأول

1. بريما. أ : حياة الحيوانات، موسكو 1992 المجلد 1 ص 272
2. نفس المرجع ص 73
3. كلادس. غ : السبرنتيك والمجتمع، موسكو 1967 ص51– 382– 383
4. ألصحيفة الجديدة" 1998 العدد 23
5. ألصحيفة الجديدة" 1998 العدد 23
6. أرخانجلسكي. ل. م: الأخلاق الماركسية، موسكو 1985 ص 69 – 70
7. أبريسيان. ر. غ: فكرة الأخلاق والبرامج الأخلاقية – المعيارية، موسكو1995
8. غوسينوف. أ. أ: أبريسيان. ر. غ: الأخلاق، موسكو1998
9. كانط. ي: نقد العقل العملي، Cn5 1995 ص 349
10. سالوفيوف. أ. ي : كانط. الأخلاق المتبادلة والحقوق، موسكو1992 ص 73
11. ابريسيان ز. غ: مرجع سابق ص 14
12. كانط. ي: مرجع سابق ص 413
13. أبريسيان. ب. غ: مرجع سابق ص 98
14. أبراموف. د. س: الأخلاق المهنية للصحفي: تناقضات التطور، والبحث عن آفاق. موسكو1991
15. غريشين. أ. أ، سوغمانوف. بو. ف: دور الأخلاق المهنية في إدارة التربية الأخلاقية والحقوقية فلاديمير1980
16. أبراموف. د. س: مرجع سابق ص 24
17. أبراموف. د. س: مرجع سابق ص 5 – 6
18. الإنسان والمجتمع في العالم القديم. م. 1998
19. ماركريان آ. س : نظرية الثقافة والعلوم المعاصرة. م 1983 ص 114 ـ 132
20. أبراموف. د. س: مرجع سابق ص 27
21. أغرونوفسكي. أ : الصدام ـ" التفصيلات والأساسي" موسكو1982

22. غريشين. أ. أ :، سوغمانوف. يو. ف : مرجع سابق ص 14ـ 15

23. أبراموف. د. س: مرجع سابق ص 24

24. أبراموف. د. س: مرجع سابق ص 27

25. الأخلاق الماركسية. م : 1980 ص 268

مراجع الفصل الثاني

1. وسائل الاعلام الجماهيري في المجتمع الديمقراطي، موسكو1998 ص 5
2. بيجانوف. ت: الأعمال الإمتحانية في مقرر (الأخلاق المهنية للصحفي)
3. بوخارتسوف. ر. غ: مسائل الأخلاق المهنية للصحفي، 1971، وهناك أيضاً الجعبة الإبداعية للصحفي موسكو1985
4. كازاتوفا. ف. أ: المسائل الإجتماعية للأخلاق المهنية للصحفي، موسكو1975
5. تيبليوك. ف. م: الصحفي ومصادر الأخبار: المسائل الأخلاقية للنشاط الإبداعي للصحفي، م 1957 وهناك أيضاً أخلاق الإبداع الصحفي م. 1980، وهناك أيضاً المسؤولية الإجتماعية للصحفي، م 1984
6. توميلفانوفا. س. أ: الحالات الأخلاقية في النشاط الصحفي المهني، موسكو1992
7. تأسيس روح الإحتكار: حقوق اللعبة الخاصة في مجتمع الصحفيين، تيومين 1995
8. لازوتينا.غ: ماذا يعني الضباب؟ / السلطة الرابعة 1998/ العدد 1 ص 8
9. أبراموف. د. س: مرجع سابق ص 82
10. الكسيف. أ. ن: بعض المسائل للدراسة السوسيولوجية للإتصال الجماهيري (مثال: الصحافة) نوفوسيبرسك 1970
11. أبراموف. د. س: مرجع سابق39
12. لازوتينا. غ: الصحافة والسيول الإعلامية الجماهيرية / الصحفي / 1977، العدد 7 ص 62 ـ 64
13. لازوتينا.غ: مقاييس النص الصحفي / الصحفي 1997، العدد 8 ص 62 ـ 64
14. الأخبار الجديدة، 1998، 7 آب
15. برونيس. ي. ي: الوسائل التعبيرية للصحفي، موسكو 1980
16. زدور فيفا. ف. ي: الموضوعات الإجتماعية ـ طبيعتها ودورها الإجتماعي، الأسس المعرفية والسيوكولوجية، موسكو1970 ص 32
17. برونيس. ي. ب: عوامل النص للتأثير الصحفي 1982

18. ابراموف. د. س: مرجع سابق ص 23
19. ابراموف. د. س: مرجع سابق ص 41 – 42
20. كوميلفانوفا. ي. أ: الحالات الأخلاقية في النشاط الصحفي المهني 1992 م، ص 10
21. بلوتارخ : صور الحياة (تحليل مقارن). ف . م. 1994 المجلد . ص 451
22. ابراموف. د. س: مرجع سابق ص 42 – 43
23. سفيتش. ل. غ: المهنة – الصحفي، موسكو 1996 ص 18
24. لومونوسوف. م. ف: المجموعة الكاملة، ف 10 ت. م. ل 1920 المجلد 3 ص 217 – 231
25. المقتطف من (الحوار – الولايات المتحدة الأمريكية 1991) العدد {47} ص 20
26. من النظام الداخلي لاتحاد الصحفيين في الاتحاد السوفييتي / سابقاً / الصحفي، 1972 العدد 1
27. الصحفي. بحوث روسية – أمريكية – سوسولوجية، موسكو 1998 ص 29
28. مرجع سابق ص 41
29. الصحفي والأخلاق. رأي الصحفيين في مرآة القوانين النافذة المحددة للأخلاق المهنية، موسكو 1995 ص 43 – 44
30. هناك أيضاً ص 44
31. تقرير اتحاد الصحفيين الروس في أوضاعه النقدية لوسائل الإعلام الجماهيري الروسية (1997) السلطة مرآة أم خادمة؟ موسوعة الحياة للصحفيين الروس المعاصرين. ف 2 مجلد 1 ص 45 – 64

مراجع الفصل الثالث

1. شيريابوف. أ. أ : الصحفي في المجتمع الإشتراكي/ بشير جامعة موسكو / الصحافة / 1961 العدد 3. أيضاً الصحفي في الصحف المحلية، الراديو، التلفزيون، موسكو 1972، أيضاً سيفنش. ل. غ، الصحفي وعمله، م. 1979
2. سيفتش. ل. غ: المهنة: صحفي. ص 19
3. ابراموف. س: مرجع سابق ص 38
4. سيفتش. ل. غ: المهنة: صحفي. ص 20
5. بحوث سوسيولوجية لفاعلية الصحافة، م. 1986، بحوث سوسيولوجية للصحافة، الراديو، التلفزيون، م. 1988
6. سيفتش. ل. غ، شيريايف أ. أ :الصحفي وعمله / الصحفي: بحوث سوسيولوجية روسية – أمريكية.
7. دستور روسيا الفيدرالية. البند 23 {حقوق الصحفي}، م. 1979 ص 95
8. حقوق الإنسان: الإعلام العام لحقوق الإنسان، البند 19، هناك أيضاً ص 22
9. توماس. ب: الحياة الخاصة للشخصية السياسية الألمانية وماضيها / الصحفي والأخلاق. م 1995، الإصدار الثالث 24 – 28
10. شارغوردسكيا. أ : الدفاع عن مصدر الأخبار / هناك أيضاً ص37 – 39
11. قوانين الأخلاق المهنية للصحفي/ السلطة، مرأة أم خادمة؟ المجلد 1 ص 203 – 204
12. نيكتينسكي. ل. الأخلاق ص 131

مراجع الفصل الرابع

1. اجيكوف. س. ي: قاموس اللغة الروسية، م 1975 ص 219
2. أريكيسون. ي: الفكر: الشباب والأزمات. م 1996
3. نولستيخ. أ: الكلاسيكي غير المعروف ص 12
4. أريكسون. ي. مرجع سابق ص 101 – 102
5. أريكسون. ي. مرجع سابق ص 106
6. أريكسون. ي. مرجع سابق ص 106
7. الحقوق والأخلاق في عمل الصحفي، يكترينا بورغ 1996 ص 198 – 201
8. أرشيف كلية الإعلام / جامعة موسكو / .
9. أرشيف كلية الإعلام / جامعة موسكو / .
10. خاخلوف. أ: في ضواحي غروزني / كوموسموليسكيا برافدا، 1995، شباط
11. هناك أيضاً
12. هناك أيضاً ص 30
13. هناك أيضاً ص 31 – 52
14. هناك أيضاً ص 57
15. هناك أيضاً ص 58 – 62
16. الحقوق والأخلاق في عمل الصحفي 168 – 199
17. / الصحفي / 1998 العدد 3 ص 42 – 44
18. / الصحفي / 1997 العدد 5 ص 18
19. السلطة، مرآة أم خادمة؟ م. 1998
20. ميترافانوف. س: الإنسان في عصر وسائل الإعلام الجماهيري/ العدد 3 ص 31
21. / الصحفي / 1997 العدد 8 ص 49
22. / الصحفي / 1997 العدد 5 ص 18
23. أرشيف كلية الإعلام جامعة موسكو

مراجع الفصل الخامس

1. القاموس الموسوعي، م 1984 ص 1057
2. القاموس الموسوعي الفلسفي. م. 1983 ص 386
3. القاموس الموسوعي الفلسفي. م. 1983 ص 178
4. ذرالوشينسكي.ي: الصحفي الروسي في عصر الديكتاتورية ص92
5. بروخوروف.ي. ب: مدخل نظرية الصحافة. م. 1998 ص 121- 122
6. بروخوروف.ي. ب: مدخل في نظرية الصحافة. م. 1998ص 121 – 122
7. أبراموف. د. س: مرجع سابق ص 233
8. أبراموف. د. س: مرجع سابق ص 237
9. الحقوق والأخلاق في عمل الصحفي ص 204
10. القاموس الموسوعي، ص 1263
11. القاموس الموسوعي، ص 447
12. برماكوف. يو. أ: التحكم بالفرد: الفكرة، الطرق، العواقب، بكترينابورغ، 1995 ص 142
13. برماكوف. يو. أ: التحكم بالفرد ص 142 – 143
14. برماكوف. يو. أ: التحكم بالفرد ص 143
15. خاروجنكو. ك. م: الثقافة: القاموس الموسوعي، راستوف نادانو، 1997 ص 392.
16. الكسيف. س. ز. س: الحقوق في حياتنا، سفيردلوف، 1975 ، ص27.
17. الحقوق والأخلاق. ص 34 – 35
18. الحقوق والأخلاق. ص 7
19. الحقوق والأخلاق ص 8
20. تروتسكين. بو. ف: حقوق الإنسان. م. 1997 ص 233

21. الصحفي. 1997 العدد 3 ص 40
22. / الصحيفة العامة / 1998 / 25 أيار
23. / الصحفي / 1997 العدد 3 ص 5
24. / الصحفي / 1998 العدد 3 ص 45

مراجع الفصل السادس

1. فيـدوتوف. ل. ن: الإعـلام الجمـاهيري: اسـتراتيجية وتكتيـك الإسـتهلاك. م 1996 ص 4
2. فيدوتوف. ل. ن: ص 120
3. دينيس. أ، ميرل. د. أحاديث عن الماس – ميديا، موسكو 1997، ص 38 – 39
4. يرماكوف. يو. أ: مرجع سابق ص 144
5. يرماكوف. يو. أ: ص 13 – 14
6. / الصحفي / : بحوث سوسيولوجية روسية – أمريكية ص 22 – 23.
7. قانون روسيا الإتحادية عن وسائل الإعلام الجماهيري، البند 38-29.
8. / الصحفي / بحوث سوسيولوجية روسية – أمريكية ص 29
9. / الصحفي / بحوث سوسيولوجية ص 30
10. / الصحفي /، 1996 العدد 11 – 12 ص 10
11. / الصحفي /، 1996 العدد 11
12. الحقوق والأخلاق. ص 111
13. غلوشكوف. ف. م: // عيوب الإدارة // الصحيفة الأدبية، 1970، 6 أيار.
14. / الصحيفة الجديدة / 1998 العدد 22
15. / الصحفي / 1997 العدد 5 ص 20
16. تروشكين. يو. ف: مرجع سابق ص 183 – 184

المصطلحات الإعلامية

الآليـة

في الفرنسية **Mécanisme**

في الإنكليزية **Mechanism**

الآلية شيء مركب من أجزاء محكمة الترتيب، تسمح بنقل الحركة أو بصنع بعض الأشياء، والآلي هو المنسوب إلى الآلة، أيّ ما ينتج منها، كالتطريز الآلي، أو يتم بها، كالحساب الآلي، أو يتحرك معها، كالسلّم الآلي، وقد يطلق الآلي على الرجل الّذي يعمل كالآلة دون رؤية وفكر.

والآلية **Mécanisme** مذهب فلسفي يُقرِّر أنَّ بعض الظواهر الطبيعية، أو كلها، تنحل إلى جملة من العوامل الميكانيكية، وهو مرادف للمذهب المادِّي.

الابستمولوجيا

في الفرنسية **Epistémologie**

في الإنكليزية **Epistemology**

الأبستمولوجيا لفظ مركب من لفظين: أحدهما أبيستما **(Epistemé)** وهو العلم، والآخر لوغوس **(Logos)** وهو النَّظريَّة أو الدراسة، فمعنى الأبستمولوجيا إذن نظريَّة العلوم، أو فلسفة العلوم، أعني دراسة مبادئ العلوم، وفرضياتها، ونتائجها، دراسة انتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي، وقيمتها الموضوعية.

ونحن نفرق بين الأبستمولوجيا ونظرية المعرفة **(connaissance Théoriedela)** وإنْ كانت الأولى مدخلاً ضرورياً للثانية.

ومع ذلك فإنَّ اصطلاح الأبستمولوجيا في الإنكليزية مرادف لاصطلاح نظريَّة المعرفة، أمَّا في اللغة الفرنسية، فهو مختلف عنه، لأنَّ معظم الفلاسفة الفرنسيين لاى يطلقونه إلا على فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي.

الأبيقوري

في الفرنسية Epicurien

في الإنكليزية Epicurean

الأبيقوري هو المنسوب إلى أبيقوروس، ويطلق على أنصار مذهبه، أو على ما يتعلق بهذا المذهب.

والأبيقورية (Epicurisme) مذهب أبيقوروس القائم على إسعاد الذات بلذة معنوية لا يعقبها ألم، وتطلق أيضاً على الصفات الَّتي يتَّصف بها أنصار هذا المذهب.

الأثنوغرافيا

في الفرنسية Ethnographie

في الإنكليزية Ethnography

الأثنوغرافية علم اجتماعي يصف أحوال الشعوب، ويدرس أنماط حياتهم، ومختلف المظاهر المادية لنشاطهم في مؤسساتهم، وتقاليدهم، وعاداتهم، كالمأكل، والمشرب، والملبس، وغيرها.

الإثنولوجيا

في الفرنسية Ethnologie

في الإنكليزية Ethnology

الإثنولوجيا علم اجتماعي يُفسِّر الظواهر الَّتي يصفها علم الإثنوغرافيا، ويدرسها دراسة نظريَّة تسمح بتصنيفها وتعليلها، وقد يطلق اسم الإثنولوجيا في الإنكليزية والألمانية على علم الإنسان (Anthropologie).

الإحساس

في الفرنسية Sensation

في الإنكليزية Sensation

الإحساس ظاهرة نفسية متولدة من تأثُّر إحدى الحواس بمؤثر ما، وله معانٍ مختلفة تابعة لتحليل هذه الظاهرة تحليلاً كلياً أو جزئياً، وهو على كل حال ظاهرة أولية

يتعذر عليك أنْ تظفر بها نقية خالصة مجردة من الشوائب، ولكنك تستطيع أنْ تتقرب منها تقرُّبك من حدٍّ نهائي.

ويمكن أن يُعَدُّ الإحساس ظاهرة مختلطة، أيّ ظاهرة انفعالية وعقلية معاً، فهو انفعالي، لأنَّه عبارة عن تبدُّل في نفس المُدرِك، وهو عقلي لأنَّه يشتمل على معرفة بالشيء الخارجي.

والحس هو القوَّة الَّتي بها تُدرَك الإحساسات، والحواس هي آلات الحس. قال ابن سينا: «الحس إنَّما يحس شيئاً خارجاً، ولا يحس ذاته، ولا آلته، ولا إحساسه» (الشفاء 1-350، النجاة 293-294). والمذهب الحسي (Sensualisme) هو مذهب القائلين إنَّ المعرفة لا تنشأ إلا عن الإحساس.

والحساسية أو قابلية الحس (Sensibilité) تدلُّ على عِدَّة معانٍ:

قُوَّة الحس، وهي بهذا المعنى مقابلة لقوة العقل.

قُوَّة الشعور بالأحوال الانفعالية كاللذات والآلات والميول والهيجانات والإطراء.

الإدراك

في الفرنسية **Perception**

في الإنكليزية **Perception**

الإدراك في اللغة هو اللحاق والوصول، يقال أدرك الشَّيء بلغ وقته وانتهى، وأدرك الولدُ، بلغ. وأدرك الشيء، لحقه، وأدرك المسألة، علمها، وأدرك الشَّيء ببصره، رآه.

1. وللإدراك في الفلسفة العربيَّة عِدَّة معانٍ:

فهو يدلُّ أولاً على حصول صورة الشَّيء عند العقل، سواء كان ذلك الشيء مجرداً أو مادياً، جزئياً أو كلياً، حاضراً أو غائباً، حاصلاً في ذات المدرك أو آلته.

والإدراك عند معظم الفلاسفة إما أن يكون إدراك الجزئي أو إدراك الكلي، وإدراك الجزئي قد يكون بحيث يتوقف على وجوده في الخارج، وهو الحس، أو لا يتوقف، وهو الخيال.

2. أمّا في الفلسفة الحديثة فإنَّ الإدراك يدلُّ أولاً على شعور الشخص بالإحساس أو بجملة من الإحساسات الّتي تنقلها إليه حواسه، أو هو شعور الشخص بالمُؤثِّر الخارجي والرد على هذا المُؤثِّر بصورة موافقة.

وهذا المعنى العام يدلُّ على أن الإدراك يختلف عن الإحساس فالظاهرة النّفسيَّة الّتي تحصل في ذات المُدرِك، عند تأثُّر أعضاء الحس، تشتمل على وجهين أحدهما انفعالي (Affective) والآخر عقلي (Intellectuelle)، فإذا تناول الشعور هذه الظاهرة من ناحيتها الانفعالية سُمِّيت إحساساً، وإذا تناولها من ناحيتها العقلية سُمِّيتْ إدراكاً، فالإدراك والإحساس إذن وجهين مختلفين لظاهرة واحدة.

الأرستقراطية

في الفرنسية **Aristocratie**

في الإنكليزية **Aristocracy**

الأرستقراطية حكومة طبقة اجتماعية مُعيَّنة تمثل أقلية تمتاز على غيرها من الطبقات بثقافتها، أو فضائلها، أو حقها الوراثي.

والأرستقراطية ضدَّ الديمقراطية، لأنَّ الأولى حكومة طبقة محدودة، على حين أنّ الثّانية حكومة الشّعب بالشعب وللشعب. (ر: لفظ الديمقراطية) ويطلق لفظ الأرستقراطية أيضاً على كل طبقة اجتماعية تمتاز على غيرها ببعض الصفات الخاصة، تقول أرستقراطية المال، وأرستقراطية العلم، أو الفن إلخ.

الاستدلال

في الفرنسية **Raisonnement**

في الإنكليزية **Reasoning**

الاستدلال في اللغة العربيَّة طلب الدليل، وفي عرف الأصلويين والمتكلمين: النّظر في الدليل، سواء كان استدلالاً بالعلّة على المعلول، أو بالمعلول على العلّة.

والاستدلال عند بعضهم هو انتقال الذهن من الإثراء إلى المُؤثّر، أو من المُؤثّر إلى الأثر، أو من أحد الأثرين إلى الآخر (تعريفات الجرجاني).

والاستدلال في اصطلاحنا هو تسلسل عِدَّة أحكام مترتبة بعضها على بعض، بحيث يكون الآخر منها متوقفاً على الأوَّل اضطراراً، فكل استدلال إذن انتقال من حكم إلى آخر، لا بل هو فعل ذهني مؤلف من أحكام متتابعة، إذا وصفت لزم عنها بذاتها حكم آخر غيرها. وهذا الحكم الأخير لا يكون صادقاً إلا إذا كانت مقدماته صادقة.

وجملة القول: إنَّ الاستدلال هو استنباط قضية من قضية أو من عِدَّة قضايا أخرى، أو هو حصول التصديق بحكم جديد مختلف عن الأحكام السَّابقة الَّتي لزم عنها. والمعرفة الَّتي تحصل في الذهن بطريقة الاستدلال هي المعرفة غير المباشرة، أمَّا المعرفة الَّتي تحصل في الذهن بطريقة الحدس، فهي المعرفة المباشرة، وتُسمِّي الأوَّل معرفة استدلالية، أو انتقالية أو نظريَّة **discussive Connaissance** والثانية معرفة حدسية (**connaissance intuitive**) (ر: الحدس).

الاستقراء

في الفرنسية **Induction**

في الإنكليزية **Induction**

الاستقراء في اللغة: التتبع، من استقرأ الأمر، إذا تتَّبعه لمعرفة أحواله، وعند المنطقيين هو الحكم على الكلي لثبوت ذلك الحكم في الجزئي، قال الخوارزمي: «الاستقراء هو تعرُّف الشَّيء الكلي بجميع أشخاصه»

والاستقراء قسمان: تام وناقص.

1. أمَّا الاستقراء التام (**Induction compléte**) فيُسمِّيه بعضهم قياساً مقسماً، وهذا الاستقراء التام الحاصر لجميع الجزئيات مبني على القسمة. ويشترط في صدقه أنْ يكون حاصراً لجميع أقسام الكلي، وأن لا يأخذ جزيء مشكوك فيه في أجزاء القسمة.
2. وأما الاستقراء الناقص فهو الحكم على الكلي بما حكم به على بعض جزئياته، وإنَّما قلنا على بعض جزئياته، لأنَّ الحكم لو كان موجوداً في جميع الجزئيات، لم يكن استقراءً ناقصاً بل استقراءً تاماً.

الأسطورة

في الفرنسية Mythe

في الإنكليزية Mythe

الأسطورة في اللغة هي الحديث الَّذي لا أصل له، يقال: إنْ هذا إلا أساطير الأولين.

وللأسطورة عِدَّة معانٍ وهي:

1. الأسطورة قصَّة خيالية ذات أصل شعبي تُمَثِّل فيها قوى الطبيعة بأشخاص يكون لأفعالهم ومغامراتهم معانٍ رمزية، كالأساطير اليونانية الَّتي تُغيِّر حدوث ظواهر الكون والطبيعة بتأثير آلهة مُتعدِّدة.
2. الأسطورة هي القصَّة الشعرية أو الروائية الَّتي تُعبِّر عن أحد المذاهب الفلسفية بأسلوب رمزي يختلط فيه الوهم بالحقيقة، كأسطورة الكهف في جمهورية أفلاطون (ر: لفظ الكهف).
3. وتطلق الأسطورة أيضاً على صورة المستقبل الوهمي الَّذي يُعبِّر عن عواطف النَّاس وينفع في حملهم على إدامة الفعل.

وقصارى القول: إنَّ الأساطير تتضمن وصفاً لأفعال الآلهة، أو للحوادث الخارقة، وهي تختلف باختلاف الأمم، فلكل أمة أساطيرها، ولكل شعب خرافاته الموضوعة للتعليم أو التسلية، وقد قيل: إنَّ الأسطورة هي التعبير عن الحقيقة بلغة الرمز والمجاز.

الاسمية

في الفرنسية Nominalisme

في الإنكلزية Nominalism

الاسمية هي المذهب الَّذي يُرجع المعاني العامة إلى الأسماء، وله صورتان: الاسمية القديمة، والاسمية الحديثة.

أمّا الاسمية القديمة فهي مذهب (روسلن)، و(غليوم أوكام) و(هوبس)، و(كوندياك) الَّذين أنكروا وجود الكليات، وأرجعوها إلى مجرد أسماء، أو صور، أو إشارات.

وأما الاسمية الحديثة فهي القول: إنَّ المعاني الكلية ليست سوى أدوات عمل نافعة تختلف باختلاف الحاجات، وإنَّ العمل ليس سوى لغة جيدة الوضع، وهو لا يبحث عن الأشياء نفسها، بل يبحث في أسمائها، وكذلك القوانين والنظريات العلمية، فهي اصطلاحات موافقة، وهي، وإنْ كانت ضرورة للنجاح العلمي، إلا أنها لا تعبِّر عن حقائق الأشياء.

أصل العائلة والملكية الخاصَّة والدولة

أحد المؤلفات الأساسية في الماركسية، كتبه انجلس عام **1884**، في هذا العمل، حلَّل انجلس تاريخ البشريَّة في المراحل الأولى من تطورها تحليلاً علمياً، وكشف عمليَّة تفسُّخ النِّظام المشاعي البدائي، ونشوء المجتمع الطبقي القائم على الملكيَّة الخاصة، وبيَّن سمات هذا المجتمع المُميِّزة العامة، وأوضح خصائص تطور العلاقات العائلية في مختلف التشكيلات الاجتماعيَّة الاقتصادية، وأوضح أصل الدَّولة وجوهرها، وبرهن حتمية اضمحلالها التاريخية عند انتصار المجتمع الشيوعي اللاطبقي انتصاراً نهائياً.

الاعتقاد

في الفرنسية **Groyance**

في الإنكليزية **Belief**

الاعتقاد في المشهور هو الحكم الذهني الجازم، القابل للتشكيك، بخلاف اليقين، وقيل: هو إثبات لاشيء بنفسه، أو هو التصور مع الحكم. ويطلق الاعتقاد في اصطلاح (كانط) ومدرسته على كل تصديق تام لا يقبل التشكيك من دون أن يكون له بالضرورة صفة عقلية أو منطقية. إنَّ الحكم يتضمن الاعتقاد، وهو تصديق مطلق لا يشترط فيه أن يكون مستنداً، أو غير مستند إلى حجج منطقية، فإذا استند إلى هذه الحجج أصبح علماً، لا اعتقاداً.

الأفلاطونية المحدثة

اتِّجاه فلسفي صوفي، شاع في القرون الميلادية 3-6، في مرحلة انحطاط الإمبراطوية الرومانية وتفسُّخ المجتمع العبودي. وكان أفلوطين وفرفوريوس وبرقلس من أبرز أعلامها. وقد انطلق أنصار هذا الاتّجاه من مذهب أفلاطون في المثل بوصفها ماهيات للأشياء الحسية، وقد أرجعوا منبع الموجودات كلها إلى «الواحد» كوجود أسمى، هو «الخير» في آن واحد، وعن هذه الماهية الآلهية يصدر (يفيض) العقل المحسوس، الَّذي هو بمثابة الأوهام والخيالات.

الانعكاس

صفة عامة للمادة، تتجلَّى في قدرة الأجسام المادية عبر التغيُّرات الذاتية، على تَمَثُّل خصوصيات الأجسام المتفاعلة معها. وتبعاً لدرجة تعقد وتنظيم الموضوعات المتفاعلة يتجلى الانعكاس بصورة مختلفة، إنَّ الإنسان لا يعكس العالم فقط، بل ويخلقه إلى حد ما، ويقيم عالماً ثانياً، مثالياً، عالم الثقافة الروحية، وهكذا فإنَّ وعي الإنسان هو أرفع أشكال الانعكاس وأكثرها تعقيداً.

اجتماعيات السياسة

Sociologie politique
Political socicology

السياسة فن وعلم معاً، فعلم السياسة (**politologie**) يعتمد على درس فنونها وأصولها وأهدافها كما يمارسها السياسيون (أفراد ، أحزاب ، مؤسسات، دول الخ). ولذا لم يعد فن السياسة من الأمور المستعصية على الفهم العلمي.

تسعى اجتماعات السياسة (التدبير. الفارابي) الى درس علم الدولة أو علم السلطة بوصفهما من العلوم الاجتماعية ، وذلك على قدر إنتاج المجتمع لسلطان الدولة (**autorile**)، وعلى قدر تأثير هذا السلطان في تدبير السلطات ما دون الدولة – المجتمعات ومؤسساتها كافة أي أن الدرس الاجتماعي لعلم لسياسة يتم بمقتضى المنهجية التاريخية الرامية الى الإحاطة بتاريخية الوقائع السياسية، وبمقتضى المنهجية القائمة على المقارنات الصحفية: وصف المؤسسات السياسية والبحث عن معناها

الاجتماعي، والربط بين علم الاجتماع السياسي وعلم الممارسات السياسية (praxeolologie politique) مثل الحياة السياسية وعلم الاجتماع الانتخابي، الخ.

احتكار (احتكارات)

monopoly،Monopole (s)

الاحتكارات هي منشآت كبرى (شركات أو جمعيات واتحادات) تتمركز بين أيديها كمية كبيرة من الإنتاج أو تتحكم بتصريف بعض السلع، بغية تحقيق فائض الربح الاحتكاري. وتحديد السعر الاحتكاري هو أحد السبل لفرض الاحتكار على السوق. ويعتبر ظهور الاحتكارات حصيلة منطقية لتمركز الإنتاج والرأسمال، لكن فرض الهيمنة الاحتكارية الكبرى للرأسمالية الاحتكارية (الإمبريالية).

يجري التفريق بين:

احتكارات متعددة الجنسية:- monopoles - multinationaux.

واحتكارات عابرة للجنسيات: transnationaux monopoles.

اختبار

experiment، experience،Experience

يدل على لقاء العقل وواقع خارجي يغنيه بتقديم معلومة له. أو بتكوينه تكويناً معيناً.

أ- يعني الاختبار المشاركة مشاركة المختبر لا مجرد شهادته. فالمختبر يعاني الاختبار بوصفه كيفية حياتية، طريقة لعيش الوجود بكليته، والوجوديون جعلوا البحث موضوعية تأملية من موضوعاتهم الرئيسة.

ب- يعرف سورين كير كجارد المرحلة الجمالية بأنها: حياة مفعمة بالبحث عن التجارب والاختبارات. فالتمتع بالوجود معناه أن تكون دائماً على صارية الارتقاء المتميز. وكل اختبار حسن. شرط ألا يرتهن المختبر لأي اختبار – ومثاله إن الغوي يملأ وجوده بمغامرات متكاثرة، لكنه لا يتعلق بأية مغامرة منها.

ج- يلاحظ كير جارد أن جمع الاختبارات النادرة. الذي يميز المرحلة الجمالية يتم التخلي عنه مع المشروع في تعميق تصور الوجود في المرحلة الأخلاقية.

د- فلسفياً: تثار مسألة الاختبار على صعيد السجال التنازعي بين التجريبية والعقلانية (سقراط، هيوم وكانط). وهذا مغزى بحث باشلار في كل مؤلفاته عن تسوية بين العقلانية والتجريبية أسماها العقلانية المطبقة: (appliqué le rationalisme) فهل ينبغي اعتبار الاختبار أساساً أم مسألة؟ تجد التجريبية في الاختبار أصل معارفنا كلها، وترى أن مصدر أخطائنا هو كيفية تنظيم مقومات اختباراتنا لنجعلها علماً. أما العقلانية فترى أن الاختبار لا يعلمنا شيئاً. لأنه هو ذاته بحاجة إلى تفسير، والتفسير يعني تخطي الظواهر. وترى أن مسألة التجريب تكمن في كيفية كشف معنى الاختبار.

يجري تفريق بين الاختبار الميداني والاختبار المخبري:

- يتميز الأول بصعوبة ضبط كل المتغيرات المدروسة لكنه يوفر مضموناً أغنى من الاختبار المخبري.
- يوفر الثاني تحققاً وتدقيقاً أكثر صرامة من الأول. لكن الاختبارين الميداني والمخبري متكاملان، ويضاف إليهما الاختبار الاجتماعي العلمي المتميز بخاصة جوهرية هي تفاعل الناظر/ المنظور إليه عملية النظر(observation).

أخلاق

ethics ،morality ،morale

تدل في المعنى العام على العادات و الأعراف المميزة لحضارة. لشعب أو لفرد. وتدل في المعنى الفلسفي الدقيق على التفكر المنهجي في معايير العمل الإنساني. ومثال ذلك أننا عندما نتكلم عن أخلاق ما إنما، ننتقل من وصف الأفعال إلى تعاليمها، ومن الواقعة إلى قانونها. إلا أن الفعل الأخلاقي يتميز من الفعل الطبيعي. بأنه يعبر عن قيمة.

1. يمكن التساؤل عن أصل الأخلاق و أساسها. وفي هذا السياق، يرى فرويد أنه مرتبط بتكون الأنا الأعلى وصادر عن عقدة أوديب، لأن الطفل المتماهي مع الأب، يستبطن المحرمات و لواجبات التي يفرضها الأب عليه.

2. وإذا ذهب البعض إلى حد إنكار أي أساس صحيح للأخلاق أو ذهبوا إلى تبرير ريبيتهم بتعدد المواقف الأخلاقية عبر الزمان والمكان،فإن الإنسان مكره بحكم حياته ذاتها (وهذه واقعة عالمية) على التأمل في وجوده وإعطائه معنى ما.

- غاية الأخلاق الجواب عن سؤال ينبثق بكيفيةٍ ملموسةٍ من صميم حياتنا اليومية، ماذا يتوجب علينا أن نفعل؟ وهل ثمة نظامٌ أفضل من نضامٍ آخر؟ كان جواب الفلسفات المعاصرة، لا سيما الوجودية، نقد الأخلاقيات المتنطعة. الغيبية أو الدينية، ورفض التسليم بنظامٍ قيمي جاهز متعالٍ على الإنسان وسابقٍ لوجوده. وإذا كان ثمة أخلاق فإن مردها إلى قبول الإنسان الشامل للحرية المنحصرة في اختيار الأفعال وابتداعها.

إدارة

e،f Administration

Voirmanagement 54

تصنف الدراسات المتخصصة في الإدارة، في ثلاثة أصناف:

❖إدارة استبدادية.

❖إدارة تشاركية 'ديمقراطية'.

❖إدارة حرة.

يلاحظ أن هذه الدراسات لا تهتم كفاية بأهداف الأفراد وبالخطط التي تعتمد لبلوغها.

تتوقف حياة الإدارة واستمراريتها على دوافع أفرادها: دوافع إيجابية 'أجور المستخدمين، مكافأتهم، ترقياتهم' ودوافع سلبية' مساهمات المستخدمين في تسيير الإدارة'، إذ أن إخلاص المستخدمين وولائهم للإدارة مشروطان بتقدم المكافآت على المساهمات أو بتوازنها وفقاً لمنظومة مرجعية متكافئة بين الإدارة ومستخدميها.

البراغماتية

في الفرنسية **Pragmatisme**

في الإنكليزية **Pragmatism**

البراغماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني براغما (**Pragma**)، ومعناه العمل، وهو مذهب فلسفي يُقرِّر أنَّ العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أيّ الفكرة الّتي تحققها التجربة، فكل ما يتحقّق بالفعل فهو حقٌّ، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العمليَّة.

من أبرز أعلام هذا المذهب: بيرس، جيمس، ديوي، برغسون، بلوندل وآخرون.

البراكسيس

في الفرنسية **Praxis**

البراكسيس لفظ مشتق من اليونانية، ومعناه العمل أو الممارسة، ويطلق على النشاط الفيزيولوجي، أو النفسي، المؤدي إلى حصول بعض النتائج، وضده المعرفة أو النّظر. ويدل عند الماركسيين على مجموع النشاطات الّتي تهدف إلى تبديل النّظام الاجتماعي، كقول (انجلس): «لقد آن للفلسفة أنْ تعمل على تبديل العالم، لا أنْ تقتصر على تفسيره وتأويله».

البيرونية

في الفرنسية **Pyrrhonisme**

في الإنكليزية **Pyrrhonism**

البيرونية مذهب الفيلسوف اليوناني بيرون (**Pyrrhon**) الّذي عاش في القرن الرَّابع ق.م وهو مذهب رَيْبيّ مطلق ينكر وجود الحقيقة، وقد أرجع (آغريبا) أسباب الرِّيبيَّة البيرونية إلى خمسة، وهي:

1. تناقض أحكام العقل.
2. نسبية المعرفة.
3. تسلسل البراهين تسلسلاً لا نهاية له.

4. عجز العقل عن إثبات شرعية قوانينه.
5. الدور الفاسد - وهو أنَّ العقل كثيراً ما يبرهن عن الشَّيء بشيء آخر لا يمكن البرهان عليه إلا بالأول.

بعدي: (قبلي)

A Posteriori (F.E)
e) ،A Priori (f

- يقال (قبلي) في وصف ما يسلم به قبل أي اختبار، وبالاعتماد على أحكام الرشد (العقل المحض) ووحدة التصورات القبلية في فلسفة كانط (1) هي صور المكان والزمان، الكليات أو المقولات التي تستعمل كإطار للاستدلال.
- ويقال (بعدي) للتدليل على المعارف المستفادة من الاختبار، إذ أن الاستدلال البعدي يستند إلى الوقائع ويستخلص منها.

بنية تحتية:- بنى فوقية

Substructure ،lnfpastructure

overstructures ،supenstructures

تدل البنية التحتية (الخفيضة، ج. خفائض). على البناء الاقتصادي للمجتمع/ أو التكون الاجتماعي. تقابلها البنى الفوقية/ النهائض، من نهيضة). وهي الهيئات القانونية - السياسية، جهاز الدولة والفكروية الأيديولوجيا). للوهلة الأولى 'يبدو أن مصطلح البنية التحتية جعل من الاقتصاد أساس الظواهر الاجتماعية الأخرى، غير الاقتصادية، الموقع الذي تصدر أسبابها عنه. والحقيقة أن أعمال ماركس/ إنجلز لا تتضمن تصوراً كهذا، لأن البنى الفوقية هي بدورها شروط لوجود البنية التحتية واستمرارها فبدون جهاز الدولة وبدون الفكرويات البورجوازية، لا يمكن أن يتجدد إنتاج القاعدة الاقتصادية للتشكيل الاجتماعي الرأسمالي، لأن صراع الطبقات يكون قد بلغ ذروته. ومعنى ذلك أن علاقة البنى مع بعضها ليست آلية (سببية أحادية من جانب البنية التحتية باتجاه البنى الفوقية، وإنما هي علاقة تركيبية البقاء المتبادل هو الذي يكفل ديمومة البناء برمته).

والحال، فإن البنية التحتية هي مجمل القطاعات الإنتاجية وغير الإنتاجية في الاقتصاد القومي، من طرقات وقنوات ومطارات ومحطات كهربائية ومخزونات ومستودعات ومواصلات، ومن تعليم عام ومهني، ورعاية الصحة العامة، الخ.

هذا، وترتبط الخفيضة الإنتاجية بالإنتاج المادي مباشرة، المواصلات، الاتصالات، المستودعات، التموين المادي والتقني، شبكات توزيع الكهرباء والحرارة، شبكات المياه والغاز، النقل الصناعي، أعمال الهندسة المدنية، مراكز المحاسبة، أجهزة التسيير الآلي أما الخفيضة غير المتعلقة بالإنتاج المباشر فتشمل الخدمات التي توفر الشروط العامة لمناشط الإنسانية (حماية الصحة، الأجهزة التربوية، هيئات الترفيه والتسلية والسياحة، الخ).

بنيوية

structuralism ،structuralisme

تنطلق البنيوية من اعتبار الأشياء منبنية وقابلة للتحليل فهل البنيوية عقيدة (قراءة فكروية للبنى) أم هي منهجية (قراءة تحليلية ذات مضمون علمي).

- إن البنيوية، كعقيدة أو مذهب، هي تعبير عن ثقافة مجتمع ما، وانعكاس لأحواله، ومرآة يسترجع صورته الخاصة من خلالها.
- لكن البنيوية، كمنهجية، هي جملة السيرورات الباحثة عن معرفة، وهي طريقة رائجة يعتمدها كل من ينوي إنتاج خطاب مبني علمياً.

في وجهيها هذين، تقدم البنيوية قراءتين متكاملتين.

البنيوية هي المذهب القائل بالبنية كأساس للنظر والتحليل العلميين، ومع ذلك فهي ليست حركة فكرية متماسكة على الرغم مما لاقت من نجاح كبير في عصرنا، جعلها تبدو كأنها ذات وحدة حقيقية.

تتحدد البنية (Structure) بالعلاقات التي توحد الأطراف وتمنحها قيمة وضعية. وتستمد البنيوية جذورها، كتيار نظري معاصر، من الثورة اللسانية (ف. دي سوسير، و ن. تروبتز كوي). فالمقصود هنا ليس نقل طرائق مثمرة من حقل مبحثي (اللغة) إلى حقل آخر (المجتمع) وحسب، بل المقصود أكثر؟ من ذلك بكثير

الاعتراف بأن الظواهر التي يدرسها الإجتماعي والإناسي والمحلل النفساني هي ذاتها ظواهر لغوية.

إن الراتوب (Ordre) البنيوي المنتج للمعنى والمعنى لا ينتسب بذاته إلى أي علم، يوجد "معنى المعنى" وهو راتوب لا واع اللاوعي لا صلة له بالمتخيل الفردي أو الجمعي.

يوضح لفي - شتروس (س): "أن ما نسعى للبحث عنه، داخل مجتمع محصور في عدد معين من الترتيبات البنيوية المتداخلة أو المتشابكة، هي الوسائل الآيلة إلى استرجاع أنواع من الاختلالات التي تفسر لماذا يمكن لمجتمع ما أن يتحرك بكل كيفية، حتى وإن كان في منأى عن التأثيرات الخارجية".

في اللسانة الحديثة، تدل البنيوية على أن كل لسان يعتبر نسقاً، لا قيمة لكل عامل من عوامل إلا بمعادلاته وتعارضاته التي تصله بعناصر النسق الأخرى ويفرق بين مدرستين.

أ- البنيوية الأوروبية:

(ف. دي. سوسير). اللسان والكلام، التعاقب والتساوق). اللسان هو الوجه الاجتماعي للملكة اللغوية، والكلام هو وجهها الفردي. الدرس التعاقبي للسان معين هو وصف تطوره التاريخي عبر الزمن أما الدرس التساوقي فهو وصف حالة لسان معينة في حقبة محددة.

وتعتبر اللغة نسق أصوات متناغمة وعلامات أو رموزاً لأفكارنا، خاصة الأفكار العامة والشاملة.

أخيراً، يعتبر اللسان نسقاً بسبب علاقاته التعاكسية وترابطها.

ب- البنيوية الأميركية وتمتاز بالتوزيعية.

التـأليـه

في الفرنسية **Déisme, Théisme**

في الإنكليزية **Deism, Theism**

التأليه مشتق من لفظ (Deus) ومعناه الإله، وهو المذهب الَّذي يثبت وجود الله، وينقسم إلى تأليه طبيعي وتأليه ديني. أمَّا التأليه الطبيعي فإنه، وإن أثبت وجود الله بالأدلة العقلية الطبيعية، إلا أنَّه يرفض التسليم بالوحي، والتغلغل في معرفة صفات الله وعنايته. وأما التأليه الديني، فإنه يثبت وجود إله واحد متعالٍ، ويعتمد على العقل والنقل في تحديد صفاته وأفعاله. ومذهب التأليه، طبيعياً كان أم دينياً، نقيض مذهب الإلحاد الَّذي يقوم على إنكار وجود الله.

الترنسندنتي والترانسندنتالي

مشتقان من اللاتينية (Transcendere) يعنيان تجاوز، تعدِّي، ظهر المصطلح نفسه في القرن السادس عشر، ويدل على أعم خصائص الوجود (الواحد، الحق، الخير...) وكانت هذه الصفات تُعَدُّ عند المدرسين، متعالية على الحس، فتتعذر معرفتها بالتجربة، ولا تتكشف للإنسان إلا عبر الحدس، وفيما بعد انتقد الكثير من فلاسفة العصر الحديث (هوبز، سبينوزا...) القول بالترانسندنتاليات، ونوَّهوا بعقمها، ثُمَّ جاء كانط فضمَّن مصطلح «الترانسندنتالي»، مدلولاً جديداً. فهو يرى أنَّ هذا المفهوم لا يصحُّ على الوجود، على العالم الخارجي، وإنَّما على وعي الإنسان، على قدرته المعرفية. فالوعي الترانسندنتالي وعي بحت، متساوٍ لدى كافَّة الناس، وهو ينطوي على أشكال قبلية (سابقة على التجربة ومستقلة عنها)، مثل المكان والزمان، فطرية في الوعي، هي الَّتي تجعل التجربة، والمعرفة عامة، أمراً ممكناً.

التَّطوُّر (مذهب)

في الفرنسية **Évolutionnisme**

في الإنكليزية **Evolutionnism**

طوَّر الشَّيء، نقله من طور إلى طور، وتطوَّر الشَّيء أيّ انتقل من طَوْر إلى طَوْر، واشتقوا من فعل طوَّر اسم التطوير ومن فعل تطوُّر اسم التَّطوُّر.

ومذهب التطور، مذهب قديم ترجع جذوره التاريخية إلى الفلسفة اليونانية (امبدقلوس، أرسطو)، والفلسفة العربيَّة (أخوان الصفا، ابن خلدون) غير أنَّه لم يصبح

مذهباً علمياً إلا في العصور الأخيرة، يوم أخذ العلماء يُعلّلون نشوء الأنواع الحية بقانون تنازع البقاء، وقانون الانتخاب الطبيعي (داروين)، أو يرجعون تبدُّلها التّدريجيّ البطيء إلى تأثير البيئة والوراثة (لامارك)، أو يجعلون التَّطوُّر قانوناً كلياً محيطاً بكل شيء، وهو التنوع المصحوب بكل شيء (سبنسر). وضد التَّطوُّر، التّكوُّر وهو التضام، والتقبض، والتقلص، والتَّراجع.

تأميم

nationalization Nationalisation

- هو انتقال منشآت وفروع إنتاجية من الملكية الخاصة (ملكية الرأسماليين أو الهيئات الرأسمالية) إلى ملكية الدولة البورجوازية بوصفها رأسمالية جماعية. يزيد التأميم من تدخل الدولة في تجديد الإنتاج الرأسمالي، لصالح الرأسمال الاحتكاري الوطني ظاهرياً يفرق بين تأميم الأرض، تأميم رأسمالي وتأميم اشتراكي.

تاريخ (فلسفة الـ)

(Histoire) Philosophie de I
Philosophy of Histopy

- فلسفة التاريخ هي تأمل في التاريخ، في الصيرورات الاجتماعية وفي طبيعة الناس. تعتبر فلسفة التاريخ جزءا من مجادلات العلوم الإنسانية، ومن تصورها المتجدد للعالم.

1. فلسفة التاريخ الحديثة هي تأمل في التواريخ، وهي في الوقت عينه تفكر في الحوادث.

فالحدث هو مادة التاريخ بالذات ، المادة التي تتضمن القول بأن الصيرورة لا تنضب بزوال الحدث، بل تتجدد وتنبعث منه. إذن، الحدث هو حجر الأساس الذي يفصل بين شتى فلسفات التاريخ، وهو الحد الراسخ لكل طابع علمي للتاريخ - مكان الحدوث والفرادة.

يرى لفي - شتروس، أن التاريخ المروي هو الأغنى في المعلومات والأفقر في التفسيرات. زد على ذلك أن الحدث هو مكان الفعل والاختبار الجماهيري الذي يطيح دائما بالأفكار الموروثة ويقلبها.

2. يتواجه تياران في فلسفات التاريخ الحديثة تيار يمثله ماكس فيبر وريمون آرون، ويكافح القول بكلية الظاهرة التاريخية، منادياً بتعاون المؤرخين وعلماء الاجتماع' نظراً لأن إعادة جمع التواريخ المختلفة يتعلق باستقلالية أو بتراتبية مختلف العلوم الإنسانية، وتيار ثان ماركسي، يشدد على ضرورة فهم المجتمع ككل، فيرتب الظواهر الإجتماعية طبقياً، ويعزو لبعضها القدرة على تعيين بعضها الآخر، دون السقوط في تصور إناسي (أ نثروبولوجي) للتاريخ.

تاريخ صورتنا

Histoire oe notre IMAGE
History of our image

- هو تاريخ نسقنا المرجعي الذي يؤسسه أندريه فيرل على ثلاث مراحل تظه من خلال تصورات المكان والزمان (يمكننا التنبه إلى علاقة الصورة بالصيرورة وبالتصور).

1. في النشوء الأحيائي (البيولوجي).
2. في التاريخ الإنساني.
3. في تاريخ الفرد ذاته.

والمراحل الثلاث لتاريخ صورة الإنسان هي مرحلة النشوء الكوني **cosmogenique Phase**.

مرحلة الفصام الكوني **Phase schisogenique**.

مرحلة النشوء الذاتي **Phase autogenque**.

تاريخانيـة

Historisme (ou Historicisme)
Historicism

موقف قوامه جعل التاريخ الأساس التفسيري الكبير بمعنى أن التاريخانية مذهب يسعى إلى الإحاطة بالوقائع الإنسانية من خلال ظروفها التاريخية. فالتاريخانية أو التاريخية (nlstorpsme) هي أكثر من طريقة منهجية، لأنها تفترض عقيدة كامنة أو صريحة، تقول بأن الحقيقة لا يمكنها إلا أن تكون متناسبة والظروف (الفترة، المساق الثقافي). المحيطة بصياغتها، والتي لها طابع ظَرفي.

1. مصدر التاريخانية عند هيجل هو اعتباره أن كل تجليات حياة شعب من الشعوب (مؤسسات سياسية، دين، فن، فلسفة، حقوق، الخ) إنما تعبر عن روح هذا الشعب في فترة من فترات صيرورته (روح – معنى).
2. يرى أنطونيو غرامشي (A Gramscl) أن العلوم ذاتها هي أصناف تاريخية)" وأن التورخة عالمية وجذرية.
3. يعتبر سارتر تاريخانياً في كتابه نقد العقل الجدلي حيث يقول إن الفلسفات الكبرى "لا مفر منها طالما أن الفترة التاريخية التي تعبر عنها لم يتم تخطيها بعد".

التفلسف الكاذب

في الفرنسية **Philodoxie**

في الإنكليزية **Philodoxy**

التفلسف الكاذب اصطلاح وضعه كانط للدلالة على الميل إلى إثارة المشكلات الفلسفية من دون أن يكون هذا الميل مصحوباً بإرادة الوصول إلى حلول علمية مقبولة، وهذا أمر لا يليق بالعلماء لأن قصدهم معرفة الحق، لا إثارة المشكلات دون إيجاد حلٍّ لها.

التَّقمُّص

في الفرنسية **Réincarnation**

في الإنكليزية **Reincarnation**

تقمَّص في اللغة لبس القميص، وتقمَّص غيره، قلَّده، وحاكاه في سلوكه وهيئته.

والتقمُّص عند بعضهم هو انتقال الروح من جسد إلى آخر، والتقمُّص الوجداني في علم الجمال هو اندماج الشخص في عمل فني أو منظر طبيعي.

التكنولوجيا

في الفرنسية **Technologie**

في الإنكليزية **Technology**

التكنولوجيا علم التقنيات، وهو يدرس الطرائق التقنية من جهة ما هي مشتملة على مبادئ عامة، أو من جهة ما هي متناسبة مع تطور الحضارة.

التلفيق

في الفرنسية **Syncrétisme**

في الإنكليزية **Syncretism**

التلفيق هو أن تجمع بتحكم بين المعاني والآراء المختلفة حتَّى تؤلف منها مذهباً واحداً. ومذهب التلفيق مقابل لمذهب التوفيق. لَمَّا ظهرت نزعة التلفيق في العصور الأولى بين القرن الثَّاني والرابع للميلاد ذهب أصحابها إلى أنَّ جميع الديانات المقابلة للمسيحية تشترك في دعوتها إلى عبادة إله واحد كإيزيس أو ميترا أو الشمس أو غيرها، ثُمَّ ألف فرفوريوس وجامبليك من هذه النزعة نظريَّة فلسفية خاصَّة.

التَّناقض

في الفرنسية **Contradiction**

في الإنكليزية **Contradiction**

نَقَضَ الشَّيء أفسده بعد إحكامه، ونقض اليمين أو العهد نكثه، ونقض ما أبرمه فلان أبطله، وناقض غيره: خالفه وعارضه.

والتنــاقض في اصــطلاح الفلاســفة هــو اخــتلاف تــصوُّرَيْن أو قــضيَّتَيْن بالإيجـاب والـسلب. مثـل قولنـا (ب) و(لا -ب)، أو قولنـا (ب) صـادقة و(ب) غير صادقة أيّ كاذبة.

تجرلية (مركنتيلية)

Mercantilisme ،MercanBitism

- الإتجاريـة أو المركنتيليـة اتجـاه في الاقتـصاد الـسياسي البورجـوازي وفي الـسياسة الاقتصادية للدولة في عصر التراكم الأولي للرأسمال (ما بين القرن الخامس عشر والقرن الثامن عشر)، الدولة المعبرة عن مصالح الرأسمال التجاري قبل انفـصاله عن الرأسمال الصناعي.

كـان المركنتيليـون يعتـبرون أن الـربح يتحقـق في مجـالات التـداول، وأن المـال يشكل ثروة الأمة.

ولهذه الغاية كانت التجرلية ترمـي إلى اجتـذاب أكـبر قـدر ممكـن مـن الـذهب والفضة إلى بلدانها.

وكـان التجرليـون (المركنتبيبـون) الأوائـل (سـتافورد وأمثالـه) يطـالبون بحظـر أي تصدير للعملة، ويقولون بتصدير السلع مقابل تخزين الأمـوال داخـل البلـد بكـل الوسائل الممكنـة. غـير أن تقـدم الأشـكال الاقتـصادية الرأسماليـة واتـساع التجـارة الخارجية أسقطا هذا المذهب النقدي، فحلـت سياسـة الميـزان التجـاري محـل سياسـة الميزان النقدي الفائض.

التوماوية والتوماوية الجديدة

مـذهبان فلـسفيان في الكاثوليكيـة، يقومـان علـى آراء تومـا الأكـويني، والتوماويـة هـي الـصرح الفلـسفي الَّـذي بنـاه الاكـويني وأتباعـه مـن مفكـري العصر الوسيط، والَّذي كان يهدف إلى إثبات عقائد الديانـة المـسيحية، وتـشتغل فكرة التوفيق بين العقل البشري والإيمان الديني مكانة محورية في التوماوية، فقـد كان توما الاكـويني يـذهب إلى أنَّ الديانـة المـسيحية تـشتمل علـى عقائـد يمكـن البرهان عليها عقلياً.

التيوقراطيـة

في الفرنسية **Théocratie**

في الإنلكيزية **Theocracy**

التيوقراطية لفظ يوناني مركب من لفظين، أحـدهما (تيـوس) ومعنـاه الله، والآخر (كراتوس) ومعناه القُوَّة أو السلطان، ويطلق على كل نظام سياسي مبني على سلطان إلهي تُمثِّله السُّلطة الروحية. وهـو يفـرض عـدم التمييـز بـين هـذه السُّلطة والسُّلطة الزمنية.

الثنوية والاثنينية

في الفرنسية **Dualisme, Dualité**

في الإنكليزية **Dualism, Duality**

الثنوية فرقة تقول بإلهين اثنين: إله الخير، وإله الشر، قالوا إنَّا نجـد في العـالم خيراً وشراً، والواحد لا يكون خيراً وشراً بالضرورة، فكل من الخير والشر فاعـل إذن على حدة، وفاعل الخير هو النور، وفاعل الشَّرّ هو الظلمة، والأثنينية هي كَوْن الطبيعة ذات وحدتين، أو هي كون الشَّيء الواحد مشتملاً علـى حـدَّيْن متقـابلين ومتطابقين، كتقابل الفكر والعمل في الحالات الثلاث الَّتي يتألَّف منها قانون التَّطوُّر الإنساني عند أوغست كومت.

الثورة المجيدة

أُطلق اسم «الثورة المجيدة» في علم التَّاريخ البرجوازي البريطاني على الانقـلاب الحكومي الَّذي وقـع في عـام 1688 وأدَّى إلى الإطاحـة بـسلالة سـتيوارت في إنجلـترا وإقامة نظاماً ملكيـاً دسـتورياً (1689) برئاسـة وليـام أورانـج، قائمـاً علـى المـساومة بين الأرستقراطيين مالكي الأراضي والبرجوازية الكبيرة.

الجبرية

في الفرنسية **Fatalisme**

في الإنكليزية **Fatalism**

الجبرية مذهب مَنْ يرى أنَّ إرادة الإنسان العاقلة عاجزة عن توجيه مجرى الحوادث، وأنَّ كل ما يحدث للإنسان قد قُدِّر عليه أزلاً، فهو مُسيَّر لا مُخيَّر. ويطلق لفظ الجبرية أيضاً على معتنقي هذا المذهب، وإذا ذكرت الجبرية مع القدرية جاز تحريكها للازدواج.

الجدال

في الفرنسية **Éristique**

في الإنكليزية **Eristic**

الجدال هو المراء المتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، وقوامه استعمال الاستدلالات المموهة، والحجج السفسطائية، وأهم المدارس الَّتي اشتهرت بفن الجدال، عند اليونانيين، مدرسة الميغاريين.

الجدل

في الفرنسية **Dialectique**

في الإنكليزية **Dialectic**

وأصله في اليونانية **Dialektiké**

جَدَلَ جدلاً، اشتدت خصومته، وجادله مجادلة وجدالاً ناقشه وخاصمه. والجدل في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من مقدمات مشهورة، أو مسلمة، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام مَنْ هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. والجدل في الأصل من الحوار والمناقشة، قال أفلاطون: «الجدلي هو الَّذي يحس السؤال والجواب». والجدل هو طريقة الفكر الَّذي يعرف ذاته، ويعبر عن موقفه بتأليف حكم مركب جامع بين الأحكام المتناقضة، والجدلي أخيراً هو الحركي، أو التقدمي، أو التطوري.

الجشطلطية

في الفرنسية **Gestaltisme**

في الإنكليزية **Gestaltism**

الجشطلت (Gestalt) لفظ ألماني معناه الشكل أو الصورة، ومعنى الصُّورة هنا الصُّورة الخارجية من جهة، والبنية الباطنية والتنظيم الداخلي من جهة ثانية.

والجشطلطية نظريَّة الأشكال والصور (كوهلر، وفرتهايمر، وكوفكا) وهي في الأصل نظريَّة نفسية تذهب إلى أنَّ الظواهر النَّفسيَّة وحدات كُلِّيَّة مُنظَّمة، لها، من حيثُ هي كذلك، خصائص لا يمكن استنتاجها من مجموع خصائص الأجزاء.

الجمال (علم)

في الفرنسية **Esthétique**

في الإنكليزية **Aesthetics**

وأصله في اليونانية **Aisthtikos**

علم الجمال، علم يبحث في شروط الجمال، ومقاييسه، ونظرياته، وفي الذوق الفني، وفي أحكام القيم المُتعلِّقة بالآثار الفنية، وهو باب من الفلسفة، والجمالي هو المنسوب إلى الجمال، تقول الشعور الجمالي، والحكم الجمالي، والنشاط الجمالي، وهذا الأخير عند بعضهم لعب، أو ألهية خالية من الغرض، تقوم على طلب الجمال لذاته، لا لنفعته أو خيريته.

الجوهر

في الفرنسية **Substance**

في الإنكليزية **Substance**

يطلق الجوهر عند الفلاسفة على معانٍ: منها الموجود القائم بنفسه حادثاً كان أو قديماً، ويقابله العرض، ومنها الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها. ومنها الموجود الغني عن محل يحلُّ فيه. قال ابن سينا: «الجوهر هو كل ما وجود ذاته ليس من موضوع، أيّ في محل قريب قد قام بنفسه دونه لا بتقويمه».

والجوهر عند ديكارت هو الشّيء الدائم الثابت الّذي يقبل توارد الصفات المتضادة عليه، من دون أن يتغير. والجوهر عند (اسبينوزا) هو القائم بذاته والمدرك لذاته. والجوهر عند (كانت) أولى مقولات الإضافة، وهو تصور قبلي ناشئ عن صورة الحكم المطلق، من حيثُ إنه إسناد محمود إلى موضوع أو رفعه عنه. والجوهر عند المتكلمين هو الجوهر الفرد المتميز الّذي لا ينقسم، أمّا المنقسم فيسمونه جسماً لا جوهراً، ولهذا السّبب يمتنعون عن إطلاق اسم الجوهر على المبدأ الأوّل.

حضـارة

civilization ، Civilisation

– تستعمل تارة في معنى معياري يتضمن تقويما وتعارضا بين الوحشية والحيوانية؟ ويدل تارة أخرى على جملة علاقات اقتصادية واجتماعية.

1. في المنظار التاريخي والفلسفي (شبنجلر، مثلا) تعتبر الحضارة بمثابة مجمع أعم من الثقافة التي تشكل بناءها الفكروي الفوقي، أي مجمل النتاجات الخاصة بروح الأمة من دين وفن وأساطير، ا لخ.
2. تميل علوم الأنام أو الإناسة إلى توحيد مفهومي الحضارة والثقافة، واعتبار الثقافة "جملة علاقات رمزية في كل المستويات والصعدات".
3. يعتبر تنوع الثقافات موازياً لتنوع الحضارات التاريخية (تاريخ التقنيات، تاريخ الفكرويات، تاريخ الفنون، الخ). خاصة عندما لا يكون ثمة اتصال بين ثقافات مختلفة.

على أن مفهوم الحضارة يتصل بدرجة معينة من التطور الاجتماعي، وقد يرتدي طابعا قيمياً يجري على أساسه التفريق بين شعوب متحضرة وأخرى غير متحضرة. وعليه، يمكن ربط الحياة المتحضرة بظاهرة التمدن وتطور المدن، فيجري تحليل الانتقال من الحياة الفلاحية إلى الحضارة المدنية، للتدليل على كيفيات اندماج الأولى في الثانية. تعتبر الكتابة، وبالأخص الأبجدية الصوتية، من علامات نضج الحضارات واكتمالها أو تكاملها، مع تنديدنا بطابع الاستعراقية (ethnocentrisme) الذي ارتدته وترتديه

التصنيفات النزاعة إلى تحديد الحضارة انطلاقا من شكل عرقي (عنصري) للحياة الاجتماعية، الأمر الذي يؤدي إلى الحط من قيمة الثقافات القديمة والعريقة، وإلى تصنيفها في خانة اللاتحضر إذن هناك على الأقل تصوران للحضارة:

- تصور ذرائعي وتمييزي.
- وتصور علمي يقول بوجود حضارة خاصة بكل جماعة. وفوق ذلك، هناك إلتباس في استعمال مفهومي الحضارة والثقافة، يجري رفعه ببلورة الاختلاف بينهما:

أ- الثقافة هي تعبيرات الحياة كالاعتقادات والديانات والآداب.

ب- تتضمن الحضارة إبداعات المجتمع لتأمين رقابته وضبطه وشروط حياته الخاصة به كالتقنيات والتنظيمات الاجتماعية. فيرى مارسيل موس أن الظاهرة الحضارية تتميز من الظاهرة الثقافية بحجمها وبكونها فوق القوميات، ويقترح التعريف التالي للحضارة: إنها جملة ظواهر حضارية كبيرة ومتعددة بذاتها وذات كفاية بأهميتها سواء من جهة كتلتها أم من جهة نوعيتها.

حكم

judgement ،sentence

- هو الصرف والمنع للإصلاح، وهو الفصل والبت والقطع على الإطلاق. والحكم أعم من الحكمة. يفرق أبو البقاء في كلياته بين.

1. الحكم الشرعي. ما لا يدرك لولا خطاب الشارع:
2. الحكم العقلي. إثبات أمر لآخر أو نفيه عنه من غير توقف.
3. الحكم العادي إثبات ربط بين أمر وآخر.

حكم استبدادي

Despotisme، Despotism

- يدل على نمط خاص من الحكم، كان مونتسكيو يضعه في مواجهة الجمهورية (حكم الجمهور. والملكية (حكم الملك، الفرد mon-archie). يشترك الحكم الاستبدادي والحكم الملكي بوجود سلطان واحد، ويختلف عنه في كون المستبد يحكم دون الرجوع إلى قوانين وأحكام وضعية يدل في استعماله الاجتماعي

العلمي الحديث، على صفة الشخص الذي يسند الحكم إليه وحده، وتدل الدكتاتورية على أشكال ممارسة هذا النوع من الحكم الفردي.

حكم الشعب

Democratie،democracy

- على الرغم من التواضع على أن (حكم الشعب بنفسه' هو قضية عرفية أكثرمنها قضية منصوص عنها، فإن المقاربات التاريخية والحقوقية لمسألة الديمقراطية - حكم الشعب - تفرض نفسها، في العلوم الإنسانية، قبل أية مشاهدة اجتماعية علمية. فعلم الاجتماع يهتم بالظروف الاجتماعية لتحقيق المثال الديمقراطي، والفكر الديمقراطي الحديث ينكب على درس طريقة تعيين الحكام وطرق ممارسة الحكم وكل أشكال السلطة المطبقة في الواقع. ولكن لا بد من التدقيق، أيضا، في الظروف الاقتصادية للحكم/ الديمقراطي إذن الديمقراطية نظام سياسي يفترض به تمكين الشعب من حيازة الوسائل اللازمة لتحديد مصيره بكل سيادة.

أ- تقوم النظرية الديمقراطية الغربية الحديثة (بعد ثورة 1789، فرنسا) على تقريب التصور الديمقراطي والاقتراع العام تعدد الأحزاب، انتخابات حرة، ضمانات احترام الحريات العامة الأساسية، الفصل بين السلطات التشريعية والإجرائية والقضائية.

1. تقوم النظرية الاشتراكية على نقد الديمقراطيات الغربية بدعوى أنها ديمقراطيات شكلية فالمواطنون متساوون في حقوقهم نظرياً، متماثلون كلياً أمام القانون والاقتراع' لكن المنشأة الصناعية التي يحدد سياستها المالكون، القادة، وحدهم - لا تعرف سوى عمال خاضعين لتنظيم مفروض من فوق والنتيجة انتخابات زائفة.
2. فوسائل الدعاية ملك الطبقة القائدة، وطرق الاقتراع غير مؤآتية لمرشحي العمال والشغيلة وصغار الفلاحين، الخ، وتقسيم الدوائر الانتخابية غير مؤات لهم. وفوق ذلك لا يستطيع الشغيلة ممارسة الحريات المكفولة فنظام التعليم، مثلاً، (يلغي تكافؤ الفرص) والحرية الصحافية غير متوفرة طالما أن الصحف بين أيدي

القوى المالية (من يملك المال يوجه السياسة)، وحرية الفكر مرهونة بإعلام ودعاية من اتجاه واحد.

3. في المقابل، يرى مفكرو الغرب الديمقراطي أن البلدان الاشتراكية بلدان ديكتاتورية بيروقراطية)" وأن أوروبا والولايات المتحدة الأميركية وكندا تعمق السبيل الديمقراطي بالانتقال التدرجي من ديمقراطية سياسية إلى ديمقراطية اقتصادية/ اجتماعية.

حكم الفرد

Autocratie، Autoeracy

من اليونانية (**Aufo Krates**) معناه الذي يحكم بمفرده، والحكم الفردي شكل تحكمي تنعدم فيه رقابة المحكومين، إذ يعتبر الحاكم الفرد أنه يستمدسلطانه من نفسه، وأن له الحق في ممارسة السلطة بلا قيود قانونية أو عرفية.

أخذ حكم الفرد يظهر في المجتمعات الديمقراطية الحديثة:

1. **أولاً** من خلال تلاشي الفصل بين السلطات" لصالح السلطة الإجرائية (التنفيذية) وحدها.
2. **ثانياً** من خلال حصر السلطة الإجرائية في رئيسها أو زعيمها. وتعلل هذه الظاهرة في البلدان الغربية الديمقراطية بتلاشي الرموز الاجتماعية المشتركة.

وبحالات التخلخل (**622**) (**Anomle**).

وتعزى في البلدان النامية إلى اندثار التقاليد وصعلكة الجماهير الفلاحية العريضة من جهة، كما تعزى فيها إلى ضعف النمو الاقتصادي، من جهة ثانية.

حكم القلة

Oligarchie، Oligarehy

- يدل على شكل الحكم يعتبره الرأي العام ومقدمات الدساتير حكما غير شرعي. وهذا معناه أنه حكم موجود فعلا في عالمنا المعاصر، وليس مجرد شكل ممكن لحكم متخيل.

1. حالياً، يطلق العلم السياسي (pol ltologie) صفة "حكم القلة" على كل وضع وكل أمر واقع يتعلق بتوزيع السلطان الحقيقي في المجتمع السياسي.
2. يتميز حكم القلة من حكم الأرستقراطية بكون مالكي السلطة ليسوا، بالضرورة، هم "الأفضل" حسب التصنيف الأرستقراطي للتفاضل الطبيعي، وبكونهم يجانبون الأمور العامة التي تتولاها الدولة عادة، حتى يفيدوا إفادة كبرى من المكاسب التي يمكن للدولة توفيرها لهم.

حكومة

G uvernement ،Government

- من مصطلحات علم السياسة وعلم الاجتماع السياسي. تدل في معناها العام على كل أنماط النظام السياسي مهما تكن طبيعته وأسسه، وعلى كل الأشكال الممكنة لممارسة الحكم أو السلطان (Autorlte) أما في معناها المتخصص ولا سيما الاستعمال السائد في القانون الدستوري، فتدل الحكومة على جملة هيئات السلطة الإجرائية وأعضائها. وفي هذا المعنى تتحدد الحكومة بالوظيفة المختصة بها أو المخصصة لها، لا بطريقة تعيين ولا بكيفية ممارسة الحكم لهيئة خاصة من هيئات السلطة.

حوار

Dialogue (F.E)

- حوا ر الآخر: (AutrUi) اتصال / توصيل.(communication)، تخاطب الأنا - الآخر..
- يجري بالحوار، أي بمواجهة الآراء المتباينة أو المتعاكسة، الانتقال من الضلال إلى الحقيقة، ومن نمط وجودي "غير صحيح" إلى حياة راسخة في العقل أو الحكمة (الفلسفة القديمة)، وإلى وجود شخصي وإيلافي معاً (الفلسفة المعاصرة ذات المنحى الشخصاني).

1. في منظار أفلاطوني، يعتبر الحوار مسارا فلسفيا ممتازا. فهو طريق العقل الكاشف الوجود (الخطاب بوصفه كشفا للوجود). إنه الحركة التي توصل إلى المعرفة

اعتمادا على الرغبة، والتي توصل إلى الجوهر يحركها الحب الذي يدفع النفس لاستذكار الأفكار التي كانت قد تأملتها في حياة سابقة حرة، متحررة من المعوقات الجسمانية (أسطورة فيدر).

2. في الفلسفة المعاصرة (الشكلانية والشخصانية) يعتبر حوار الأنا - الآخر أوليا بالنسبة إلى الذاتية فالأنت مرتسم في الأنا، أنا الذات، ارتساماً أصلياً. والفكر يتكون كحوار داخلي، نظراً لأنه لا يقبل الانفصال عن اللغة.

3. خلافاً للظهورية (الفنومنولوجيا) التي تعتبر تخاطب الأنا - الآخر مؤسسا للتواصل والتحاور، يرى لاكان (Lacan) أن الآخر هو، بالحري، ما تجري المحاولة لتجنبه من خلال التعبير عنه. هذا معناه أن الحوار تعبير عن رغبة أو عن عدوانية.

الحوار مفيد للناس الذين تعلموا فن الكلام.

الحتمية

في الفرنسية **Déterminisme**

في الإنكليزية **Determinism**

حتم بكذا حتماً، قضى وحكم، وحتم الله الأمر: قضاه، وحتم الأمر أحكمه، وحتم عليه الأمر: أوجبه، فالحتم القضاء، أو إيجاب القضاء، والحتمي هو المنسوب إلى الحتم، ومنه الحتمية وهي اصطلاح فلسفي حديث.

الحدس

في الفرنسية **Tntuition**

في الإنكليزية **Tntuition**

الحدس في اللغة الظن، والتخمين، والتوهم في معاني الكلام والأمور، والنظر الخفي، والضرب والذهاب في الأرض على غير هداية، وقال الجرجاني في تعريف الحدس: «هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب».

الحدس عند (ديكارت) هو الاطلاع العقلي المباشر على الحقائق البديهية، والحقائق الأولية، الَّتي لا تقبل الشّك كعلمي أني موجود، لأني أفكر. والحدس عند (هنري برغسون) عرفان من نوع خاص شبيه بعرفان الغريزة، والحدس هو الحكم

السريع المؤكد، أو التنبؤ الغريزي بالوقائع والعلاقات المجردة، والحدسية مذهب من يرى أنَّ للحدس المكان الأوَّل في تكوين المعرفة.

الحدسية

في الفرنسية **Tntuitionnisme**

في الإنكليزية **Tntuitionnism**

والحدسية مذهب من يرى أنَّ للحدس المكان الأوَّل في تكوين المعرفة، ولهذه الحدسية في تاريخ الفلسفة معنيان، الأوَّل إطلاقها على المذاهب الَّتي تُقرِّر أنَّ المعرفة تستند إلى الحدس العقلي، والثَّاني إطلاقها على المذاهب الَّتي تُقرِّر أنَّ إدراك وجود الحقائق المادية إدراك حدسي مباشر لا إدراك نظري.

الحسي «المذهب»

في الفرنسية **Sencualisme**

والحسي هو المنسوب إلى الحس فهو عند المتكلمين ما يدرك بالحس الظاهر، وعند الفلاسفة ما يدرك بالحس الظاهر أو الباطن، والحسي يُسمَّى أيضاً محسوساً ويقابله العقلي والمذهب الحسي هو القول إنَّ جميع معارفنا ناشئة عن الإحساسات وأنَّ المعقول هو المحسوس ويُعَدُّ هذا المذهب صورة من صور المذهب التجريبي.

الحقيقة

في الفرنسية **Vérite**

في الإنكليزية **Truth**

الحقيقة في اللغة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بعد ذلك وحقيقة الشَّيء خالصة، وكنهه، ومحضه، وحقيقة الأمر يقين شأنه، وحقيقة الرجل ما يلزمه حفظه والدفاع عنه، ولها عند الفلاسفة عِدَّة معان: الأوَّل هو مطابقة التصور أو الحكم الواقع، والثَّاني هو مطابقة الشَّيء لصورة نوعه أو لمثاله الَّذي أريد له. فالحقيقة بهذا المعنى هي ما يصير إليه حق الشَّيء ووجوبه. والثالث هو الماهية

أو الذات، فحقيقة الشّيء ما به الشّيء هـو هـو، كـالحيوان النـاطق للإنـسان بخـلاف الضاحك والكاتب مِمَّا يمكن تصور الإنسان دونه.

دعاية / دعوة:

Propagande ،Propaganda

- غاية كل دعوة تـصريف أفعـال المخـاطبين مـن الأفـراد والجماعـات في الوجهـة التي تـدعو إليهـا، كـالاقتراع لحـزب مـا والتجنـد في جـيش أو ميليـشيا، والقيـام بإضراب أو انتفاضة الخ.

1. إلا أن الدعاية في المعنى السياسي الحـديث، والـدعوة (643) في المعنـى الـسياسي الديني المأثور (vocation) أو الحنيف في الإسلام التعبوي والجهـادي، لا ترميـان إلى تـصريف أفعـال النـاس والأمـة فحـسب، بـل ترميـان أيـضا إلى جعـل الناس انقيـاديين، مطـواعين ، يتقبلـون أعمـال الحـزب أو الحـاكم اللـذين يبثـان الدعاية والدعوة.
2. في العلـوم الإنـسانية المعاصـرة، يقـصد باجتماعيـات الـدعوة النفـسانية الـدرس الموضوعي للمسارات الاجتماعية التي تتلاعب الدعاية بها، فيها، وعليها.
3. يمكن التفريق بين الـدعوة ذات المنـشأ الفكـروي الـديني، الهادفـة إلى إقامـة نظـام سياسي مختلف ومخالف للنظام القائم، والدعايـة ذات المنـشأ الفكـروي الـسياسي المحض والمتعلقة بتغالب الأفراد والأحزاب والأمـم والـدول في العـصر الحـديث. وفوق ذلك يمكن التقريب بين الدعوة والدعاء:

فهذا الأخير بما يحمل من ثقافة طقوسية (culfure cu tuelle) كالصلاة والحـج والسلام (السلام في أساسه دعاء لا تحية) ومـن عـادات عبـادتين (الحجـاب، الختـان، التضحيات، الخ) هو من شروط الدعوة الجديدة أو المراد تجديـدها. كمـا يمكـن، دون تلبيس، تقريب الدعوة / الدعاء/ الدعايـة، مـن الإعـلان أو الإشـهار (Publicity) ' (إعلان الزواج، مثلاً، على رأس العامة، وقرنه بشهادة شاهدين)' فكل هذه الأصناف الخطابية ترمي إلى ترويج بضاعة أو فكرة، أو تعميم مـسألة) قـضية، أو دعـوة. إلا أن الدعاء يمكنه أن يكون للشيء أو ضده ، وهذا حال الدعوة (مع... ضد).

دعوة:

WAH ،Appel ،invitation DA

- مفهوم الدعوة من أوسع شبكات التطابق الرمزي. فكل دعوة (**invitation**) تبنى على اعتقاد أو فكر رسالي، إن لم يكن وراء الدعوة رسول مرسل. وقوامها الاعتقاد بقوة الكلام. والحروف والرموز الإشارات فمن يملك أسرار الحروف مثلاً، يعتقد أنه يملك مفاتيح الخلق. وفوق ذلك يمكن للدعوة أن ترمز إلى ما يسميه المنطق الحديث المتوازي والمتقابل / أو الفكر المركب.

الداروينية

في الفرنسية **Darwinisme**

في الإنكليزية **Darwinism**

الداروينية مذهب (داروين) وتطلق على المعنيين التاليين:

1. الداروينية مذهب التحول أو التبدل، وهو القول إنَّ الأنواع تنشأ بعضها عن بعض، ولاسيما النوع الإنساني فهو منحدر عن الأنواع الحيوانية الَّتي ترجع إلى أصل واحد أو عِدَّة أصول.
2. الداروينية أيضاً هو القول إنَّ تبدل الأنواع ناشئ عن الانتخاب الطبيعي، وهي بهذا المعنى مقابلة لمذهب (لامارك وسبنسر) الَّذي يُقرِّر أنَّ تبدل الأنواع ناشئ عن التكيف بوساطة الممارسة والوراثة.

دازاين

في الألمانية **Dasein**

كلمة دازاين معناها الوجود الحاضر أو الوجود المقابل للاوجود، وعند هيدجر كينونة الموجود الإنساني، أو كيفية وجوده، ولما كان العالم في تبدل مستمر كانت هذه الكينونة الإنسانية غير مستقرة على حال.

الديكارتية

في الفرنسية **Cartésianisme**

في الإنكليزية **Cartesianism**

الديكارتية فلسفة ديكارت أو فلسفة تلاميذه، وهم بوسويه، فنلون، مالبرانش، سبينوزا... وغيرهم، والديكارتي (**Cartésien**) هو المنسوب إلى ديكارت، ويطلق على ما يخص مذهبه من القول بالكوجيتو، والشك المنهجي، والتقابل التام بين المادّة والنفس إلخ، أو على الشخص الّذي يحب الوضوح ويتقيد بأحكام العقل في الوصول إلى اليقين.

الديمقراطية

في الفرنسية **Démocratie**

في الإنكليزية **Democracy**

الديمقراطية لفظ من لفظين يونانيين أحدهما (ديموس) ومعناه الشعب، والآخر (كراتوس) ومعناه السيادة، فمعنى الديمقراطية إذن سيادة الشعب، وهي نظام سياسي تكون فيه السِّيادة لجميع المواطنين لا الفرد، أو لطبقة واحدة منهم، ولهذا النِّظام ثلاثة أركان: الأوَّل - سيادة الشعب، الثَّاني - المساواة والعدل، الثَّالث - الحُرِّيَّة الفردية والكرامة الإنسانية.

الديمومة

في الفرنسية **Durée**

في الإنكليزية **Duration**

الديمومة هي الزمان، فإذا أطلقت على الزَّمان المحدود سميت مدة، وإذا أطلقت على الزَّمان الطويل الآمد، الممدود، سميت دهراً.

وللديمومة في فلسفة هنري برغسون معنى خاص، وهي الزَّمان النفسي، أو الزَّمان الداخلي، وتسمى حينئذ بالديمومة المحضة، أو الديمومة الحقيقية، أو الديمومة المشخصة.

الديناميكا

في الفرنسية **Dynamique**

في الإنكليزية **Dynamics**

الديناميكا قسم من علم الميكانيك يبحث في الحركات المادية من جهة علاقتها بالقوى الَّتي تحدثها، ويطلق لفظ الديناميكي مجازاً على الرجل المُتَّصف بالنشاط، القادر على تفجير الطاقات الكامنة في نفوس مرؤوسيه.

والديناميكية (Dynamisme) مذهب فلسفي مقابل للميكانيكية أو الآلية، ويطلق على الفلسفة الَّتي تفسر جميع الظواهر المادية بقوى لا ترجع إلى الكتلة والحركة، كمذهب ليبتنز فهو مذهب ديناميكي يُقرِّر أنَّ الموجود متحرك بذاته بخلاف مذهب ديكارت المسمى بالمذهب الميكانيكي أو الآلي.

الذرائعية أو (الأدائية)

في الفرنسية **Instrumentalisme**

في الإنكليزية **Instrumentalism**

الذرائعية حلقة يتعلم عليها الرّامي، والذريعة أيضاً الوسيلة، والسبب إلى الشيء، وجمعها ذرائع، ويطلق لفظ الذرائيعة في الفلسفة الحديثة على مذهب جون ديوي ومذهب مدرسة شيكاغو، وهو مذهب برغماتي يُقرِّر أنَّ كل نظريَّة فهي أداة أو ذريعة إلى العمل، لا قيمة لها إلاّ إذا كان لها مردود عملي، والمنطق الذرائعي هو المنطق الَّذي يبني أحكامه على التجربة. وجملة القول إنَّ الفكر في المذهب الذرائعي ليس سوى ذريعة أو وسيلة للنجاح في الحياة.

الربوبية

في الفرنسية **Théodicée**

في الإنكليزية **Theodicee**

الرب من الأسماء الحسنى لله تعالى، والنسبة إليه: ربي، ورباني، وربوبي. وعلم الربوبية هو العمل الإلهي، وهو أحد أقسام الفلسفة.

تجد هذا اللفظ عند الكندي في رسالته إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، وتجده عند الفارابي في كتابه الجمع بين رأي الحكيمين، وهو عنوان كتاب معروف باسم (اثولوجيا) نَسَبَهُ الفارابي إلى أرسطو خطأً.

أمَّا في الفلسفة الحديثة فأول من استعمل لفظ الربوبية هو الفيلسوف ليبتنز.

الرواقية

في الفرنسية **Stoicisme**

في الإنكليزية **Stoicism**

مذهب زينون (**Zénon**)، وكليانت، وكريزيب، وسنكا، وابكتاتوس، ومرقص أورليوس، وغيرهم من فلاسفة اليونان والرومان، وقد سموا بالرواقيين لأنَّ (زينون) الفيلسوف صاحب هذا المذهب كان يعلم تلاميذه في رواق، والرواقي (**Stoïcien**) يرى أنَّ السعادة في ا لفضيلة، وأنَّ الحكيم لا يبالي بما تنفعل به نفسه من لذة وألم، حتَّى أنَّ عدم مبالاته بالألم قد يبلغ درجة النفي والإنكار. ومعظم الرواقيين يرون أنَّ المادَّة تتجزأ إلى غير نهاية، وأنَّ النار أصل الوجود، وأنها توحّد أجزاء العالم بعضها ببعض، وأنَّ العالم لا ينفصل عن الله.

الروح

في الفرنسية **Esprit**

في الإنكليزية **Spirit**

الروح ما به حياة الأنفس، وهو اسم للنفس، لكون النَّفس بعض الروح، أو لكونها مبدأ الحياة العضوية والانفعالية، وله في اصطلاحنا عِدَّة معان:

الروح مرادفة للنفس الفردية.

الروح هي الجوهر العاقل المدرك لذاته، من حيثُ هي مبدأ التصورات، والمدرك للأشياء الخارجية من جهة ما هي مقابلة للذات، وهذا التقابل بين الذات المدركة والشَّيء المدرك شائع في الفلسفة الحديثة.

الروح ما يقابل المادّة.

الـروح مقابـل للطبيعـة، كمقابلـة المبـدأ المحـدث للـشيء الحـادث أو مقابلـة الحُرّيّة للضرورة.

الروح مقابلة للبدن، لأن الروح تمثل القُوّة العاقلة والبدن يُمثّل الغرائز الحيوانية.

والروح الأعظم مظهر الذات الإلهية مـن حيـثُ ربوبيتهـا، وروح القـدس عنـد المسيحيين أحد الأقانيم الثلاثة.

وقـد اختلـف الفلاسـفة في الـنَّفس والـروح فقـال فريـق: همـا مـتغيران، لأنَّ النَّفس بعض الروح، وقال فريق: هما شيء واحد، لأننـا نعـبر عـن الـنَّفس بالروح وبالعكس.

الرومانسية

في الفرنسية **Romantisme**

في الإنكليزية **Romantism**

الرومانسية في الأدب ضـدٌّ الكلاسـيكية، وفي الفلـسفة ضـدٌّ العقلانيـة. ويطلـق اصطلاح الفلسفة الرومانسية أو الرومانسية الفلسفية على مذاهب الفلاسفة الألمـانيين الَّذين عاشوا في القرن الثامن عشر وأوائـل القـرن التاسـع عـشر، وأشـهرهم فيختـه، وشلينغ وهيجل، وشوبنهاور.

الريبية

في الفرنسية **Scepticisme**

في الإنكلزية **Scepticism**

وهو مشتق من اللفظ اليوناني **Skeptikos** ومعناه المُفكّر الَّذي يلاحظ الأشـياء ويمتحنها وينظر فيها.

الريب في اللغة: الظن، والشك، نقول: رابه الأمر، جعله شاكاً، وارتاب فيه وبه: شك والريبية مذهب الريب، أيّ مذهب من ينهج طريق الشك في علمه وعمله متردداً أبداً بين الاثبات والنفي.

والريبي هو المنسوب إلى الريب، والفلاسفة الريبيون أو الارتيابيون هم الشكاك والاصطلاح الأجنبي قديم وقد استبدل به اليوم لفظ Sceptiques. ويطلق كانط اصطلاح التصورات الريبية على الطريقة الّتي نثبت فيها أنَّ قبول أحد الرأيين المتعارضين يفضي إلى التناقض، كاثباتنا أنَّ العالم قديم أو حادث، وتسمى هذه الآراء المتعارضة بنقائض العقل.

الرأي:

opinion (E.F)

رأي عام **opInBon publique،Public opinion**.

- هو في معناه العام حالة فكرية قوامها الاعتقاد في أن قولاً ما صحيح، لكنه يتحمل إمكان الانخداع إذا حكم عليه بصفته هذه وهو في معناه الخاص - الرأي العام - حكم الجماعة المطلق على واقعة أو مسألة يثيرها مجتمع معين (هنا رأي الفرد يكون رأيا عاما ويتكون به ومنه). إنه نتاج مسارات التفاعل بين الأفراد وجماعاتهم ويعبر عن ظاهرة نفسية اجتماعية. الرأي من الرؤية، وهو دون الفكرة المثبوتة، ودون النظرية والقانون. إنه مرآة فكروية تحتاج إلى روية ودراية.

ردة:

Apostasy (AposBasie) Retour

- هي الرجعة بمعنى الإعادة، والرجوع بمعنى النقض. فالارتداد هو الرجوع في الطريق الذي جاء منه. لكن الردة، في الإسلام، تختص بالكفر، وهو أعم. (أما الهرج فحالة من الارتداد والنفاق والكفر والاحتزاب.
- المرتد: (Renegade،Apostate) ، المنحرف عن عقيدته، أو المحرف لها، بقصد الانشقاق والإفتان والتحارب.

سالبية، سلبية:

NEGATIVITE، NEGATIVITY

ليست السالبية في نظر هيجل ذلك المبدأ الهدام الذي من شأنه أن ينفي ويهدم، بل هي ما يجيز للكائن أن يكون كما هو، وأن يتجلى متوصلاً بتجليه إلى مرتبة الوجود هنا الموجود.

إن السالبية الملازمة جوهرياً لواقعة الكون ذاتها، هي مبدأ الاختلاف عينه أوهي بالأولى مبدأ حركة التباين. وهي بكلام أبسط نقيض الجمود والموت. فالسالبية تسمح بحياة الحقيقة وتجليها (ظهورها وتمظهرها). يطلق اسم عمل السالب على الانفصال الداخلي للكائن المتخارج (أي الذي يطرح نفسه خارج نفسه).

نجد عند هيدجر مبدأ الرفض عينه للقول بسالبية محض - "عدمية" وذلك على الرغم من معارضته العامة للهيجلية. فهو ينتقد فكرة أولئك الزاعمين أن كل رفض القائمة هو رفض عدمي؟ فيرى، بخلافهم، أن هذا الرفض هو الموقف "الإيجابي" الوحيد حقاً، إذ ليس من السلبية بشيء التنكر لما هو متحجر في قالبه القيمي (مقولب)، والتساؤل عن وجود القيمة بذاته.

سبب:

Reason ، (E.F) Cause

السبب كل شيء وصلت به إلى موضع حاجة تريدها. إنه ما يكون طريقا إلى الشيء مطلقاً. وهذا المعنى يشمل السبب والعلة معاً. لكن أبا البقاء يفرق بينهما، بقوله.

1. إن السبب ما يحصل الشيء عنده ، لا به.
2. إن العلة ما يحصل الشيء به.
3. إن المعلول يتأثر عن علته بلا واسطة بينهما ولاشرط يتوقف الحكم على وجوده.
4. يفضي السبب إلى الحكم بواسطة أو بوسائط.

السرمدي

في الفرنسية **Eternel**

في الإنكليزية **Eternel**

السرمد في اللغة الدائم الَّذي لا ينقطع - والسرمدي هو المنسوب إلى السرمد، وهو ما لا أول له، ولا آخر، وله طرفان أحدهما دوام الوجود في الماضي ويسمى أزلاً والآخر دوام الوجود في المستقبل ويسمى أبداً.

السفسطة

في الفرنسية **Sophisme**

في الإنكليزية **Sophism**

أصل هذا اللفظ في اليونانية «سوفيسما» وهو مشتق من لفظ (سوفوس) ومعناه الحكم والحاذق، والسفسطة عند الفلاسفة هي الحكمة المموهة وعند المنطقيين هي القياس المركب من الوهميات. والفرض منه تغليط الخصم وإسكاته، والسوفسطائي (**Sophiste**) هو المنسوب إلى السفسطة، تقول: فيلسوف سوفسطائي، ونظرية سوفسطائية، وقد أطلق هذا اللفظ في الأصل على الحاذق في إحدى الصناعات الميكانيكية ثُمَّ أطلق على الحاذق في الخطابة أو الفلسفة، ثُمَّ أطلق بعد ذلك تبذلاً على كل دجَّال مُخادع. والسوفسطائية، جملة من النظريات أو المواقف العقلية المشتركة بين كبار السوفسطائيين (كبروتاغوراس)، و(بروديكوس)، و(هيباس) وغيرهم.

السكولائية

هي المدرسية، من اللاتينية (**Scholasticus**) مدرسي، هي الفلسفة السائدة في إيدلوجية المجتمع الإقطاعي بأوروبا الغربية. وكان السكولائيون (المدرسيون) يرون في الدِّفاع عن الديانة المسيحية هدفهم الرَّئيسيّ وقد ارتكزت المذاهب المدرسية إلى أفكار الفلسفة اليونانية (أفلاطون - أرسطو)، والفلسفة العربيَّة الإسلامية (ابن رشد وابن سينا)، ومن ثُمَّ لقيت السكولائية صياغتها المتكاملة المهذبة في أعمال

(ألبرت الكبير) وتوما الأكويني ودونس سكوت) وقد تمحورت اهتمامات المدرسين حول مشكلة العلاقة بين الإيمان والمعرفة، والدِّين والعقل.

السوسيولوجيا

هي علم الاجتماع، من اللاتينية (Societas) مجتمع واليونانية (logos) مبحث علم، علم يدرس قوانين المجتمع وتطوره والعلاقات الاجتماعيَّة والسوسيولوجيا، تتميز عن باقي العلوم الاجتماعيَّة (الاقتصاد السِّياسيّ - الحقوق - الديموغرافيا - الانتوغرافيا...) الَّتي تبحث في جوانب منفردة من حياة المجتمع بأنها تدرس المجتمع على أنَّه قبل كل شيء منظومة متكاملة.

السبيرنتيكا

في الفرنسية **Cybernétique**

في الإنكليزية **Cybernetics**

أصل هذا اللفظ يوناني وهو مشتق من لفظ (**Kubernétiké**) ومعناه فن الحكم، أو التوجيه والإدارة، أطلقه (أمبير) على أحد فروع علم السياسة، ثُمَّ أطلقه المتأخرون على العمل المؤلف من مجموع النَّظريَّات والدراسات المُتعلِّقة بعمليات الاتصال بين أجزاء الكائن الحي أو أجزاء الآلة.

سرد خطابي:

Chaine de discours
Speech chain

تسلسل الخطاب الذي يدل من خلال التكلم، على وحدات لسانية مترابطة كترابط الحلقات في السلسلة الواحدة هذا التسلسل هو العملية المعروفة باسم التوالي السردي.

سوق:

Market ،March

- سوق كبرى. بازار كبير. خ **Supermarket Super march**.

(بازار كلمة فارسية / معربة) **Grand Bazar**.

- السوق هو/ هي مجال التبادل بين المنتجين والمستهلكين، مباشرة أو بوساطة. (التجار)، ومجال التبادل بين البلد أن الرأسمالية المنتجة والبلدان الأخرى التي ترتبط برباط التجارة الخارجية وبسواه من أشكال الروابط الاقتصادية القائمة على التقسيم الدولي للعمل، رأسمالياً كان أم اشتراكياً يفرق بين سوقين عالميتين.

1- السوق الرأسمالية العالمية.

2- السوق الاشتراكية العالمية March - soclalIste mondl.

سياسة:

P Iitique ،politics

- هي التمدين والتهذيب والتنظيم، وهي فن تدبير الجماعات ونظمها في اجتماع سياسي (مدينة، دولة). وهي علم التسالم والتغالب بين الجماعات والأمم والشعوب والدول. السياسة هي نظرية الصراع وممارسته، وعلم السياسة (PolItOlogie) هو نقد السياسة والتاريخ لها فكرياً وفكروياً (ideologIes). وتشكل السياسة وعلمها اختصاصين كبيرين في العلوم الإنسانية لا سيما في القرن العشرين حيث تتوازى في الأهمية والقوة، المعرفة السياسية والمعرفة التقنية (سلطة القوة)[1] هذا إذا أمكن الفصل بينهما. يعرف أبو البقاء. السياسة في كلياته بأنها استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل[2].

وهذا كما هو واضح تعريف إعلائي مثالي. ويفرق بين السياسة البدنية (تدبير المعاش معاملة الأبدان خير من معاملة الأديان) والسياسة المدنية (تدبير الجماعات ودولتها). في العلوم الإنسانية يمكن سلوك بشري أن يخفض إلى موقف أو خيار سياسي. فالسياسة هي فن التدبر والتدبير، فن القوة والتقوية والاستقواء[1] علم القدرة على تحقيق الممكن انطلاقاً من اللاممكن. من هنا بروز سياسات ضمن السياسة العامة. سياسة اقتصادية، سياسة تربوية، سياسة مالية، سياسة اجتماعية، إعلامية، سياسة تسلحية، سياسة احترابية، وحربية، الخ.

الشخصانية

في الفرنسية **Personnalisme**

في الإنكليزية **Personalism**

الشخصانية عند رينوفيه مرادفة للذاتية وهي القول إنَّ فكرة الشخصية مقولة ذاتية لإدراك العالم، والشخصانية مذهب أخلاقي واجتماعي مبني على القول إنَّ للشخص الإنساني قيمة مطلقة وهو مذهب الفيلسوف (مونيه) وهو يفرق بين المذهب الشخصاني والمذهب الفردي، ويتكلم على اندماج الشخصي في المجتمع والعالم والشخصانية هي مذهب القائلين إنَّ الله شخص، وهذا المذهب مقابل لمذهب القائلين بوحدة الوجود.

الشكّ

في الفرنسية **Doute**

في الإنكليزية **Doubt**

الشك هو التردد بين نقيضين، لا يرجح العقل أحدهما على الآخر، وذلك بوجود أمارات متساوية في الحكمين، أو لعدم وجود أيّ أمارة فيهما.

فالشك إذن مبدأ الريب كما أنَّ العلم مبدأ اليقين، والشك عند ديكارت، فعل من أفعال الإرادة فهو ينصب على الأحكام لا على التصورات والأفكار، لأنَّ التصورات من غير حكم لا تُسمَّى صادقة ولا كاذبة.

والشك المنهجي عند ديكارت هو الطريقة الفلسفية المؤدية إلى اليقين، وقد قال (كلودبرنار) : يجب على العالم أن يفرّق بين الشك والريب. فالريبي ينكر العلم ويؤمن بنفسه، أمّا المتشكّك فإنَّ يشك في نفسه ويؤمن بالعلم.

شيوعية:

Communisme، communism

- في أساسها، ليست 'الشيوعية، عقيدة اقتصادية، بل هي ممارسة سياسية، ومشروع سياسي، يمكن التفريق بين مضمونها وبرامج الحركات أو الأحزاب السياسية الموسومة بالشيوعتين.

أ- في القرن التاسع عشر، ارتدى مصطلح 'الشيوعية' معنى دقيقا بعد نشر/ ماركس/ إنجلز بيان الحزب الشيوعي' عام 1848 ' ثم توضح هذا المعنى في خلال السجالات. الفكروية التي خاضها الاشتراكيون في الداخل والخارج.

حالياً يمكن تعريف الشيوعية بكيفيتين.

أ- صفة أولئك الذين ينشدون تحرير المستضعفين (البروليتاريا) في عصر الثورة الصناعية والتقنية، تقدم الشيوعية نفسها كعقيدة انقلابية، ثورية، في المجتمعات الرأسمالية، تناهض التملك الخاص لوسائل الإنتاج، وتكافح البنية الاجتماعية للعلاقات الإنتاجية القائمة، وتجادل في النهائض الفكروية التي تعبر الطبقة المسيطرة بواسطتها عن سلطانها وتقويها.

ب- تعني الشيوعية، داخل منظومة تجميعية، أنها نهاية التحول الاجتماعي - الاقتصادي الذي تنجزه الاشتراكية. وإنماء القوى الإنتاجية، الإلغاء المنشود للطبقات الاجتماعية، إنشاء مجتمع وفرة.

الصفحة البيضاء

في الفرنسية **Table rase**

في الإنكليزية **Tabula rasa**

الصفحة البيضاء، أو الملساء، اصطلاح مستمد من كلام أرسطو على الكيفية الَّتي تكون عليها النَّفس قبل حصولها على المعرفة، وهي الحالة الَّتي أطلق عليها العرب اسم العقل الهيولاني، أو العقل بالقُوَّة الَّذي هو استعداد محض لم يقبل بعد شيئاً من الكمال الَّذي يخصه. واصطلاح الصفحة البيضاء يرمز في الفلسفة الحديثة إلى مذهب التجريبيين، الَّذين يزعمون أنَّ النَّفس في أصل الفطرة أشبه بلوح من الشمع

لم ينقش عليه شيء، وأنَّ كل ما في العقل فهو مستمد من الحس والتجربة، وقد اعترض ليبتنز على ذلك بقوله: «لو فرضنا أنَّ النَّفس صفحة بيضاء خالية من كل نقش، ومن كل استعداد نظري، لما استطاعت أن تتعلم شيئاً».

الصوفي

في الفرنسية **Mystique**

في الإنكليزية **Mysticus**

الصوفي من اتَّبع طريقة التصوُّف واتَّسم بسمات أصحابها، وأشهر الآراء في تسميته أنَّه سمي بذلك لأنَّه يفضل لبس الصوف تقشفاً، وقيل أيضاً إنَّ اسمه مأخوذ من الصفاء، لأنَّه هو الَّذي يصفو قلبه بكف النَّفس عن الهوى، والاستغراق بالكلية في ذكر الله.

طاقة علمية وتقنية:

Potentiel scientifique et teehnique
Scientific and technological Potential

– جملة الموارد البشرية والمادية والمعارف العلمية والتقنية والخبرة الإنتاجية، التي يملكها بلد ما للتمكن من إنماء وتطبيق مكاسب الثورة العلمية/ التقنية) يستفاد من الطاقة العلمية والتقنية في السير الحسن للقوى الإنتاجية، إذ أنها عنصر مهم في مسار تجديد الإنتاج في خلال الثورة العلمية/ التقنية.

تتكون نواة الطاقة العلمية التقنية من الباحثين والعلميين والاختصاصيين المهتمين بالإنتاج، فهؤلاء بالذات هم الذين يبدعون المعارف ويكدسون الخبرة الإنتاجية، ويطبقون المعارف والنظريات والقوانين على الإنتاج المادي، وهم الذين يجسدونها في وسائل الإنتاج والخبرات الاستهلاكية.

الضرورة

في الفرنسية **Nécessité**

في الإنكليزية **Necessity**

الضرورة في اللغة الحاجة، والمشقة، والشدة الَّتي لا تدفع، وعند الفلاسفة، اسم لما يتميز به الشَّيء من وجوب، أو امتناع، والضرورة الإيجابية هي الوجود، والضرورة السلبية هي العدم.

والضرورة إحدى مقولات كانط، وهي مقابلة للجواز، وتكون إما مطلقة وإما شرطية.

الضياع أو الاغتراب

في الفرنسية **Aliénation**

في الإنكليزية **Alienation**

الضياع الغربة والاغتراب، وهو عند هيجل أنْ يُضيِّع الإنسان شخصيته الأولى، ويصير إنساناً آخر أغنى من الأول، أمَّا عند ماركس فهو أنْ يفقد الإنسان حرِّيّته، واستقلاله الذاتي، بتأثير الأسباب الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الدينية، ويصبح ملكاً لغيره، أو عبداً للأشياء المادية، تتصرف السُّلطات الحاكمة فيه تصرفها في السلع التِّجاريَّة.

الطبيعة (فلسفة)

في الفرنسية **(Philosophie de lanature)**

فلسفة مقصورة على البحث في المادَّة وأحوالها. وهي أحد أقسام الفلسفة عند بعض فلاسفة الألمان في القرن التاسع عشر، ولاسيما عند (شيلنغ) و(هيجل).
وفلسفة الطبيعة أيضاً هي القول بضرورة جمع الطبائع العامة والقوانين الكبرى الضابطة للطبيعة في نظام كلي واحد.

الطبيعي (المذهب)

في الفرنسية **Naturalisme**

في الإنكليزية **Naturalism**

المذهب الطبيعي في الفلسفة العامة هو القول إنَّ الطبيعة هي الوجود كله، وأنه لا وجود إلا للطبيعة، أيّ للحقيقة الواقعية ا لمؤلفة من الظواهر المادية المرتبطة بعضها ببعض، على النحو الَّذي نشاهده في عالم الحس والتجربة، ومعنى ذلك أنَّ المذهب الطبيعي يفسر جميع ظواهر الوجود بإرجاعها إلى الطبيعة، ويستعبد كل مؤثر يجاوز حدود الطبيعة ويفارقها. ويسمى أصحاب هذا المذهب بالطبيعي (**Naturalistes**)، وهم الدهريون الَّذين ينكرون وجود الصانع المدبر، ويزعمون أنَّ العالم وجد بنفسه، دون حاجة إلى علة خارجة عنه.

الطوباوية

في الفرنسية **Utopie**

في الإنكليزية **Utopia**

الطوباوية لفظ معرب أصله (أو طوبيا) أو (يوطوبيا) وهو مؤلف من لفظين يونانيين: (طوبوس - **topos**) ومعناه المكان، و(أو - **ou**) ومعناه ليس، فمعنى (اليوطوبيا) إذن ما ليس في مكان وهو الخيالي أو المثالي، أول من استعمل هذا اللفظ طوماس موروس (**Tomas Morus**) في كتابه (**De optimo republica**). ويطلق لفظ الطوباوية أيضاً على المثل العليا السِّياسيَّة والاجتماعية الَّتي يتعذر تحقيقها لعدم بنائها على الواقع، أو لبعدها عن طبيعة الإنسان وشروط حياته.

الطوطمية

في الفرنسية Totémisme

في الإنكليزية Totemisme

يطلق اسم الطوطم (Totem) عند الأقوام الأمريكيّة والأوسترالية القديمة على حيوان أو نبات يعتقدون أنهم منحدرون منه، والطوطمية (Totémisme) هي النُّظام الاجتماعي المبني على عقيدة الطوطم، وتطلق أيضاً على نظريَّة (دوركهايم) و(فرويد) القائلة إنَّ الطوطمية هي الصُّورة الأولى للحياة الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، لما تشتمل عليه من تحريم بعض الأشياء وإباحة بعضها الآخر.

عدل، عدالة:

justice (F. E)

- ميزان العدل الاستقامة. وفي الشريعة الإسلامية السمحاء: العدل عبارة عن الاستقامة على الطريق الحق بالاختيار عما هو محظور دينياً. والعدل هو أن يعطي المرء ما عليه ويأخذ ماله.

1. (justIce) من (jus) القانون، الحق (Drolt). قوام العدل فضيلة إعطاء الآخرين حقوقهم، واحترام حقوق الآخر بصرف النظر عن جنسه وجنسيته ومعتقده ومذهبه الخ.
2. العدل هو الحق المستقيم، الحقيقة المقوننة، المحمية بقانون.
3. العدل هو إمكان إعطاء الحق وفرض احترامه بقوة القانون والشريعة والرأي العام.
4. السلطة القضائية جهاز المحاكم والقضاة.
5. العدل أو الحقانية هو إحقاق الحق وإبطال الباطل.
6. في الأسطوريات، العدالة تمثل بآلهة رمزية.

عسكرة الاقتصاد:

conomie Militarisation de I،e

Militatization of the econom

- العسكرة من العسكر، وهي عملية التعسكر التي يمكنها أن تطال المجتمع والدولة معا. أما العسكرة الاقتصادية فهي إلحاق الاقتصاد بالأغراض والأهداف العسكرية، بحجة أن توفير احتياجات الحرب المادية يستلزم إنتاجاً عسكرياً متنوعاً، والثابت في نظام العسكرة هوالتالي بقدر ما تنمو القوى الإنتاجية وتتطور وسائل الصراع المسلح، تزداد النفقات العسكرية (بالأرقام المطلقة والنسبية) في الدول الكبرى، وترتفع درجات عسكرة الاقتصاد والسياسة والتقنيات، الخ.

عصابة (عصبة):

..Bande ،Gang

جماعة أفراد تستند نشاطاتهم إلى منظومة قيم خاصة بهم، ومخالفة نسبياً لمنظومة المجتمع الكلي. وفي الأغلب، تقترب هذه المناشط من الانحراف أو تصب فيه. يستعمل مصطلح العصابة والعصبة في الدراسات التي تتناول انحرافات الشبان ' ويرى معظم الباحثين في العصابة رداً على نسق اجتماعي متخلخل.

عصيان:

contestation، contest

- العصيان هو المخالفة لمطلق الأمر، لا مخالفة الأمر التكليفي خاصة.

عقل:

Raison ،Reason

1. تبنت المجتمعات المعاصرة، المعقولية (Ratlonalte) العلمية - التقنية نموذجا وقيمة في كل المستويات، وراحت تعمل على تحقيق مثال النظام والشفافية، المثال الذي كان. التراث الفلسفي قد أسماه عقلا وقابله بالتباس الهوى. وفي الوقت نفسه كان انتصار العقل يكشف حدوده وفقره. وبالتالي فإنه التساؤل عن معنى كلمة العقل (راجع Logos 969) يعني البحث عن نسابة عصرنا وعالمنا وتقويمهما.

2. كانت الغيبيات بمثابة الشكل الأول للعقل. وفي القرن السادس عشر واجهت قوة العقل الادماجية. الازدهار التقني - العلمي وضرورة الإحاطة به. فكان التلاقي بين الخطاب (العقل الاستدلالي) والواقعة التقنية وثيقة ميلاد العلم، وغدا العقل عقلاً اختبارياً. ففي عصر النهضة الغربية، تبلورت طفرة العقل في فكرة الاختبار العلمي، وقطع العقل مع وهم المعرفة المطلقة والانغلاق الغيبي، ليغدو ذهاباً وإياباً دائمين بين عقل واختبار لا ينضبان.

3. في أيامنا، شملت المعقولية كل نواحي الحياة، وبات الرفض هو الطريقة الوجودية التي يتبناها الإنسان العقلاني: إنه يختار التحدي وينكب على الشك بهوس، ويقرف من كل تجاوز، ويدين الجسد والحياة اللذين يخشى نزواتهما، وينتقد العقل - هذه القيمة التي ابتدعها الإنسان - بقدر ما يقلق من رؤية الإنسان يتخطى حدود المسموح. وبعد، أليست روحية العقل بكاملها ملخصة في عبارة الخضوع للعقل؟ والتعقل، عقل العقل، ألا يعني. لا، للحياة؟

الغائي (المذهب)

في الفرنسية **Finalisme**

في الإنكليزية **Finalism**

الغاية (**Fin**) ما لأجله وجود الشيء، وتطلق على الحدّ النهائي الَّذي يقف العقل عنده. وعالم الغايات عند كانط مقابل لعالم الطبيعة، وهو مشتمل على قوانين موضوعية مشتركة تنسق علاقات الموجودات العاقلة.

المذهب الغائي مقابل للمذهب الآلي، ويطلق على كل نظريَّة تعلل ظواهر الوجود بالأسباب الغائية.

فاشية:

Fascisme، Fascism

- الفاشسية هي العقيدة السياسية للحزب الذي أسسه بنيتو موسوليني في ميلانو (إيطاليا، عام **1919**)، تقوم العقيدة الفاشية على ركنين.

1. قـوة الدولـة المطلقـة (كـل القـوة ممركـزة في يـدي شـخص واحـد هو الزعيم (Le Ouce).
2. تمجيد العمل الذي يؤلف بين الناس أصناف تعاونية (corporatIons) تجمع بـين أرباب العمل والعمال تحت إشراف الدولة مباشرة.

بعد ألمانيا (هتلـر 1934) وإسـبانيا (فرانكـو 1938)، شـهدت الفاشـية عـصرها الذهبي في أوروبا بفضل الانتصارات الأولى خلال الحرب العالمية الثانية، ثـم انهـارت الفاشية والنازية بعد انتصار الحلفـاء. تبـدو الفاشـية، اليـوم، شـكلاً نموذجيـاً للحكـم المستوحى من تاريخ أوروبا الحديث، فهي تمثل كل ما يعتبره الرأي العام الـديموقراطي الحر من الأمـور المـستنكرة والمدانـة. سياسـة القمـع والإرهـاب والاسـتبداد الفـردي والتنظيم العسكري لحياة المواطنين.

فساد (تعفن):

Pulverization، putrefaction

هو انحلال المادة الى غبار أو تعفن، يرمز الى تحطيم الطبيعـة القديمـة وانبعاثهـا – بمعنى الانتقال من الرجس الى الطهارة – في كيفية وجودية مختلفة ، قادرة علـى انتـاج ثمرات جديدة (أنتم ملح الأرض فإذا فسد الملح فبماذا يملح يناقضه القول: لا تتكاثر حبة القمح إلا إذا فسدت وماتت).

وهـو في الإدارة، والـسياسة والقـضاء الخ، انحـلال العلاقـات الاجتماعية **corruption**، وانحرافها عن الأعراف والمعايير والقوانين السائدة في مجتمع ودولة، لهما نظام قيمي معين.

فكر، فكرة:

Thought Pensee،

– يقصد بالفكر/ الفكرة/ في المعنى الرائج اشتغال اللغة واعتمالها لتخرج من ذاتهـا معرفة ترمي إلى شيء آخر غير ذاتها. لكن التفكر، في حقيقتـه، هـو غـير المعرفـة. فإذا كانت المعرفة هي معرفة أنك تعـرفْ كمـا يقـول آلان (Alain)، فـإن الفكـر

لا يعني شيئا آخر هذا الوعي المتجدد للمعرفة التي تقود في ما يتعدى الاختبار، إلى تلك النقطة العمياء التي تشرط كل رؤية.

1. ما التفكر؟ إنه التذكر (أفلاطون) والشك واليقين والنفي والإرادة، والرفض والتخيل والشعور (ديكارت)؟ وهو المحاسبة (لبنتز)، وتحقق حقيقة المطلق بذاته وبفعاليته هن خلال اللغة البشرية (هيجل).

2. التفكر هو تكرار المضمون الخاص بكل فكر- ليس تكراره حرفيا وإنما بتغيير حدود المسألة وتقديم هوية الفكر تقديماً دقيقاً (هن صمت افتكر)' فيترتب على ذلك لا وجود الفكر خارج الكون موضوع التفكر أو الافتكار (بمعنى التروي والتأمل)، فالفكر يبحث خارج كل راتوب (**Order**) عن إعطاء الكلام لكل ما هو غير ذي نظام (خارج المنظوم والمعلوم)، وانطلاقاً من هذه الوجهة النظرية، لا يكون التفكر بواسطة المفاهيم، سوى تعقل وإحاطة عقلانية، لكن الفكر أو الفكرة لا يريدان الإحاطة، أو أنهما يريدان عدم الإحاطة بشيء. فما يقرره الفكر مآله الصمت منذ القدم – التفكر استلهام، وحي يوحي، وعي يوعى.

فوضى:

Anarchle ،Anapchy

1. يقال في العربية: قوم فوضى أي متساوون لا رئيس لهم، أو مختلط بعضهم ببعض. ويقال أمرهم فوضاء بينهم، إذا كانوا مختلفين يتصرف كل منهم في مال غيره. وأما الفيض فهو السخاء والإلقاء والوسوسة (الوحي).

2. في اليونانية (**Anarkhia**) معناها غياب الإمرة أو القيادة: لا سلطة. فمفهوم الفوضى يدل على وضع شعب ما، وصورة مجتمع مثالي، وتاريخ عقيدة سياسية.

أ- شعب بلا حكم، أو شعب لم تعد حكومته تملك السلطة الضرورية لتكون حكما بين المتنازعين والمتغالبين سياسياً، اقتصادياً أو إجتماعياً، تعرف الفوضى بأنها غياب حكم القانون وكل حكومة.

ب- تستند الفوضى إلى عقيدة تنادي بالحرية المطلقة وبالرفض المطلق لكل سلطان مهما تكن كيفياته وأدوا ته (مجتمع طوباوي).

ج- شهدت الفوضوية (Anarchlsme) ثلاثة تيارات متناقضة.

- الفوضوية المسيحية التي طورها تولستوي في روسيا القيصرية.
- الفوضوية الفردية (ماكس ستيرنر).
- الفوضوية الجماعية/الشيوعية (فرنسا، برودون). رفض الدولة وإقامة مجتمع فوضوي/ بلا دولة، ضد الدولة.

3. يقابلها ويناقضها:

حكم الواحد (الملك أو سواه). (Monarchie).

حكم القلة (الطغمة أو الفئة). (OIIgarchie).

حكم الكثرة (تعدد القوى) (Polyarchie).

الفطري

في الفرنسية Inné

في الإنكليزية Innate

الفطري هو المنسوب إلى الفطرة، وهو مقابل للمكتسب (Acquis)، والفطرة هي الجبلة الَّتي يكون عليها كل موجود في أول خلقه، قال ابن سينا: «والفطرة الإنسانية، في الأكثر غير كافية في التمييز» بين أصناف التصديقات فهي إذن قد تكون سليمة، فإذا كانت سليمة سُمِّيت عقلاً. وهي عند ديكارت استعداد لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل.

والفطرية (Innéité) هي الصفة الَّتي تُمَيِّز الفطري عن غيره، والفطريات قسم من المقدمات اليقينية الضرورية، وهي قريبة من الأوليات.

الفطري (المذهب)

في الفرنسية **Innéisme**

في الإنكليزية **Innatism**

المذهب الفطري هو القول إنَّ في العقل البشري أفكاراً ومبادئ فطرية، مثال ذلك أنَّ الأفكار عند ديكارت ثلاثة أقسام: هي الأفكار الفطرية الَّتي لم تستمد من التجربة، والأفكار المصطنعة، وهي المتولدة مِمَّا تركبه المخيلة، والأفكار العارضة أو الطارئة وهي المتولدة من الإحساس، فالفطري عند ديكارت يشمل ما نطلق عليه اليوم اسم أحوال النفس، أو التجربة الباطنة، كما يشمل ما نسميه بقوانين المعرفة، أو صورها، ومبادئها القبلية.

الفلسفة العامة

في الفرنسية **Philosophie Premiére**

في الإنكليزية **First Philosophy**

الفلسفة الأولى اصطلاح أطلقه أرسطو على العمل الإلهي، وقد سمَّاه بالفلسفة الأولى لأنَّه يبحث في الأسباب القصوى، والمبادئ الأولى، والموجودات المفارقة، بخلاف العمل الطبيعي الَّذي أطلق عليه اسم الفلسفة الثانية، أمَّا ابن سينا فقد أطلق اصطلاح الفلسفة الأولى على الفلسفة الَّتي موضوعها الموجود المطلق بما هو موجود مطلق، وأطلق اصطلاح الفلسفة الإلهية على جزء من الفلسفة الأولى، وهي معرفة الربوبية، وأما بيكون فقد أطلق اصطلاح الفلسفة الأولى على البحث في المبادئ الصورية لجميع العلوم أو أكثرها، وقلده في ذلك هوبز، فجعل موضوع الفلسفة الأولى البحث في المكان، والزمان، والعلة، والمعلول، والكم، إلخ.

الفلسفة العامة

في الفرنسية **Philosophie Génerale**

في الإنكليزية **General Philosophy**

الفلسفة العامة اصطلاح جديد استعمله أوغست كومت للدلالة على المبادئ العامة الَّتي يستند إليها العمل، وقد انتشر هذا الاصطلاح في فرنسا حتَّى أطلق في عام 1907 على أحد أقسام الإجازة الفلسفية، وهو يتضمن دراسة المسائل الفلسفية الَّتي يثيرها علم النفس، والمنطق، وعلم الأخلاق، وعلم الجمال من دون أن تكون هذه المسائل خاصَّة بعلم دون آخر.

من هذه المسائل: طبيعة المعرفة، المسائل المُتعلِّقة بالله، والعالم، والروح، والنفوس الفردية، علاقة المادَّة بالحياة والشعور، مسألة التقدم، فالفلسفة العامة بهذا المعنى مختلفة عن علم ما بعد الطبيعة.

القيم (فلسفة)

Philosophie des valeurs

هي البحث عن الموجود من حيثُ هو مرغوب فيه لذاته، وهي تنظر في قيم الأشياء، وتحللها، وتبين أنواعها وأصولها.

القيم (نظريَّة)

Axiologie

هي البحث في طبيعة القيم، وأصنافها، ومعاييرها، وهي باب من أبواب الفلسفة العامة، ترتبط بالمنطق وعلم الأخلاق وفلسفة الجمال والإلهيات، ولها معنيان: الأوَّل هو النَّظر في إحدى القيم كقيمة العقل مثلاً، والثَّاني هو النَّظر الانتقادي في معنى القيمة على الإطلاق.

قائد/ قيادة:

(e،f) Leader، leadership

- زعيم ، زعامة.

رئيس، رئاسة (**Head HeadshI**).

1. قوام القيادة تمكن فرد أو عدة أفراد من ضبط جماعة وتنظيمها. وهي تدل في وقت واحد على المنصب / المركز/ المقام (مثاله شعارات لا جماعة بلا إمارة ولا إمارة بلا أمير أو لا يجتمع سيفان في غمد واحد، أولا تجتمع الرئاسة لاثنين، الخ)، وعلى السلوك والمزايا والاستعدادات لدى الشخص الذي يجتذب الجماعة إليه أو الذي يوحد ويوجه مسارها السلوكي (القيادة تدل هنا على القائد، الزعيم).
2. يمكن للقائد أن يكون.

أ- رأس المؤسسة المفروض على الجماعة بحكم البنى الاجتماعية القائمة، ليتولى مهام القيادة.

ب- الشخص المركزي الذي يتركز اهتمام الجماعة فيه ، والذي يرغب أفراد الجماعة في التماهي معه (أمة في رجل).

ج- الشخص المفضل بمعنى المقايسة الاجتماعية **sociometrie**.

د- الشخص الذي يلتزم مهام القيادة لجعل الجماعة تبلغ هدفها المنشود.

هـ- الشخص الأوسع نفوذاً.

قولبة:

Standardisation، Standardization

- توحيد القالب، إرصان وتطبيق المستلزمات الواجبة والوحيدة في هذا القطاع أو ذاك من قطاعات النشاط البشري (صناعة، زراعة، تقنية، ثقافة، صحة... الخ).

تطول القولبة المواد العينية، المعايير والأعراف، التسميات، الخ، الرامية إلى تحقيق أوسع إنتاج ممكن آو تعميم أوسع سلوك جماعي داخل جماعات كامنة آو منتظمة تلعب القولبة دورا في النشاط الاقتصادي وفي كل نشاط عام وتكون المعايير (القوالب) هي النتيجة العينية للقولبة التي يتبناها ويعمل بها جسم كفؤ.

قيمة:

Valeur ،Value ،worth

- في مصدرها اللاتيني، (valere)، تعني القوة، الحزم ، وترادف فضيلة الحربو الشجاعة المعنوية.

1. بدأ استعمالها الفلسفي مع نيتشه ، ومع إثارة مسألة أساس القيم، وهي. هل الإنسان مقياس الأشياءكلها(بدعوى أن القيم مخلوقة لأجله. الإنسان مخلوق في أحسن تقويم)، أم أن القيمة - التي تفرض نفسها على الإنسان داخل عالم معقول هي ذات علاقة معيشة، ولا تقبل الانفصال عن الكون؟ بكلام آخر، نقول. هل توجد قيم ذاتية، أي وقائع قيمية متعالية نكتشف بها أصول عملنا؟.
2. جعل أفلاطون من القيم وقائع موضوعية، ملازمة للأشياء (الخير هو الواقع الأسمى الذي تصدر عنه كل قيمة أخرى). ومع ذلك، أمكن إيجاد مصدر هذا التصور في الوجد والعاطفة (تكمن قيمة الشيء في مرغوبيته).

فالشيء حسن لأنه مرغوب فيه، سبينوزا)، وفي الشعور (ماكس شلر)، أو في الحياة حيث يوفر فلك الغرائز النواة الفردية لكل قيمية، (**AXlologie**).

3. طور أهل الشك الحديث (نيتشه، ماركس، فرويد) نقد القيم، في خط هيجل الذي تساءل عن القيم المكتسبة، فاعتبر أن كل أشكال التقويم (الدينية، الأخلاقية والسياسية) هي استيعاءات (**conscience de prises**) جزئية، انحيازية ومجردة عن الواقع. لكننا نجد عند نيتشه النقد الجذري (حتى العدم) لكل القيم الماثلة في الأخلاقيات المسيحية (تحالف الضعفاء الخائفين من حريتهم)، ونجد عنده صورة الإنسان المتفوق بحريته وبقوته، الإنسان المقوم لكل شيء الإنسان أصل القيمة في العالم ' ضمانتها الوحيدة، أساسها ومبررها.

- قيمة اقتصادية (**Economlcal value**) (**valeur economique**) هي العمل الاجتماعي المتجسم في سلعة، فكل سلعة ينتجها الإنسان تتضمن شغله – لكنها لا ترتدي شكل القيمة الاجتماعي إلا في ظروف اجتماعية معينة، إذ من الضرورة

بمكان أن ينتج العمل أشياء تلبي بعض حاجات الإنسان (الآخر غير المنتج)، وأن تصل إلى المستهلك من خلال التبادل.

- قيمة تبادلية.
- قيمة استعمالية (Valeur d'usag).
- قيمة اجتماعية (للسوق): (Valeur soclal).

الكوجيتو

في الفرنسية **Le Gogito**

كوجيتو لفظ لاتيني معناه (افكر)، يشار به إلى قول ديكارت، أنا أفكر، إذن أنا موجود. ومعنى هذا القول إثبات وجود النَّفس من حيثُ هي موجود مفكر، والاستدلال على وجودها بفعلها الَّذي هو الفكر، وقد قيل إنَّ الكوجيتوليس استدلالاً حقيقياً وإنَّما هو حدس يكشف عن حقيقة أولية لا يتطرّق إليه الشك. وليس ديكارت أول من استدلَّ على وجود النَّفس بالفكر، فقد سبقه إلى ذلك القديس أوغسطين وابن سينا.

الكيف والكيفية

في الفرنسية **Qualité**

في الإنكليزية **Quality**

الكَيْف اسم لما يُجاب به عن السؤال بكَيْفَ، كما أنَّ الكمِّيَّة اسم لما يُجاب به عن السؤال بِكَمْ، ومعناها صفة الشَّيء وصورته، وحاله، وهي إحدى مقولات أرسطو، وقد عرفها القدماء بقولهم: «الكَيْف هيئة قارة في الشَّيء لا يقتضي قسمة ولا نسبة لذاته».

الكيفيات الأولية والكيفيات الثانوية

في الفرنسية Qualité

في الإنكليزية Quality Secondaires

الكيفيات الأولية عند فلاسفة القرون الوسطى هي الحرارة، والسيرورة واليبوسة، والرطوبة، والكيفيات الثانوية هي الكيفيات المشتقة من الكيفيات الأولية. أمَّا عند المحدثين فإنَّ الكيفيات الأولية هي الخواص الهندسية والميكانيكية الَّتي تتصف بها الأجسام كالصلابة، والامتداد، والشكل، والعدد، والحركة، والسكون، والكيفيات الثانوية أو الثَّانية (Seconders) هي الخواص الحسية الَّتي ندركها في الأجسام كاللون، والصوت، والطعم، والرائحة، والحرارة، والبرودة، إنَّ الكيفيات الأولية لا تنفصل عن المادة، وتسمى أيضاً بالكيفيات الأصلية.

كتابة:

ecriture ،writing

- هي تمثيل اللغة بحروف أو علامات وإشارات، وهي شكل الأحرف المكتوبة، والطريقة الخاصة بكل كاتب (صورة الكتابة) ' (أسلوب الكتابة) ' يمكن للكتابة أن تكون تصويرية (رسوم تمثل الأشياء وراموزية (رمزية) ومقطعية (علامات تمثل المقاطع) وأبجدية (بواسطة الحروف) أو صوتية (تمثيل الأصوات والنبرات بشكل مناسب).

1. في العلوم الإنسانية، يجري التفريق بين أربعة أنماط من الكتابة:

أ- الكتابة التوليفية (ecriture synthetique) ، قوامها ترجمة الجملة والعبارة إلى علامة.

ب- الكتابة التحليلية (analytique ecrifure) ' قوامها ترجمة العلامة إلى صورة حرفية.

ج- الكتابة الصوتية (ecriture phonetique)،- قوامها تمثيل العلامة في صويتات.

د- الكتابة الآلية (ecriture automatique) ' قوامها إظهار الإنسان كما هـو بذاتـه (السوريالية. أندريـه برتـون) بحيـث يكـون المكتـوبecrit معـبراً قـدر الإمكـان عن الفكر المحكي.

2. في الاستعمال الراموزي، تؤسطر الكتابة وتـؤول اللغـة (مـن أسمـاء وحـروف) على غير واقعها العلمي والعملي. وذلك بجعل الكلام المنطـوق والمكتـوب بمثابـة قوة خارقة قوامها الاعتقاد في قوة الكلام (قوة العقـل)' فـوق وقبـل قـوة الفعـل البشري وهكذا. تحرف اللغة المكتوبـة، مـثلا، عـن وظيفتهـا الدلاليـة، إلى وظيفـة سحرية، غير منفصلة عن أساس اعتقادي ما ورائي (غيبي، ديـني). نكتفـي بالمثـل التالي، من الأثريات العربية الإسـلامية يتـألف الاسـم الأعظـم، الله، مـن أربعـة حروف (مصدر الحروفيـة) ' أي مـن التعـيين الربـاعي للوحـدة. يقارنـه العرفـان الإسلامي بالعناصر الأربعـة (الأركـان الأربعـة) والأبجديـة العربيـة (28 حرفـاً) هي كما يقال، هده الحـروف الأربعـة مـضروبة بـسبعة (أسمـاء/ عقـول إلهيـة) ' وهي صورة الإنسان الكامل جسداً وروحاً. الخلق كتاب ومخلوقاته حروف مكتوبة كهل شيء في الكون كتابة الهدر المكتوب ليس منه (مهروب).

اللاهوت (علم)

في الفرنسية Théologie

في الإنكليزية Theology

«اللاهوت: الخـالق، والناسـوت: المخلـوق، وربمـا يطلـق الأوّل علـى الـروح، والثّاني على البدن، وربما يطلق الأوَّل على العالم العلوي، والثّاني على العالم السفلي، وعلى السَّبب والمُسبِّب، وعلى الجن والإنس».

وعلـم اللاهـوت هـو العمـل الّـذي يبحـث في الله وصـفاته وعلائقـه بالعـالم والإنسان، ويرادفه علم التوحيد، وعلم الكلام، وعلم الربوبية.

واللاهوتي (Théologique) هو المنسوب إلى اللاهوت بمعانيه المختلفة.

اللاوجود

في الفرنسية **Non-étre**

في الإنكليزية **Non-being**

اللاوجود هو العدم (**Le néant**) ويرادفه لفظ (ليس)، وهو العدم أو المعدوم بخلاف (أيس)، فهو يدلُّ على الوجود أو الموجود.

قال ابن سينا: «فإنَّ اليهولى لا تسبق الصُّورة بالزمان، ولا الصُّورة الهيولى أيضاً، بل هما مبدعان معاً عن ليسيه»، فمعنى الليسية هنا هو اللاوجود والعدم.

لغة معلوماتية:

، Informatic Ianguage Langage informatique

قوامها ترجمة الصور إلى لغة مرئيه، مصورة، سواء باعتماد صور واقعية (تصوير آلي مثلاً) أو بإنشاء صور صنعية إنطلاقاً من برنامج لنظم العناصر الصورية.

يجري التفريق في اللغة المعلوماتية بين:

- الصورة الدعائية (**Image de propagande**).
- وا لصورة التربوية. (**dagogelmagique**).

يعتمد في هذا المجال التحليل الدلالي العلمي أو العلم الذي يدرس حياة العلامات والإشارات في صميم الحياة الاجتماعية (**semlologique Analyse**).

ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)

علم ما بعد الطبيعة هو الاسم الَّذي نطلقه اليوم على مقالات أرسطو المخصوصة بالفلسفة الأولى. سُمِّيت بهذا الاسم لأن (أندرونيقوس) الروديسي الَّذي جمع كتب أرسطو في القرن الأوَّل قبل الميلاد وضع الفلسفة الأولى في ترتيب هذه الكتب بعد العلم الطبيعي.

وعلم ما بعد الطبيعة، عند الكندي، هو الفلسفة الأولى، وعلم الربوبية، وعند الفارابي، هو «العمل بالموجود بما هو موجود»، وعند ابن سينا، هو العمل الإلهي،

أمّا ابن رشد فإنه يسمي هذا العلم بعلم ما بعد الطبيعة، وغرضه عنده «النّظر في الوجود بما هو موجود».

وقد اختلف مدلول هذا العمل باختلاف العصور، فموضوعه عند أرسطو والمدرسيين مشتمل على البحث في الأمور الإلهية، والمبادئ الكلية، والعلل الأولى، وموضوعه عند المحدثين مقصور على البحث في مشكلة الوجود، ومشكلة المعرفة.

المادّي (المذهب)

في الفرنسية **Matérialisme**

في الإنكليزية **Materialism**

المذهب المادّي المذهب الَّذي يفسّر كل شيء بالأسباب المادية، ويطلق في علم ما بعد الطبيعة على مذهب الَّذين يقولون إنَّ المادَّة وحدها هي الجوهر الحقيقي، الَّذي به تفسر جميع ظواهر الحياة، وجميع أحوال النفس، والمذهب المادّي بهذا المعنى مقابل للمذهب الروحي الَّذي يثبت وجود جوهر مستقل عن المادة، وهو الروح.

المادية الكلاسيكية

في الفرنسية **Matérialisme Classique**

المادية الكلاسيكية هي مذهب أبيقورس في العصور القديمة ومذهب لامتري ودولباخ في العصور الحديثة، لا تنسب إلى المادَّة إلا تغيرات كمية.

المادية الجدلية

في الفرنسية **Matérialisme Dialectique**

تدخل الماديّة الجدليّة على المادَّة حركة جديدة تجمع بين التغيرات الكمية والتغيرات الكيفية، وتؤدي في نهايتها إلى قيام حياة روحية مستقلة عن الظواهر المادية، وإن كانت في بدايتها ناشئة عن المادّة. وبيان ذلك أنَّ العالم في نظر الماديين الجدليين كُلٌّ مؤلف من مادَّة متحركة ذات تطور صاعدعلى مستويات متتالية، متزايدة التعقيد،

في الكم، حتّى إذا بلغت هذه المستويات أعلى درجات التعقيد نشأ عنها بالضرورة تحول مفاجىء وتغيرات كيفية جديدة.

المادية التاريخية

في الفرنسية Matérialisme Historique هي القول إنَّ الوقائع التاريخية والظواهر الاجتماعيَّة تنشأ عن أسباب اقتصادية خاصَّة. قال كارل ماركس في مُقدِّمة كتابه: نقد الاقتصاد السِّياسيّ: «إنَّ بنية المجتمع الاقتصادية هي الأساس الحقيقي الَّذي تقوم عليه بنيته الفوقانية أعني البنية القضائية والسياسية، فكل صورة من صور الوعي الاجتماعي مطابقة لهذا الأساس، وكل حركة من الحركات الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والروحية تابعة لنمط الإنتاج الاقتصادي». فالشروط الاقتصادية هي البنى التحتانية الَّتي تقوم عليها جميع البنى الروحية المسماة بالفوقانية.

المانوية

في الفرنسية Manichéisme - في الإنكليزية Manichaeism

المانوية مذهب (ماني) الفارسي الَّذي عاش في القرن الثَّالث للميلاد، وعمل على التوفيق بين المسيحيين والزرادشتية، قال إنَّ للعالم مبدأين: أحدهما النور، وهو مبدأ الخير، والآخر الظلمة، وهو مبدأ الشر، وكل مبدأ من هذَيْن المبدأَيْن مستقلٌ عن الآخر ومنازع له.

الماهية

في الفرنسية Quiddité - في الإنكليزية Quiddity

الماهية لفظ منسوب إلى ما، أو إلى ما هو، وهي عند أرسطو مطلب ما هو، كسؤالك: (ما الخلاء؟)، فمعناه بحسب الاسم (ما المراد بالخلاء؟)، أو كسؤالك: (ما الإنسان)، فمعناه بحسب الذات (ما هي حقيقة الإنسان؟)، ومطلب (ما هو؟) مقابل لمطلب (هل هو؟)، الأوَّل يُراد به الماهية، والثَّاني يُراد به الوجود.

فالماهية إذن هي ما به يُجاب عن السؤال بِمَا هو؟، أو هي ما به الشَّيء هو هو. والماهية، والحقيقة، والذات قد تطلق على سبيل الترادف.

المثالية

في الفرنسية **Idéalisme** – في الإنكليزية **Idealism**

يطلق اسم المثالية بوجه عام على النزعة الفلسفية الّتي تقوم على ردّ كل وجود إلى الفكر بأوسع معانيه، وهي بهذا المعنى مقابلة للواقعية الوجودية، الّتي تُقرِّر أنَّ هناك وجوداً مستقلاً عن الفكر.

ولهذه المثالية صورتان: أولهما تريد أن ترد الوجود إلى الفكر الفردي، وتسمى بالذاتية، أو بالمثالية الشخصية، وثانيهما تريد أنْ تردَّ الوجود إلى الفكر بوجه عام فردياً كان، أو جماعياً، أو كلياً.

أول من استعمل لفظ المثاليّة في اللغة الفلسفية فلاسفة القرن السابع عشر، ولاسيما ليبنتز الّذي جعل المثالي (**Idéaliste**) مقابلاً للمادي (**Matérialiste**).

ويطلق اسم المثاليّة على مذاهب فلسفية عديدة كمذهب فيختة، ومذهب شللينغ، ومذهب هيجل، ومن عادة مؤرخي الفلسفة أنْ يسموا مثالية فيختة بالمثالية الذاتية، ومثالية شللينغ الموضوعية، ومثالية هيجل بالمثالية المطلقة.

مدرسة فرانكفورت

اتِّجاه في الفلسفة وعلم الاجتماع، ظهر بألمانيا في ثلاثينات القرن المنصرم، وأثر على التيارات اليسارية الراديكالية والليبرالية بعد الحرب العالمية الثانية، تتطلع هذه المدرسة إلى وضع فلسفة اجتماعية خاصَّة.

المحمول

في الفرنسية **Attribut, Prédicat**

في الإنكليزية **Attribute, Predicate**

المحمول عند المنطقيين هو المحكوم به في القضية الحملية دون الشرطية، أمَّا في الشرطية فيسمى تالياً، ففي قولنا: زيد كريم، زيد هو الموضوع، وكريم هو المحمول.

المشائي

في الفرنسية **Péripatéticien**

في الإنكليزية **Peripatetic**

المشاء: الكثير المشي، والمشائي هو الأرسطي، سُمِّي مشائياً لأن أرسطو كان يعلم تلاميذه ماشياً.

المطلق

في الفرنسية **Absolu**

في الإنكليزية **Absolute**

المطلق مقابل للمقيَّد، تقول: أطلق الرجل المواشـي: سـرَّحها، وأطلـق الأسـير: خلَّى سبيله، وأطلق في كلامه: لم يقيِّده، فالمطلق إذن في اللغة هو المتعري من كل قيد.

المطلق في علم ما بعد الطبيعة اسم للشيء الَّذي لا يتوقـف تـصوره أو وجـوده على شيء آخر غيره، لأنَّه علَّة وجود نفسه.

وفي نظريَّة المعرفة المطلق هو الشَّيء في ذاته. والمطلق أيـضاً هـو التـام والكامـل والثابت والكلي، وهو مقابل للنسبي، وإذا كان كل واحد من العلـوم الجزئيـة يبحـث عن حال بعض الموجودات، فـإن العمـل الكلـي الَّـذي يبحـث عـن الموجـود المطلـق هو العلم الإلهي، أيّ علم ما بعد الطبيعة.

المطلقية

في الفرنسية **Absolutisme**

في الإنكليزية **Absolutism**

المطلقيّة مذهب من يقـول بـالمطلق: فـالقول بـالمطلق في نظريَّـة المعرفـة مـذهب مَنْ يُقرِّر أنَّ في وسع العقل الإنساني أن يحيط بالحقائق الموضوعية المطلقة.

والقول بالمطلق في علم القيم (أكسيولوجيا) مذهب مَنْ يرى أنَّ معايير الأخلاق والفن معايير موضوعية مطلقة ثابتة على الدهر، لا معايير ذاتية متغيرة.

ماهية (جوهر الكلام، مادته):

Substance

1. الماهية (المائية) هي جملة العوامل المادية الجوهرية، المكونة للكلام.
2. مادة الكلمة، اللفظة، المفردة، هي الكلمة القائمة بذاتها ولذاتها، بصرف النظر عن الجملة أو العبارة.
3. في التفلسف (**le philosopher**) العربي، الماهية هي ما به يجاب عن السؤال (ما هو؟ ماهي ؟).

أ- تستعمل الماهية في الموجودات والمعدومات وتطلق على الصورة المعقولة والوجود العيني.

ب- ماهية الشيء هي تمام مايحمل على الشيء حمل مواطأة، من غير أن يكون تابعاً لمحمول آخر.

ج- الماهية المشخصة والماهية الموجودة متساويتان. إن كل موجود في الخارج مشخص فيه، وكل مشخص في الخارج موجود فيه.

مثاقفة:

Acculturation (f.e.)

1. يستعمل علماء الاجتماع والنفس مفهوم المثاقفة في معنى "سيرورات تكيف الفرد مع البيئة الثقافية وتأثره التكويني بها".
2. يعرفه علماء الإناسة بأنه "جملة التحولات التي تخضع لها جماعة من جراء احتكاكها بجماعة أخرى".
3. يفرق روجيه باستيد بين المثاقفة المادية والمثاقفة الشكية، مستنداً في ذلك إلى قوله بـ"عناد الحضارات" المتمثل في ديمومة القيم المأثورة وعملها في سياق اجتماعي جديد: مجتمع زنجي، لا غربي ولا إفريقي، داخل الولايات المتحدة الأميركية مثلاً.

المورفولوجيا

في الفرنسية **Morphologie**

في الإنكليزية **Morphology**

المورفولوجيا هي العمل الّذي يبحث في صور الأشياء أو أشكالها، وتطلق في علم الحياة على دراسة الأنماط المميزة للأنواع الحيوانية والنباتية.

وقد انتشر استعمال هذا اللفظ في العلم الحديث، حتّى عمَّ علم الأرض، وعلم الاجتماع، وعلم النَّفس.

الموضوع

في الإنكليزية **Subject**

الموضوع بوجه عام هو المادَّة الَّتي يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه، تقول: موضوع البحث، أي مادته. والموضوع عند ديكارت وعند مَنْ تقدَّمه من فلاسفة العصر الوسيط، هو الأمر الَّذي تتمَثّله في الذهن، فالحقيقة الموضوعية هي الحقيقة الَّتي نتمثَّلُها ذهنياً بخلاف الحقيقة الصورية المُستقلَّة عن الذهن.

والموضوع أيضاً هو الشَّيء الموجود في العالم الخارجي، وهو ما ندركه بالحواس، ونتصوره ثابتاً ومستقراً ومستقلاً عن رغباتنا وآرائنا، ويقابله الذات.

الموناد

في الفرنسية **Monade** - في الإنكليزية **Monade**

أصل هذا اللفظ يوناني (**Monas, Monads**)، ومعناه الوحدة، أطلقه أفلاطون على المثال، وأطلقه بعض أفلاطونيي القرن الثّاني عشر على الله من حيثُ هو واحد وبسيط، واستعمله برونو وهنري مور للدلالة على العناصر المادية، أو الروحية البسيطة، الَّتي يتكون منها العالم، ثُمَّ أطلقه ليبنتز على الجواهر البسيطة الَّتي تتألَّف منها الأشياء، وهي ظواهر روحية، متَّصفة بالإدراك، والنزوع، والتلقائية، تتحرك بنفسها، وتغيراتها داخلية.

نسبية المعرفة

في الفرنسية **Reletirité de la connaissance**

في الإنكليزية **Relativity of Knowledge**

المقصود بنسبية المعرفة أنَّ المعرفة الإنسانية نسبة بين الذات العارفة والموضوع المعروف، وأنَّ العقل الإنساني لا يحيط بكل شيء، وإذا أحاط ببعض جوانب الأشياء صبَّها في قوالبه الخاصَّة.

والخلاصة، أنَّ نسبية المعرفة ترجع إلى القول: إنَّ العقل لا يستطيع أنْ يعرف كل شيء، فإذا عرف بعض الأشياء لم يستطع أنْ يحيط بها إحاطة تامة، وما من فكرة في العقل إلا كان إدراكها ثابتاً لمعارضتها بفكرة سابقة مختلفة عنها أو شبيهة بها، لذلك كان من المحال إدراك المطلق، لأنَّه لا يتصور وجود شيء خارجه حتَّى يعارض به.

النسبية

في الفرنسية **Relativisme**

في الإنكليزية **Relativism**

النسبية مذهب مَنْ يُقرِّر أنَّ كل معرفة (أو كل معرفة إنسانية) فهي نسبية، والنسبية الأخلاقيَّة (**Relativisme Moral**) مذهب مَنْ يُقرِّر أنَّ فكرة الخير والشر تتغير بتغير الزَّمان والمكان، من غير أنْ يكون هذا التغير مصحوباً بتقدم مُعيَّن.

نبر، نبرة:

Accent (f،e)

ton (لهج، لهجة)

– جملة خواص تساعد على تبيين أو تمييز النطق في لغة ما أوفي لهجة محلية بالنسبة إلى نطق أعم ومنها النبر الصوتي أو النبرة الوترية ومعنى النبر/ النبرة إبراز وحدة صوتية (صويتة) بفضل قوة تنفسية أعظم.

نظريَّة النسبية

في الفرنسية Théorie de la relativité

في الإنكليزية Theory of Relativity

نظريَّة النسبية هي النَّظريَّة الَّتي وضعها (آينشتاين) على مرحلتين إحداهما مرحلة النسبية الخاصَّة (عام 1905) والأخرى مرحلة النسبية العامة (عام 1913).

فنظرية النسبية الخاصَّة تُقرِّر أنَّ الزَّمان والمكان نسبيان، أيّ منسوبان إلى حركة الملاحظ، وأنَّ قوانين الطبيعة لا تختلف باختلاف الَّذين يلاحظون ظواهرها، إذا كان هؤلاء الملاحظون يتحركون بعضهم بالنِّسبة إلى بعض حركة انتقالية واحدة، وأنَّ مدة الظواهر الطبيعية تختلف باختلاف موقف الَّذين يقيسونها، أيّ باختلاف سكونهم أو حركتهم بالنِّسبة إلى تلك الظواهر، ونظرية النسبية العامة تفسر جميع ظواهر العالم المادي، ولاسيما ظاهرة الجاذبية، بالخواص المحلية للمتصل المكاني-الزماني، وهو المتصل الَّذي لا يتَّصف بما يتَّصف به الزَّمان والمكان، الرياضيات من التجانس، لأنَّه ملتوٍ، ومقوَّس، وذو أربعة أبعاد. وهي تُؤكِّد أنَّ الأجسام المادية تولد إنحناءً في الفضاء يكون مجالاً للجاذبية، وأنَّ مسار جسم في هذا المجال يحدده هذا الانحناء، فينبغي لنا إذن أنْ نستبدل بفكرة الزَّمان المطلق فكرة الزَّمان المحلي، وبفكرة المكان المتجانس فكرة الفضاء المقوس، الَّذي هو متناهٍ وغير محدود.

ومن نتائج نظريَّة النسبية أنَّ كتلة الجسم تتكون من الطاقة المخزونة فيه، وإنَّ لهذه الطاقة تصوراً ذاتياً وثقلاً، وأنَّ المادَّة والطاقة ظاهرتان مختلفتان لحقيقة واحدة.

النَّفس

في الفرنسية Ame

في الإنكليزية Soul

اسم النَّفس يقع بالاشتراك على معانٍ كثيرة، مثل الجسد، والدم، وشخص الإنسان وذات الشيء، والعظمة، والعزة، والهمة، والأنفة، والإرادة، ووصف النَّفس على حقيقتها صعب جداً، والدليل على ذلك أنَّ لها عند الفلاسفة تعريفات مختلفة

منها القول (لأفلاطون): إنَّ النَّفس ليست بجسم، وإنَّما هي جوهر بسيط محرك للبدن، ومنها قول (أرسطو): إنَّ النَّفس كمال أول لجسم طبيعي آلي.

وقد جمع (ابن سينا) بين هذين التعريفين فقال مع (أفلاطون): إنَّ النَّفس جوهر روحاني، وقال مع (أرسطو) إنَّ النَّفس كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد ويربو، ويغتذي.

والنفس مبدأ الحياة، أو مبدأ الفكر، أو مبدأ الحياة والفكر معاً، وهي حقيقة متميزة عن البدن، وإنْ كانت متصلة به، ومهما يكن من أمر فإنَّ النَّفس في اصطلاحنا مرادفة للروح ومقابلة للمادة، فالنفس هي الروح، والروح هي النفس، أو ما به حياة النَّفس.

النفعية

في الفرنسية **Utilitarisme**

في الإنكليزية **Utilitarianism**

1. نفعه نفعاً: أفاده وأوصل إليه خيراً، والمنفعة (**Utilite**) اسم من النفع، وهي الفائدة الَّتي تترتب على الفعل.
2. والنفعي (**Utilitaire**) من الرجال مَنْ يؤثر المنفعة على كل شيء، والنفعي من الأشياء ما يترتب عليه النفع ويرادفه النافع.
3. النفعية (**Utilitarisme**)، مذهب المنفعة، وهي القول إنَّ المنفعة مبدأ جميع القيم، علمية كانت أو عملية، ولها في الفلسفة الحديثة ممثلان شهيدان، أحدهما (بنتام) والآخر (استوارت ميل). أمَّا (استوارت ميل) فإنه يقول: إنَّ السعادة مجموع من اللذات المُحددة الكمية والكيفية، وأنَّ الأخلاق النفعية يجب أن تبنى على التجربة.

وجملة القول إنَّ مذهب المنفعة يجعل تحقيق المنفعة مبدءاً، وتوفير أكبر قسط من السعادة قاعدة والاتفاق بين المنفعة الفردية والمنفعة العامة غاية، فالأفعال الصالحة عند النفعيين هي الَّتي توصل إلى السعادة، والأفعال السيئة هي الَّتي توصل إلى الشقاء، ومعنى السعادة اللذة الخالية من الألم، ومعنى الشقاء الألم الخالي من اللذة، ومعنى الشقاء الألم الخالي من اللذة، والسعادة والمنفعة متحدتان ذاتاً.

نظام الطاغوت (الإمبريالية) الاستعماري

rialisme systeme Colonial de l'lmp
coIoniaI system of ImperiaIism

- هو نظام علاقات عدائية بين الدول الطاغية (الإمبريالية) والشعوب المستعبدة لها. وهو عنصر من عناصر النظام الرأسمالي الاقتصادي العالمي. تكون في نهاية القرن التاسع عشر وفي مطلع القرن العشرين، وذلك مع اكتمال التقاسم الجغراسي، القاري والإقليمي للعالم المعاصر. وقد أقيم النظام الاستعماري عنوة، بقوة الغزو والحروب والنهب، وبني عليه نظام الطاغوت أو الجبروت الراهن.

الوجود (علم)

في الفرنسية **Ontologie**

في الإنكليزية **Ontology**

علم الوجود أو الانطولوجيا قسم من الفلسفة، وهو يبحث في الموجود في ذاته مستقلاً عن أحواله وظواهره، أو هو علم الموجود من حيثُ هو موجود (أرسطو). وموضوع هذا العمل قد يقصر على الوجود المحض، كما في وجودية (هيدجر)، أو يوسع حتَّى يشمل طبيعة الكائن الواقعي، أو الموجود المشخص وماهيته، وأهم مسائل هذا العمل تحديد العلاقة بين الماهية والوجود وعلم الوجود أيضاً يبحث عن الأشياء في ذاتها من جهة ما هي جواهر بالمعنى الديكارتي، لا عن ظواهرها ومحمولاتها، وهو بهذا المعنى مقابل لعلم الظواهر.

الوجود (فلسفة)

في الفرنسية **Philosopiede l'exitence**

يطلق اصطلاح فلسفة الوجود على فلسفة ياسبر (**Jaspers**)، وموضوعها البحث في الوجود الإنساني، وتوضيح الأسباب والعوامل المؤثرة فيه، وفلسفة الوجود مرادفة للفلسفة الوجودية من جهة، وللوجودية (**Existentialisme**)، من جهة ثانية، وكثيراً ما ينتقل المرء من إحدى هذه الفلسفات إلى الأخرى، من غير أنْ يشعر بهذا الانتقال.

الوجودية

في الفرنسية **Existentialisme**

في الإنكليزية **Existentialism**

الوجودية بالمعنى العام إبراز قيمة الوجود الفردي، وهي مذهب (كيرجارد) و(ياسبر) و(هيدجر) و(شستوف) و(بردياثف) وغيرهم، ولهذا المذهب خصائص عامة، منها القول بوجوب الرجوع إلى الوجود الواقعي، والشعور بما يلابس المذاهب الوثوقية والقطعية الصارمة من الغرور، وقياس البعد بين التجريد النظري والتجربة المشخصة.

والوجودية بالمعنى الخاص هي المذهب الَّذي عرضه (ج. ب. سارتر) في كتابه الوجود والعدم (L'ette etle ne'at) ونشره في الجمهور بواسطة مسرحياته، ورواياته، ومقالاته، وخلاصة هذا المذهب قول (سارتر): إنَّ الوجود متقدم على الماهية، وإنَّ الإنسان مطلق الحُرِّيَّة في الاختيار، يصفع نفسه بنفسه، يملأ وجوده على النحو الَّذي يلائمه، وهذا مضاد لقول القدماء، إنَّ الماهية مُتقدِّمة على الوجود، وإنَّ الوجود أمر زائد على الماهية.

الوضعية الجديدة (الوضعية المنطقية، التجريبية المنطقية)

تمثل تيار واسع الانتشار في البلدان الغربية، من بين أنصارها الكثير من العلماء الَّذين يمثلون علوماً مختلفة كالمنطق واللسانيات والرياضيات والفيزياء وغيرها. أمَّا مؤسسوها فهم أعضاء حلقة فيينا الَّتي كانت قائمة في مطلع القرن العشرين، أمثال: شيللك، نيرات، كارناب وغيرهم من المُفكِّرين المتأثرين بآراء الفيلسوف النمساوي فيتجنشتين، وتجدر الإشارة إلى راسل وآير من علمائها البارزين.

وسائل إعلام (وسائط):

medium ،Medium

- مصطلح يستعمله اختصاصيو الاتصال الجماهيري للتدليل على التواصلات الجماهيرية. يشمل الإذاعة، التلفزة، السينما، الصحافة الكبرى، الإعلان والدعاية، والأشرطة المسجلة.

في معنى أوسع، تعتبر وسائل الإعلام وسائط وامتدادات تقنية لوسائل التعبير الطبيعية. وعليه، تعتبر الكتابة واسطة إعلامية. يفرق بين الوسائط الحارة كالكتابة والإذاعة والسينما التي تحمل رسائل كاملة لا تترك مجالا للتأويل الشخصي، والوسائط الباردة كالكلام والهاتف والتلفزيون التي تدعو المخاطب إلى المشاركة في الخطاب أو المرسلة.

وسائل إنتاج:

Moyens de Produetion
Production means

- هي مجمل وسائل العمل وأغراضه المستعملة في مسار الإنتاج الاجتماعي لإنتاج خيرات مادية.

وظافة (وظيفية):

Fonctionalisme، Funetionalism

- ينزع التوجه النظري لمذهب الوظافة إلى تفسير الوقائع الأعراقية (الإتنولوجية) في كل مستوياتها التطورية، بوظيفتها وبدورها الذي تضطلع به في النسق الثقافي قاطبة، وبكيفية ترابط هذه الوقائع داخل هذا النسق.

1. تقوم الوظافة على تعريف المجتمعات بأنها كليات / مجاميع متشكلة من تشابك منظومات خاصة، منظومات اقتصادية/ سياسية، منظومات قرابة، الخ. وإذ تنطلق الوظافة من وحدة المجتمع الوظيفية إنما توضحها بمفهوم التوازن الداخلي. وهذا الأمر جعل روجيه باستيد ينتقدها بقوله إن الوظافة تفسر لماذا تستمر الأشياء، لكنها لا تفسر لماذا تتغير وتتبدل؟.

2. تأخذ البنيوية على الوظافة قولها بواقعية الوظيفة، واعتقادها برد كل شيء إلى الوظيفة الاجتماعية. يقول كلود لفي - شتراوس. أما يهم عالم الأنام ليس كلية الوظيفة المفتقدة إلى اليقين، والعاجزة عن توكيد ذاتها دون دراسة ذكية لكل العادات من هذا النوع ولتطورها التاريخي، بل كون العادات بالغة التنوع والتباين.

وعي:

ConsIousness، conseienee

- في العربية: الوعي هو حفظ الشيء في النفس، والإيعاء حفظه في الغير؟ والاستيعاء **prise de conscIence** هو تبادل الوعي (أخذه من الغير/ إلى الغير): والوعاية أبلغ من الحفظ لأنها تختص بالباطن! والحفظ يستعمل في حفظ الظاهر (الكيات).

في العلوم الإنسانية، الوعي هو ما يجعل الفاعلية النفسية ماثلة لنفسها بنفسها. يفرق بين الوعي الفطري (أي توجه الوعي بسذاجة إلى أغراضه) والوعي الافتكاري (أي الذي يتخذ من ذاته موضوعا لوعيه).

1. في المجال الماورائي، حيث نشأ هذا المصطلح، يعني الوعي الرجوع إلى قصد الفاعل (مانوى) ' إلى ذاتيته المتميزة من مظهرية العالم المدرك، أومن صورته الخارجية. غيبيا، يرادف الوعي الاستلهام أو الوحي بحيث أن وعي شيء ما لا يتحقق دون إخفاء طريقة الرؤية عينها، وعندها تتضمن النظرة، (البينة)، الاستجهال (مقابل الاستيعاء)، أوالنظرة اللاواعية (النظر بلا وعي).
2. يستند مفهوم الوعي، ضمناً ودائماً، إلى مفهوم غيبي للمشيئة والإرادة، لأن الذات يتعين عليها أن تسيطر بجهد شخصي على كل محتوى حياتها النفسية.

أخلاق الصحفي المهنية



عمّان - شارع الجامعة الأردنية
مقابل كلية الزراعة
تلفاكس : 00962 6 533 7798
ص.ب 1527 عمان 11953 الأردن
E-mail: info@alwaraq-pub.com
E-mail: halwaraq@hotmail.com



www.alwaraq-pub.com